الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

شارك في تحقيق هذا الجزء

محمد رضوان عرقسوسي

الجزء الحادي والعشرون

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع لأحكام القرآن

والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت-لبنان
تلفاكس: ٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ فاكس: ٨١٨٦١٥ ص.ب: ١١٧٤٦٠

Al-Resalah PUBLISHERS
BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:818615-P.O.Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

سورة التَّغَابُن

مدنيَّةٌ في قول الأكثرين. وقال الضحاك: مَكِّيَّة. وقال الكلبي: هي مكية ومدنية[1]. وهي ثماني عشرة آية. وعن ابن عباس أن سورة التغابن نزلت بمكة، إلا آياتٍ من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالكٍ الأشْجَعي، شكا إلى رسول الله ﷺ جفاءَ أهله وولده، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ إلى آخر السورة[2].

وعن عبد الله بن عمرو[3] قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما من مولود يولدُ إلَّا وفي تشابيك رأسه مكتوبٌ خمسُ آيات من فاتحة سورة التغابن»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

تقدَّم في غير موضع[5]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠ .

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٩٠٢)، وسيذكره المصنف أيضاً عند تفسير الآية المذكورة.

(٣) في النسخ: عبد الله بن عمر، والتصويب من المصادر الآتية.

(٤) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٣/ ٨١ - ٨٢ ، والطبراني في مسند الشاميين (٩٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣١٦) وفي إسناده الوليد بن الوليد العنسي؛ قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي. وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع. وقال ابن كثير في تفسيره ٨/ ١٣٥ : غريب جداً، بل منكر.
وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٤٤٥ عن عبد الله بن عمرو موقوفاً. قال ابن عرَّاق في تنزيه الشريعة ١/ ١٩٦ : وهو أشبه .اهـ. وجاء عند الطبراني: خمس آيات من سورة التغابن، دون لفظة: فاتحة.

(٥) ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ١٣/ ٨٩ ، ٢٠/ ٢٣٥ .

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾

قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدمَ مؤمناً وكافراً، ويُعيدهم في[1] القيامة مؤمناً وكافراً.

وروى أبو سعيدٍ الخُدْريُّ قال: خَطَبَنا النبيُّ ﷺ عَشِيَّةً، فذكر شيئاً مما يكون فقال: «يولد الناس على طبقات شتَّى: يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً، ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت كافراً، ويولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت مؤمناً»[2].

وقال ابن مسعود: قال النبيُّ ﷺ: «خلق الله فرعونَ في بطن أمه كافراً، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مومناً»[3].

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود: «وإن أحدكم لَيعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ أو باع، فيسبِق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلُها. وإن أحدكم لَيعمل بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعُ أو باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلُها». خرَّجه البخاريُّ، والترمذيُّ وليس فيه ذكر الباع[4].

---

(١) بعدها في (م): يوم. وقول ابن عباس في الوسيط ٤/ ٣٠٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٥٢ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢١ .

(٢) سلف ١٦/ ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٤٣)، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٢١ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠١٩). وفي إسناده أبو هلال الراسبي.

قال النسائي: ليس بالقوي. وقال أحمد بن حنبل: يحتمل في حديثه إلا أنه يخالف في قتادة وهو مضطرب الحديث. قاله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣/ ٥٧٧ . وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٤٩٨ ، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢٤٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٢١) وفيه نصر بن طريف، قال الذهبي في الميزان ٤/ ٢٥١ : قال أحمد: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: من المعروفين بوضع الحديث.

(٤) صحيح البخاري (٦٥٩٤) وسنن الترمذي (٢١٣٧)، وسلف ١/ ٢٩٦ .

وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد السَّاعديّ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل لَيعمل عمل أهل الجنة فيما يَبْدُو للناس، وهو من أهل النار. وإن الرجل لَيعمل عمل أهل النار فيما يَبْدُو للناس، وهو من أهل الجنة»[١].

قال علماؤنا: والمعنى: تعلُّق العلم الأزليّ بكلّ معلوم، فيَجري ما علم وأراد وحكم. فقد يريد إيمانَ شخص على عموم الأحوال، وقد يريده إلى وقت معلوم. وكذلك الكفر.

وقيل في الكلام محذوف: فمنكم مؤمنٌ ومنكم كافر ومنكم فاسق، فحذف لِمَا في الكلام من الدَّلالة عليه. قاله الحسن. وقال غيره: لا حذف فيه؛ لأن المقصود [به] ذكرُ الطرفين[٢]. وقال جماعة من أهل العلم: إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا. قالوا: وتمام الكلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾. ثم وصفهم فقال: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥] الآية. قالوا: فالله خلقهم، والمَشْيُ فعلُهم[٣]. واختاره الحسين بن الفضل، قال: لو خلقهم مؤمنين وكافرين، لَمَا وصفهم بفعلهم في قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾. واحتجُّوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «كلُّ مولود يولد على الفِطرة، فأبَوَاه يُهوِّدانِه ويُنَصِّرانِه ويُمَجِّسانِه» الحديث. وقد مضى في «الروم»[٤] مستوفًى.

قال الضحاك: فمنكم كافرٌ في السِّرّ مؤمنٌ في العلانية؛ كالمنافق، ومنكم مؤمنٌ في السِّر كافرٌ في العلانية؛ كعَمَّار وذَوِيه[٥]. وقال عطاء بن أبي رَبَاح: فمنكم كافر

---

(١) صحيح مسلم (١١٢) كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. وهو عند أحمد (٢٢٨١٣)، والبخاري (٢٨٩٨) مطول.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١ وما بين حاصرتين منه.

(٣) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٥٢ .

(٤) ١٦/ ٤٢٢ . وأخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨): (٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ٢١ .

بالله مؤمنٌ بالكواكب، ومنكم مؤمنٌ بالله كافرٌ بالكواكب، يعني في شأن الأنواء[١].

وقال الزجاج ـ وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمةُ والجمهور من الأمة ـ: إن الله خلق الكافر، وكُفْرُه فِعْلٌ له وكسب، مع أن الله خالق الكفر. وخَلَق المؤمن، وإيمانُهُ فعلٌ له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان. والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خَلْق الله إياه؛ لأن الله تعالى قَدَّر ذلك عليه وعَلِمَه منه. ولا يجوز أن يوجد من كلٍّ واحد منهما غيرُ الذي قدَّر عليه وعَلِمه منه؛ لأن وجود خلاف المقدور عَجْزٌ، ووجود خلاف المعلوم جَهْلٌ، ولا يَلِيقان بالله تعالى. وفي هذا سلامةٌ من الجبر والقَدَر[٢]، كما قال الشاعر:

يا ناظراً في الدِّين ما الأمْرُ ... لا قَدَرٌ صحَّ ولا جَبْرُ[٣]

وقال سِيلان: قَدِم أعرابيٌّ البصرة فقيل له: ما تقول في القَدَر؟ فقال: أمرٌ تغالت فيه الظُّنون، واختلف فيه المختلفون؛ فالواجبُ أن نَرُدَّ ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ تقدَّم في غير موضع[٤]، أي: خلقها حقًّا يقيناً لا ريب فيه. وقيل: الباء بمعنى اللام، أي: خلقهما[٥] للحق، وهو أن

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٨، وزاد المسير ٨/ ٢٨٠ - ٢٨١، والأنواء جمع نوء وهو النجم مال للغروب، أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. القاموس (ناء).

(٢) ذكر نحو هذا الكلام البغوي في تفسيره ٤/ ٣٥٢ ولم ينسبه.

(٣) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٢/ ٢٥١.

(٤) ٨/ ٣١٣، ٤٢٩.

(٥) في (د) و(ق) و (م): أي خلقها.

يَجْزِيَ الذين أساؤوا بما عمِلوا، ويجزيَ الذين أحسنوا بالحُسْنَى. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ يعني آدمَ عليه السلام، خلقه بيده كرامةً له. قاله مقاتل. الثاني: جميع الخلائق[١]. وقد مضى معنى التصوير[٢]، وأنه التخطيط والتشكيل.

فإن قيل: كيف أحسن صورهم؟ قيل له: جعلهم أحسن الحيوان كلِّه وأبهاه صورةً؛ بدليل أن الإنسان لا يتمنَّى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصُّوَر. ومِن حُسْن صورته أنه خُلِق منتصِباً غيرَ مُنْكَبٍّ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٣] [التين: ٤] على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجِع، فيجازي كلًّا بعلمه.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

تقدَّم في غير موضع. فهو عالمُ الغيبِ والشهادة، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

الخطاب لقريش، أي: ألم يأتكم خبر كفار الأمم الماضية. ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: عوقبوا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجِع. وقد تقدَّم[٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا العذابُ لهم بكفرهم بالرسل تأتيهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١.

(٢) ٢٠/ ٣٩٣.

(٣) الكشاف ٤/ ١١٣.

(٤) ١/ ٣٠١.

أي: بالدَّلائل الواضحة. ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهۡدُونَنَا﴾: أنكروا أن يكون الرسول من البشر. وارتفع «أَبَشَرٌ» على الابتداء. وقيل: بإضمار فعل، والجمعُ على معنى بشر، ولهذا قال: «يَهْدُونَنَا»، ولم يقل: يهدينا. وقد يأتي الواحد بمعنى الجمع فيكونُ اسماً للجنس، وواحدُه إنسانٌ؛ لا واحد له من لفظه[١]. وقد يأتي الجمع بمعنى الواحد، نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١].

﴿فَكَفَرُواْ﴾ أي: بهذا القول، إذ قالوه استصغاراً ولم يعلموا أن الله يبعثُ مَن يشاء إلى عباده. وقيل: كفروا بالرسل وتولَّوا عن البرهان، وأعرضوا عن الإيمان والموعظة. ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ أي: بسلطانه عن طاعة عباده. قاله مقاتل. وقيل: استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان، عن زيادة تدعو إلى الرُّشد وتقودُ إلى الهداية[٢].

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ أي: ظنُّوا، والزَّعْمُ هو القول بالظن. وقال شُريح: لكلِّ شيء كُنيةٌ، وكُنْيَةُ الكذب زعموا[٣]. قيل: نزلت في العاص بن وائلٍ السَّهْميِّ مع خبَّاب، حسب ما تقدَّم بيانُه في آخر سورة مريم[٤]، ثم عَمَّت كلَّ كافر. ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أي: لَتُخرجُنَّ من قبوركم أحياء. ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾: لَتُخبَرُنَّ. ﴿بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ أي: بأعمالكم. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ إذ الإعادةُ أسهلُ من الابتداء.

---

(١) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٥٢.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١.

(٣) الكشاف ٤/ ١١٤، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢٣، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٦٣٧ - ٦٣٨.

(٤) ١٣/ ٥٠٥.

قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑧﴾

قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمرهم بالإيمان بعد أن عرَّفهم قيامَ الساعة. ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ وهو القرآن، وهو نورٌ يُهْتدى به من ظُلمة الضلال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑨﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ العاملُ في «يَوْمَ» «لَتُنَبَّؤُنَّ» أو «خَبِيرٌ» لِمَا فيه من معنى الوعيد، كأنه قال: والله يعاقبكم يوم يجمعكم. أو بإضمار: اذكر[1]. والغَبْنُ: النقص. يقال: غَبَنَه غَبْناً: إذا أخذ الشيءَ منه بدون قيمته.

وقراءةُ العامة: «يَجْمَعُكُمْ» بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فأخبر، ولِذِكر اسم الله أوَّلاً. وقرأ نصر وابنُ أبي إسحاقَ والجَحْدَريُّ ويعقوبُ وسلام: «نجمعكم» بالنون[2]؛ اعتباراً بقوله: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾.

ويومُ الجمع: يومٌ يجمع الله الأوَّلين والآخِرين والإنسَ والجنَّ وأهلَ السماء وأهل الأرض. وقيل: هو يومٌ يجمع الله فيه بين كلِّ عبد وعمله. وقيل: لأنه يجمع فيه بين الظَّالم والمظلوم. وقيل: لأنه يجمع فيه بين كل نبيٍّ وأمَّته. وقيل: لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعات وعقابِ أهل المعاصي. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي: يومُ القيامة. قال:

وما أَرتجي بالعيش في دار فُرقةٍ ... ألا إنَّما الراحاتُ يومَ التغابنِ

وسمِّيَ يومُ القيامة يومَ التَّغابُن؛ لأنه غَبَن فيه أهلُ الجنة أهلَ النار[3]. أي: إنَّ

(١) الكشاف ٤/ ١١٥، ووقع في (ظ): اذكروا، بدل: اذكر.
(٢) قراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٨٨، وقراءة سلام في القراءات الشاذة ص١٥٧.
(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣.

أهل الجنة أخذوا الجنة، وأخذَ أهلُ النار النارَ على طريق المبادلة، فوقع الغَبْن لأجل مبادلتهم الخيرَ بالشرِّ، والجيِّدَ بالرديء، والنعيمَ بالعذاب[١]. يقال: غَبَنتُ فلاناً: إذا بايعتَه أو شاريتَه، فكان النقصُ عليه والغَلَبةُ لك. وكذا أهلُ الجنة وأهلُ النار؛ على ما يأتي بيانه. ويقال: غَبَنتُ الثوب وخبنتُه: إذا طال عن مِقدارك فخِطتَ منه شيئاً، فهو نقصانٌ أيضاً. والْمَغَابِنُ: ما انثنى من الخلق نحو الإبْطين والفخذين. قال المفسرون: فالمغبونُ مَن غَبَن أهلَه ومنازله في الجنة. ويظهر يومئذ غَبْنُ كلِّ كافر بتركه[٢] الإيمانَ، وغَبْنُ كلِّ مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام[٣]. قال الزجاج[٤]: وَيْغبِن مَن ارتفعت منزلتُه في الجنة مَن كان دون منزلته.

الثانية: فإن قيل: فأيُّ معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغَبْن فيها. قيل له: هو تمثيلُ الغَبْن في الشراء والبيع[٥]، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٦]. ولمَّا ذكر أن الكفار اشترَوُا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا، ذَكَر أيضاً أنهم غُبِنوا، وذلك أن أهل الجنة اشتَرَوُا الآخرة بترك الدنيا، واشترى أهلُ النار الدنيا بترك الآخرة. وهذا نوعُ مبادلة اتِّساعاً ومجازاً.

وقد فرَّق الله سبحانه وتعالى الخلق فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للنار. ومنازلُ الكلِّ موضوعةٌ في الجنة والنار. فقد يسبق الخِذلانُ على العبد ـ كما بيَّنَّاه في هذه السورة[٦] وغيرها ـ فيكونُ من أهل النار، فيحصُلُ الموفَّق على منزل المخذول، ومنزلُ الموفَّق في النار للمخذول، فكأنه وقع التبادل فحصل التغابن. والأمثالُ موضوعةٌ للبيان في حكم اللغة والقرآن. وذلك كلُّه مجموعٌ مِن نشر الآثار، وقد جاءت

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠٣ .

(٢) في (د)ز و(م): بترك.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٣ .

(٤) في معاني القرآن ٥/ ١٨٠ .

(٥) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠٣ .

(٦) في تفسير الآية الثانية منها.

مفرَّقةً في هذا الكتاب[١]. وقد يُخبر عن هذا التبادل بالوراثة كما بيَّنَّاه في «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»[٢]. والله أعلم. وقد يقع التغابن في غير ذلك اليوم على ما يأتي بيانه بعدُ، ولكنه أراد التغابن الذي لا جُبران لنهايته.

وقال الحسن وقتادة: بلغنا أنَّ التغابن في ثلاثة أصناف: رجلٍ عَلِم عِلماً فعلَّمه وضيَّعه هو ولم يعمل به، فشَقِيَ به، وعَمِل به مَن تعلَّمه منه فَنَجا به. ورجلٍ اكتسب مالاً من وجوه يُسأل عنها وشحَّ عليه، وفرَّط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيراً، وتركه لوارث لا حسابَ عليه فيه، فعمل ذلك الوارثُ فيه بطاعة ربِّه. ورجلٍ كان له عبدٌ، فعمل العبد بطاعة ربِّه فسَعِد، وعمل السيِّد بمعصية ربِّه فشَقي.

وروي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يُقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه، فيقول الله تعالى لهما: قُولَا فما أنتما بقائلين، فيقول الرجل: يا ربِّ أوجبتَ نفقتها عليَّ، فتعسَّفتُها من حلال وحرام، وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك، ولم يَبْقَ لي ما أُوفي به، فتقولُ المرأة: يا ربِّ وما عسى أن أقول، اكتسبَه حراماً وأكلتُه حلالاً، وعصاك في مَرْضاتي ولم أرضَ له بذلك، فبُعداً له وسُحْقاً، فيقول الله تعالى: قد صدقتِ، فيؤمرُ به إلى النار ويؤمر بها إلى الجنة، فَتَطَّلِعُ عليه من طبقات الجنة وتقول له: غَبَنَّاك غَبَنَّاك، سَعِدنا بما شَقِيتَ أنت به» فذلك يوم التغابن[٣].

الثالثة: قال ابن العربيِّ[٤]: استدل علماؤنا بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ على أنه لا يجوز الغَبْن في المعاملة الدُّنيوية؛ لأن الله تعالى خصَّص التغابنَ بيوم القيامة فقال: «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» وهذا الاختصاصُ يُفيد أنه لا غَبْن في الدنيا، فكلُّ مَن اطَّلع

(١) ينظر ١/٢٩٦، ١٥/١٥ - ١٦، وص٦-٧ من هذا الجزء. والكلام السالف من أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٠٣ - ١٨٠٤.

(٢) ١٥/١٥ - ١٦.

(٣) لم نقف عليه، والضعف في سياقه ظاهر.

(٤) في أحكام القرآن ٤/١٨٠٤ - ١٨٠٥.

على غَبْن في مَبيع، فإنه مردودٌ إذا زاد على الثلُث. واختاره البغداديون واحتجُّوا عليه بوجوه: منها قولُه ﷺ لحَبَّان بن مُنْقِذ: «إذا بايعت فقُلْ: لا خِلابة، ولك الخيارُ ثلاثاً»(١). وهذا فيه نظرٌ طويلٌ بيَّنَّاه في مسائل الخلاف. نُكْتَتُه أن الغَبْن في الدنيا ممنوعٌ بإجماعٍ في حكم الدين، إذ هو من باب الخِداع المحرَّمِ شرعاً في كلِّ ملَّة، لكنَّ اليسيرَ منه لا يمكن الاحتراز عنه لأحد، فمضى في البيوع، إذ لو حَكَمْنا بردِّه ما نفذ بيعٌ أبداً؛ لأنه لا يخلو منه، حتى إذا كان كثيراً أمكن الاحتراز منه؛ فوجب الردُّ به. والفرقُ بين القليل والكثير أصلٌ في الشريعة معلومٌ، فقدَّر علماؤنا الثلثَ لهذا الحدِّ، إذ رأوه في الوصية وغيرها. ويكون معنى الآية على هذا: ذلك يومُ التغابنِ الجائزِ مطلقاً من غير تفصيل. أو: ذلك يومُ التغابنِ الذي لا يُستدرك أبداً؛ لأن تغابن الدنيا يُستدرك بوجهين: إما بردٍّ في بعض الأحوال، وإمَّا بربح في بيع آخرَ وسِلْعَةٍ أخرى. فأمَّا مَنْ خَسِر الجنة فلا دركَ له أبداً. وقد قال بعض علماء الصوفية: إن الله كتب الغَبْنَ على الخلق أجمعين، فلا يلقى أحدٌ ربَّه إلا مغبوناً؛ لأنه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصُلَ له استيفاء الثواب. وفي الأثر قال النبيُّ ﷺ: «لا يلقى اللهَ أحدٌ إلا نادماً؛ إن كان مسيئاً أنْ لم يحسن، وإن كان محسناً أنْ لم يزدد»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ قرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما، والباقون بالياء(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعني: القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ لمَّا ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكافرين؛ كما تقدَّم في

---

(١) سلف ٤/ ٤٣٥ .

(٢) في أحكام القرآن لابن العربي (والكلام منه): ... إذ لم يحسن، .. إذ لم يزدد. ولم نقف عليه.

(٣) السبعة ص٦٣٨ ، والتيسير ص٢١١ .

غير موضع.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته وقضائه[١]. وقال الفرَّاء: يريد: إلا بأمر الله[٢]. وقيل: إلا بعلم الله[٣]. وقيل: سببُ نزولها أنَّ الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقًّا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا، فبيَّن الله تعالى أنَّ ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل، يقتضي هَمًّا أو يُوجِب عقاباً عاجلاً أو آجلاً، فبعلم الله وقضائه.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ أي: يصدِّقْ ويعلمْ أنه لا يصيبه مصيبةٌ إلا بإذن الله[٤] ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للصبر والرضا. وقيل: يُثَبِّته على الإيمان. وقال أبو عثمان الحيري[٥]: مَن صحَّ إيمانه، يَهدِ الله قلبه لاتباع السُّنة[٦]. وقيل: «وَمَنْ يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلبَهُ» عند المصيبة، فيقول: «إنّا للهِ وإنَّا إِلَيْهِ رَاجعُونَ»[٧]. قاله ابن جبير. وقال ابن عباس: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه[٨]. وقال الكَلْبيُّ: هو إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أُنعِم عليه شَكَر، وإذا ظُلم غَفَر[٩]. وقيل: يَهْدِ قلبه إلى نيل الثواب في الجنة.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨١.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٣.

(٥) في (خ) و(ف) و(م): الجيزي، وهو غلط، والصواب ما أثبتناه.

(٦) زاد المسير ٨/ ٢٨٣.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦١، والنكت والعيون ٦/ ٢٣، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٨٣ لمقاتل.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٢.

(٩) النكت والعيون ٦/ ٢٣، وزاد المسير ٨/ ٢٨٣.

وقراءةُ العامة: «يَهْدِ» بفتح الياء وكسر الدال؛ لِذكرِ اسم الله أولاً. وقرأ السُّلَميُّ وقتادةُ: «يُهْدَ قَلْبُه» بضمِّ الياء وفتح الدال على الفعل المجهول ورفع الباء[١]؛ لأنه اسمُ فعلٍ لم يُسمَّ فاعله.

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف والأعرج: «نَهْدِ» بنونٍ على التعظيم. «قَلْبَه» بالنصب[٢]. وقرأ عكرمة: «يَهْدَأ قلبُه» بهمزة ساكنة ورفع الباء[٣]، أي: يسكُنْ ويطمئن. وقرأ مثلَه مالكُ بن دينار، إلا أنه ليَّن الهمزة[٤].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه تسليمُ مَن انقاد وسلَّم لأمره، ولا كراهةُ مَن كرهه.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

أي: هوِّنوا على أنفسكم المصائب، واشتغلوا بطاعة الله، واعملوا بكتابه[٥]، وأطيعوا الرسل في العمل بسُنَّته، فإن توليتم عن الطاعة، فليس على الرسول إلا التبليغ. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود سواه، ولا خالق غيره، فعليه توكَّلوا.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا

---

(١) قراءة السلمي في القراءات الشاذة ص١٥٧ – ١٥٨ .

(٢) ذكرها عن طلحة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٧ ، وذكرها عن الأعرج ـ وهو عبد الله بن هرمز ـ أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٢٧٨ .

(٣) المحتسب ٢/ ٣٢٣ .

(٤) ذكر هذه القراءات ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٧ ونسبها لعمرو بن فائد.

(٥) في (ظ): واتلوا كتابه.

لَكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالمدينة في عَوْف بن مالكٍ الأشْجَعيِّ، شكا إلى النبيِّ ﷺ جَفاءَ أهلِه وولدِه؛ فنزلت، ذكره النحاس[1]. وحكاه الطَّبَريُّ[2] عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلُّها بمكةَ إلَّا هؤلاء الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نزلت في عَوْف بن مالكٍ الأشْجَعيِّ كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغَزْوَ بَكَوْا إليه ورقَّقُوه فقالوا: إلى مَن تَدَعُنا؟ فَيرِقُّ فيُقيم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ الآيةُ كلُّها بالمدينة في عَوْف بن مالكٍ الأشجعيّ. وبقيةُ الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

وروى الترمذيُّ[3] عن ابن عباس ـ وسأله رجل عن هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ ـ قال: هؤلاء رجالٌ أسلموا من أهل مكةَ، وأرادوا أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فلمَّا أتَوُا النبيَّ ﷺ، رأوُا الناس قد فَقُهوا في الدِّين؛ هَمُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ الآية. [قال أبو عيسى:] هذا حديث حسن صحيح.

الثانية: قال القاضي أبو بكر بن العربي[4]: هذا يبيِّن وجه العداوة، فإن العدوَّ لم يكن عدوًّا لذاته، وإنما كان عدوًّا بفعله. فإذا فَعَل الزوج والولد فِعْلَ العدُوِّ، كان عدوًّا، ولا فِعْلَ أقبحُ من الحيلولة بين العبد وبين الطَّاعة. وفي صحيح البخاريِّ من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «إن الشيطان قَعَد لابن آدم في طريق الإيمان، فقال له: أتؤمنُ وتَذَرُ دِينَك[5] ودِين آبائك، فخالَفَه فآمن. ثم قعد له على طريق

(١) سلف أول السورة.

(٢) في تفسيره ٢٣/ ١٥ .

(٣) برقم (٣٣١٧)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٠٦ .

(٥) في (خ) و(د) و(ز) و(ظ) و(ق): وتذر ذريتك.

الهجرة، فقال له: أتهاجرُ وتتركُ مالك وأهلك، فخالَفَه فهاجَر. ثم قعد له على طريق الجهاد، فقال له: أتجاهدُ فتقتُلَ نفسك، فتُنكَحَ نساؤك، ويُقسمَ مالك، فخالَفَه فجاهَدَ فقُتِل، فحقٌّ على الله أن يُدخِله الجنة»(١).

وقعود الشيطان يكون بوجهين:

أحدهما: يكون بالوسوسة.

والثاني: بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوجَ والولدَ والصاحب، قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]. وفي حكمة عيسى عليه السلام: مَن اتخذ أهلاً ومالاً وولداً، كان للدنيا عبداً. وفي صحيح الحديث بيان أدنى من ذلك في حال العبد، قال النبيُّ ﷺ: «تَعِس عبد الدينار، تَعِس عَبْدُ الدِّرْهم، تَعِس عبد الخَميصَة، تَعِس عبد القَطيفة، تَعِس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتقش»(٢). ولا دناءة أعظمُ من عبادة الدينار والدرهم، ولا همَّة أخسُّ من همَّة ترتفع بثوب جديد(٣).

الثالثة: كما أن الرجل يكون له ولدُه وزَوْجُه عدُوًّا، كذلك المرأةُ يكون لها زوجُها وولدها عدوًّا بهذا المعنى بعينه. وعمومُ قوله: «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» يدخل فيه الذَّكَر والأنثى؛ لدخولهما في كلِّ آية. والله أعلم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ معناه على أنفسكم. والحذرُ على النفس يكون

(١) لم يخرجه البخاري في صحيحه كما قال المصنف، لكن أخرجه في التاريخ الكبير ٤/ ١٨٨ من حديث سبرة بن الفاكه بنحوه، وسلف ١٠/ ١٤٢ من حديث سبرة بن الفاكه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله: تَعِس: أي عثر وانكبَّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. والخميصة: هي ثوب خزٍّ أو صوف مُعْلَم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعْلمة. والقطيفة: هي كساء له خَمْل. وانتكس: أي انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة. وقوله: وإذا شيك فلا انتقش: أي إذا شاكته شوكة، فلا يقدر على انتقاشها، وهو إخراجها بالمنقاش. النهاية (تعس) و(خمص) و(قطف) و(نكس) و(شوك). وسلف ١٩/ ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠٧ ، والمسألتان الآتيتان منه.

بوجهين: إمَّا لضرر في البدن، وإمَّا لضرر في الدِّين. وضررُ البدن يتعلَّق بالدنيا، وضررُ الدِّين يتعلق بالآخرة. فحذَّر الله سبحانه العبد من ذلك وأنذره به.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ روى الطَّبَريُّ[١] عن عكرمةَ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: كان الرجل يريد أن يأتيَ النبيَّ ﷺ، فيقول له أهلُه: أين تذهب وتدعُنا؟ قال: فإذا أسلم وَفَقُهَ قال: لأرجعنَّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر، فلأفعلنّ ولأفعلنّ، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: ما عادَوهم في الدنيا، ولكنْ حملهم[٢] مودَّتُهم لهم[٣] على أن أخذوا لهم الحرام، فأعطَوه إيَّاهم.

والآيةُ عامةٌ في كلِّ معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد، وخصوصُ السبب لا يمنع عموم الحكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاءٌ واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنعِ حقِّ الله تعالى، فلا تطيعوهم في معصية الله. وفي الحديث: «يُؤْتَى برجل يوم القيامة فيقال: أكَلَ عِيالُهُ حسناتِه»[٤]. وعن بعض السلف: العِيال

---

(١) في تفسيره ٢٣/ ١٤.

(٢) في (م): حملتهم.

(٣) لفظة: لهم، ليست في (د) و(م).

(٤) الكشاف ٤/ ١١٦، ولم نقف عليه مرفوعاً، لكن أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال (٤٥١)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ٩٣، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٨١ عن سفيان الثوري بلفظ: يؤمر بالرجل يوم القيامة إلى النار، فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته. قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٢/ ٤٢: غريب مرفوعاً. وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٧٣: لم أره مرفوعاً.

سُوس الطاعات[١]. وقال القُتَيْبي: «فِتْنَةٌ» أي: إغرام، يقال: فُتِن الرجل بالمرأة، أي: شُغف بها[٢]. وقيل: «فِتْنَةٌ»: مِحْنة. ومنه قول الشاعر:

لـقـد فُـتِـن الـنـاسُ فـي ديـنـهـمْ وخَـلَّـى ابـنُ عـفَّـان شـرًّا طـويـلا[٣]

وقال ابن مسعود: لا يقولنَّ أحدكم: اللَّهُمّ اعْصِمْني من الفتنة، فإنه ليس أحدٌ منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتملٌ على فتنة، ولكن ليقل: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من مُضِلَّات الفتن[٤].

وقال الحسن في قوله تعالى: «إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ»: أدخل «مِن» للتبعيض؛ لأن كلَّهم ليسوا بأعداء. ولم يذكر «مِن» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ لأنهما لا يخلوان من الفتنة، واشتغال القلب بهما[٥].

وروى الترمذيُّ وغيرُهُ عن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه قال: رأيت النبيَّ ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثُران، فنزل رسول الله ﷺ، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾. نظرت إلى هذين الصبيَّيْن يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»، ثم أخذ في خُطبته[٦].

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يعني الجنة، فهي الغاية، ولا أجرَ أعظمُ منها في قول

(١) الكشاف ٤/ ١١٦ .

(٢) في (ظ): غرم بها، والكلام من تفسير غريب القرآن ص٤٦٩ .

(٣) أورده المرزباني في معجم الشعراء ص٢٤٠ ، والبغدادي في خزانة الأدب ٩/ ٤١٩ ونسباه لكثير بن عبد الله النهشلي، ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٤٧٢ للفرزدق.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٠ .

(٥) أورد هذا القول البغوي في تفسيره ٤/ ٣٥٤ ولم ينسبه. ونقله ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٥ عن الفراء.

(٦) سنن الترمذي (٣٧٧٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد. وهو عند أحمد (٢٢٩٩٥)، وأبي داود (١١٠٩)، والنسائي ٣/ ١٠٨ ، ١٩٢ ، وابن ماجه (٣٦٠٠).

المفسّرين. وفي الصحيحين[(١)] ـ واللفظ للبخاريّ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وسَعْدَيْك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالَنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألَا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك، فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبداً»[(٢)]. وقد تقدَّم.

ولا شك في أن الرّضَا غايةُ الآمال. وأنشد الصوفية في تحقيق ذلك:

امتحن الله به خلقهُ فالنارُ والجنة في قبضتِهْ
فهجرُه أعظمُ من نارِهِ ووَصْلُه أطْيَبُ من جَنَّتِهْ[(٣)]

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: ذهب جماعة من أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناسخةٌ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، منهم قتادةُ والربيع بن أنس والسُّدِّيُّ وابن زيد[(٤)]. ذكر الطبري[(٥)]: وحدَّثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: جاء أمر

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٠٨ ـ والكلام منه ـ: وعندي ما هو أعظم منها وهو ما ثبت في الصحيح...

(٢) صحيح البخاري (٦٥٤٩)، وصحيح مسلم (٢٨٢٩)، وسلف ٥/٥٨ مختصراً.

(٣) أوردهما أحمد بن محمد المقري التلمساني في نفخ الطيب ٢/ ٣٩.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٥/ ٦٤٢ - ٦٤٣.

(٥) في تفسيره ٥/ ٦٤٣.

شديد، قال[١]: ومَن يعرفُ قدر هذا أو يبلغه؟ فلمَّا عَرَف الله أنه قد اشتدَّ ذلك عليهم، نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقيل: هي محكمة لا نسخ فيها. وقال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ إنها لم تنسخ، ولكن حقّ تقاته أن يجاهد لله حَقَّ جهاده، ولا يأخذهم في الله لومةُ لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. وقد تقدم[٢].

الثانية: فإن قيل: فإذا كانت هذه الآيةُ محكمةً غيرَ منسوخة، فما وجهُ قوله في سورة التغابن: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، وكيف يجوز اجتماع الأمر باتِّقاء الله حقَّ تُقاته، والأمرِ باتِّقائه ما استطعنا، والأمرُ باتِّقائه حقَّ تُقاته إيجابُ القرآن بغير خصوص ولا وصلٍ بشرط، والأمرُ باتِّقائه ما استطعنا أمرٌ باتِّقائه موصولاً بشرط؟

قيل له: قوله: «فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» بمعزِل ممَّا دلَّ عليه قوله تعالى: «اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ». وإنما عنى بقوله: «فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جُعل فتنةً لكم من أموالكم وأولادكم أن تغلبكم فتنتُهم، وتصدَّكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، فتتركوا الهجرة ما استطعتم، بمعنى وأنتم للهجرة مستطيعين. وذلك أن الله جلَّ ثناؤه قد كان عَذَر مَن لم يقدِر على الهجرة بتركها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء:٩٧-٩٩]. فأخبر أنه قد عفا عمَّن لا يستطيع حيلةً ولا يهتدي سبيلاً بالإقامة في دار الشرك، فكذلك معنى قوله: «فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» في الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تتركوها بفتنة أموالكم وأولادكم. وممَّا يدلُّ على صحة هذا أنَّ قوله: «فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» عقيبُ قوله:

(١) في (م): قالوا.

(٢) ٥/٢٣٨، وقد رجح المصنف هناك أن هذه الآية: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هي بيان للتي في آل عمران، والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى .اهـ. وهذا ما ذهب إليه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/١٢٩، ومكي في ناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٠٣ - ٢٠٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ ولا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أنَّ هذه الآياتِ نزلت بسبب قوم[١] تأخَّروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتثبيط أولادهم إيَّاهم عن ذلك، حسب ما تقدم[٢]. وهذا كلُّه اختيار الطَّبري[٣].

وقيل: «فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فيما تُطُوِّع به من نافلة أو صدقة، فإنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، اشتدَّ على القوم فقاموا حتى وَرِمت عراقيبهم[٤] وتقرَّحت جباههم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً عنهم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ فنسخت الأولى. قاله ابن جُبير. قال الماورديُّ[٥]: ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المُكْرَهَ على المعصية غيرُ مؤاخذ بها؛ لأنه لا يستطيع اتِّقاءها.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ أي: اسمعوا ما تُوعظون به، وأطيعوا فيما تؤمرون به وتُنْهَوْن عنه. وقال مقاتل: «اسْمَعُوا» أي: أصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله، وهو الأصلُ في السماع. «وَأَطِيعُوا» لرسوله فيما أمركم أو نهاكم. وقال قتادة: عليهما بُويع النبيُّ ﷺ على السمع والطاعة[٦]. وقيل: «وَاسْمَعُوا» أي: اقبلوا ما تسمعون، وعبَّر عنه بالسماع لأنه فائدته[٧].

قلت: وقد تغلغل في هذه الآية الحجاجُ حين تلاها وقَصَرها على عبد الملك بن مروان فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ هي لعبد الملك بنِ مروان أمينِ

---

(١) بعدها في (خ) و(ز) و(ظ) و(ف) و(ق) و(م): كفار، والتصويب من (د)، ويؤيده ما جاء في اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ١٣٩، والكلام فيه قال.. نزلت بسبب قوم كانوا تأخروا..

(٢) في الآية (١٤).

(٣) في تفسيره ٢٣/ ١٤.

(٤) العراقيب جمع عرقوب: وهو عصب غليظ فوق عَقب الإنسان. القاموس (عرقب).

(٥) في النكت والعيون ٦/ ٢٦ وما قبله منه.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٦.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٠.

الله وخليفتِه، ليس فيها مَثْنَوِيَّة، واللهِ لو أمرت رجلاً أن يخرج من باب المسجد، فخرج من غيره لحلَّ لي دمُه[١]. وَكَذب في تأويلها! بل هي للنبيِّ ﷺ أوّلا، ثم لأُولي الأمر من بعده. دليلُه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا﴾ قيل: هو الزكاة. قاله ابن عباس. وقيل: هو النفقة في النفْل[٢]. وقال الضحاك: هو النفقة في الجهاد. وقال الحسن: هو نفقةُ الرجل لنفسه[٣]. قال ابن العربي[٤]: وإنما أوقع قائلَ هذا قولُه: «لِأَنْفُسِكُمْ»، وخَفِيَ عليه أن نفقة النفل والفرض في الصدقة هي نفقةُ الرجل على نفسه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]. وكلُّ ما يفعله الرجل من خير، فإنما هو لنفسه. والصحيحُ أنها عامة. ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال له رجل: عندي دينار؟ قال: «أنفِقْهُ على نفسك» قال: عندي آخر؟ قال: «أنفِقْهُ على عيالك» قال: عندي آخر؟ قال: «أنفِقْهُ على ولدك» قال: عندي آخر: قال: «تصدَّقْ به»[٥]. فبدأ بالنفس والأهل والولد وجعل الصدقة بعد ذلك. وهو الأصلُ في الشرع.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ «خَيْراً» نصب بفعل مضمر عند سيبويه[٦]؛ دلَّ عليه: «وَأَنْفِقُوا». كأنه قال: ايتُوا في الإنفاق خيراً لأنفسكم، أو قدِّموا خيراً لأنفسكم من أموالكم. وهو عند الكسائي والفَرَّاء نعتٌ لمصدر محذوف، أي: أنفقوا إنفاقاً خيراً لأنفسكم. وهو عند أبي عبيدة[٧] خَبرُ كان مضمرة، أي: يكن خيراً

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٠ دون أن ينسب القول الأول.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٦، وزاد المسير ٨/ ٢٨٦.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٠.

(٥) أخرجه أحمد (٧٤١٩)، وأبو داود (١٦٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه، وجاء عند أبي داود تقديم الولد على الزوجة.

(٦) ينظر الكتاب ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٧) ينظر مجاز القرآن له ١/ ١٤٣.

لكم. ومَن جعل الخير المال فهو منصوبٌ بـ «أنفِقوا»[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تقدَّم الكلام فيه[٢]. وكذا ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ تقدَّم الكلام فيه أيضاً في «البقرة» وسورةِ الحديد[٣]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ تقدَّم معنى الشكر في «البقرة»[٤]. والحليمُ: الذي لا يَعْجَل.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غاب وحضر. وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب القاهر، فهو من صفات الأفعال، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، أي: من الله القاهر المُحْكِم خالقِ الأشياء. وقال الخطَّابي: وقد يكون بمعنى نفاسة القَدْر، يقال منه: عَزَّ يَعِزُّ ـ بكسر العين ـ فيتأوَّل[٥] معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء، وأنه لا مِثل له، والله أعلم. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه. وقال ابن الأنباري: «الْحَكِيمُ»: هو المُحْكِم لخلق الأشياء، صُرِف عن مُفْعِل إلى فَعِيل، ومنه قوله عز وجل: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ معناه المُحْكَم، فصُرِف عن مُفْعَل إلى فَعِيل. والله أعلم.

---

(١) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٩.

(٢) ٢٠/ ٣٦٩.

(٣) ٤/ ٢١٩ وما بعدها، و٢٠/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٤) ٢/ ١٠٤ - ١٠٦.

(٥) في (خ) و(ز) و(ف) و(ق) و(م): فيتناول.

سورة الطلاق

مَدنِيَّةٌ في قول الجميع[١]. وهي إحدى عشرةَ آية، أو اثنتا عشرة آية[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

فيه أربعَ عشْرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ، خُوطب بلفظ الجماعةِ تعظيماً وتفخيماً[٣].

وفي سنن ابنِ ماجه[٤]: عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، عن عمر بنِ الخطاب: أنَّ رسول الله ﷺ طلَّق حفصةَ رضي الله عنها، ثم راجعها.

وروى قتادة عن أنس قال: طلَّق رسولُ الله ﷺ حفصة رضي الله عنها، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. وقيل: له: راجعها؛ فإنها صَوَّامةٌ قَوَّامة، وهي من أزواجك في الجنة. ذكره الماورديُّ[٥]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٢، وزاد المسير ٨/ ٢٨٧.

(٢) زاد في الكشاف ٤/ ١١٧: أو ثلاث عشرة آية.

(٣) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٢.

(٤) برقم (٢٠١٦)، وسلف ٤/ ٥٥.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ٢٨. وأخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٥٩ (١٨٩٠٧). وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٠ عن قتادة مرسلاً. وقد سلف الحديث دون ذكر نزول الآية ١٧/ ١٢٠.

والقُشَيريُّ والثَّعْلبِيُّ. زاد القُشيري: ونزل في خروجها إلى أهلها قولُه تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾.

وقال الكَلْبيّ[١]: سبب نزولِ هذه الآيةِ غضبُ رسولِ الله ﷺ على حفصة لمَّا أسرَّ إليها حديثاً فأظهرته لعائشة، فطلَّقها تطليقةً، فنزلت الآية.

وقال السُّدِّيّ: نزلت في عبد الله بن عمر، طلَّق امرأته حائضاً تطليقةً واحدة، فأمره رسولُ الله ﷺ أن يراجعَها، ثم يُمسِكَها حتى تطهرَ وتحيضَ ثم تطهر، فإذا أراد أن يطلِّقَها فلْيطلِّقها حين تطهر مِن قَبْل أنْ يجامعَها. فتلك العدَّةُ التي أمر اللهُ تعالى أن يُطلَّقَ لها النساء[٢].

وقد قيل: إنَّ رجالاً فعلوا مثلَ ما فعل عبد الله بنُ عمر، منهم عبد الله بنُ عمرو ابنِ العاص، وعمرو بن سعيد بنِ العاص، وعُتْبة بنُ غَزْوان، فنزلت الآية فيهم[٣].

قال ابن العربي: وهذا كلُّه وإن لم يكن صحيحاً، فالقولُ الأوَّلُ أمثل. والأصحُّ فيه أنه بيانٌ لشَرْعٍ مبتدَأ. وقد قيل: إنه خطابٌ للنبيِّ ﷺ والمرادُ أُمَّته. وغايَرَ بين اللفظين مِن حاضرٍ وغائب، وذلك لغةٌ فصيحة، كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]. تقديره: يا أيها النبيُّ قل لهم: إذا طلَّقتم النساءَ فطلقوهنَّ لعدَّتهنّ. وهذا هو قولُهم: إنَّ الخطاب له وحده، والمعنى له وللمؤمنين. وإذا أراد اللهُ بالخطاب المؤمنين، لاطفه بقوله: «يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ». فإذا كان الخطابُ باللفظ والمعنى جميعاً له، قال: «يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ»[٤].

---

(١) كلامه في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٧٣.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٦٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٨٧ - ٢٨٨. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما سلف ٤/ ٤٠، وسيرد في المسألة السادسة، ـ وهو في الصحيحين ـ وليس فيه سبب نزول الآية.

(٣) أخرجه هذا القول ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٢٩ عن مقاتل، وفيه: طفيل بن الحارث، بدل: عتبة بن غزوان. وذكره عن مقاتل أيضاً الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٩ ولم يذكر عبد الله بن عمرو.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨١١ - ١٨١٢.

قلت: ويدلُّ على صحة هذا القولِ نزولُ العِدَّةِ في أسماء بنتِ يزيد بنِ السَّكَن الأنصارية[١]. ففي كتاب أبي داود عنها: أنها طُلِّقت على عهد النبيِّ ﷺ، ولم يكن للمطلَّقة عِدَّة، فأنزل الله تعالى حين طُلِّقت أسماءُ بالعِدَّة للطلاق، فكانت أوَّلَ مَن أُنزل فيها العِدَّةُ للطلاق[٢].

وقيل: المراد به نداءُ النبيِّ ﷺ تعظيماً، ثم ابتدأ فقال: «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ»؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ الآية [المائدة: ٩٠]. فذكر المؤمنين على معنى تقديمِهم وتكريمهم، ثم افتتح فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ الآية[٣].

الثانية: روى الثّعلبيُّ من حديث ابنِ عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن أبغض الحلالِ إلى الله تعالى الطلاق»[٤]. وعن عليٍّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «تزوَّجوا ولا تطلِّقوا؛ فإنَّ الطلاق يهتزُّ منه العرش»[٥]. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلِّقوا النساء إلَّا من رِيبة؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يحب الذوَّاقين ولا الذوَّاقات»[٦]. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حلف بالطلاق ولا استَحلف به إلا منافق»[٧].

---

(١) الأشهلية، أم عامر، وأم سلمة. بنت عمة معاذ بن جبل. من المبايعات المجاهدات. قَتلتْ يوم اليرموك تسعةً. عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية. السير ٢/ ٢٩٦ .

(٢) سنن أبي داود (٢٢٨١). قال المنذري في مختصره ٣/ ٨٧ : في إسناده إسماعيل بن عياش، وقد تكلم فيه غير واحد.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٢ .

(٤) وأخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨) عن محارب بن دثار، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه أبو داود (٢١٧٧) عن محارب، مرسلاً. قال المنذري في مختصره ٣/ ٩٢ : المشهور فيه المرسل، وهو غريب.

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٥/ ١٧٦٤ ، والخطيب في تاريخه ١٢/ ١٩١ ، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٨١ . وفيه عمرو بن جميع، قال الخطيب: يروي المناكير عن المشاهير والموضوعات عن الأثبات.

(٦) أخرجه البزار (٣٠٦٤) و(٣٠٦٥) و(٣٠٦٦)، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٤). قال عبد الحق: وليس لهذا الحديث إسناد قوي. قال ابن القطان: صدق، بل هو مع ذلك منقطع. فيض القدير ٦/ ٤١١ .

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥٧/ ٣٩٣ وقال: غريب جداً، وأورده السيوطي في الجامع الصغير =

أسند جميعَه الثَّعلبيُّ رحمه الله في كتابه.

وروى الدَّارَقُطْنيُّ قال: حدّثنا أبو العباس محمد بنُ موسى بنِ علي الدُّولابي ويعقوبُ بنُ إبراهيم، قالا: حدَّثنا الحسن بنُ عرفة قال: حدَّثنا إسماعيل بنُ عَيَّاش، عن حُميد بن مالك اللَّخمِيّ، عن مَكْحول، عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاذ، ما خلق اللهُ شيئاً على وجه الأرض أحبَّ إليه من العِتاق، ولا خلق اللهُ شيئاً [على وجه الأرض] أبغضَ من الطلاق. فإذا قال الرجل لمملوكه: أنت حرٌّ إن شاء الله، فهو حرٌّ ولا استثناء له. وإذا قال الرجل لامرأته: أنتِ طالقٌ [إن شاء الله]، فله استثناؤه ولا طلاق عليه». حدَّثنا محمد بن موسى بنِ عليٍّ قال: حدَّثنا حميد بن الربيع قال: حدَّثنا يزيد بن هارون: حدَّثنا إسماعيل بن عَيَّاش؛ بإسناده نحوَه. قال حميد: قال لي يزيد بن هارون، وأيُّ حديث لو كان حميد بنُ مالك معروفاً! قلت: هو جَدِّي. قال يزيد: سَرَرْتَني سَرَرْتَني! الآن صار حديثاً[(١)].

حدَّثنا عثمان بنُ أحمد الدَّقاق قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بنِ سُنَين، حدثنا عمر بن إبراهيم بنِ خالد، حدَّثنا حميد بن مالك اللَّخْميُّ، حدَّثنا مَكْحُول، عن مالك ابن يَخامِر، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحلَّ اللهُ شيئاً أبغضَ إليه من الطلاق، فمن طلَّق واستثنى فله ثُنْياه»[(٢)].

قال ابن المنذر[(٣)]: اختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعِتْق؛ فقالت طائفة: ذلك جائز. وروينا هذا القول عن طاوس. وبه قال حمادٌ الكوفيُّ والشافعيُّ وأبو ثَوْر وأصحابُ الرأي. ولا يجوز الاستثناء في الطلاق في قول مالكٍ والأوزاعي. وهذا

= ٥/ ٤٤٣ (فيض القدير) ورمز لضعفه.

(١) سنن الدارقطني (٣٩٨٤) (٣٩٨٥). وما سلف بين حاصرتين منه. وحميد بن مالك اللخمي ضعَّفه يحيى، وأبو زرعة، وغيرهما، وقال النسائي: لا أعلم روى عنه غير إسماعيل بن عياش. ميزان الاعتدال ١/ ٦١٦، ومكحول لم يسمع من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا من أنس ﷺ، كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص١٦٥. وقد سلف جميعه ٤/ ٥٦.

(٢) سنن الدارقطني (٣٩٨٦)، وحميد بن مالك اللخمي ضعيف، كما سلف ذكره.

(٣) في الإشراف ٤/ ١٨٦، وقد سلف كلامه ٤/ ٥٦ - ٥٧.

قول قتادةَ في الطلاق خاصَّة. قال ابن المنذر: وبالقول الأوَّلِ أقول.

الثالثة: روى الدَّارَقُطْنيُّ[(١)] من حديث عبد الرزَّاق: أخبرني عَمِّي وَهْب بنُ نافع قال: سمعت عكرمة يحدِّث عن ابن عباس يقول: الطلاق على أربعة وجوه: وجهان حلالان، ووجهان حرامان؛ فأمَّا الحلال: فأنْ يطلِّقَها طاهراً عن غير جماع، وأنْ يطلِّقها حاملاً مُستبيناً حَمْلُها. وأما الحرام: فأنْ يطلِّقَها وهي حائض، أو يطلِّقَها حين يجامعُها، لا يدري؛ أشتمل الرَّحِمُ على وَلَدٍ أم لا.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ في كتاب أبي داود: عن أسماء بنتِ يزيد بنِ السَّكَن الأنصارية: أنَّها طُلِّقت على عهد النبيِّ ﷺ ولم يكن للمطلَّقة عِدَّة، فأنزل اللهُ سبحانه حين طلِّقت أسماءُ بالعِدَّة للطلاق؛ فكانت أوَّلَ مَن أُنزل فيها العِدَّةُ للطلاق. وقد تقدَّم[(٢)].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ يقتضي أنهن اللاتي دُخل بهنَّ من الأزواج؛ لأن غيرَ المدخول بهن خرجن بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[(٣)] [الأحزاب: ٤٩].

السادسة: مَن طلَّق في طُهْر لم يجامع فيه، نَفَذ طلاقُه وأصاب السُّنَّة. وإن طلَّقها حائضاً، نفذ طلاقه وأخطأ السُّنة. وقال سعيد بن المسيّب في آخرين[(٤)]: لا يقع الطلاق في الحيض لأنه خلافُ السنة. وإليه ذهبت الشِّيعة.

وفي الصحيحين ـ واللفظ للدَّارَقُطْنيّ[(٥)] ـ عن عبد الله بن عمر قال: طلَّقتُ امرأتي وهي حائض؛ فذكر ذلك عمرُ لرسول الله ﷺ، فتغيَّظ رسولُ الله ﷺ، فقال:

---

(١) في سننه (٣٨٩٠).

(٢) في المسألة الأولى.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٢.

(٤) في (د) و(م): أخرى.

(٥) صحيح البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١). وسنن الدارقطني (٢٨٩٦)، وسلف ٤/ ٤٠ بنحوه.

«ليراجعْها، ثم لْيُمسكْها حتى تحيضَ حيضةً مستقبَلةً سوى حيضتها التي طلَّقها فيها، فإن بدَا له أن يطلِّقَها، فليطلقها طاهراً من حيضتها قبل أن يَمَسَّها؛ فذلك الطلاقُ والعِدة كما أمر الله». وكان عبد الله بن عمر طلَّقها تطليقة، فحُسبت من طلاقها، وراجعها عبد الله بنُ عمر كما أمره رسولُ الله ﷺ.

في رواية(١) عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هي واحدة». وهذا نصٌّ. وهو يردُّ على الشِّيعة قولَهم.

السابعة: عن عبد الله بن مسعود قال: طلاق السُّنَّة أن يطلِّقَها في كل طهرٍ تطليقة؛ فإذا كان آخرُ ذلك، فتلك العِدَّةُ التي أمر اللهُ تعالى بها. رواه الدَّارَقُطْنيُّ(٢) عن الأعْمَش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحْوص، عن عبد الله.

قال علماؤنا: طلاق السنة ما جمع شروطاً سبعة: وهو أن يطلِّقها واحدة، وهي ممن تحيض، طاهراً، لم يَمَسَّها في ذلك الطهر، ولا تقدَّمه طلاقٌ في حيض، ولا تَبِعه طلاق في طُهْر يتلوه، وخلا عن العِوَض. وهذه الشروط السبعة من حديث ابنِ عمر المتقدِّم.

وقال الشافعي: طلاق السنة أن يطلقها في كل طُهْرٍ خاصَّةً، ولو طلقها ثلاثاً في طُهْر لم يكن بِدْعة.

وقال أبو حنيفة: طلاق السنة أن يطلِّقَها في كل طهرٍ طلقة.

وقال الشعبي: يجوز أن يطلِّقها في طهر جامعها فيه.

فعلماؤنا قالوا: يطلِّقها واحدةً في طُهْر لم يَمَسَّ فيه، ولا تبعه طلاقٌ في عِدَّة، ولا يكون الطُّهر تالياً لحيض وقع فيه الطلاق؛ لقول النبيِّ ﷺ: «مُرْهُ فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك، وإن شاء طلق. فتلك العِدَّةُ التي أمر الله أن يطلَّق لها النساء». وتعلَّق الإمام الشافعيُّ بظاهر قولِه تعالى:

---

(١) عند الدارقطني (٣٩١٥).

(٢) في سننه (٣٨٩١).

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. وهذا عامٌّ في كل طلاق، كان واحدةً أو اثنتين أو أكثر، وإنما راعى اللهُ سبحانه الزمانَ في هذه الآيةِ ولم يعتبر العدد. وكذلك حديث ابنِ عمر؛ لأن النبيَّ ﷺ علَّمه الوقت لا العدد.

قال ابن العربي[1]: وهذه غفلةٌ عن الحديث الصحيح؛ فإنه قال: «مُرْهُ فليراجعها». وهذا يدفع الثلاث. وفي الحديث أنه قال: أرأيتَ لو طلَّقها ثلاثاً؟ قال: حَرُمت عليك، وبانت منك بمعصية[2].

وقال أبو حنيفة: ظاهر الآية يدلُّ على أنَّ الطلاق الثلاث والواحدةَ سواء - وهو مذهب الشافعيِّ - لولا قولُه بعد ذلك: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. وهذا يُبطل دخولَ الثلاث تحت الآية. وكذلك قال أكثر العلماء؛ وهو بديعٌ لهم.

وأما مالكٌ فلم يَخْفَ عليه إطلاقُ الآية كما قالوا، ولكنَّ الحديث فسَّرها كما قلنا. وأما قول الشعبيِّ: إنه يجوز طلاقٌ في طُهر جامعها فيه، فيردُّه حديثُ ابن عمر بنصِّه ومعناه. أمَّا نَصُّه فقد قدمناه، وأمَّا معناه؛ فلأنه إذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به، فالطهر المجامَع فيه أوْلى بالمنع؛ لأنه يسقط الاعتداد به؛ مَخافةَ شغل الرَّحِم، وبالحيض التالي له.

قلت: وقد احتجَّ الشافعيُّ في طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدَّارَقُطنيُّ عن سلمة بن أبي سلمة بنِ عبد الرحمن، عن أبيه: أنَّ عبد الرحمن بنَ عَوف طلَّق امرأته تُماضِر بنتَ الأصبغ الكلبية - وهي أمُّ أبي سلمة - ثلاثَ تطليقات في كلمة واحدة؛ فلم يبلغنا أنَّ أحداً من أصحابه عاب ذلك. قال: وحدَّثنا سَلمة بنُ أبي سلمة، عن أبيه: أنَّ حفص بن المُغيرة[3] طلَّق امرأته فاطمة بنتَ قيس على عهد رسولِ الله ﷺ

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٤ ، وما قبله منه.

(٢) هو قطعة من حديث ابن عمر أخرجه الدارقطني (٣٩٦٧) و(٣٩٧٤)، وأخرجه بنحوه أيضاً (٣٩٢٧) من قول ابن عباس ﷺ، وقد ساق المصنف لفظ الحديث من أحكام القرآن .

(٣) هو أبو عمرو بن حفص بن المغيرة، القرشي المخزومي، وقيل: أبو حفص بن عمرو بن المغيرة. واختلف في اسمه، فقيل: أحمد، وقيل: عبد الحميد، وقيل: اسمه كنيته. الإصابة ١١/ ٢٦٦ . وسيأتي ذكره في المسألة الثانية عشرة.

ثلاث تطليقات في كلمة؛ فأبانها منه رسولُ الله ﷺ، ولم يبلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ عاب ذلك عليه[١].

واحتجَّ أيضاً بحديث عُوَيْمِرٍ العَجْلانِيِّ[٢] لمَّا لاعن، قال: يا رسول الله، هي طالق ثلاثاً، فلم ينكر عليه النبيُّ ﷺ. وقد انفصل علماؤنا عن هذا أحسنَ انفصال. بيانُه في غير هذا الموضع. وقد ذكرناه في كتاب «المقتبس من شرح مُوَطَّأ مالك بنِ أنس».

وعن سعيد بن المسيب وجماعةٍ من التابعين أنَّ من خالف السنة في الطلاق، فأوقعه في حيض أو ثلاث، لم يقع؛ وشبَّهوه بمن وكِّل بطلاق السُّنة فخالف[٣].

الثامنة: قال الجُرْجَانيّ: اللام في قوله تعالى: «لِعِدَّتِهِنّ» بمعنى في؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. أي: في أوَّل الحشر. فقوله: «لِعِدَّتِهِنَّ» أي: في عِدَّتهن؛ أي: في الزمان الذي يصلح لعدَّتهن. وحصل الإجماع على أنَّ الطلاق في الحيض ممنوع، وفي الطهر مأذونٌ فيه. ففيه دليلٌ على أنَّ القَرْء هو الطُّهر. وقد مضى القولُ فيه في «البقرة»[٤].

فإن قيل: معنى «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» أي: في قُبُل عدتهن، أو لِقُبُل عدَّتهن. وهي قراءةُ النبيِّ ﷺ؛ كما قال ابن عمر في صحيح مسلم[٥] وغيره. فقُبُل العِدَّة آخرُ الطُّهر، حتى يكونَ القَرءُ الحيض. قيل له: هذا هو الدليلُ الواضح لمالك ومَن قال بقوله؛ على أنَّ الأقراء هي الأطهار. ولو كان كما قال الحنفيُّ ومَن تبعه، لَوجب أنْ يقال: إنَّ مَن طلَّق في أوَّل الطُّهر لا يكون مطلقاً لقُبُل الحيض، لأن الحيض لم يُقبِل بعد. وأيضاً إقبالُ الحيض يكون بدخول الحيض، وبانقضاء الطُّهر لا يتحقق إقبالُ الحيض.

---

(١) سنن الدارقطني (٣٩٢١) (٣٩٢٢).

(٢) سلف ١٥/ ١٥٧ .

(٣) الكشاف ٤/ ١١٨ .

(٤) ٤/ ٣٧ فما بعد.

(٥) برقم (١٤٧١): (١٤). وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٨ ، وابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٣ .

ولو كان إقبال الشيءِ إدبارَ ضدِّه، لَكان الصائمُ مفطِراً قبل مغيب الشمس؛ إذ الليلُ يكون مقبلاً في إدبار النهار قبل انقضاء النهار. ثم إذا طلَّق في آخر الطُّهر، فبقيَّةُ الطُّهر قَرْء، ولأن بعض القَرْء يسمَّى قَرءاً، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧] يعني شوَّالاً وذا القَعدة وبعضَ ذي الحِجَّة؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣] وهو يَنْفِر في بعض اليوم الثاني. وقد مضى هذا كلُّه في «البقرة» مستوفًى.

التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ يعني: في المدخول بها؛ لأنَّ غير المدخول بها لا عِدَّة عليها، وله أن يراجعَها فيما دون الثلاثِ قبل انقضاء العِدَّة، ويكونُ بعدها كأحد الخُطَّاب. ولا تحلُّ له في الثلاث إلَّا بعد زوج[1].

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ معناه: احفظوها؛ أي: احفظوا الوقتَ الذي وقع فيه الطلاق، حتى إذا انفصل المشروطُ منه ـ وهو الثلاثةُ قروءٍ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨] ـ حلَّت للأزواج. وهذا يدلُّ على أنَّ العِدَّة هي بالأطهار، وليست بالحيض. ويؤكِّده ويفسِّره قراءةُ النبيِّ ﷺ: «لقُبُل عِدّتهن»؛ وقُبُل الشيء بعضُه، لغةً وحقيقةً، بخلاف استقباله، فإنه يكون غيرَه[2].

الحادية عشرة: مَن المخاطَبُ بأمر الإحصاء؟ وفيه ثلاثةُ أقوال: أحدها: أنهم الأزواج. الثاني: أنهم الزوجات. الثالث: أنهم المسلمون. ابنُ العربيّ[3]: والصحيح أنَّ المخاطَب بهذا اللفظِ الأزواج؛ لأنَّ الضمائر كلَّها مِن «طَلّقتم» و«أَحْصُوا» و«لَا تُخرِجُوهُنَّ» على نظام واحدٍ يرجع إلى الأزواج، ولكنَّ الزوجاتِ داخلةٌ فيه بالإلحاق بالزوج؛ لأن الزوج يُحْصِي ليراجع، ويُنفقَ أو يقطعَ، وليُسكِنَ أو يُخرِجَ، وليُلْحِقَ نَسَبَه أو يقطع. وهذه كلُّها أمورٌ مشتركة بينه وبين المرأة، وتنفرد المرأة دونه بغير ذلك.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٤ .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٤ - ١٨١٥ ، وما قبله منه.

وكذلك الحاكمُ يفتقر إلى الإحصاء للعدَّة؛ للفتوى عليها، وفصلِ الخصومة عند المنازعة فيها. وهذه فوائدُ الإحصاء المأمورِ به.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: لا تعصوه. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي: ليس للزوج أن يُخرِجَها من مسكن النكاحِ ما دامت في العِدَّة، ولا يجوز لها الخروجُ أيضاً؛ لحقِّ الزوج، إلَّا لضرورةٍ ظاهرة، فإنْ خرجت أثِمت[1]، ولا تنقطع العِدَّة. والرجعيةُ والمَبْتُوتة في هذا سواء. وهذا لصيانة ماءِ الرجل. وهذا معنى إضافةِ البيوتِ إليهنّ؛ كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقولِه تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهو إضافةُ إسكان، وليس إضافةَ تمليك. وقولُه: «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» يقتضي أن يكونَ حقًّا على الأزواج. ويقتضي قولُه: «وَلَا يَخْرُجْنَ» أنه حقٌّ على الزوجات[2].

وفي صحيح الحديثِ عن جابر بن عبد الله قال: طُلِّقت خالتي، فأرادت أن تَجُدَّ نخلَها، فزَجرَها رجل أن تخرج؛ فأتت النبيَّ ﷺ، فقال: «بلى فَجُدِّي نخلكِ؛ فإنكِ عسى أنْ تَصَدَّقي أو تفعلي معروفاً». خرَّجه مسلم[3].

ففي هذا الحديثِ دليلٌ لمالك والشافعيِّ وابنِ حنبل واللَّيثِ على قولهم: إنَّ المعتدَّة تخرج بالنهار في حوائجها، وإنما تَلزم منزلَها بالليل. وسواءٌ عند مالك كانت رجعِيَّة أو بائنة.

وقال الشافعيُّ في الرجعية: لا تخرج ليلاً ولا نهاراً، وإنما تخرج نهاراً المَبْتُوتَةُ.

وقال أبو حنيفة: ذلك في المُتَوَفَّى عنها زوجُها، وأما المطلَّقة فلا تخرج لا ليلاً ولا نهاراً[4]. والحديث يردُّ عليه.

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣١٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٧.

(٣) صحيح مسلم (١٤٨٣)، وهو عند أحمد (١٤٤٤٤).

(٤) المفهم ٤/ ٢٧٩.

وفي الصحيحين أنَّ أبا حفص بنَ عمرٍو خرج مع عليٍّ بن أبي طالب إلى اليمن، فأرسل إلى امرأته فاطمةَ بنتِ قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها، وأمر لها الحارثَ ابنَ هشام وعَيَّاش بنَ أبي ربيعة بنفقةٍ؛ فقالا لها: واللهِ ما لَك مِن نفقة إلَّا أن تكوني حاملاً. فأتتِ النبيَّ ﷺ، فذكرت له قولَهما. فقال: «لا نفقةَ لكِ»، فاستأذنته في الانتقال، فأذِن لها؛ فقالت: أين يا رسولَ الله؟ فقال: «إلى ابن أمِّ مَكْتُوم»، وكان أعمى، تضع ثيابَها عنده ولا يراها. فلما مضت عِدَّتُها أنكحها النبيُّ ﷺ أسامة بنَ زيد. فأرسل إليها مروانُ قَبيصةَ بن ذُؤَيب يسألها عن الحديث، فحدَّثته. فقال مَرْوان: لم نسمع هذا الحديثَ إلَّا من امرأة، سنأخذ بالعِصْمة التي وَجَدْنا الناسَ عليها. فقالت فاطمة حين بلَغها قولُ مروان: فبيني وبينكم القرآن، قال الله عزَّ وجلَّ: «لَا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ» الآية، قالت: هذا لمن كانت له رجعة؛ فأيُّ أمرٍ يَحْدُث بعد الثلاث؟ فكيف تقولون: لا نفقة لها إذا لم تكن حاملاً، فعلامَ تحبسونها؟ لفظُ مسلم[1].

فبيّن أنَّ الآية في تحريم الإخراج والخروجِ إنما هو في الرجعية[2]. وكذلك استدلَّت فاطمة بأنَّ الآية التي تليها إنما تضمَّنت النَّهيَ عن خروج المطلَّقةِ الرجعية؛ لأنها بصدد أن يحدُثَ لمطلِّقها رأيٌ في ارتجاعها ما دامت في عِدَّتها؛ فكأنها تحت تصرف الزوجِ في كل وقت. وأما البائن، فليس له شيءٌ من ذلك؛ فيجوز لها أن تَخرُجَ إذا دعتها إلى ذلك حاجة، أو خافت عورةَ منزلها؛ كما أباح لها النبيُّ ﷺ ذلك[3].

وفي مسلم[4]: قالت فاطمة: يا رسول الله، زَوْجي طلَّقني ثلاثاً، وأخاف أن يُقتَحمَ عليّ. قال: فأمرها فتحوَّلت.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٨٠): (٤١)، وهو عند أحمد (٢٧٣٣٧). ولم نقف عليه عند البخاري.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٨ .

(٣) المفهم ٤/ ٢٧٧ .

(٤) صحيح مسلم (١٤٨٢).

وفي البخاريِّ[١] عن عائشة: أنها كانت في مكانٍ وَحْش، فخيف على ناحيتها؛ فلذلك أرخصَ النبيُّ ﷺ لها.

وهذا كلُّه يردُّ على الكوفيِّ قولَه. وفي حديث فاطمة: أنَّ زوجها أرسل إليها بتطليقة كانت بقيت من طلاقها؛ فهو حُجَّةٌ لمالك، وحجة على الشافعيّ[٢]، وهو أصحُّ من حديث سلمة بنِ أبي سلمة، عن أبيه: أنَّ حفص بنَ المغيرة طلَّق امرأته ثلاثَ تطليقات في كلمة؛ على ما تقدَّم[٣].

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسنُ والشَّعْبيُّ ومجاهد: هو الزِّنَى؛ فتُخرج ويُقام عليها الحدّ[٤].

وعن ابن عباس أيضاً والشافعيّ: أنه البَذاءُ على أحمائها؛ فَيَحِلُّ لهم إخراجُها[٥]. وروي عن سعيد بن المسيّب أنه قال في فاطمة: تلك امرأةٌ استطالت على أحمائها بلسانها؛ فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تنتقل[٦]. وفي كتاب أبي داود[٧]: قال سعيد: تلك امرأة فَتنت الناس، إنها كانت لَسِنَةً؛ فوُضِعَتْ على يدي ابنِ أمِّ مكتومٍ الأعمى.

قال عكرمة: في مصحف أُبَيّ: «إِلَّا أَنْ يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ»[٨]. ويقوِّي هذا أنَّ محمد ابنَ إبراهيم بنِ الحارث روى أنَّ عائشة قالت لفاطمة بنت قيس: اتقِّي اللهَ؛ فإنكِ

(١) صحيح البخاري (٥٣٢٦).

(٢) في (د): وحجة للشافعي.

(٣) في المسألة السابعة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢ - ٣٣ عن الحسن والشعبي ومجاهد. وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس كما في الدر المنثور ٦/ ٢٣١ . ونسبه لابن عمر صاحب المفهم ٤/ ٢٧٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٩ ، وأخرجه عن ابن عباس الطبري ٢٣/ ٣٤ .

(٦) أخرجه الشافعي في الأم ٥/ ٢١٧ - ٢١٨ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ٦٩ .

(٧) برقم (٢٢٩٦).

(٨) ذكره ابن عطية ٥/ ٣٢٣ ، دون نسبة.

تعلمين لِمَ أُخرجتِ؟[١].

وعن ابن عباس أيضاً: الفاحشة كلُّ معصية، كالزِّنى والسرقةِ والبَذاء على الأهل. وهو اختيار الطَّبَري[٢].

وعن ابن عمر أيضاً والسُّدِّيّ: الفاحشة خروجُها من بيتها في العِدَّة[٣]. وتقدير الآية: إلَّا أنْ يأتين بفاحشة مبيِّنة بخروجهنَّ من بيوتهنَّ بغير حقّ؛ أي: لو خرجت كانت عاصية[٤].

وقال قتادة: الفاحشة النُّشوز، وذلك أن يطلِّقها على النشوز، فتتحوَّلَ عن بيته[٥].

قال ابن العربي: أمَّا من قال: إنه الخروجُ للزِّنى، فلا وجهَ له؛ لأن ذلك الخروجَ هو خروجُ القتل والإعدام، وليس ذلك بمستثنًى في حلال ولا حرام. وأما مَن قال: إنه البَذاء؛ فهو مفسَّر[٦] في حديث فاطمة بنتِ قيس. وأما من قال: إنه كلُّ معصية، فوهم؛ لأن الغِيبة ونحوَها من المعاصي لا تُبيح الإخراجَ ولا الخروج. وأما مَن قال: إنه الخروج بغير حقّ؛ فهو صحيح، وتقدير الكلام: لا تُخرجوهنَّ من بيوتهن ولا يَخرجن شرعاً إلَّا أنْ يخرجن تعدِّياً.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه الأحكامُ التي بيَّنها أحكامُ الله على العباد، وقد منع التجاوزَ عنها، فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها مورد الهلاك.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الأمر الذي يُحدِثه اللهُ أن يقلِّب قلبَه من

---

(١) أخرجه الشافعي في الأم ٥/ ٢١٧، ومن طريقه البيهقي ٧/ ٤٣٣.

(٢) في تفسيره ٢٣/ ٣٦، وأخرج أثر ابن عباس ص٣٤.

(٣) أخرجه عن ابن عمر عبد الرزاق في المصنف (١١٠١٩)، وعن السدي الطبري ٢٣/ ٣٥.

(٤) ينظر النكت والعيون ٦/ ٢٩.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥.

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٩: معتبر.

بُغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه؛ فيراجعها[١].

وقال جميع المفسرين: أراد بالأمر هنا الرغبةَ في الرجعة. ومعنى القول التحريضُ على طلاق الواحدةِ والنهيُ عن الثلاث؛ فإنه إذا طلّق ثلاثاً، أضرَّ بنفسه عند الندم على الفراق، والرغبةِ في الارتجاع، فلا يجدُ عند [إرادة] الرجعة سبيلاً[٢]. وقال مقاتل: «بَعْدَ ذَٰلِكَ» أي: بعد طلقة أو طلقتين، «أَمْراً» أي: المراجعة من غير خلاف.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قاربنَ انقضاء العِدَّة[٣]؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣١] أي: قَرُبن من انقضاء الأجل. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني المراجعة بالمعروف؛ أي: بالرغبةِ من غير قصد المضارَّةِ في الرجعة تطويلاً لعِدَّتها. كما تقدَّم في «البقرة»[٤]. ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهنَّ حتى تنقضيَ عِدَّتُهنَّ فيملِكْنَ أنفسَهنّ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ما يوجب أن يكونَ القولُ قولَ المرأة في انقضاء العِدَّةِ إذا ادَّعت ذلك[٥]، على ما بيَّناه في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾[٦] [البقرة:٢٢٨] الآية.

---

(١) الكشاف ٤/ ١١٩.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٠، وما بين حاصرتين منه.

(٣) الوسيط ٤/ ٣١٢، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٠.

(٤) ٤/ ١٠١.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢١.

(٦) ٤/ ٤٤.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فيه سِتُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ أمْرٌ بالإشهاد على الطلاق. وقيل: على الرجعة. والظاهر رجوعُه إلى الرجعة لا إلى الطلاق. فإنْ راجع من غير إشهاد، ففي صحة الرجعةِ قولان للفقهاء[1]. وقيل: المعنى: وأشهِدوا عند الرجعة والفُرْقة جميعاً. وهذا الإشهاد مندوبٌ إليه عند أبي حنيفة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وعند الشافعيِّ واجبٌ في الرجعة، مندوبٌ إليه في الفُرقة. وفائدة الإشهاد ألَّا يقعَ بينهما التجاحد، وألّا يُتَّهَم في إمساكها، ولئلا يموتَ أحدُهما فيدَّعيَ الباقي ثبوتَ الزوجية لِيرِث[2].

الثانية: الإشهاد عند أكثر العلماء على الرَّجْعة نَدْب، وإذا جامع أو قَبَّل أو باشر يريد بذلك الرجعة، وتكلَّم بالرجعة يريد به الرجعة، فهو مراجعٌ عند مالك، وإن لم يُرد بذلك الرجعةَ فليس بمراجع.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا قَبَّل أو باشر أو لمسَ[3] بشهوة، فهو رجعة. قالوا: والنظرُ إلى الفَرْج رجعة.

وقال الشافعيُّ وأبو ثَوْر: إذا تكلَّم بالرجعة فهو رجعة.

وقد قيل: وَطْؤُه مراجعةٌ على كل حال، نواها أو لم ينوِها. وروي ذلك عن طائفة من أصحاب مالك. وإليه ذهب اللَّيث. وكان مالك يقول: إذا وَطِئ ولم ينوِ الرجعة، فهو وَطءٌ فاسد؛ ولا يعودُ لوطئها حتى يستبرئَها من مائه الفاسد، وله الرجعةُ في بقية العِدَّةِ الأولى، وليس له رجعةٌ في هذا الاستبراء.

الثالثة: أَوجبَ الإشهادَ في الرجعة أحمد بنُ حنبل في أحد قوليه، والشافعيُّ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٠٠.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٣٤، وسيأتي مزيد كلام عليه في المسألة الثالثة.

(٣) في (خ) و(م): لامس، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الإشراف ٤/ ٣٠٣، والاستذكار ١٨/ ٦٢. وقد سلف الكلام على هذه المسألة ٤/ ٤٧ - ٤٩.

كذلك؛ لظاهر الأمر. وقال مالكٌ وأبو حنيفة وأحمد والشافعيُّ في القول الآخَر: إنَّ الرجعة لا تفتقر إلى القَبول، فلم تفتقر إلى الإشهاد، كسائر الحقوق، وخصوصاً حَلّ الظِّهار بالكفَّارة.

قال ابن العربي[(١)]: وركَّب أصحاب الشافعيِّ على وجوب الإشهاد في الرجعة أنه لا يصحُّ أن يقول: كنتُ راجعتُ أمسِ وأنا أُشهد اليوم [لأنه إشهاد] على الإقرار بالرجعة، ومِن شَرْطِ الرجعة الإشهادُ [عليها]، فلا تصحُّ دونه. وهذا فاسدٌ مبنيٌّ على أنَّ الإشهاد في الرجعة تَعَبُّد. ونحن لا نسلِّم فيها ولا في النكاح؛ بأن نقول: إنه موضوع[(٢)] للتوثُّق، وذلك موجودٌ في الإقرار كما هو موجودٌ في الإنشاء.

الرابعة: مَن ادَّعى بعد انقضاء العدَّة أنه راجعَ امرأتَه في العدَّة، فإن صدَّقَتْه جاز، وإن أنكرتْ حلفت[(٣)]، فإن أقام بيِّنةً أنه ارتجعها في العدَّة ولم تَعلَمْ بذلك، لم يَضُرَّه[(٤)] جهلُها بذلك، وكانت زوجتَه، وإن كانت قد تزوَّجت ولم يَدخل بها، ثم أقام الأوَّلُ البيِّنةَ على رجعتها؛ فعن مالك في ذلك روايتان: إحداهما: أنَّ الأوَّل أحقُّ بها. والأخرى: أنَّ الثاني أحقُّ بها. فإن كان الثاني قد دخل بها، فلا سبيل للأوَّل إليها.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال الحسن: مِن المسلمين. وعن قتادة: من أحراركم[(٥)]. وذلك يوجب اختصاصَ الشهادة على الرجعة بالذُّكور دون الإناث؛ لأن «ذَوَيْ» مذكَّر. ولذلك قال علماؤنا: لا مَدخلَ للنساء فيما عدا

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٢٣، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه. والمعتمد عند الشافعي عدم اشتراط الإشهاد، وما ذكره أولاً مذهبه القديم. ينظر نهاية المحتاج ٧/ ٥٨ - ٥٩، والعزيز شرح الوجيز ٩/ ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) في (م): موضع.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٤.

(٤) في (ظ): يضر، وفي الكافي ٢/ ٦١٨ ـ والكلام منه ـ: يضرها.

(٥) الكشاف ٤/ ١١٩.

الأموال[١]. وقد مضى ذلك في سورة البقرة[٢].

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي: تقرُّباً إلى الله في إقامة الشهادةِ على وجهها، إذا مسَّت الحاجةُ إليها، من غير تبديلٍ ولا تغيير. وقد مضى في سورة البقرة معناه عند قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾[٣] [الآية: ٢٨٢].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ أي: يرضى به. ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فأمَّا غيرُ المؤمن فلا ينتفعُ بهذه المواعظ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾. عن النبيِّ ﷺ أنه سئل عمن طلَّق ثلاثاً أو ألفاً: هل له مِن مَخرَج؟ فتلاها[٤].

وقال ابن عباس والشَّعْبيُّ والضحَّاك: هذا في الطلاق خاصة، أي: مَن طلَّق كما أمره الله، يكن له مخرجٌ في الرجعة في العِدَّة، وأنْ يكونَ كأحد الخُطَّاب بعد العِدَّة[٥]. وعن ابن عباس أيضاً: «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»: ينجيه من كل كَرْبٍ في الدنيا والآخرة. وقيل: المخرج هو أن يُقْنِعَه اللهُ بما رزقه؛ قاله عليُّ بن صالح. وقال الكَلْبي: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ» بالصبر عند المصيبة، «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» من النار إلى الجنة[٦]. وقال الحسن: مخرجاً مما نهى الله عنه. وقال أبو العالية: مخرجاً من كل

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٤.

(٢) ٤/ ٤٤٧.

(٣) ٤/ ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٢٠، وأخرج ابن عدي ٤/ ١٦٣١، والدارقطني (٣٩٤٣)، والخطيب في تاريخه ١٤/ ٢٢٧ و ٢٢٨ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: طلق بعض آبائي امرأته ألفاً، فانطلق بنوه إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن أبانا طلق أمنا ألفاً، فهل له من مخرج؟ فقال: «إن أباكم لم يتق الله فيجعل له مخرجاً، بانت منه امرأته بثلاث على غير السنة، وتسع مئة وتسعون إثم هي في عنقه». قال الدارقطني: رواته مجهولون، وضعفاء كلهم، إلا شيخنا وابن عبد الباقي.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣١ عن الضحاك، وذكره الرازي ٣٠/ ٣٤ عن الشعبي، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤ عن عكرمة والضحاك.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣١، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٣.

شدَّة. الربيع بنُ خُثَيم: «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» من كل شيءٍ ضاق على الناس[(١)]. الحسين ابنُ الفضل: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ» في أداء الفرائض، «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» من العقوبة.

﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الثوابَ ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: يبارِك له فيما آتاه. وقال سهل بنُ عبد الله: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ» في اتِّباع السُّنَّة، «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» من عقوبة أهل البِدَع، ويرزقْه الجنةَ من حيث لا يحتسب. وقيل: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ» في الرزق بقطع العلائق، يجعلْ له مخرجاً بالكفاية. وقال عمر[(٢)] بن عثمان الصَّدفي: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ» فيقفْ عند حدوده ويجتنب معاصيَه، يُخرجْه من الحرام إلى الحلال، ومن الضِّيق إلى السَّعة، ومن النار إلى الجنة، «وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» من حيث لا يرجو. وقال ابن عُيينة: هو البركة في الرزق. وقال أبو سعيد الخُدْرِيّ: ومَن يبرأْ مِن حَوْله وقوَّته بالرجوع إلى الله، يجعلْ له مخرجاً ممَّا كلَّفه بالمعونة له. وتأوَّل ابنُ مسعود ومسروقٌ الآيةَ على العموم[(٣)].

وقال أبو ذَرّ: قال النبيُّ ﷺ: «إني لأَعْلَمُ آيةً لو أخذ بها الناسُ لكفَتهم، ثم تلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. فما زال يكرِّرها ويعيدها[(٤)].

وقال ابن عباس: قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ قال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غَمَرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»[(٥)].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٧ ، وقول الربيع بن خثيم أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤ .

(٢) في (ق): عمرو، ولم نقف على ترجمته.

(٣) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٤٣ .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٠)، وأحمد (٢١٥٥١) عن أبي السَّلِيل ضُرَيب بن نُقَير، عن أبي ذر ﷺ. قال البوصيري في الزوائد ٢/ ٣٤٢ : هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع؛ أبو السليل لم يدرك أبا ذر.

(٥) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣١٣ .

وقال أكثر المفسرين فيما ذكر الثَّعلبي[١]: إنها نزلت في عَوْف بن مالكٍ الأشْجَعِيّ. روى الكَلْبيُّ عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: جاء عَوْف بن مالكٍ الأشجعيُّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ ابني أَسَرَه العدوُّ، وجَزِعت الأمّ[٢]؛ وعن جابر بن عبد الله: نزلت في عَوْف بن مالك الأشجعي، أَسَر المشركون ابناً له يُسَمَّى سالماً، فأتَى رسولَ الله ﷺ وشكا إليه الفاقةَ وقال: إنَّ العدوَّ أسر ابني وجَزِعت الأمّ، فما تأمرني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «اِتَّقِ اللهَ واصبِر، وآمرُكَ وإيَّاها أن تستكثِرا من قول: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِالله». فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إنَّ رسول الله ﷺ أمرني وإيَّاكِ أن نستكثرَ من قول: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله. فقالت: نِعْمَ ما أَمرنا به. فجعلا يقولان؛ فَغفَل العَدُوُّ عن ابنه، فساق غنَمَهم وجاء بها إلى أبيه؛ وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبيُّ ﷺ تلك الأغنامَ له[٣].

في رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدوِّ وكان فقيراً.

قال الكلبي: أصاب خمسين بعيراً.

وفي رواية: فأفلت ابنُه من الأسْر وركب ناقةً للقوم، ومرَّ في طريقه بسَرْحٍ لهم فاستاقه.

وقال مقاتل: أصاب غَنماً ومتاعاً؛ فسأل النبيَّ ﷺ: أيحِلُّ لي أن آكلَ مما أتى به ابني؟ قال: «نعم». ونزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤].

---

(١) وذكره الواحدي في الوسيط ٤/٣١٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) وتتمته بنحو الخبر التالي، وأخرجه الثعلبي كما في الكافي الشاف ص١٧٤، وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٢، والواحدي في أسباب النزول ص٤٦٤ - ٤٦٥ بنحوه. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٧٤: فيه عبيد بن كثير تركه الأزدي، وعباد بن يعقوب وهو رافضي. اهـ. وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤ - ٤٥ عن السدي وسالم بن أبي الجعد.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٧ بنحوه.

وروى[١] الحسن عن عِمْران بنِ الحُصَيْن قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن انقطع إلى الله، كفاه اللهُ كلَّ مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب. ومَن انقطع إلى الدنيا، وَكَله اللهُ إليها»[٢].

وقال الزجَّاج: أي: إذا اتَّقى وآثر الحلالَ والصبرَ[٣] على أهله، فتح اللهُ عليه إن كان ذا ضَيْقة[٤]، ورزقه من حيث لا يحتسب.

وعن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن أكثر الاستغفار، جعل اللهُ له من كل هَمٍّ فَرَجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: مَن فوَّض إليه أمرَه، كفاه ما أهَمَّه[٦]. وقيل: أي: مَن اتَّقى اللهَ وجانب المعاصيَ وتوكَّل عليه، فله فيما يعطيه في الآخرة مِن ثوابه كفاية. ولم يُرِد الدنيا؛ لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يُقتَل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ قال مسروق: أي: قاضٍ أمْرَه فيمن توكَّل عليه وفيمن لم يتوكَّل عليه؛ إلَّا أنَّ مَن توكَّل عليه يكفِّر عنه سيئاتِه ويُعْظِمْ لَهُ أجراً[٧].

---

(١) في النسخ عدا (ظ): فروى.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٣٨٣)، والخطيب في تاريخه ٧/ ١٩٦ ، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٨٠١ . قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٠٣ - ٣٠٤ : فيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(٣) في النسخ عدا (ظ): والتصبر، والمثبت من (ظ)، وهو موافق لما في معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٤ .

(٤) في (ظ): صنعة.

(٥) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٢١٧)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والحاكم ٤/ ٢٦٢ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي فقال: الحكم ـ بن مصعب ـ فيه جهالة.

(٦) الوسيط ٤/ ٣١٤ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٧ - ٤٨ .

وقراءة العامة: «بالِغٌ» منوناً، «أمْرَه» نصباً. وقرأ عاصم[١]: «بالِغُ أمْرِه»، بالإضافة وحذف التنوين استخفافاً. وقرأ المفضَّل: «بالِغاً أمْرَه»، على أنَّ قوله: «قَدْ جَعَلَ اللهُ» خبرُ «إنَّ»، و«بالغاً» حال[٢]. وقرأ داود بنُ أبي هند: «بَالِغٌ أَمْرُه» بالتنوين ورفعِ الراء[٣]. قال الفرَّاء: أي: أمرُه بالغ. وقيل: «أَمْره» مرتفعٌ بـ «بالغ» والمفعولُ محذوف؛ والتقدير: بالغٌ أمرُه ما أراد.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: لكل شيءٍ من الشِّدَّة والرَّخاء أجلاً ينتهي إليه[٤]. وقيل: تقديراً[٥]. وقال السُّدِّيّ: هو قَدْر الحيض في الأجل والعِدَّة[٦].

وقال عبد الله بن رافع: لما نزل قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ قال أصحاب النبيِّ ﷺ: فنحن إذا توكَّلنا عليه، نُرسل ما كان لنا ولا نحفظه؛ فنزلت: «إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ» فيكم وعليكم.

وقال الربيع بن خُثَيم: إنَّ الله تعالى قضى على نفسه أنَّ مَن توكَّل عليه كفاه، ومَن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وَثِق به نَجَّاه، ومن دعاه أجاب له. وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٧]. ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) في رواية حفص، السبعة ص٦٣٩، والتيسير ص٢١١.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٠ - ١٢١.

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٨، والمحتسب ٢/ ٣٢٤.

(٤) الوسيط ٤/ ٣١٤.

(٥) الكشاف ٤/ ١٢١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ لمَّا بيَّن أمرَ الطلاق والرَّجعةِ في التي تحيض، وكانوا قد عرفوا عِدَّةَ ذواتِ الأقراء، عرَّفهم في هذه السورةِ عِدَّةَ التي لا ترى الدم.

وقال أبو عثمان عمر[1] بنُ سالم: لمَّا نزلت عِدَّةُ النساءِ في سورة البقرة في المطلقة والمتوفَّى عنها زوجُها، قال أُبَي بنُ كعب: يا رسول الله، إنَّ ناساً يقولون: قد بقيَ من النساء مَن لم يُذكر فيهنَّ شيء: الصِّغارُ وذوات الحَمْل، فنزلت: «وَاللَّائِي يَئِسْنَ» الآية[2].

وقال مقاتل: لمَّا ذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قال خَلَّاد بنُ النعمان: يا رسول الله، فما عِدَّةُ التي لم تَحِض، وعِدَّة التي انقطع حَيْضُها، وعِدَّةُ الحبلى؟ فنزلت: «وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيض مِنْ نِسَائِكُمْ» يعني: قَعدنَ عن المحيض[3].

وقيل: إنَّ معاذ بن جَبل سأل عن عِدَّة الكبيرةِ التي يئست؛ فنزلت الآية. والله أعلم.

وقال مجاهد: الآية واردةٌ في المستحاضة لا تَدري: دمُ حيضٍ هو أو دمُ عِلَّة[4].

---

(١) الأنصاري، ويقال: عمرو. وقد سلف ذكره ٦/ ١٧٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢٩٨ ، والطبري ٢٣/ ٥١ ، والحاكم ٢/ ٤٩٢ ، والواحدي في أسباب النزول ص٤٦٥ . قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٨ ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٦٥ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٥ .

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتُم، وقيل: تَيَقَّنتُم. وهو من الأضداد؛ يكون شكًّا ويقيناً كالظنّ[1]. واختيار الطبريّ[2] أن يكونَ المعنى: إنْ شككتُم فلم تدروا ما الحكمُ فيهنّ. وقال الزَّجاج[3]: إن ارتبتُم في حيضها وقد انقطع عنها الحيضُ وكانت ممن يحيض مِثلُها. القشيريّ: وفي هذا نظر؛ لأنَّا إذا شككنا هل بلغت سِنَّ اليأس، لم نقل: عِدَّتُها ثلاثةُ أشهر. والمعتبر في سن اليأس في قولٍ: أقصى عادةِ امرأةٍ في العالم، وفي قولٍ: غالبُ نساء عشيرةِ المرأة. وقال مجاهد: قوله «إِنِ ارْتَبْتُمْ» للمخاطبين؛ يعني: إن لم تعلموا عِدَّةَ اليائسة والتي لم تَحِض، فالعِدَّةُ هذه[4]. وقيل: المعنى: إن ارتبتُم أنَّ الدم الذي يظهر منها من أجل كِبَر، أو من الحيض المعهود، أو من الاستحاضة، فالعِدَّةُ ثلاثة أشهر. وقال عكرمة وقتادة: مِن الرِّيبة المرأةُ المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض؛ تحيض في أوَّل الشهر مراراً وفي الأشهر مرة[5]. وقيل: إنه متَّصلٌ بأول السورة، والمعنى: لا تُخرجوهنَّ من بُيوتهنَّ إن ارتبتم في انقضاء العِدَّة. وهو أصحُّ ما قيل فيه.

الثالثة: المرتابة في عِدَّتها لا تُنكحُ حتى تستبرئَ نفسَها من رِيبتها، ولا تَخرجُ من العِدة إلَّا بارتفاع الرِّيبة. وقد قيل في المرتابة التي ترتفع[6] حيضتُها وهي لا تدري ما يَرفعها: إنها تنتظر سَنَةً من يوم طلَّقها زوجها؛ منها تسعةُ أشهرٍ استبراء، وثلاثةٌ عِدَّة. فإنْ طلَّقها فحاضت حيضةً أو حيضتين، ثم ارتفع عنها بغير يأسٍ منها، انتظرت تسعةَ أشهر، ثم ثلاثةً من يوم طَهُرت من حيضتها، ثم حَلَّت للأزواج. وهذا قاله الشافعيُّ

---

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٣٥٥ : وأغرب ما قيل: إنَّ «إن ارتبتم» بمعنى: تيقنتم، فهو من الأضداد.

(٢) في تفسيره ٢٣/ ٥٢ .

(٣) في معاني القرآن ٥/ ١٨٥ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢ عن قتادة، عن عكرمة.

(٦) في النسخ: ترفعها، والمثبت موافق لما في الكافي ٢/ ٦٢٠ ، والكلام منه.

بالعراق(١). فعلى قياس هذا القولِ تُقيم الحُرَّة المُتَوَفَّى عنها زوجُها المسترابةُ(٢) بعد التسعة أشهرٍ أربعةَ أشهر وعشراً، والأَمَةُ شهرين وخمسَ ليالٍ بعد التسعة الأشهر. وروي عن الشافعيِّ أيضاً أنَّ أَقراءها على ما كانت حتى تبلغ سِنَّ اليائسات. وهو قول النَّخعيِّ والثَّوريِّ وغيرهما، وحكاه أبو عبيدٍ عن أهل العراق(٣).

فإن كانت المرأة شابَّة ـ وهي:

المسألة الرابعة ـ اسْتُؤْنِيَ بها هل هي حاملٌ أم لا؛ فإن استبان حملُها، فإنَّ أجلَهَا وَضْعُه. وإن لم يَسْتَبِن، فقال مالك: عِدَّةُ التي ارتفع حيضُها وهي شابَّة سَنَةٌ. وبه قال أحمد وإسحاق، ورَوَوْه عن عمر بنِ الخطاب ﷺ وغيرِه(٤). وأهلُ العراق يَرَوْن أنَّ عِدَّتها ثلاثُ حيض، بعد ما كانت حاضت مرَّةً واحدة في عمرها وإن مكثت عشرين سنة، إلَّا أن تبلُغَ من الكِبَر مبلغاً تيأس فيه من الحيض، فتكون عِدَّتُها بعد الإياس ثلاثةَ أشهر.

قال الثعلبيّ: وهذا الأصحُّ من مذهب الشافعيِّ، وعليه جمهورُ العلماء. وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابِهِ(٥).

قال الكِيَا(٦): وهو الحقّ؛ لأنَّ الله تعالى جعل عِدَّةَ الآيسة ثلاثةَ أشهر، والمرتابةُ ليست آيسة.

الخامسة: وأمَّا مَن تأخَّر حَيْضُها لمرض؛ فقال مالكٌ وابن القاسم وعبد الله

---

(١) الإشراف لابن المنذر ٤/ ٢٨٤ .

(٢) في (م): المستبرأة، وفي باقي النسخ عدا (خ): المستبرأ به، وفي الكافي: المرتابة، والمثبت من (خ).

(٣) الإشراف ٤/ ٢٨٥ .

(٤) أخرجه عن عمر ﷺ مالك في الموطأ ٢/ ٥٨٢ . وينظر الإشراف ٤/ ٢٨٤ - ٢٨٥ ، والاستذكار ١٨/ ٩٤ فما بعد، وأحكام القرآن للكيا ٤/ ٤٢١ ، ولابن العربي ٤/ ١٨٢٦ .

(٥) أخرجه عن ابن مسعود ﷺ ابن أبي شيبة ٥/ ٢١٠ ، وينظر الاستذكار ١٨/ ٩٦ - ٩٧ .

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ٤٢١ .

وأصْبَغ[١]: تعتدُ تسعة أشهر ثم ثلاثة. وقال أشهب: هي كالمرضع بعد الفطام، بالحيض أو بالسَّنة. وقد طلَّق حَبَّان بنُ مُنْقِذ امرأته وهي تُرْضع؛ فمكثت سنةً لا تحيض لأجل الرَّضاع، ثم مرِض حَبَّان، فخاف أن ترثَه، فخاصمها إلى عثمان وعنده عليٌّ وزيد، فقالا، نرى أن تَرِثه؛ لأنها ليست من القواعد ولا من الصِّغار؛ فمات حَبَّان، فورِثتْه، واعتدَّت عِدَّةَ الوفاة[٢].

السادسة: ولو تأخَّر الحيضُ لغير مرض ولا رضاع، فإنها تنتظر سَنةً لا حَيْض فيها، تسعةَ أشهرٍ ثم ثلاثة؛ على ما ذكرناه، فتَحِلُّ ما لم تَرْتَب بحَمْل؛ فإن ارتابت بحمل، أقامت أربعةَ أعوام، أو خمسةً، أو سبعة؛ على اختلاف الروايات عن علمائنا. ومشهورُها: خمسةُ أعوام؛ فإن تجاوزتْها حَلَّت. وقال أشهب: لا تَحِلُّ أبداً حتى تنقطعَ عنها الرِّيبة.

قال ابن العربي[٣]: وهو الصحيح؛ لأنه إذا جاز أن يبقى الولدُ في بطنها خمسة أعوام، جاز أن يبقى عشرةً وأكثرَ من ذلك، وقد رُوي عن مالك مثلُه.

السابعة: وأما التي جُهل حيضُها بالاستحاضة، ففيها ثلاثةُ أقوال:

قال ابن المسيب: تعتدُّ سَنة[٤]. وهو قول الليث، قال الليث: عِدَّةُ المطلَّقة وعدَّةُ المتوفَّى عنها زوجُها إذا كانت مستحاضةً سَنةٌ[٥]. وهو مشهورُ قولِ علمائنا[٦]؛ سواءٌ علمت دمَ حيضِها من دم استحاضتِها وَميَّزَت ذلك أو لم تميِّزه، عِدَّتها في ذلك كلِّه

---

(١) في النسخ: وعبد الله بن أصبغ، والمثبت موافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٥ ، والكلام منه.

(٢) أحكام القرآن، والأثر أخرجه مالك ٢/ ٥٧٢ ، وعبد الرزاق (١١١٠٠) و(١١١٠١) و(١١١٠٢)، وابن أبي شيبة ٥/ ٢١٠ بألفاظ متقاربة.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٦ ، وما قبله منه. وقد ثبت علمياً ـ كما ذكرنا ١٢/ ٢٢ ـ أن الجنين لا يمكث في بطن أمه أكثر من عشرة أشهر؛ وإلا مات الجنين في بطن أمه.

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي ٤/ ١٨١٦ . وقول ابن المسيب أخرجه مالك ٢/ ٥٨٣ .

(٥) الاستذكار ١٨/ ١٠٠ .

(٦) أحكام القرآن ٤/ ١٨١٦ .

عند مالكٍ في تحصيل مذهبه سَنة؛ منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثةٌ عِدَّة[١].

وقال الشافعيُّ في أحد أقواله: عِدَّتها ثلاثة أشهر. وهو قول جماعةٍ من التابعين والمتأخرين من القرويِّين. ابن العربيّ[٢]: وهو الصحيح عندي.

وقال أبو عمر[٣]: المستحاضة إذا كان دمُها ينفصل، فعلِمت إقبالَ حيضتها وإدبارَها[٤]، اعتدَّت ثلاثةَ قُرُوء. وهذا أصحُّ في النظر، وأثبت في القياس والأثر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَۚ﴾ ـ يعني الصغيرة ـ فعدَّتهنَّ ثلاثة أشهر؛ فأضمر الخبر. وإنما كانت عدَّتها بالأشهر؛ لعدم الأقراء فيها عادة، والأحكامُ إنما أجراها اللهُ تعالى على العادات؛ فهي تعتدُّ بالأشهر. فإذا رأت الدم في زمنِ احتمالِه عند النساء، انتقلت إلى الدم؛ لوجود الأصل، وإذا وجد الأصلُ لم يبقَ للبدل حكم؛ كما أن المُسِنَّةَ إذا اعتدَّت بالدم ثم ارتفع، عادت إلى الأشهر[٥]. وهذا إجماع[٦].

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾ **فيه مسألتان:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ وَضْعُ الحمل وإن كان ظاهراً في المطلَّقة؛ لأنه عليها عُطف، وإليها رَجَعَ عَقِبُ الكلام؛ فإنه في المتوفَّى عنها زوجُها كذلك؛ لعموم الآية وحديثِ سُبَيْعة[٧]. وقد مضى في «البقرة» القولُ فيه مستوفًى[٨].

الثانية: إذا وضعت المرأةُ ما وضعت مِن عَلَقة أو مُضْغَة، حَلَّت. وقال الشافعيُّ

---

(١) الكافي ٢/ ٦٢٠ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٦ ، وما قبله منه.

(٣) في الكافي ٢/ ٦٢٠ .

(٤) في (د) و(م): أو إدبارها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٥ - ١٨٢٦ .

(٦) الإشراف ٤/ ٢٨٥ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٦ .

(٨) ٤/ ١٢٦ فما بعد. وسلف هناك حديث سبيعة.

وأبو حنيفة: لا تَحِلُّ إلَّا بما يكون ولداً[١]. وقد مضى القولُ فيه في سورة البقرة، وسورة الرعد، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ قال الضحَّاك: أي: من يتَّقِه في طلاق السُّنَّة، يجعلْ له مِن أمره يُسراً في الرجعة. مقاتل: وَمن يَتَّقِ اللهَ في اجتناب معاصيه، يجعل له من أمره يُسْراً في توفيقه للطاعة[٢]. ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الذي ذكر من الأحكام أمْرُ الله أنزله إليكم وبيَّنه لكم. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: يعمل بطاعته. ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة[٣]. ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ أي: في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

فيه أربعُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قال أشهبُ عن مالك: يَخرج عنها إذا طلَّقها ويتركها في المنزل؛ لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾. فلو كان معها، ما قال: أسكِنوهن. وقال ابن نافع: قال مالكٌ في قول الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ يعني المطلَّقاتِ اللاتي بِنَّ من أزواجهن فلا رَجْعَةَ لهم عليهنَّ وليست حاملاً، فلها السُّكْنَى ولا نفقة لها ولا كِسوة، لأنها بائنٌ منه لا يتوارثان ولا رَجْعَةَ له عليها. وإن كانت حاملاً فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضيَ عِدَّتُها. فأمَّا مَن لم تَبِنْ منهنّ، فإنهنَّ نساؤهم يتوارثون، ولا يَخرُجن إلَّا أن يأذنَ لهن أزواجُهنَّ ما كُنَّ في

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٦.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٣.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ٣١٥، وفيه إشارة إلى حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» وسلف ٦/ ٢٦١.

عِدَّتهنّ. ولم يؤمروا بالسُّكنى لهن؛ لأن ذلك لازمٌ لأزواجهنّ مع نفقتهنّ وكسوتهنّ، حواملَ كنَّ أو غيرَ حوامل. وإنما أَمر اللهُ بالسكنى للَّائي بِنَّ مِن أزواجهن[١]، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. فجعل عزَّ وجلَّ للحوامل اللائي قد بِنَّ مِن أزواجهنَّ السُّكنى والنفقة.

قال ابن العربي[٢]: وبَسْطُ ذلك وتحقيقُه أنَّ الله سبحانه لمَّا ذكر السُّكْنَى، أطْلقَها لكلِّ مطلَّقة، فلمَّا ذكر النفقةَ قيَّدها بالحمل، فدلَّ على أنَّ المطلَّقة البائن لا نفقة لها. وهي مسألةٌ عظيمة قد مَهَّدنا سُبُلَها قرآنًا وسُنَّةً ومعنىً في مسائل الخلاف. وهذا مأخذُها من القرآن.

قلت: اختلف العلماء في المطلَّقة ثلاثاً على ثلاثة أقوال، فمذهبُ مالك والشافعيِّ: أنَّ لها السُّكنى ولا نفقة لها. ومذهب أبي حنيفة وأصحابِه: أنَّ لها السكنى والنفقة. ومذهب أحمدَ وإسحاق وأبي ثَوْر: أنْ لا نفقة لها ولا سُكنى[٣]؛ على حديث فاطمة بنتِ قيس، قالت: دخلتُ إلى رسول الله ﷺ ومعي أخو زوجي، فقلت: إنَّ زوجي طلَّقني، وإنَّ هذا يزعم أنْ ليس لي سكنى ولا نفقة؟! قال: «بل لكِ السُّكْنَى ولكِ النفقة». قال: إنَّ زوجها طلَّقها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «إنما السكنى والنفقة على مَن له عليها الرجعة». فلما قدمتُ الكوفة، طلبني الأسود بنُ يزيد لِيسألَني عن ذلك، وأنَّ أصحاب عبدِ الله يقولون: إنَّ لها السكنى والنفقة. خرَّجه الدارقطني[٤].

ولفظ مسلمٍ عنها[٥]: أنه طلَّقها زوجُها في عهد النبيِّ ﷺ، وكان أنفق عليها نفقةَ دُونٍ، فلمَّا رأت ذلك قالت: والله لأُعْلِمَنَّ رسولَ الله ﷺ، فإن كان لي نفقةٌ أخذت

---

(١) في (د) و(م) زيادة: مع نفقتهن.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٢٧، وما قبله منه.

(٣) الإشراف ٤/ ١٦٧.

(٤) في سننه (٣٩٥٤) وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي، وهو ضعيف.

(٥) صحيح مسلم (١٤٨٠): (٣٧).

الذي يُصلحني، وإن لم تكن لي نفقةٌ لم آخذ شيئاً. قالت: فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «لا نفقة لكِ ولا سُكْنى».

وذكر الدارقطني عن الأسود قال: قال عمر لمَّا بلغه قولُ فاطمة بنتِ قيس: لا نُجيزُ في المسلمين قولَ امرأة. وكان يجعل للمطلَّقة ثلاثاً السُّكنى والنفقةَ. وعن الشعبيِّ قال: لَقِيَني الأسود بنُ يزيد فقال: يا شَعْبيّ، اِتَّقِ اللهَ وارجِع عن حديث فاطمة بنتِ قيس؛ فإنَّ عمر كان يجعل لها السُّكنى والنفقة. قلت: لا أرجع عن شيء حدثتني [به] فاطمة بنتُ قيس عن رسول الله ﷺ[١].

قلت: ما أحسن هذا. وقد قال قتادة وابنُ أبي ليلى: لا سُكنى إلَّا للرجعية؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[٢]، وقولُه تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ راجعٌ إلى ما قبله، وهي المطلَّقة الرجعية. والله أعلم. ولأنَّ السُّكنى تابعةٌ للنفقة وجاريةٌ مَجراها؛ فلمَّا لم تجِب للمبتوتة نفقة، لم يجب لها سُكنى.

وحجَّة أبي حنيفة أنَّ للمبتوتة النفقةَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ وتركُ النفقة من أكبر الأضرار. وفي إنكار عمرَ على فاطمة قولَها ما يبيِّنُ هذا، ولأنها معتدَّةٌ تستحقُّ السُّكنى عن طلاق، فكانت لها النفقةُ كالرجعية، ولأنها محبوسةٌ عليه لحقِّه، فاستحقت النفقةَ كالزوجة. ودليلُ مالكٍ قولهُ تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ الآية. على ما تقدَّم بيانُه.

وقد قيل[٣]: إنَّ الله تعالى ذكر المطلَّقة الرجعيةَ وأحكامها أوَّلَ الآية إلى قوله: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ثم ذَكَر بعد ذلك حُكْمًا يَعمُّ المطلَّقاتِ كلَّهنَّ، من تعديد الأشهر وغيرِ ذلك. وهو عامٌّ في كل مطلقة؛ فرجع ما بعد ذلك من الأحكام إلى كلِّ مطلقة.

---

(١) سنن الدارقطني (٣٩٥٥)، (٣٩٥٦). وما بين حاصرتين منه.

(٢) ذكر قولهما ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨١٧.

(٣) القائل ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٢٨.

الثانية: قوله تعالى: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: من سَعَتكم[١]؛ يقال: وَجَدْتُ في المال أجِدُ وُجْداً [ووَجْداً ووِجْداً] وجِدَةً[٢]. والوُجْد: الغِنى والمقدرة[٣].

وقراءة العامة بضمِّ الواو. وقرأ الأعرج والزُّهريُّ بفتحها، ويعقوبُ بكسرها[٤]. وكلُّها لغاتٌ فيها.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ قال مجاهد: في المسكن. مُقاتل: في النفقة؛ وهو قولُ أبي حنيفة[٥]. وعن أبي الضحى: هو أن يطلِّقَها فإذا بقي يومان من عِدَّتها، راجعها ثم طلَّقها.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسُّكنى للحامل المطلَّقة ثلاثاً أو أقلَّ منهنَّ حتى تضعَ حملها. فأما الحاملُ المُتَوَفَّى عنها زوجُها، فقال عليٌّ وابن عمر وابن مسعود وشُرَيح والنَّخعيُّ والشَّعبيُّ وحمَّاد وابن أبي ليلى وسفيان والضَّحاك: يُنفق عليها من جميع المال حتى تضع. وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعيُّ وأبو حنيفة وأصحابه[٦]: لا ينفق عليها إلَّا من نصيبها. وقد مضى في «البقرة» بيانُه[٧].

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ **فيه أربعُ مسائل**:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ - يعني المطلَّقات - أولادَكم منهنَّ، فعلى

---

(١) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٥٩ - ٦٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

(٢) الصحاح (وجد) وما بين حاصرتين منه.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٤٧١ .

(٤) قراءة يعقوب من العشرة، وهي من رواية روح. النشر ٢/ ٣٨٨ ، وقراءة الأعرج في القراءات الشاذة ص١٥٨ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٤ . وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٦١ .

(٦) في النسخ عدا (د) و(ف): وأصحابهم. وينظر زاد المسير ٨/ ٢٩٧ .

(٧) ٥/ ١٤١ .

الآباء أنْ يعطوهنَّ أُجرةَ إرضاعهنّ. وللرجل أن يستأجرَ امرأتَه للرَّضاع كما يستأجر أجنبيَّة.

ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابِه الاستئجارُ إذا كان الولدُ منهنَّ ما لم يُبِنْ. ويجوز عند الشافعيّ[١]. وتقدَّم القولُ في الرَّضاع في «البقرة» و«النساء» مستوفًى ولله الحمد[٢].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ﴾ هو خطابٌ للأزواج والزوجات؛ أي: ولْيَقْبَل بعضُكم من بعض ما أَمره به من المعروف الجميل. والجميلُ منها إرضاعُ الولد من غير أجرة. والجميل منه توفيرُ الأجرة عليها للإرضاع. وقيل: ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحقَ الولدَ إضرار. وقيل: هو الكِسوة والدِّثار. وقيل: معناه: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: في أجرة الرَّضاع: فأبى الزوجُ أن يعطيَ الأمَّ رَضاعها، وأبت الأمُّ أنْ ترضعه، فليس له إكراهُها؛ ولْيستأجرْ مرضعةً غيرَ أمِّه.

وقيل: معناه: وإن تضايقتم وتشاكستم[٣]؛ فليَسترضع لولده غيرَها؛ وهو خبر في معنى الأمر.

وقال الضحَّاك: إنْ أبت الأمُّ أن ترضعَ؛ استأجر لولده أخرى، فإن لم يقبل، أُجبرت أمُّه على الرَّضاع بالأجر[٤].

وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه رَضاعُ الولد على ثلاثة أقوال: قال علماؤنا: رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية؛ إلَّا لشرفها وموضعها[٥]، فعلى

---

(١) الكشاف ٤/ ١٢٢.

(٢) ٤/ ١٠٦ فما بعد، ٦/ ١٧٩ فما بعد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٥، وينظر تفسير غريب القرآن ص٤٧١.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦٥ بنحوه.

(٥) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٨ (والكلام منه): أو مرضها.

الأب رضاعُه يومئذ في ماله. الثاني: قال أبو حنيفة[١]: لا يجب على الأمّ بحال. الثالث[٢]: يجب عليها في كل حال.

الرابعة: فإنْ طلَّقها، فلا يَلزمُها رضاعُه إلَّا أن يكونَ غيرَ قابلٍ ثَدْيَ غيرِها، فيلزمها حينئذ الإرضاع[٣]. فإن اختلفا في الأجر، فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلَّا تبرُّعًا، فالأمُّ أوْلى بأجر المثل إذا لم يجد الأبُ متبرعاً. وإن دعا الأبُ إلى أجر المثل وامتنعت الأمُّ لِتطلُبَ شططاً، فالأبُ أوْلَى به. فإن أَعسرَ الأبُ بأجرتها، أُخذت جبراً برَضَاع ولدها[٤].

قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ﴾ أي: لِيُنفق الزوجُ على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وُسعِه حتى يوسِّعَ عليهما إذا كان مُوَسَّعًا عليه. ومَن كان فقيراً فعلى قَدْر ذلك. فتُقدَّر النفقةُ بحسب الحالة من المنِفق والحاجة من المنفَق عليه بالاجتهاد على مَجرى العادة[٥]؛ فينظر المفتي إلى قدر حاجة المنْفَق عليه، ثم ينظر إلى حالة المنفِق، فإن احتملت الحالةُ [الحاجةَ] أمضاها عليه، فإن قصَّرت حالتُه عن[٦] حاجة المنفَق عليه، ردَّها إلى قدر احتماله.

---

(١) في المطبوع من أحكام القرآن زيادة: والشافعي.

(٢) بعدها في أحكام القرآن: قال أبو ثور.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٥ .

(٥) قبلها في (م): حياة.

(٦) في (م): اقتصرت حالته على ..، والعبارة ساقطة من النسخ الخطية، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٩ ، والكلام وما بين حاصرتين منه.

وقال الإمام الشافعيُّ ﷺ وأصحابُه: النفقة مقدَّرةٌ محدَّدة، ولا اجتهاد لحاكم ولا لِمُفتٍ فيها. وتقديرها هو بحال الزوجِ وَحْدَه من يُسْره وعُسْره، ولا يُعتبر بحالها وكفايتها؛ قالوا: فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس. فإن كان الزوج مُوسِراً لَزِمه مُدَّان، وإن كان متوسِّطًا فَمُدٌّ ونصف، وإن كان مُعسِراً فَمُدّ. واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الآية. فجعلَ الاعتبارَ بالزوج في اليُسْر والعُسْر دونَها؛ ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره؛ فيؤدِّي إلى الخصومة؛ لأن الزوج يدَّعي أنها تلتمس فوق كفايتها، وهي تزعمُ أنَّ الذي تطلب تطلبه قدرَ كفايتها؛ فجعلناها مقدَّرةً قطعاً للخصومة. والأصل في هذا عندهم قولُه تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ فجعل الاعتبار بالزوج[1] كما ذكرنا، وقولُه: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

والجواب أنَّ هذه الآية لا تعطي أكثرَ مِن فرقٍ بين نفقة الغنيِّ والفقير، وإنها تختلف بعُسْر الزوج ويُسْره. وهذا مُسَلَّم. فأمَّا إنه لا اعتبار بحال الزوجة على وجهه، فليس فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وذلك يقتضي تعلُّقَ المعروفِ في حقِّهما؛ لأنه لم يخصَّ في ذلك واحداً منهما. وليس من المعروف أن يكونَ كفايةُ الغنيَّةِ مثلَ نفقة الفقيرة؛ وقد قال رسول الله ﷺ لهِند: «خُذِي ما يكْفيكِ وولدَكِ بالمعروف». فأحالها على الكفاية حين عَلِمَ السَّعَةَ من حال أبي سفيان الواجبِ عليه بطلبها[2]، ولم يقل لها لا اعتبار بكفايتك وأنَّ الواجب لكِ شيءٌ مقدَّر، بل ردَّها إلى ما يعلمه مِن قَدْر كفايتِها ولم يعلِّقه بمقدار معلوم. ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج إلى توقيف؛ والآيةُ لا تقتضيه.

---

(١) قوله: فجعل الاعتبار بالزوج، من (ظ).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٠ ، والحديث أخرجه أحمد (٢٤٢٣١)، والبخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤). من حديث عائشة رضي الله عنها، وسلف ٣/ ٢٤٩ .

الثانية: روي أنَّ عمر ﷺ فرض للمنفوس[١] مئةَ درهم، وفرض له عثمانُ خمسين درهمًا[٢].

ابن العربيّ[٣]: واحتَمل أن يكونَ هذا الاختلافُ بحسب اختلاف السنين، أو بحسب حال القدر في التسعير لثمن القوت والملبس، وقد روى محمد بنُ هلال المَدِينيُّ[٤] قال: حدَّثني أبي، عن جدَّتي[٥]: أنها كانت تَرِد على عثمان، ففقدها، فقال لأهله: مالي لا أرى فلانة؟ فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، وَلدت الليلة؛ فبعث إليها بخمسين درهمًا وشُقَيْقَةٍ سُنْبُلانِية[٦]. ثم قال: هذا عطاءُ ابنِك وهذه كِسوته، فإذا مَرَّت له سَنَةٌ رفعناه إلى مئة[٧]. وقد أُتيَ عليٌّ ﷺ بمنبوذ ففرض له مئة[٨].

قال ابن العربيّ[٩]: هذا الفرضُ قبل الفِطام مما اختلف فيه العلماء؛ فمنهم مَن رآه مستحبًّا لأنه داخلٌ في حكم الآية، ومنهم مَن رآه واجباً لِما تجدَّد من حاجته وعَرض من مؤنته؛ وبه أقول. ولكن يختلف قَدْرُه بحاله عند الولادة وبحاله عند الفطام. وقد روى سفيان بنُ وهب أنّ عمر أخذ المُدْيَ[١٠] بيدٍ والقِسْطَ[١١] بيد،

---

(١) أي: المولود. والأثر ذكره ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٩٨ دون سند.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٠، وما قبله منه.

(٤) هو من رجال التهذيب، ووقع في النسخ والمطبوع من أحكام القرآن: المزني، وهو خطأ.

(٥) في النسخ والمطبوع من أحكام القرآن: وجدتي. والتصويب من المصادر الآتية.

(٦) الشقيقة: تصغير شُقَّة، وهي جنس من الثياب. وقوله سنبلانية، أي: سابغة الطول. النهاية (شقق) (سنبل).

(٧) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٥٨٤)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه ٣٩/ ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٨) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٥٨٧). والمنبوذ: اللقيط.

(٩) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣١، وما قبله منه.

(١٠) في (ز) و(م) وأحكام القرآن: المد. والمدي: مكيال لأهل الشام. النهاية (مدي).

(١١) هو نصف صاع النهاية (قسط).

فقال: إني فرضتُ لكل نفسٍ مسلمةٍ في كل شهرٍ مُدْيَي[١] حِنْطةٍ وقِسْطَيْ خَلٍّ وقِسْطَيْ زيت. زاد غيره: وقال: إنَّا قد أجرينا لكم أُعطياتِكم وأرزاقَكم في كل شهر، فمَن انتقصها فَعَل اللهُ به كذا وكذا. فدعا عليه. قال أبو الدَّرْدَاء: كم سُنَّةٍ راشدةٍ مَهْدِيَّةٍ قد سَنَّها عمرُ ﷺ في أُمة محمدٍ ﷺ[٢]!

والمُدْيُ[٣] والقِسْط كيلان شامِيَّان في الطعام والإدام؛ وقد دُرِسَا بعرف آخر.

فأمَّا المُدْيُ[٤] فَدُرِس إلى الكَيْلَجَة، وأما القِسْط فدُرِس إلى الكيل، ولكن التقدير فيه عندنا رُبعان في الطعام وثُمنان في الإدام. وأما الكِسوة فبقدر العادة: قميصٌ وسراويل وجُبَّة في الشتاء، وكساءٌ وإزار وحصير. وهذا الأصل، ويتزيد بحسب الأحوال والعادة.

الثالثة: هذه الآية أصلٌ في وجوب النفقةِ للولد على الوالد دونَ الأم؛ خلافاً لمحمد بن الموَّاز إذ يقول: إنها على الأبوين على قدر الميراث.

ابن العربيّ[٥]: ولعلَّ محمداً أراد أنها على الأم عند عدم الأب. وفي البخاريِّ عن النبيِّ ﷺ: «تقول لك المرأة: أنفق عليَّ وإلَّا طلِّقني، ويقول لك العبد: أنفق عليَّ واستعملني، ويقول لك ابنك: أنفق عليّ، إلى مَن تَكِلُني؟»[٦] فقد تعاضد القرآنُ والسُّنَّةُ وتواردا في شِرْعة واحدة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي: لا يكلِّف الفقيرَ مثلَ

---

(١) في النسخ وأحكام القرآن: مدي. والمثبت من الفائق والنهاية (مدي)، والخبر فيهما بنحوه.

(٢) أخرج هذه الآثار أبو عبيد في الأموال (٦١٣)، (٦١٤)، (٦١٥).

(٣) في النسخ: والمدُّ، والمثبت موافق لما سلف وما سيرد.

(٤) في (ظ) وأحكام القرآن: المد.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣١، وما قبله منه.

(٦) صحيح البخاري (٥٣٥٥). وهو من كلام أبي هريرة ﷺ (كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٥٠١)، قاله عقب روايته للحديث، وهو: «أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

ما يكلِّف الغنيّ .﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: بعد الضيق غِنًى، وبعد الشِّدَّةِ سَعَة.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ لمَّا ذَكرَ الأحكامَ؛ ذَكَرَ وحذَّر مخالفةَ الأمر، وذكر عُتُوَّ قومٍ وحلولَ العذاب بهم. وقد مضى القولُ في «كأيِّن» في «آل عمران» والحمدُ لله[1].

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: عصت؛ يعني القرية والمرادُ أهلُها .﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: جازيناها بالعذاب في الدنيا ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في الآخرة. وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخير؛ فعذَّبناها عذابًا نُكْراً في الدنيا، بالجوع والقَحْط والسيف والخَسْف والمَسْخ وسائر المصائب، وحاسبناها في الآخرة حسابًا شديدًا[2]. والنُّكْر: المنكَر. وقُرِئ مُخَفَّفًا ومُثَقَّلا، وقد مضى في سورة الكهف[3].

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: عاقبة كُفرِها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي: هلاكًا في الدنيا بما ذكرنا؛ والآخرةِ بجهنم. وجيء بلفظ الماضي كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ونحوِ ذلك؛ لأن المنتَظَرَ مِن وعد الله ووعيدِه مَلقيّ في

---

(١) ٥/ ٣٤٩ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٦١ .

(٣) في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الآية: ٧٤]. ولم يتعرض المصنف هناك لذكر القراءات فيها. وقد قرأ بالتثقيل «نُكُراً» نافع وأبو بكر عن عاصم وابن ذكوان عن ابن عامر. والباقون من السبعة بالتخفيف «نُكْراً»؛ في «الكهف» و«الطلاق». السبعة ص٣٩٥ ، والتيسير ص١٤٤ .

الحقيقة؛ وما هو كائنٌ فكأن قَد[١]. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ بيَّنَ ذلك الخُسْرَ وأنه عذابُ جهنم في الآخرة.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: العقول. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بدلٌ من «أُولِي الأَلْبَابِ» أو نعتٌ لهم؛ أي: يا أُولي الألباب الذين آمنتم بالله؛ اِتَّقوا اللهَ؛ الذي أَنزل عليكم القرآن، أي: خافوه واعملوا بطاعته وانتهوا عن معاصيه. وقد تقدَّم.

﴿رَّسُولًا﴾ قال الزَّجَّاج[٢]: إنزالُ الذِّكْر دليلٌ على إضمار: أرسل؛ أي: أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولاً. وقيل: إنَّ المعنى: قد أنزل اللهُ إليكم صاحبَ ذِكرٍ رسولًا؛ فـ«رسولًا» نعتٌ للذِّكر على تقدير حذفِ المضاف. وقيل: إنَّ «رسولًا» معمولٌ للذِّكر؛ لأنه مصدر؛ والتقدير: قد أنزل اللهُ إليكم أنْ ذَكَرَ رسولًا. ويكونُ ذِكْرُه الرسولَ قولَه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:٢٩]. ويجوز أن يكونَ «رَسُولًا» بدلاً مِن: ذِكْر، على أن يكونَ «رَسُولًا» بمعنى رسالة، أو على أن يكونَ على بابه ويكونَ محمولًا على المعنى، كأنه قال: قد أظهر الله لكم ذِكْرًا رسولًا، فيكون من باب بدلِ الشيء من الشيء وهو هو. ويجوز أن ينتصبَ «رَسُولًا» على الإغراء، كأنه قال: اتَّبعوا رسولًا. وقيل: الذِّكر هنا الشرف، نحو قولِه تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۖ﴾ [الأنبياء:١٠]، وقولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ﴾ [الزخرف:٤٤]، ثم بيَّن هذا الشرفَ فقال: «رَسُولًا». والأكثرُ على أنَّ المراد بالرسول هنا محمدٌ ﷺ. وقال الكلبيّ: هو جبريل، فيكونان جميعاً منزَلَين[٣].

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ نعتٌ لرسول. و«آيَاتِ اللهِ»: القرآن. ﴿مُبَيَّنَٰتٍ﴾ قراءةُ العامَّة بفتح الياء، أي: بيَّنها الله. وقرأ ابن عامر وحفصٌ وحمزة والكسائيُّ بكسرها[٤]، أي: يبين لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام. والأَوْلى قراءة ابنِ عباس

(١) الكشاف ٤/١٢٣ .

(٢) في معاني القرآن ٥/١٨٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/٣٦ .

(٤) التيسير ص١٦٢ .

واختيارُ أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: مَن سبق له ذلك في علم الله ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: من الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى والإيمان. قال ابن عباس: نزلت في مؤمني أهل الكتاب[1]. وأضاف الإخراجَ إلى الرسول؛ لأنَّ الإيمان يَحصُل منه بطاعته.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. قرأ نافعٌ وابن عامر بالنون، والباقون بالياء[2]. ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي: وسَّع اللهُ له في الجنات.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ دلَّ على كمال قدرتهِ وأنه يقدر على البعث والمحاسبة. ولا خلاف في السماوات أنها سبعٌ بعضُها فوق بعض؛ دلَّ على ذلك حديثُ الإسراء وغيره[3].

ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبعاً. واختُلف فيهنَّ على قولين:

أحدهما ـ وهو قول الجمهور ـ أنها سبعُ أَرَضين طِباقًا بعضُها فوق بعض[4] بين كلِّ أرضٍ وأرضٍ مسافةٌ كما بين السماء والسماء، وفي كل أرضٍ سكانٌ مِن خلق الله سبحانه وتعالى.

وقال الضحَّاك: «وَمِنَ الْأَرْض مِثْلَهُنّ» أي: سبعاً من الأَرَضين، ولكنها مُطبقةٌ بعضُها على بعض من غير فُتُوق، بخلاف السماوات.

---

(١) نسب هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٦ للفراء.

(٢) السبعة ص٦٣٩، والتيسير ص٢١١.

(٣) سلف حديث الإسراء ١٣/ ٧، وينظر النكت والعيون ٦/ ٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٧.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٦.

والأوَّل أصحّ؛ لأنَّ الأخبار دالَّةُ عليه في الترمذيِّ والنَّسائيِّ وغيرِهما[(١)]. وقد مضى ذلك مبيَّنًا في «البقرة»[(٢)].

وقد خرَّج أبو نعيم قال: حدَّثنا محمد بنُ عليِّ بنِ حُبيش قال: حدَّثنا إسماعيل بنُ إسحاق السرَّاج (ح) وحدَّثنا أبو محمد بنُ حَيَّان[(٣)] قال: حدَّثنا عبد الله بنُ محمد بنِ ناجية قال: حدَّثنا سُويد بن سعيد قال: حدَّثنا حفص بنُ ميسرة، عن موسى بنِ عقبة، عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه: أنَّ كعباً حلف له بالذي فَلَق البحرَ لموسى أنَّ صُهَيْبًا حدَّثه، أنَّ محمداً ﷺ لم يَرَ قريةً يريد دخولَها إلَّا قال حين يراها: «اللَّهُمّ رَبَّ السماواتِ السبعِ وما أظْلَلْنَ، ورَبّ الأرَضِينَ السبعِ وما أقْلَلْنَ، ورَبَّ الشياطينِ وما أضْلَلْنَ، وربَّ الرياحِ وما أذْرَيْنَ، إنَّا نسألك خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلها، ونعوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها، وشرِّ مَن فيها». قال أبو نعيم: هذا حديثٌ ثابتٌ مِن حديث موسى بنِ عقبة، تفرَّد به عن عطاء، رواه[(٤)] عنه ابنُ أبي الزناد وغيرُه[(٥)].

وفي صحيح مسلمٍ عن سعيد بنِ زيد قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَن أخذ شِبراً من الأرض ظلماً، فإنه يُطَوَّقُه يومَ القيامة مِن سبع أَرضِينَ» ومثلُه حديثُ عائشة، وأبينُ منهما حديثُ أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأخذ أحدٌ شبراً من الأرض بغير حَقِّه، إلَّا طوَّقه الله إلى سبع أَرَضينَ يوم القيامة»[(٦)].

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٩٨)، وسنن النسائي الكبرى (١٠٦٠٢) و(١٠٩١٣).

(٢) ١/ ٣٨٧ - ٣٨٩ ، وفيه حديث الترمذي والنسائي.

(٣) في (د) و (م): حبان، وهو خطأ. وأبو محمد هذا هو المعروف بأبي الشيخ.

(٤) يعني عن موسى، وفي النسخ: روى، والمثبت من المصادر.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٤٦ ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٠٢) من طريق حفص بن ميسرة، به. وقد خالف ابن أبي الزناد حفصاً في إسناده، فرواه فيما أخرجه النسائي (١٠٣٠٣) عن موسى بن عقبة، عن عطاء، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن مغيث، عن كعب، فأدخل عبد الرحمن بن مغيث بين أبي مروان وكعب.

(٦) صحيح مسلم (١٦١٠)، (١٦١١)، (١٦١٢). وسلفت هذه الأحاديث ١/ ٣٨٧ .

قال الماورديّ: وعلى أنها سبعُ أرضينَ بعضُها فوق بعض؛ تختصُّ دعوةُ أهل الإسلامِ بأهل الأرض العليا، ولا تلزم مَن في غيرها من الأرضين، وإن كان فيها مَن يعقِل من خلق مميَّز. وفي مشاهدتهم السماءَ واستمدادِهم الضوءَ منها قولان: أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانبٍ من أرضهم ويستمدُّون الضياءَ منها. وهذا قولُ مَن جعل الأرضَ مبسوطة. والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، وأنَّ الله تعالى خلق لهم ضياءً يستمدُّونه. وهذا قولُ مَن جعل الأرضَ كالكُرَة.

وفي الآية قولٌ ثالثٌ حكاه الكَلْبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبعُ أرضين منبسطة؛ ليس بعضُها فوق بعض، تفرِّق بينها البحار، وتُظِلُّ جميعَهم السماءُ. فعلى هذا إنْ لم يكن لأحد من أهل الأرض وصولٌ إلى أرض أخرى، اختصَّت دعوةُ الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصولٌ إلى أرض أخرى، احتمل أنْ تَلزمَهم دعوةُ الإسلام عند إمكان الوصولِ إليهم؛ لأنَّ فصل البحار إذا أمكن سلوكُها لا يمنع من لزوم ما عمَّ حكمُه، واحتمل ألَّا تلزَمَهم دعوةُ الإسلام؛ لأنها لو لزمتهم لَكان النصُّ بها وارِدًا، ولَكان النبيُّ ﷺ بها مأمورًا. والله أعلم [بصحة] ما استأثر بعلمه، وصوابِ ما اشتَبَهَ على خلقه(١).

ثم قال: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال مجاهد: يتنزَّل الأمرُ من السماوات السبع إلى الأرضين السبع(٢). وقال الحسن: بين كل سماءَين أرضٌ وأمر. والأمر هنا الوحي؛ في قول مقاتلٍ وغيره. وعليه فيكون قولُه: «بَيْنَهن» إشارةً إلى ما بين هذه الأرضِ العليا التي هي أدناها، وبين السماءِ السابعة التي هي أعلاها. وقيل: الأمر: القضاء والقدر. وهو قول الأكثرين. فعلى هذا يكون المرادُ بقوله تعالى: «بَيْنَهُنَّ» إشارةً إلى ما بين الأرضِ السُّفْلَى التي هي أقصاها، وبين السماء السابعةِ التي هي أعلاها(٣). وقيل:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٦ - ٣٧. وما بين حاصرتين منه.

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧.

«يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» بحياة بعضٍ وموتِ بعض[١]، وغِنَى قومٍ وفقْرِ قوم. وقيل: هو ما يُدَبِّر فيهنَّ من عجيب تدبيره؛ فيُنزل المطرَ، ويُخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار، والصيفِ والشتاء، ويخلق الحيواناتِ على اختلاف أنواعها وهيئاتها؛ فَينقُلُهم من حال إلى حال[٢]. قال ابن كَيْسان: وهذا على مجال اللغةِ واتّساعها؛ كما يقال للموت: أمْرُ الله؛ وللريح والسحابِ ونحوها.

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ يعني أنَّ مَنْ قَدَرَ على هذا الملكِ العظيم، فهو على ما بينهما مِن خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكن، وإن استوى كلٌّ ذلك في مقدوره ومُكْنَته[٣]. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ فلا يَخرُجُ شيءٌ عن علمه وقدرته. ونصب «عِلْمًا» على المصدر المؤكِّد؛ لأنَّ «أَحَاطَ» بمعنى: علم. وقيل: بمعنى: وأنَّ الله أحاط إحاطةً عِلْمًا.

واللهُ سبحانه وتعالى الموفِّقُ بِمَنِّه وكرمِه لصَوْبِ الصواب.

خُتمت السورةُ بحمد الله وعونه

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٠ عن مجاهد.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٦١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧.

سورة التحريم

مَدَنِيَّةٌ في قول الجميع، وهي اثنتا عشرة آية. وتسمَّى سورة النَّبيِّ[(١)]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ **فيه خمسُ مسائل:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ ثبَت في «صحيح مسلم»[(٢)] عن عائشة رضي اللهُ عنها أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَمكثُ عند زينب بنتِ جَحْش، فيشربُ عندها عَسَلاً؛ قالت: فتواطأتُ أنا وحفصة أنَّ أيَّتَنا ما دخَل عليها رسولُ الله ﷺ فلتقلْ: إني أجدُ منك رِيحَ مَغَافِير! أَكَلْتَ مَغَافِير؟ فدخَل على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: «بل شربتُ عسلاً عند زينب بنتِ جحش ولن أعودَ له». فنزَل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ لعائشة وحفصة. ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بل شربتُ عسلاً».

وعنها أيضاً[(٣)] قالت: كان رسولُ الله ﷺ يحبُّ الحَلْواء والعسلَ، فكان إذا صلَّى العصرَ دار على نسائه فيَدْنُو منهنَّ؛ فدخل على حفصة، فاحتَبَس عندها أكثرَ مما يَحتبِس؛ فسألتُ عن ذلك فقيل لي: أهدتْ لها امرأة من قومها عُكَّةً من عسلٍ، فسقتْ رسولَ الله ﷺ منه شَرْبَةً. فقلتُ: أمَا واللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ له، فذكرتُ ذلك لسَوْدَةَ، وقلت: إذا دخَل عليكِ فإنه[(٤)] سَيَدْنُو منكِ، فقولي له: يا رسولَ الله، أكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فإنه

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٨ ، والكشاف ٤/ ١٢٤ .

(٢) برقم (١٤٧٤) (٢٠)، وهو عند الإمام أحمد (٢٥٨٥٢)، والبخاري (٤٩١٢) و(٥٢٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦٨) و(٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤): (٢١). وما بين حاصرتين منهما.

(٤) بدلها (ظ): رسولُ الله ﷺ.

سيقولُ لكِ: لا. فقولي [له]: ما هذه الريحُ؟ ـ وكان رسولُ الله ﷺ يَشتدُّ عليه أن يُوجدَ منه الريحُ ـ فإنه سيقولُ لكِ: سقَتْني حَفْصَةُ شَرْبَةَ عسلٍ. فقولي له: جَرَسَتْ نَحلُه العُرْفُطَ. وسأقول ذلك له، وقوليهِ أنتِ يا صفِيَّةُ. فلما دخَل على سَوْدَةَ ـ قالت: تقول سَوْدَةُ: واللَّهِ الذي لا إلهَ إلا هو لقد كِدْتُ أن أبادِئَه بالذي قلتِ لي وإنه لَعلى الباب، فَرَقاً منكِ. فلما دنا رسولُ اللهِ ﷺ قالت: يا رسولَ الله، أكَلْتَ مَغافِيرَ؟ قال: «لا» قالت: فما هذه الريحُ؟ قال: «سَقَتْني حَفْصَةُ شَرْبَةَ عسلٍ» قالت: جَرَسَتْ نَحْلُه الْعُرْفُطَ. فلما دخلَ عليَّ قلتُ له مثلَ ذلك. ثم دخَل على صَفِيَّة فقالت بمثل ذلك. فلما دخلَ على حَفْصَة قالت: يا رسولَ الله، ألا أَسقيك منه. قال: «لا حاجةَ لي به» قالت: تقول سَوْدَةُ: سبحان الله! [واللهِ] لقد حَرَمْناه. قالت: قلتُ لها: اسكتي.

ففي هذه الرواية أنَّ التي شرب عندها العسلَ حفصة. وفي الأولى زينب. وروى ابنُ أبي مليكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة(١).

وقد قيل: إنما هي أمُّ سلَمة؛ رواه أسباط عن السُّدِّيِّ(٢). وقاله عطاء بن أبي مسلم.

ابن العربي(٣). وهذا كلُّه جهلٌ أو تصوُّر بغير علم.

فقال باقي نسائه حَسَداً وغَيْرَةً لمن شرب ذلك عندها: إنا لَنجِد منك ريحَ المغافير. والمغافِير: بقلةٌ أو صمغة متغيرةُ الرائحة، فيها حلاوة. واحدها مُغْفُور، وجَرَست: أكلت. والعُرْفُطُ: نبتٌ له ريحٌ كريح الخمر(٤). وكان عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١١٧ (١١٢٢٦) به، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٦٨ عن ابن أبي مليكة أن سودة...، قال الحافظ ابن حجر في الفتح٩/ ٣٧٦: والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٩. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٣٧٧ : وهو مرجوح لإرساله وشذوذه.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٣ .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ٣/ ٣٤٦، وإكمال المعلم ٥/ ٢٧، والنهاية (عرفط ـ غفر ـ جرس).

يُعجِبه أن يُوجدَ منه الريحُ الطيبةُ أو يجدها[١]، ويكره الريح الخبيثةَ؛ لمناجاة المَلَك[٢].

فهذا قول. وقول آخر: ـ إنه أراد بذلك المرأة التي وهبت نَفْسَها للنبيِّ ﷺ، فلم يَقبلها لأجل أزواجِه؛ قاله ابن عباس وعِكرمة[٣]. والمرأة أمُّ شريك[٤].

وقول ثالث: إن التي حرَّم مارية القبطية ـ وكان قد أهداها له المُقَوْقِس ملك الإسكندرية. قال ابن إسحاق[٥]: هي من كُورة أنْصِنا من بلدٍ يقال له: حَفْن[٦] ـ فواقعها في بيت حفصة. روى الدَّارَ قُطْنِيُّ[٧] عن ابن عباس، عن عمر قال: دخَل رسولُ الله ﷺ بأمِّ ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها ـ وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها[٨] ـ فقالت له: تُدخلها بيتي! ما صنعتَ بي هذا من بين نسائك إلا مِن هَواني عليك. فقال لها: «لاتَذْكُرِي هذا لعائشة. فهي عليَّ حرامٌ إن قَرُبْتُها»، قالت حفصة: وكيف تحرّم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها ألا يَقْرَبها. فقال النبيُّ ﷺ لحفصة[٩]: «لا تذكريه لأحدٍ». فذكرته لعائشة، فآلَى لا يدخل على نسائه شهراً، فاعتزلهنَّ تسعاً وعشرين ليلةً؛ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ الآية.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (٢٥٠٠٣)، وأبو داود (٤٠٧٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، بلفظ: وكان يحب الريح الطيبة.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٩، والكلام بنحوه في مجمع البيان للطبرسي ٢٨/ ١١٩.

(٣) المصدر السابق، عن ابن عباس.

(٤) واسمها غزية أو غزيلة، سلفت قصتها والخلاف في التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ١٧/ ١٢٥ و١٨٢-١٨٣.

(٥) كما في السيرة النبوية ١/ ١٩١.

(٦) هي من قرى أَنْصِنا، وأنصنا هذه من نواحي الصعيد على شرقي النيل. ينظر معجم البلدان ١/ ٢٦٥ و٢/ ٢٧٦.

(٧) في سننه (٤٠١٣). وفي سنده عبد الله بن شبيب، قال فيه الذهبي في الميزان ٢/ ٤٣٨: أخباري علَّامة، لكنه واه. قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث اهـ.

(٨) قوله: وكانت حفصة غابت في بيت أبيها، من (خ) و(م).

(٩) لفظة: لحفصة من (خ) وسنن الدارقطني. وجاءت العبارة في (ز) و(ظ) و(ف): فقال لها النبي ﷺ...

الثانية: أصحُّ هذه الأقوال أوَّلُها. وأضعفها أوسطها. قال ابن العربي[١]: أما ضعفُه في السند فلعدمِ عدالة رواته، وأما ضعفه في معناه فلأن ردَّ النبيِّ ﷺ للموهوبة ليس تحريماً لها؛ لأن مَن رَدَّ ما وُهِب له لم يَحْرم عليه، إنما حقيقةُ التحريم بعد التحليل.

وأما من روى أنه حَرَّم مارية القبطيةَ فهو أمثل في السند، وأقرب إلى المعنى؛ لكنه لم يدوَّن في الصحيح، ورُوي مرسلاً: وقد روى ابن وهب، عن مالك، عن زيد ابن أسلم قال: حرَّم رسولُ الله ﷺ أمَّ إبراهيم فقال: «أنتِ عليَّ حرامٌ واللّٰهِ لا آتينَّكِ[٢]». فأنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾[٣] وروى مثله ابنُ القاسم عنه[٤]. وروى أشهب عن مالك قال: راجعتْ عمرَ امرأةٌ له من الأنصار في شيء، فاقشعرَّ من ذلك، وقال: ما كان النساءُ هكذا! قالت: بلى، وقد كان أزواجُ النبيِّ ﷺ يُراجعنه. فأخذ ثوبَه فخرَج إلى حَفْصة فقال لها: أتُراجعين رسولَ اللهِ ﷺ؟ قالت: نعم، ولو أعلم أنك تَكْرَه ما فعلتُ. فلمَّا بلغ عمرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هَجَرَ نساءه قال: رَغِمَ أنْفُ حفصةَ[٥].

وإنّما الصحيحُ أنه كان في العسل وأنه شَرِبه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، وجرَى ما جرَى فحلف ألَّا يشربَه وأسرَّ ذلك. ونزلت الآيةُ في الجميع.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ إن كان النبيُّ ﷺ حرَّم ولم يَحلِف فليس ذلك

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٣ .

(٢) في النسخ عدا (د) و(م): لا أتيتك.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٨٤ بلفظ: «... ووالله لا أطؤكِ».

(٤) في المدونة ٢/ ٣٩٥

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٣ - ١٨٣٤ ، ولم نقف عليه عند غيره من حديث مالك، وأخرج نحوه البخاري في صحيحه (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) (٣١) و(٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه عند البخاري: ... فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم... فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني... وذكره، وسيذكره المصنف ١٨/ ١٨٩ وما بعد.

بيمين عندنا. ولا يُحرِّم قولُ الرجل: «هذا عليَّ حرام» شيئاً حاشا الزوجةَ. وقال أبو حنيفة: إذا أُطلقَ حُمل على المأكول والمشروب دون الملبوس، وكانت يميناً تُوجب الكفارة. وقال زُفَر: هو يمين في الكلّ حتى في الحركة والسكون. وعوَّل المخالفُ على أن النبيَّ ﷺ حرَّم العسل فلزمته الكفارة. وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فسمَّاه يميناً. ودليلُنا قول اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [المائدة:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]. فذمَّ اللهُ المحرِّمَ للحلال، ولم يوجب عليه كفارة[١].

قال الزجاج[٢]: ليس لأحدٍ أن يحرِّم ما أحلَّ اللهُ. ولم يجعل لنبيِّه ﷺ أن يحرِّم إلا ما حرَّم اللهُ عليه. فمن قال لزوجته أو أمتِه: أنتِ عليَّ حرام؛ ولم يَنْوِ طلاقاً ولا ظِهاراً فهذا اللفظُ يوجب كفارةَ اليمين[٣]. ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجاتِ والإماء فعليه كفارةٌ واحدة. ولو حرَّم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يَلزمه بذلك كفارةٌ عند الشافعيِّ ومالك. وتجب بذلك كفارةٌ عند ابن مسعود والثَّوْرِيِّ وأبي حنيفة[٤].

الرابعة: واختلف العلماءُ في الرجل يقول لزوجته: «أنت عليَّ حرام» على ثمانية عشر قولاً:

أحدها: لا شيء عليه. وبه قال الشعبيُّ ومسروق وربيعة وأبو سلمة وأَصْبغ. وهو عندهم كتحريم الماء والطعام[٥]؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٤.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١٩٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٣.

(٤) الكلام بنحوه في إكمال المعلم ٥/ ٢٧، والمفهم ٤/ ٢٥٠.

(٥) إكمال المعلم ٥/ ٢٧، والمفهم ٤/ ٢٤٨.

مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] والزوجة من الطيبات ومما أحلَّ الله. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦]. وما لم يحرِّمه اللهُ فليس لأحدٍ أن يحرِّمه، ولا أن يَصير بتحريمه حراماً. ولم يَثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لِما أحلَّه اللهُ: هو عليَّ حرام. وإنما امتنع من ماريةَ ليمين تقدَّمت منه وهو قوله: «واللهِ لا أقربُها بعد اليوم»[(١)] فقيل له: لم تحرِّم ما أحلَّ اللهُ لك؟ أي: لِمَ تمتنع منه بسبب اليمين؟ يعني: اقْدم عليه وكَفِّر[(٢)].

وثانيها: أنها يمين يكفرها؛ قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبدُ الله بن مسعود[(٣)] وابن عباس[(٤)] وعائشة[(٥)] رضي اللهُ عنهم. وبه قال[(٦)] الأوزاعيُّ؛ وهو مقتضى الآيةِ.

قال سعيد بن جُبير عن ابن عباس: إذا حَرَّم الرجلُ عليه امرأته فإنما هي يمين يُكفِّرها.

وقال ابن عباس: لقد كان لكم في رَسُول اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنة؛ يعني أن النبيَّ ﷺ كان حرَّم جاريته فقال الله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/ ١٨٦ عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ...، وسلف بنحوه ص٦٩ من هذا الجزء.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٦ .

(٣) أخرجه عنهم سعيد بنُ منصور في سننه (١٦٩٥)، وابن أبي شيبة ٥/ ٧٤ من طريق جويبر عن الضحاك أن أبا بكر وعمر وابن مسعود قالوا في الحرام يمين. قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١٧٥: إسناده ضعيف ومنقطع.

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد (١٩٧٦)، والدارقطني (٤٠٠٧) عن عكرمة أن عمر قال: الحرام يمين تكفِّرها. وفيه انقطاع أيضاً؛ عكرمة لم يدرك عمر ﷺ.

(٤) أخرجه عنه البخاري في صحيحه (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٧٣ ، والبيهقي ٧/ ٣٥١ عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) لفظة: به قال. من (ظ). وذكر قوله ابنُ العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠ .

لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فكفَّر عن يمينه وصيَّر الحرام يميناً. خرَّجه الدَّارَقُطْنيُ[١].

وثالثها: أنها تجب فيها كفارةٌ وليست بيمين؛ قاله ابن مسعود وابن عباس أيضاً في إحدى روايتيه، والشافعيُّ في أحد قوليه[٢]، وفي هذا القول نظرٌ. والآية تردُّه على ما يأتي.

ورابعها: هي ظِهار؛ ففيها كفارة الظِّهار، قاله عثمان وأحمد بن حنبل وإسحاق[٣].

وخامسها: أنه إن نوى الظِّهارَ وهو ينوي أنها محرَّمة كتحريم ظَهرِ أُمِّه كان ظِهاراً. وإن نوى تحريمَ عَيْنها عليه بغير طلاقٍ تحريماً مطلقاً وجبت كفَّارةُ يمين. وإن لم ينو شيئاً فعليه كفارة يمين، قاله الشافعيُّ[٤].

وسادسها: أنها طلقة رجعية، قاله عمر بن الخطاب والزُّهْرِيُّ وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجِشُون[٥].

وسابعها: أنها طلقة بائنة؛ قاله حماد بن سلمة[٦] وزيد بن ثابت. ورواه ابن خُوَيْزِمَنْدَاد عن مالك[٧].

---

(١) برقم (٤٠٠٨)، وهو من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهونفسه حديث البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣)، والسالف آنفاً.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥ .

(٣) المصدر السابق، وذكره عن إسحاق القاضي عياض في إكمال المعلم ٥/ ٢٧ ، وأبو العباس في المفهم ٤/ ٢٤٨ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦ .

(٥) وقع في (م) و(د) و(ظ) و(ف): وعبد العزيز بن أبي سلمة وابن الماجشون. وفي (ق): والماجشون. والمثبت من (خ)وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥. وهو الصواب والله أعلم. وذكر هذا القول عن عبد العزيز بن أبي سلمة - أيضاً - القاضي عياض في إكمال المعلم ٥/ ٢٤ ، وأبو العباس القرطبي في المفهم ٤/ ٢٤٩ .

(٦) في والنسخ عدا (ظ): حماد بن أبي سليمان. والمثبت من (ظ) وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥ .

(٧) هو عن زيد في الكشاف ٤/ ١٢٦ ، وعن ابن خويزمنداد عن مالك في أحكام القرآن لابن العربي، وإكمال المعلم ٥/ ٢٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠ ، والمفهم ٤/ ٢٤٩ .

وثامنها: أنها ثلاث تطليقات، قاله علي بنُ أبي طالب وزيد بن ثابت أيضاً وأبو هريرة[١].

وتاسعها: هي في المدخول بها ثلاث، ويُنوى في غير المدخول بها، قاله الحسن وعلي بن زيد والحكم. وهو مشهور مذهب مالك[٢].

وعاشرها: هي ثلاث؛ ولا يُنوى بحالٍ ولا في محل وإن لم يدخل بها[٣]، قاله عبد الملك في المبسوط، وبه قال ابن أبي لَيْلى[٤].

وحادي عشرها: هي في التي لم يَدخل بها واحدة، وفي التي دخل بها ثلاثٌ؛ قاله أبو مصعب ومحمد بنُ عبد الحكم[٥].

وثاني عشرها: أنه إن نوى الطلاقَ أو الظِّهار كان ما نَوَى. فإنْ نوى الطلاقَ فواحدة بائنة إلا أن ينويَ ثلاثاً. فإن نوى اثنتين فواحدة. فإن لم ينو شيئاً كانت يميناً، وكان الرجلُ مُولِياً من امرأته؛ قاله أبو حنيفة وأصحابُه. وبمثله قال زُفَر؛ إلا أنه قال: إذا نوى اثنتين ألزمناه[٦].

وثالث عشرها: أنه لا تنفعه نِيَّةُ الظِّهار، وإنما يكون طلاقاً؛ قاله ابن القاسم.

ورابع عشرها: قال يحيى بن عمر: يكون طلاقاً؛ فإن ارتجعها لم يَجز له وَطْؤُها حتى يكفِّر كفّارةَ الظِّهار[٧]. وخامس عشرها: إن نوى الطلاقَ فما أراد من أعداده.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥ .

(٢) المفهم ٤/ ٢٤٩ .

(٣) لفظه: بها. من (ظ) والمفهم.

(٤) المفهم، وذكرها ـ أيضاً ـ ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٦ ، والقاضي عياض في إكمال المعلم ٥/ ٢٣ . وقوله: وإن لم يدخل، ليست في أحكام ابن العربي. وجاءت العبارة في إكمال المعلم والمفهم: ولا يُنوى في أقل وإن لم يدخل بها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦ ، وإكمال المعلم ٥/ ٢٤ ، والمفهم ٤/ ٢٤٩ .

(٦) المفهم ٤/ ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ووقع في (ظ): لزمتاه، بدل: ألزمناه. وهو موافق لإكمال المعلم ٥/ ٢٧ ، والمسألة ذكرها أيضاً ابن العربي في أحكامه ٤/ ١٨٣٥ ، والقاضي عياض في الإكمال بنحوه.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥ .

وإن نوى واحدة فهي رجعيةٌ. وهو قول الشافعيِّ ﷺ. وروي مثله عن أبي بكر وعمر وغيرهما[١] من الصحابة والتابعين.

وسادس عشرها: إن نوى ثلاثاً فثلاثاً، وإن نوى واحدةً فواحدةٌ. وإن نوى يميناً فهي يمين. وإن لم يَنْوِ شيئاً فلا شيء عليه. وهو قولُ سفيان. وبمثله قال الأوزاعيُّ وأبو ثور؛ إلا أنهما قالا: إن لم يَنْو شيئاً فهي واحدة.

وسابع عشرها: له نِيَّتُه ولا يكون أقل من واحدة؛ قاله ابن شهاب.

وإن لم يَنْو شيئاً لم يكن شيء؛ قاله ابن العربي[٢]. ورأيت لسعيد بن جُبير وهو:

الثامن عشر: أن عليه عِتْق رَقَبة وإن لم يجعلها ظِهاراً. ولست أعلم لها وجهاً ولا يبعد[٣] في المقالات عندي.

قلت: قد ذكره الدَّارَقُطْنيُّ في سننه عن ابن عباس فقال: حدَّثنا الحسين بن إسماعيل قال: حدّثنا محمد بن منصور قال: حدَّثنا رَوْح قال: حدّثنا سفيان الثَّوْري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي عليَّ حراماً. فقال: كذبت! ليست عليك بحرام؛ ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ الآية عليك أغلظُ الكفارات: عِتْقُ رَقَبةٍ[٤].

وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفّر عن يمينه بعتق رقبة، وعاد إلى مارية ﷺ؛ قاله زيد بن أسلم[٥] وغيره[٦].

---

(١) في النسخ عدا (ظ): وغيرهم. والمثبت من (ظ) والمفهم ٤/ ٢٤٩ ، والكلام وما سيأتي منه.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٦ ، وما سيأتي منه.

(٣) بدلها في أحكام القرآن: ولا يتعدد.

(٤) سنن الدارقطني (٤٠١٦)، وهو عند النسائي ٦/ ١٥١ ، وفي الكبرى (٥٥٨٣)، والحاكم ٢/ ٤٩٣ - ٤٩٤ . وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٥) في (ظ): ثابت.

(٦) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٦٥ دون نسبة، ونسبه الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٢٦ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ٤٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٢٨/ ١٢٢ لقتادة.

الخامسة: قال علماؤنا: سببُ الاختلاف في هذا الباب أنه ليس في كتاب الله ولا في سُنّة رسول الله ﷺ نصٌّ ولا ظاهرٌ صحيحٌ يُعتمد عليه في هذه المسألة، فتجاذبها العلماء لذلك. فمن تمسَّك بالبراءة الأصلية فقال: لا حكم، فلا يلزم بها شيء[١]. وأما من قاله: إنها يمين؛ فقال: سَمَّاها اللهُ يميناً. وأما مَن قال: تجب فيها كفارة وليست بيمين؛ فبناه على أحد أمرين: أحدهما: أنه ظنَّ أن الله تعالى أوجب الكفارةَ فيها وإن[٢] لم تكن يميناً. والثاني: أن معنى اليمين عنده التحريمُ، فوقعت الكفارة على المعنى.

وأما من قال: إنها طلقة رجعية؛ فإنه حمل اللفظ على أقلِّ وجوهه، والرجعية محرِّمة الوطء كذلك؛ فيحمل اللفظ عليه. وهذا يلزم مالكاً؛ لقوله: إن الرجعية محرِّمة الوطء. وكذلك وجه من قال: إنها ثلاث، فحمله على أكثر معناه، وهو الطلاق الثلاث.

وأما من قال: إنه ظهار، فلأنه أقلُّ درجات التحريم، فإنه تحريمٌ لا يرفع النكاح.

وأما من قال: إنه طلقة بائنة، فَعَوَّل على أن الطلاق الرجعيَّ لا يحرِّم المطلقة، وأن الطلاق البائن يحرِّمها. وأما قول يحيى بن عمر فإنه احتاط بأن جعله طلاقاً، فلمَّا ارتجعها احتاط بأن يلزمه الكفَّارة. ابن العربي[٣]: وهذا لا يصحُّ لأنه جمع بين المتضادَّين، فإنه لا يجتمع ظِهارٌ وطلاق في معنى لفظ واحد، فلا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه في الدليل.

وأما من قال: إنه يُنَوَّى في التي لم يدخل بها، فلأن الواحدة تُبينُها وتحرِّمها شرعاً إجماعاً. وكذلك قال من لم يحكم باعتبار نيته: إن الواحدة تكفي قبل الدخول في التحريم بالإجماع، فيكفي أخذاً بالأقل المتفَق عليه.

---

(١) المفهم ٤/ ٢٥٠.

(٢) لفظة: إن، من (م). والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٧ - ١٨٣٨. وما قبله منه.

وأما من قال: إنه ثلاث فيهما؛ فلأنه أخذ بالحكم الأعظم، فإنه لو صرَّح بالثلاث لنفذت في التي لم يدخل بها نفوذَها في التي دخل بها. ومن الواجب أن يكون المعنى مثله وهو التحريم. واللَّهُ أعلم. وهذا كلُّه في الزوجة. وأما في الأَمَة فلا يَلزم فيها شيءٌ من ذلك، إلا أن يَنوي به العتقَ عند مالك. وذهب عامَّةُ العلماء إلى أنَّ عليه كفارةَ يمين[١]. ابن العربي[٢]: والصحيحُ أنها طلقةٌ واحدة؛ لأنه لو ذكَر الطلاقَ لَكان أقلّه وهو الواحدة إلا أن يعدِّده. كذلك إذا ذَكَر التحريمَ يكون أقلّه إلا أن يقيِّده بالأكثر، مثل أن يقول: أنتِ عليَّ حرامٌ إلا بعد زوج، فهذا نصٌّ على المراد.

قلت: أكثرُ المفسرين على أن الآية نَزلت في حفصة لمَّا خلا النبيُّ ﷺ في بيتها بجاريته؛ ذكره الثعلبيُّ. وعلى هذا فكأنه قال: لا يَحْرُم عليك ما حرَّمتَه على نفسك ولكن عليك كفارة يمين، وإن كان في تحريم العسل والجارية أيضاً. فكأنه قال: لم يَحْرُم عليك ما حَرَّمتَه، ولكن ضَمَمْتَ إلى التحريم يميناً فكفِّر عن اليمين. وهذا صحيحٌ، فإن النبيَّ ﷺ حَرَّم ثم حلَف، كما ذكره الدَّارَقُطْنيُّ[٣]. وذكر البخاريُّ[٤] معناه في قصة العَسَل: عن عبيد بن عُمير، عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ يشْرَب عند زينب بنت جَحْش عسلاً ويَمكُث[٥] عندَها، فتواطأتُ أنا وحفصةُ على: أيَّتُنا دخَل عليها فلْتَقُلْ: أكلتَ مَغَافِير؟ إني لأَجدُ منك رِيحَ مَغَافير! قال: «لا، ولكن شربتُ عسلاً، ولن أعود له، وقد حلَفتُ. لا تُخبري بذلك أحداً». يبتغي مرضات أزواجه. فيعني بقوله: «ولن أعود له» على جهة التحريم. وبقوله: «حلفت» أي: باللَّهِ، بدليل أنَّ اللَّهَ تعالى أنزَل عليه عند ذلك معاتبتَه على ذلك، وحوالته على كفَّارة اليمين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ يعني العسلَ المحرّمَ بقوله: «لن أعود له».

---

(١) المفهم ٤/ ٢٥٠ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٣٨ .

(٣) في سننه (٤٠١٣)، وسلف ص٦٩ من هذا الجزء.

(٤) في صحيحه (٤٩١٢) وسلف ص٦٧ من هذا الجزء.

(٥) في (ظ): ويواظب.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تفعل ذلك طلباً لرضاهن. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفورٌ لما أوجب المعاتبة، رحيمٌ برفع المؤاخذة[١]. وقد قيل: إن ذلك كان ذنباً من الصغائر. والصحيحُ أنه معاتبةٌ على ترك الأولى، وأنَّه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة[٢].

قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليل اليمين كفّارتها، أي: إذ أحببتم استباحة المحلوف عليه، وهو قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [الآية:٨٩]. ويتحصل من هذا أن من حَرَّم شيئاً من المأكول أو[٣] المشروب لم يَحْرُم عليه عندنا؛ لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيَّنَّاه[٤]. وأبو حنيفة يراه يميناً في كل شيء، ويعتبرُ الانتفاعَ المقصود فيما يحرِّمه، فإذا حَرَّم طعاماً فقد حلَف على أكله، أو أَمَةً فعلى وطئها، أو زوجةً فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية، وإن نوى الظِّهار فظهارٌ، وإن نوى الطلاق فطلاقٌ بائن. وكذلك إن نوى ثنتين أو ثلاثاً. وإن قال: نَوَيتُ الكذب؛ دِينَ فيما بينه وبين اللهِ تعالى. ولا يَدينُ في القضاء بإبطال الإيلاء. وإن قال: كلُّ حلال علي[٥] حرام؛ فعلى الطعام والشراب إذا لم يَنْو، وإلا فعلى ما نَوَى. ولا يراه الشافعيُّ يميناً ولكن سبباً في الكفارة [في النساء] وحدَهن. وإنْ نوى الطلاقَ فهو رجعيٌّ عنده[٦]، على ما تقدَّم بيانه[٧]. فإن حلَف ألا

(١) المفهم ٤/ ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) الكلام بنحوه في تفسير القشيري ٣/ ٦٠٤ .

(٣) في (د) و(م): و.

(٤) ص٧٠-٧١ من هذا الجزء.

(٥) في النسخ عدا (ظ): عليه، والمثبت من (ظ) والكشاف ٢/ ١٢٥ .

(٦) الكشاف ٤/ ١٢٥ - ١٢٦ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٤٢ ، وما بين حاصرتين منهما.

(٧) ص٧٤ من هذا الجزء.

يأكله حنِث ويَبَرُّ[١] بالكفارة.

الثانية: فإن حَرَّم أَمَته أو زوجته فكفَّارةُ يمين، كما في صحيح مسلم[٢] عن ابن عباس قال: إذ حَرَّم الرجل عليه امرأته، فهي يمين يكفِّرها. وقال: لقد كان لكم في رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

الثالثة: قيل: إن النبيَّ ﷺ كفَّر عن يمينه. وعن الحسن: إنه[٣] لم يكفِّر؛ لأن النبيَّ ﷺ قد غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وكفارةُ اليمين في هذه السورة إنما أمر بها الأمَّة. والأول أصحُّ، وأن المراد بذلك النبيُّ ﷺ.

ثم إن الأمَّة تقتدي به في ذلك. وقد قدَّمنا[٤] عن زيد بن أسلم أنه عليه الصلاة والسلام كفَّر بعتق رقبةٍ. وعن مقاتل: أن رسول الله ﷺ أعتق رقبةً في تحريم مارية[٥]. والله أعلم.

وقيل: أي: قد فرَضَ اللهُ لكم تحليلَ مِلْك اليمين، فبيَّن في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٨] أي: فيما شرَعه له في[٦] النساء المحلَّلات. أي: حلَّل لكم مِلكَ الأيمان[٧]، فلم تُحَرِّم مارية على نفسك مع تحليل الله إيَّاها لك؟

وقيل: تحِلَّةُ اليمين الاستثناء، أي: فرض الله لكم الاستثناءَ المخرج عن اليمين[٨]. ثم عند قوم يجوز الاستثناء من الأيمان متى شاء وإن تَحلَّل مدَّةً. وعند

---

(١) في (ظ): وأُمر.

(٢) برقم (١٤٧٣): (١٩)، وسلف ص٧٢ من هذا الجزء.

(٣) لفظه: إنه من (ظ) والكشاف ٤/ ١٢٦ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٤٤ ، والكلام منهما.

(٤) ص٧٥ من هذا الجزء.

(٥) الكشاف ٤/ ١٢٦ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٤٤ ، ومجمع البيان ٢٨/ ١٢٢.

(٦) في (ظ): من.

(٧) (ظ): اليمين.

(٨) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٦/ ٣٩ ، والكشاف ٤/ ١٢٥ .

المُعْظَم لا يجوز إلا متصلاً، فكأنه قال: استثنِ بعد هذا فيما تحلِف عليه.

وتَحلَّةُ اليمين تَحليلُها بالكفارة[١]، والأصل تحللة، فأدغمت. وتفعلة من مصادر فَعَّل؛ كالتَّسمية والتَّوصية[٢]. فالتَّحلَّة: تحليلُ اليمين. فكأن اليمين عَقْدٌ والكفارة حلٌّ. وقيل: التَّحلَّة: الكفارة، أي: إنها تُحِلُّ للحالف ما حَرَّم على نفسه، أي: إذا كَفَّرَ صار كمن لم يحلِف. ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: وَلِيُّكم وناصركم بإزالة الحظر فيما تحرِّمونه على أنفسكم، وبالترخيص لكم في تحليل أيمانكم بالكفارة، وبالثواب على ما تخرجونه في الكفّارة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ أي: واذكر إذ أسرَّ النبيُّ إلى حفصة «حَدِيثاً» يعني تحريمَ مارية على نفسه واستكتامه إياها ذلك[٤]. وقال الكَلْبيُّ: أسرَّ إليها أن: أباك وأبا عائشة يكونان خليفتَيَّ على أُمَّتي من بعدي؛ وقاله ابن عباس[٥]؛ قال: أسرّ أمر الخلافة بعده إلى حفصة فذكرته حفصة. روى الدَّارَقُطْنيُّ في سننه عن الكَلْبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: اطَّلعت حفصةُ على النبيِّ ﷺ مع أم إبراهيم فقال: «لا تخبري عائشة» وقال لها: «إن أباك وأباها سيملكان ـ أو سَيَلِيَان ـ بعدي فلا تخبري عائشة»

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٣ .

(٢) الوسيط ٤/ ٣١٨، وزاد المسير ٨/ ٣٠٦ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٣ بنحوه.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (ظ): وقال ابن عباس. وذكر هذين القولين البغوي في تفسيره ٤/ ٣٦٤ وينظر الدر المنثور ٦/ ٢٤٠ .

قال: فانطلقت حفصة فأخبرت عائشةَ، فأظهره اللَّهُ عليه، فعرَّف بعضَه وأعرَض عن بعض. قال: أعرَضَ عن قوله: «إن أباكِ وأباها يكونان بعدي». كَرِه رسولُ الله ﷺ أن يُنشَر ذلك في الناس[١]. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرت به عائشةَ لمصافاة كانت بينهما، وكانتا متظاهرتين على نساء النبيِّ ﷺ. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه اللهُ على أنها قد نَبَّأت به[٢].

وقرَأ طلحة بن مُصرِّف: «فلما أنبأت»[٣] وهما لغتان: أنبأ ونبَّأ[٤]. ومعنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۢ﴾: عَرَّف حفصةَ بعضَ ما أوحي إليه من أنها أخبرَت عائشةَ بما نهاها عن أن تخبرها، وأعرَض عن بعض تَكَرُّماً؛ قاله السُّدّيّ[٥]. وقال الحسن: ما استقصى كريمٌ قطُّ[٦]، قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۢ﴾.

وقال مقاتل: يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة، وهو حديث أمِّ ولده، ولم يخبرها ببعضٍ؛ وهو قول حفصة لعائشة: إن أبا بكر وعمر سيملكان بعده[٧].

وقراءة العامة: «عَرَّفَ» مشدَّداً[٨]، ومعناه ما ذكرناه.

واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۢ﴾ أي: لم يعرِّفها إياه. ولو كانت مخففة لقال في ضدِّه: وأنكر بعضاً[٩].

---

(١) سنن الدارقطني (٤٣٠٢)، وفي إسناده الكلبي، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب ص٤١٥: متهمٌ بالكذب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٤.

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦١.

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٤٠ بنحوه.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١، وزاد المسير ٨/ ٣٠٩.

(٧) لم نقف عليه من قول مقاتل، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٤٠ عن الضحاك، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٠٩ عن ابن عباس، والضعف في الخبر ظاهر.

(٨) السبعة ص٦٤٠، والتيسير ص ٢١٢.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦١، وبنحوه في الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٢٦.

وقرأ عليٌّ وطلحة بن مُصَرِّف وأبو عبد الرحمن السُّلَميُّ والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والأعمش، عن أبي بكر: «عَرَف»مخففَّة[١].

قال عطاء: كان أبو عبد الرحمن السُّلمي إذا قرَأ عليه الرجلُ: «عرّف» مشدّدةً حَصَبه بالحجارة.

قال الفرَّاء[٢]: وتأويل قوله عزَّ وجلَّ: «عَرَف بَعْضَهُ» بالتخفيف، أي: غضب فيه وجازى عليه؛ وهو كقولك لمن أساء إليك: لأعرفَنَّ لك ما فعلت، أي: لأجازِيَنَّك عليه. وجازاها النبيُّ ﷺ بأن طلَّقها طلقةً واحدة. فقال عمر: لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلَّقكِ[٣]. فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها. واعتَزل النبيُّ ﷺ نساءه شهراً، وقعَد في مَشْرُبَةِ مارية أمِّ إبراهيم حتى نَزَلت آيةُ التحريم[٤] على ما تقدَّم[٥].

وقيل: هَمَّ بطلاقها حتى قال له جبريل: لا تطلِّقها فإنها صوَّامة قوَّامةٌ، وإنها من نسائك في الجنة. فلم يطلِّقها[٦]. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: أخبر حفصةَ بما أظهره الله عليه. ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ يا رسولَ الله عني. فظنَّت أن عائشة أخبرته، فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أي: الذي لا يخفى عليه شيء[٧]. و«هذا» سدَّ

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٩١-٩٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣١ ، وجامع البيان للداني ٢/ ٤٤٦.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ١٦٦ وما قبله منه.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٤ ، والكشاف ٤/ ١٢٤.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٤ .

(٥) الذي سلف ص٦٩ من هذا الجزء أنه ﷺ اعتزل نساءه شهراً، وأما أنه ﷺ قعد في مشربة مارية رضي الله عنها فسيأتي قريباً عند الآية (٤) من السورة، ص٨٦ من هذا الجزء.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٠٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ١٨٨ (٣٠٦)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٥٠من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، بلفظ: أراد رسول الله ﷺ أن يطلق حفصة.... الحديث قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٤٤: رواه البزار والطبراني وفي إسناديهما الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف .اهـ. وسلف ١٤/ ١٦٥ و١٨/ ١٤٨.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٢ - ٩٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٠ بنحوه.

مسدَّ مفعولَي «أنْبَأ». و«نبَّأ»[١] الأول تعدّى إلى مفعولَين[٢]، و«نبَّأ الثاني تعدَّى إلى مفعول واحدٍ، لأن نَبَّأ وأنبأ إذا لم يدخلا على المبتدأ والخبر جاز أن يكتفى فيهما بمفعولٍ واحد وبمفعولين، فإذا دخَلا على الابتداء والخبر تعدَّى كلٌّ واحدٍ منهما إلى ثلاثة مفاعيل[٣]. ولم يجز الاقتصارُ على الاثنين دون الثالث؛ لأن الثالث هو خبر المبتدأ في الأصل فلا يقتصر دونه، كما لا يقتصر على المبتدأ دون الخبر[٤].

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني حفصة وعائشة[٥]، حَثَّهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسولِ الله ﷺ. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: زاغَتْ ومالت عن الحقِّ. وهو أنهما أَحَبَّتَا ما كَرِه النبيُّ ﷺ من اجتناب جاريته واجتناب العسل[٦]، وكان عليه الصلاة والسلام يحبُّ العسل[٧] والنساء[٨].

---

(١) في (خ) و(د) و(ظ) و(ف) أنبأ.

(٢) المثبت من (خ)، وفي غيرها: مفعول، وهو خطأ.

(٣) في النسخ عدا (ظ): ثلاثة مفعولين.

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١ .

(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٠ بنحوه

(٧) سلف أول السورة عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يحب الحلواء والعسل.

(٨) يشير المصنف رحمه الله إلى قوله ﷺ: «حبِّب إليّ من الدنيا النساء، والطِّيبُ . . . الحديث، وذلك بما ركّبه الله تعالى في طبع البشر. كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام، فلو أن المصنف أورد لفظ الحديث لكان أليق. وقد سلف ١٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤ من حديث أنس ﷺ.

وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير ٣/ ٣٧١ :... فحبب إليه (النساء) والإكثارُ منهن؛ لنقل ما بطن من الشريعة مما يستحيى من ذِكره مِن الرجال، ولأجل كثرة سواد المسلمين، فكأنه يقول: حبي لهاتين الخصلتين إنما هو لأجل غيري.

قال ابن زيد: مالت قلوبُهما بأن سَرَّهما أن يحتبس عن أم ولده، فسرَّهما ما كَرِهه رسولُ الله ﷺ(١). وقيل: فقد مالت قلوبكما إلى التوبة(٢).

وقال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ولم يقل: فقد صغى قلباكُما، ومن شأن العرب إذا ذكروا الشَّيئين من اثنين جمعوهما، لأنه لا يُشْكِل. وقد مضى هذا المعنى في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(٣) [الآية: ٣٧].

وقيل: كلُّ ما ثبتت الإضافةُ فيه مع التثنية فلفظ الجمع أليقُ به؛ لأنه أمكن وأخفُّ.

وليس قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ جزاء للشرط؛ لأن هذا الصَّغْو كان سابقاً، فجواب الشرط محذوف للعلم به، أي: إن تتوبا كان خيراً لكما، إذ قد صغَت قلوبكما(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي: تتظاهرا وتتعاونا على النبيِّ ﷺ بالمعصية والإيذاء(٥). وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: مكثت سنةً وأنا أريد أن أسألَ عمر بنَ الخطاب عن آية، فما أستطيعُ أن أسأله هيبةً له، حتى خَرَج حاجّاً، فخرجت معه، فلمَّا رجَع فكنَّا ببعض الطريق عَدَل إلى الأراك لحاجة له، فوقفتُ حتى فرَغ، ثم سِرْت معه فقلت: يا أميرَ المؤمنين، مَن اللتان تظاهرَتا على رسولِ الله ﷺ مِن أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة. قال: فقلت له: واللهِ إنْ كنتُ لأريد أن أسألَك عن هذا منذُ سنة فما أستطيع هيبةً لك. قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٩٤ .

(٢) تفسير أبي الليث السمرقندي ٤/ ٣٨٠ بنحوه.

(٣) ٧/ ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٤ بنحوه.

(٥) زاد المسير ٨/ ٣١٠ .

فسَلْني عنه، فإن كنتُ أعلمُه أخبرتُك... وذكر الحديث[١]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: وَلِيُّه وناصره[٢]، فلا يضرُّه ذلك التظاهرُ منهما .﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عكرمة وسعيد بنُ جُبير: أبو بكر وعمر؛ لأنهما أبوا عائشة وحفصة، وقد كانا عوناً له عليهما[٣].

وقيل: صالح المؤمنين: عليٌّ ﷺ[٤].

وقيل: خيار المؤمنين[٥].

وصالح: اسمُ جنسٍ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١-٢]، قاله الطَّبَريّ[٦].

وقيل: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هم: الأنبياء، قاله العَلَاء بن زياد[٧] وقتادة وسفيان[٨].

وقال ابن زيد: هم الملائكة. السُّدّيُّ: هم أصحاب محمدٍ ﷺ[٩].

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٩): (٣١)، وهو عند البخاري (٤٩١٣)، وسلفت قطعة منه ١/ ٤٧ .
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٢٨٠ في قوله: «فكنا ببعض الطريق»: المكان المذكور هو: مر الظهران، كما عينه مسلم: [(١٤٧٩) (٣٢) (٣٣).] والأراك هي الشجرة التي يتخذ منها المساويك، دخلها عمر ﷺ مستتراً بها، ينظر عمدة القاري ١٩/ ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٧ ، والكشاف ٤/ ١٢٧ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٤١، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٠-٣٨١ . وزاد المسير ٨/ ٣١٠ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٤١ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٩٧ - ٩٨ عن الضحاك.

(٦) في تفسيره ٢٣/ ٩٨ .

(٧) في (م): العلاء بن زيادة، وفي (ظ): العلاء بن عبد الرحمن. والمثبت من باقي النسخ الخطية والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢، والدر المنثور ٦/ ٢٤٤ وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٠٢ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٩٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢، والنكت والعيون ٦/ ٤١ .

(٩) النكت والعيون ٦/ ٤١ .

وقيل: «صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» ليس لفظ الواحد[١] وإنما هو: صالحو المؤمنين، فأضاف الصالحين إلى المؤمنين، وكُتب بغير واو على اللفظ؛ لأن لفظ الواحد والجمع واحدٌ فيه. كما جاءت أشياء في المصحف متنوّع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] عن ابن عباس قال: حدَّثني عمر بن الخطاب ﷺ قال: لمَّا اعتزَل نبيُّ الله ﷺ نساءه قال دخلتُ المسجدَ فإذا الناسُ يَنْكُتُون[٤] بالحصى ويقولون: طلَّق رسولُ الله ﷺ نساءه ـ وذلك قبل أن يُؤْمَرْنَ بالحجاب ـ فقال عمر: فقلت: لأَعْلَمَنَّ ذلك اليومَ، قال فدخلتُ على عائشة فقلت: يا بنة أبي بكر، أَقَد بَلَغ من شأنكِ أن تؤذي رسولَ الله ﷺ! فقالت: مالي ومالكَ يا ابن الخطاب، عليك بِعَيْبَتِكَ[٥]! قال: فدخلت على حفصةَ ابنة عمرَ، فقلت لها: يا حفصةُ، أَقَد بلغ من شأنِكِ أن تؤذي رسولَ الله ﷺ! واللَّهِ لقد علمتِ أنَّ رسولَ الله ﷺ لا يُحبُّكِ، ولولا أنا لَطلَّقكِ رسولُ الله ﷺ. فبكت أشدَّ البكاء، فقلت لها: أين رسولُ الله ﷺ؟ قالت: هو في خِزانتهِ في الْمَشْرُبَةِ. فدخلت فإذا أنا بِرَباحٍ غلامِ رسولِ الله ﷺ قاعداً على أُسْكُفَّةِ المَشْرُبَةِ[٦] مُدَلٍّ رجليه على نَقِيرٍ[٧] من خشب، وهو جِذْعٌ يَرْقَى عليه رسولُ الله ﷺ

---

(١) في (ظ) المؤمن.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٧، وبنحوه في مجمع البيان للطبرسي ٢٨/ ١٢٣ .

(٣) برقم (١٤٧٩)، وهو عند البخاري (٢٤٦٨) وما بين حاصرتين من مسلم. وهو جزء من الحديث السالف آنفاً .

(٤) «ينكتون الحصى» أي: يضربون به الأرضَ، فعلَ المشغول السرِّ الواجم. إكمال المعلم ٥/ ٤١ .

(٥) أي: بخاصتك وموضع سرِّك، وتعني بذلك ابنتَه حفصة. المفهم ٤/ ٢٦٠ - ٢٦١ وجاءت العبارة في (ظ): عليك ببنتك، وفي (د) اذهب إلى ابنتك.

(٦) الأُسكفّة: عتبة الباب. والمشرُبَةُ: الغرفة.

(٧) النقير ـ كما فسره في الحديث ـ: جذع يُنقر ويُجعل فيه شبه المراقي؛ يُصعَدُ عليه إلى الغُرَف. النهاية (نقر). وجاء في (ظ): فقير، بدل نقير وهو موافق لما في المفهم ٤/ ٢٦١ . قال أبو العباس: هو الذي جُعلت فيه فِقَر كالدرج يصعد عليها.

وينحَدرُ. فناديت: يا رباحُ، استأذِن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظَر رَباحٌ إلى الغُرْفة ثم نظَر إليَّ، فلم يَقُل شيئاً. ثم قلت: يا رَبَاح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظَر رَبَاحٌ إلى الغرفة ثم نظَر إليَّ، فلم يَقُل شيئاً. ثم رفعت صوتي فقلت: يَا رَباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فإني أظنُّ أن رسولَ الله ﷺ ظنَّ أني جئتُ من أجل حفصة، واللهِ لئن أمرني رسولُ الله ﷺ بضرب عُنُقِها. لأضربنَّ عنقها. ورفعتُ صوتي. فأَوْمَأَ إليَّ: أنِ ارْقَهْ. فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على حصير، فجلست، فَأَدْنَى عليه إزارَه وليس عليه غيرُه؛ وإذا الحَصيرُ قد أثَّرَ في جنبه، فنظرتُ ببصري في خِزانة رسولِ الله ﷺ ، فإذا أنا بِقَبضَةٍ من شعيرٍ نحوِ الصَّاع، ومِثلِها قَرَظاً(١) في ناحية الغُرْفة؛ وإذا أَفِيقٌ(٢) معلَّق، قال: فابتدرتْ عيناي. قال: «ما يُبْكيك يا ابن الخطاب»؟ قلت: يا نبيَّ الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّرَ في جنبك، وهذه خِزانتُك لا أرى فيها إلا ما أرى! وذاك قَيْصَرُ وكِسْرى في الثِّمار والأنهار وأنت رسولُ الله صلَى اللهُ عليك وصَفْوَتُه، وهذه خِزانتك! فقال: «يا ابن الخطاب. ألا ترضى أن تكون لنا الآخرةُ ولهم الدنيا؟» قلت: بلى. قال: ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضبَ، فقلت: يا رسولَ اللهِ، ما يشقُّ عليك من شأنِ النساء؛ فإن كنتَ طلَّقتهن، فإن اللهَ معك وملائكتَه وجبريلَ وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلَّما تكلَّمتُ ـ وأَحْمَدُ الله ـ بكلامٍ إلا رَجَوتُ أن يكون اللهُ عزَّ وجلَّ يُصدِّق قولي [الذي أقولُ]. ونزلت هذه الآيةُ، آيةُ التَّخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾. و﴿إِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. وكانت عائشة بنتُ أبي بكر وحفْصَةُ تَظاهرانِ على سائر نساء رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسولَ الله، أطلَّقتَهنَّ؟ قال: «لا». قلت: يا رسولَ الله، إني دخلت المسجدَ والمسلمون يَنْكُتُون بالحصى يقولون: طلَّق رسولُ الله ﷺ

(١) هو ورق السَّلَم. النهاية (قرظ). والسَّلم شجر يُصبغ به.

(٢) الأَفِيقُ: الجلد لم يتم دباغه. إكمال المعلم ٥/ ٤١ .

نساءَه، أفأُنزل فأخبرَهم أنك لم تطلِّقهن؟ قال: «نعم إن شئت». فلم أزل أحدِّثه حتى تَحَسَّر[(١)] الغضبُ عن وجهه، وحتى كَشَر[(٢)] فضحِك، وكان من أحسن الناسِ ثَغْراً. ثم نزَل نبيُّ الله ﷺ ونزَلتُ؛ فنزلتُ أتشبَّث بالجذْع، ونزَل رسول الله ﷺ كأنَّما يمشي على الأرض ما يمسُّه بيده. فقلت: يا رسول الله، إنما كنتَ في الغرفة تسعاً وعشرين. قال: «إن الشهر يكون تسعاً وعشرين» فقمتُ على باب المسجد فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلِّق رسولُ الله ﷺ نساءه. ونزَلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]. فكنت أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ؛ وأنزَل اللهُ آيةَ التخيير.

قوله تعالى: ﴿وجبريلُ﴾ فيه لغات تقدَّمت في سورة البقرة[(٣)]. ويجوزُ أن يكون معطوفاً على «مَوْلَاهُ» والمعنى: اللَّهُ وَلِيُّهُ وجبريلُ ولِيُّهُ؛ فلا يوقف على «مَوْلَاهُ»، ويوقف على «جِبْرِيلُ»، ويكون «وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» مبتدأً «والْمَلَائِكَةُ» معطوفاً عليه، و«ظَهِيرٌ» خبراً؛ وهو بمعنى الجمع[(٤)]. وصالح المؤمنين أبو بكر؛ قاله المسيّب بن شريك. وقال سعيد بن جُبير: عمر[(٥)]. وقال عكرمة: أبو بكر وعمر[(٦)]. وروى شقيق عن عبد الله عن النبيّ ﷺ في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ قال: إن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر[(٧)]. وقيل: هو عليٌّ. عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾: عليُّ بن أبي

---

(١) في (ظ) نحيتُ.

(٢) قال ابن السكيت: كشر، وتبسَّم، وابتسم وافترَّ كلها بمعنى واحد، وقال صاحب «الأفعال»: كشر: أبدى أسنانه تبسُّماً أو غضباً .اهـ. المفهم ٤/ ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣) ٢/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣١٠ .

(٦) سلف قريباً .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٥ - ٢٠٦ (١٠٤٧٧)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٢٠ .

طالب»[١]. وقيل غير هذا مما تقدَّم القول فيه .

ويجوز أن يكون «وجِبْرِيلُ» مبتدأ، وما بعده معطوفاً عليه. والخبر: «ظَهِيرٌ» وهو بمعنى الجمع أيضاً[٢]. فيوقف على هذا على «مَوْلَاهُ». ويجوز أن يكون «جِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، معطوفاً على «مَوْلَاهُ» فيوقف على «الْمُؤْمِنِينَ» ويكون «وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» ابتداءً وخبراً. ومعنى «ظَهِيرٌ»: أعوان، وهو بمعنى ظهراء، كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وقال أبو عليّ: قد جاء فعيل للكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ﴾[٣] [المعارج: ١٠-١١].

وقيل: كان التظاهرُ منهما في التحكُّم على النبيِّ ﷺ في النفقة، ولهذا آلى منهنَّ شهراً واعتزلهنَّ .

وفي صحيح مسلم[٤] عن جابر بن عبد الله قال: دخَل أبو بكر يَستأذِنُ على رسول اللهِ ﷺ ، فوجَد الناسَ جلوساً ببابه لم يؤذَن لأحدٍ منهم، قال: فأُذِن لأبي بكرٍ فدخَل، ثم أقبل عمرُ فاستأذن فأُذِن له، فوجَدَ النبيَّ ﷺ جالساً حَوْله نساؤه واجماً ساكتاً ـ قال ـ فقال: لَأَقُولَنَّ شيئاً أُضحكُ النبيَّ ﷺ؛ فقال: يا رسولَ الله، لو رأيتَ بنتَ خارِجة سَألَتْني النفقةَ، فقمتُ إليها فَوَجَأْتُ عُنُقَها؛ فضحِك رسول الله ﷺ وقال: «هُنَّ حَوْلي كما ترى يَسألْنَني النفقةَ». فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عُنقَها؛ وقام عمر إلى حفصة يَجَأُ عنقها؛ كلاهما يقول: تَسْأَلْنَ رسولَ الله ﷺ ما ليس عنده! فقلْنَ: واللهِ لا نسألُ رسولَ الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلَهنَّ شهراً أو تسعاً وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] الحديث وقد ذكرناه في سورة الأحزاب[٥].

---

(١) أخرجه ابن مردويه، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢ ، وبنحوه في إملاء ما منَّ به الرحمن ٤/ ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٤ - ٤٥ .

(٤) برقم: (١٤٧٨) (٢٩).

(٥) ١٧/ ١١٧ - ١١٨ .

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ قد تقدّم في الصحيح أن هذه الآيةَ نزلت على لسان عمر ﷺ[1].

ثم قيل: كلُّ «عَسَى» في القرآن واجبٌ؛ إلا هذا. وقيل: هو واجبٌ ولكن الله عزَّ وجل علَّقه بشرطٍ وهو التطليق ولم يطلِّقهن[2]. ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ لأنكنَّ لو كُنتنَّ خيراً منهنَّ ما طلَّقكنَّ رسولُ الله ﷺ، قال معناه السُّدّيّ. وقيل: هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ، لو طلَّقهن في الدنيا أن يزوِّجه في الدنيا نساءً خيراً منهن[3].

وقرئ: «أن يُبدله» بالتشديد والتخفيف[4]. والتبديلُ والإبدال بمعنىً، كالتنزيل والإنزال.

واللهُ كان عالماً بأنه كان لا يطلِّقهنَّ، ولكن أخبر عن قدرته، على أنه إن طلَّقهنَّ أبدله خيراً منهنَّ تخويفاً لهنَّ[5]. وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد:٣٨]. وهو إخبار عن القدرة وتخويفٌ لهم، لا أنَّ في الوجود مَن هو خيرٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ[6].

قوله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ يعني مُخْلِصَات. قاله سعيد بن جُبَير. وقيل: معناه مسلمات لأمرِ الله تعالى وأمرِ رسوله ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: مصدِّقات بما أُمِرن به ونُهين عنه.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٩) وسلف قريباً.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨١، والوسيط ٤/ ٣٢١، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٦.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٤١.

(٤) قرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد، والباقون من السبعة بالتخفيف، السبعة ص٦٤٠ -٦٤١، والتيسير ص١٤٥.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٥.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٧.

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: مطيعات[١]. والقنوت: الطاعة. وقد تقدَّم[٢]. ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ أي: من ذنوبهن؛ قاله السُّدّيُّ. وقيل: راجعات إلى أمرِ رسولِ الله ﷺ؛ تاركات لمحابِّ أنفسِهن[٣]. ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ أي: كثيرات العبادة لله تعالى. وقال ابن عباس: كلُّ عبادة في القرآن فهو التوحيد[٤]. ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: صائمات؛ قاله ابن عباس والحسن وابن جُبير[٥]. وقال زيد بن أسلم وابنه عبدُ الرحمن ويَمَان: مهاجرات[٦]. قال زيد: وليس في أمَّة محمدٍ ﷺ سياحة إلا الهجرة[٧]. والسِّيَاحَة: الجَوَلان في الأرض. وقال الفرّاءُ والقُتَبيُّ وغيرهما: سُمِّي الصائمُ سائحاً لأنَّ السائحَ لا زاد معه، وإنما يأكلُ من حيثُ يجدُ الطعامَ[٨].

وقيل: ذاهبات في طاعة اللهِ عزَّ وجلَّ[٩]؛ مِن ساح الماءُ: إذا ذهب. وقد مضى في سورة براءة[١٠] والحمدُ لله. ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: منهنَّ ثَيِّبٌ ومنهن بِكْرٌ. وقيل: إنما سُمِّيَت الثَّيِّب ثيِّباً لأنها راجعةٌ إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها. وقيل: لأنها ثابَتْ إلى بيتِ أبويها. وهذا أصحُّ؛ لأنه ليس كل ثَيِّبٍ تعود إلى زوج. وأما البِكْرُ فهي العذراءُ؛ سُمِّيت بِكْراً لأنها على أوَّل حالتها التي خُلقت بها. وقال الكلبيُّ: أراد بالثَّيِّب مثلَ آسية امرأة فرعون، وبالبكر مثلَ مريم ابنة عمران[١١].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٤١ .

(٢) ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤ ، ٣/ ١٨٣ - ١٨٥ و١٩٠ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٤٢ .

(٤) تفسير أبي الليث السمرقندي ١/ ٣٥٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٤٢ .

(٦) زاد المسير ٨/ ٣١٢ ، ومجمع البيان للطبرسي ٢٨/ ١٢٤ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٠٢ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢ ، والكشاف ٤/ ١٢٨ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٠٢ ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٠ (١٠٠٣٣).

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٧ ،والنكت والعيون ٦/ ٤٢ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٨١ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢ .

(١٠) ١٠/ ٣٩٣ وما بعدها.

(١١) النكت والعيون ٦/ ٤٢ .

قلت: وهذا إنما يمشي على قول من قال: إن التبديل وعدٌ من الله لنبيِّه لو طلَّقهنَّ في الدنيا زوَّجه في الآخرة خيراً منهنَّ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾

فيه مسألة واحدة: وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسَه وأهلَه النارَ. قال الضحاك: معناه قُوا أنفسَكم وأهلوكم فَلْيَقُوا أنفسهم ناراً. وروى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: قُوا أنفسكم وأْمُرُوا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يَقِيَهم اللهُ بكم. وقال عليٌّ ﷺ وقتادة ومجاهد: قُوا أنفسكم بأفعالكم وقُوا أهليكم بوصِيَّتكم(١). ابن العربي(٢): وهو الصحيحُ، والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريكَ بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل؛ كقوله:

عَـلَـفْـتُـهَـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً(٣)

وكقوله:

ورأيــتُ زَوْجَــكِ فــي الــوَغَــى   مــتــقــلِّــداً ســيــفــاً ورُمْــحَــا(٤)

فعلى الرجل أن يُصلِحَ نفسَه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاحَ الراعي للرعية. ففي صحيح الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعِيَّته، فالإمامُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم»(٥). وعن هذا عبَّر الحسنُ في هذه الآية [بقوله]: يأمرهم وينهاهم. وقال بعض العلماء: لمَّا قال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ دخَل فيه الأولاد؛ لأن الولدَ بعضٌ منه. كما دخَل

(١) النكت والعيون ٦/ ٤٤ وتفسير الطبري ٢٣/ ١٠٤.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٠، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) سلف ١/ ٢٩١.

(٤) قائله عبد الله بن الزبعرى، وسلف ١/ ٢٩١.

(٥) قطعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، سلف ٦/ ٤٢٧.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[النور: ٦١] فلم يُفْرَدُوا بالذِّكر إفرادَ سائر القرابات. فيعلِّمه الحلالَ والحرام، ويجنِّبه المعاصي والآثامَ، إلى غير ذلك من الأحكام. وقال عليه الصلاة والسلام: «حَقُّ الولد على الوالد أن يحسن اسمَه، ويعلِّمَه الكتابة، ويزوِّجه إذا بلغ»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «ما نَحَل والدٌ ولداً أفضلَ من أدبٍ حسن»(٢).

وقد روى عمرو بنُ شعيب عن أبيه، عن جده، عن النبيِّ ﷺ قال(٣): «مُرُوا أبناءَكم بالصلاة لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع». خرَّجه جماعة من أهل الحديث. وهذا لفظ أبي داود(٤).

وخرَّج أيضاً عن سَمُرَة بن جُنْدُب(٥) قال: قال النبيُّ ﷺ: «مُرُوا الصَّبيَّ بالصلاة إذا بلغ سبعَ سنين، فإذا بلغ عشرَ سنين فاضربوه عليها».

وكذلك يخبر أهلَه بوقت الصلاة، ووجوبِ الصيام، ووجوب الفِطر إذا وجب؛ مستنداً في ذلك إلى رؤية الهلال. وقد روى مسلمٌ أن النبيَّ ﷺ كان إذا أَوْتَر يقول:

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن المبارك في البر والصلة (١٥٦)، وابن أبي الدنيا في العيال (١٧١) من قول سفيان الثوري دون قوله: ويعلمه الكتابة.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٦٦٦) من حديث أبي سعيد وابن عباس مرفوعاً، ولفظه: «من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه، فإذا بلغ ولم يزوجه فأصاب إثماً، فإنما إثمه على أبيه».

وأما قوله: «ويعلمه الكتابة» فقد أخرجه البيهقي (٨٦٦٥) ضمن حديث أبي رافع ـ مرفوعاً ـ ولفظه: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وأن يورثه طيباً». وفي إسناده عيسى بن إبراهيم الهاشمي، قال البيهقي: يروي مالا يتابع عليه، وقال في السنن ١٠/ ١٥: حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٤٠٣)، والترمذي (١٩٥٢) من حديث أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر....، ثم قال: وهذا عندي حديث مرسل.

(٣) لفظه: قال من (ظ).

(٤) برقم (٤٩٥)، وهو في مسند أحمد (٦٦٨٩) و(٦٧٥٦). وله شواهد، الحديث الآتي منها.

(٥) كذا في النسخ، وأحكام القرآن لابن العربي، والكلام منه، وهو خطأ، والصواب: عن سَبْرَة، وهو في مسند أحمد (١٥٣٣٩)، وسنن أبي داود (٤٩٤)، وسنن الترمذي (٤٠٧).

«قومي فأوْتِري يا عائشة»[١].

وروي أن النبيَّ ﷺ قال: «رحم اللهُ امرأً قام من الليل فصلَّى فأيقظ أهلَه، فإنْ لم تقم رَشَّ وجهَها بالماء، رحم اللهُ امرأةً قامت من الليل تصلِّي وأيقظت زوجَها، فإذا لم يقم رشَّت على وجهه من الماء»[٢]. ومنه قوله ﷺ: «أيقِظوا صواحبَ الحُجَر»[٣]. ويدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤] [المائدة: ٢].

وذكر القشيريُّ أن عمر ﵁ قال لمَّا نَزَلت هذه الآيةُ: يا رسول اللهِ، نقي أنفسَنا، فكيف لنا بأهلينا؟ .فقال: «تنهَونهم عمَّا نهاكم اللهُ، وتأمرونهم بما أمرَ اللهُ»[٥]. وقال مقاتل: ذلك حقٌّ عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه[٦].

قال الكِيا[٧]: فعلينا تعليم أولادِنا وأهلينا الدِّينَ والخير، وما لايُستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ونحو قوله تعالى للنبيِّ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وفي الحديث: «مُرُوهم بالصلاة وهم أبناء سَبْع».

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ تقدَّم في سورة البقرة[٨]، القولُ فيه.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني الملائكة الزبانيةَ غِلاظ القلوب لا يَرحمون إذا

---

(١) صحيح مسلم (٧٤٤) (١٣٤)، وهو عند أحمد (٢٥١٨٤). وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٧٤٠٩)، وأبو داود (١٣٠٨) و(١٤٥٠)، والنسائي ٣/ ٢٠٥، وابن ماجه (١٣٣٦) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٥٤٥) والبخاري (١١٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٠ - ١٨٤١.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٢١ عن عمر ﵁، وأخرج نحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٠٣، والطبري ٢٣/ ١٠٤ - ١٠٥ عن قتادة.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٤٤، ومجمع البيان ٢٨/ ١٢٦.

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ٤٢٦..

(٨) ١/ ٣٥٤ وما بعد.

اسْتُرْحِمُوا[١]، خُلقوا من الغضب، وحُبِّب إليهم عذابُ الخلق كما حُبِّبَ لبني آدم أكلُ الطعام والشراب. ﴿شِدَادٌ﴾ أي: شداد الأبدان. وقيل: غِلاظُ الأقوال شداد الأفعال[٢]. وقيل: غِلاظٌ في أخذهم أهلَ النار، شدادٌ عليهم. يقال: فلان شديد على فلان، أي: قَويٌّ عليه يعذِّبه بأنواع العذاب. وقيل: أراد بالغلاظ ضخامةَ أجسامهم، وبالشدَّة القوَّة[٣]. قال ابن عباس: ما بين مَنْكِبَي الواحد منهم مسيرةُ سنة، وقوَّة الواحد منهم أن يَضرب بالمِقْمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسانٍ في قعر جهنم[٤]. وذكر ابنُ وهب قال: وحدَّثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسولُ الله ﷺ في خَزَنة جهنم: «ما بين مَنْكِبَي أحدهم[٥] كما بين المشرق والمغرب».

قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخالفونه في أمره من زيادةٍ أو نقصان. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: في وقته، فلا يؤخرونه ولا يقدِّمونه[٦]. وقيل: أي لذتهم في امتثال أمرِ اللَّهِ؛ كما أن سرورَ أهلِ الجنة في الكون في الجنة؛ ذكره بعض المعتزلة[٧]. وعندهم أنه يستحيل التكليف غداً. ولا يخفى معتقَد أهلِ الحقِّ في أن الله يكلِّف العبدَ اليوم وغداً، ولا يُنْكَرَ التكليفُ غداً[٨] في حقِّ الملائكة. ولله أن يفعل ما يشاء[٩].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ فإنَّ عُذْرَكم لا ينفعُ[١٠]. وهذا

---

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣١٣.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٤٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٣ بنحوه.
(٤) ذكره عنه ابنُ الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣١٣.
(٥) في (ظ): الواحد.
(٦) النكت والعيون ٦/ ٤٥.
(٧) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٢٨/ ١٢٦ - ١٢٧ عن الجبائي بنحوه.
(٨) لفظة: غداً. ليست في (م).
(٩) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٤٦.
(١٠) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٣ بنحوه.

النَّهي لتحقيق اليأس. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا. ونظيره: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]. وقد تقدَّم[١].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑧﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ **فيه مسألتان:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أمرٌ بالتوبة، وهي فرضٌ على الأعيان في كل الأحوال وكلِّ الأزمان. وقد تقدَّم بيانُها والقولُ فيها في «النساء» وغيرها. ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ اختلفت عبارةُ العلماء وأربابِ القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً، فقيل: هي التي لا عَوْدةَ بعدها كما لا يعودُ اللَّبَن إلى الضَّرع[٢]؛ وروي عن عمر[٣]، وابن مسعود[٤]، وأُبيِّ بن كعب[٥]، ومُعاذ بن جبل ﵃. ورفعه مُعاذٌ إلى النبيِّ ﷺ[٦].

وقال قتادة: النَّصوح: الصادقةُ الناصحة[٧].

---

(١) ١٤/ ٤٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٧، والكشاف ٤/ ١٢٩.

(٣) أخرجه عنه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٠٣، وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٧٩، وهناد في الزهد (٩٠١)، والطبري ٢٣/ ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٠٠، والطبري ٢٣/ ١٠٧ موقوفاً، وأخرجه الإمام أحمد (٤٢٦٤) مرفوعاً قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٩٩ - ٢٠٠: رواه أحمد وإسناده ضعيف.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٥ وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٤٧) مطولاً. وفي إسناده نوح بن أبي مريم قال الحافظ ابن حجر في التقريب: كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٠٨.

وقيل: الخالصة: يقال: نصح أي: أخلص له القولَ.

وقال الحسن: النَّصُوحُ: أن يُبْغِض الذنبَ الذي أحبَّه، ويستغفرَ منه إذا ذكره.

وقيل: هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وَجَلٍ منها.

وقيل: هي التي لا يحتاج معها إلى توبة(١).

وقال الكلبيُّ: التوبة النصوح: النَّدمُ بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاعُ عن الذنب، والاطمئنان على أنه لا يعود(٢).

وقال سعيد بن جُبير: هي التوبة المقبولة؛ ولا تُقبل ما لم يكن فيها ثلاثةُ شروط: خوفٌ ألا تُقبل، ورجاء أن تُقبل، وإدمان الطاعات(٣).

وقال سعيد بن المسيّب: توبةٌ تنصحون بها أنفسكم.

وقال القُرظيُّ: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمارُ تركِ العَوْد بالجَنَان، ومهاجرة سيِّء الخِلَّان(٤). وقال سفيان الثَّوْريُّ: علامةُ التوبة النصوح أربعةٌ: القِلَّة والعِلَّة، والذِّلَّةُ والغُرْبة.

وقال الفُضَيل بن عياض: هو أن يكون الذنْبُ بين عينيه، فلا يزال كأنه ينظُر إليه(٥). ونحوه عن ابن السَّمَّاك: أن تَنْصب الذنب الذي أقللتَ فيه الحياءَ من الله أمامَ عينك وتستعدَّ لمنتظَرك(٦).

وقال أبو بكر الوَرَّاق المصري: هو أن تضيق عليك الأرضُ بما رَحُبَت، وتضيق عليك نفسُك؛ كالثلاثة الذين خُلِّفوا(٧).

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٤٥ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٧ ، ومجمع البيان ٢٨/ ١٢٧ بنحوه.

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢٨/ ١٢٧ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٧، وقول القرظي ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣/ ٣٨٢ عن ابن عباس.

(٥) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ٢٨/ ١٢٧ دون نسبة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٢٩ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤ ، والكشاف ٢/ ٢١٩ ، وهو في الرسالة القشّيرية ٢/ ١٢٠ من قول ذي =

وقال أبو بكر الواسطي: هي توبةٌ لا لفقد عِوضٍ؛ لأن مَن أذنب في الدنيا لرَفَاهِية نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيتها في الآخرة؛ فتوبته على حفظ نفسه لا للهِ.

وقال أبو بكر الدَّقاق المصريُّ: التوبة النصوح هي ردُّ المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمانُ الطاعات.

وقال رُوَيْم: هو أن تكون لله وجهاً بلا قَفَا، كما كنت له عند المعصية قَفاً بلا وجه.

وقال ذو النُّون: علامة التوبة النصوح ثلاث: قِلَّة الكلام، وقِلَّة الطعام، وقِلَّة المنام.

وقال شقيق: هو أن يُكثِر صاحبها لنفسه الملامةَ، ولا ينفكَّ من الندامة؛ لينجُوَ من آفاتها بالسلامة.

وقال سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين؛ لأن من صحب(١) توبته أحبَّ أن يكون الناس مثله.

وقال الجُنَيْد: التوبة النصوح هو أن ينسى الذنبَ فلا يذكره أبداً؛ لأن من صحَّت توبته صار مُحِبّاً لِلَّه(٢)، ومن أحبَّ الله نَسيَ ما(٣) دون الله.

وقال ذو الأُذنيْن(٤): هو أن يكون لصاحبها دمعٌ مسفوح، وقلبٌ عن المعاصي جَمُوحٌ.

وقال فتح المَوْصِليّ: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى، وكثرةُ البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ.

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَريُّ: هي التوبة لأهل السنة والجماعة؛ لأن المبتدع

= النون. وقصةُ الثلاثة الذين خلفوا في الصحيح، وسلفت ١٠/ ٤١٣ وما بعد.

(١) في (ظ): نصحت.

(٢) الرسالة القشيرية ٢/ ١١٩ بنحوه.

(٣) في (ظ): من.

(٤) في (د) و(ظ) أبو الأديان، وفي (خ) (ف) و(ق) أبو الأذنان.

لا توبة له؛ بدليل قوله ﷺ: «حجب اللهُ على كل صاحب بدعة أن يتوب»[١].

وعن حُذَيْفَة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن[٢] الذنب ثم يعود فيه.

وأصل التوبة النصوح: من الخُلُوص؛ يقال: هذا عَسَلٌ ناصح: إذا خَلَص من الشَّمْع.

وقيل: هي مأخوذةٌ من النَّصاحة، وهي: الخياطة. وفي أخذها منها وجهان:

أحدهما: لأنها توبة قد أحكَمَتْ طاعتَه وأوثقتها كما يُحكم الخيّاطُ الثوبَ بخياطته ويوثقه.

والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء اللهِ وألصقته بهم؛ كما يجمع الخيَّاطُ الثوبَ ويُلصق بعضه ببعض[٣].

وقراءة العامة: «نَصُوحاً» بفتح النون[٤]، على نعت التوبة، مثل: امرأة صبور، أي: توبةٌ بالغة في النصح[٥].

وقرأ الحسن وخارجة وأبو بكر عن عاصم بالضم[٦]؛ وتأويله على هذه القراءة: توبةَ نصحٍ لأنفسكم[٧].

وقيل: يجوز أن يكون «نُصُوحاً» جمع نُصح، وأن يكون مصدراً، يقال: نصح نَصاحة ونُصُوحاً[٨]. وقد يتفق فَعالة وفُعول في المصادر، نحو الذَّهاب والذُّهوب.

---

(١) سلف تخريجه ٩/ ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) في(م) من. والمثبت من النسخ الخطية والكشاف ٤/ ١٢٩. وكلام حذيفة فيه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٤٥ ، وبنحوه في مجمع البيان ٢٨/ ١٢٧ .

(٤) السبعة ص٦٤١ ، والتيسير ص٢١٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤ ، ورواية أبي بكر عن عاصم في السبعة.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٤٥ .

(٨) زاد المسير ٨/ ٣١٣ بنحوه.

وقال المبرِّد: أراد توبة ذات نُصح، يقال: نصحت نُصحاً ونَصاحة ونُصوحاً.

الثانية: في الأشياء التي يُتاب منها، وكيف التوبة منها:

قال العلماء: الذنبُ الذي تكون منه التوبةُ لا يَخلو إما أن يكون حقّاً لِلّه أو للآدميين، فإن كان حقّاً لله؛ كترك صلاة، فإن التوبة لا تصحُّ منه حتى ينضمَّ إلى النَّدم قضاءُ ما فات منها، وهكذا إن كان تَرْكَ صومٍ أو تفريطاً في الزكاة.

وإن كان ذلك قتلَ نفْسٍ بغير حقٍّ؛ فأن يُمَكِّن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوباً به. وإن كان قذفاً يوجب الحدَّ؛ فيبذل ظهْرَه للجلد إن كان مطلوباً به. فإن عُفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص. وكذلك إن عُفيَ عنه في القتل بمال؛ فعليه أن يؤدِّيَه إن كان واجداً له، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:١٧٨]. وإن كان ذلك حَدّاً من حدود الله - كائناً ما كان - فإنه إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه. وقد نصَّ اللهُ تعالى على سقوط الحدّ عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم. وفي ذلك دليلٌ على أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم؛ حسب ما تقدَّم بيانه(١).

وكذلك الشُّرَّاب والسُّراق والزُّناة إذا أصلحوا وتابوا وعُرف ذلك منهم، ثم رُفعوا إلى الإمام؛ فلا ينبغي له أن يحدَّهم. وإن رُفعوا إليه فقالوا: تُبْنَا، لم يُتركوا وهم في هذه الحالة؛ كالمحاربين إذا غُلبوا. هذا مذهب الشافعيِّ.

فإن كان الذنب من مظالم العباد؛ فلا تصحُّ التوبة منه إلا بردِّه إلى صاحبه والخروج عنه - عَيْناً كان أو غيره - إن كان قادراً عليه، فإن لم يكن قادراً فالعزم أن يؤدِّيَه إذا قَدَر في أعجل وقتٍ وأسرعه.

وإن كان أضرَّ بواحدٍ من المسلمين - وذلك الواحد لا يشعُر به أو لا يدري من أين أتى - فإنه يُزيل ذلك الضررَ عنه، ثم يَسأله أن يعفوَ عنه ويستغفر له، فإذا عفا عنه

---

(١) ٧/ ٤٣٤ وما بعدها.

فقد سقط الذنب عنه. وإن أرسل من يسأل ذلك له، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه ـ عَرفَه بعينه أو لم يعرفه ـ فذلك صحيحٌ.

وإن أساء رجلٌ إلى رجل بأن فزَّعه بغير حقٍّ، أو غمَّه أو لَطَمَه، أو صفعَه بغير حقٍّ، أو ضرَبه بسوط فآلمه، ثم جاءه مستعفِياً نادماً على ما كان منه، عازماً على ألَّا يعود، فلم يزل يتذلَّل له حتى طابت نفسه فعفا عنه، سقط عنه ذلك الذنب. وهكذا إن كان شانَه بشتمٍ لا حدَّ فيه(١).

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ «عَسَى» من الله واجبةٌ(٢). وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «التائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنْبَ له»(٣). و«أن» في موضع [نصب](٤).

قوله تعالى: ﴿ويدخلَكم﴾ معطوف على «يُكَفِّرَ». وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وَيُدْخِلْكُمْ» مجزوماً، عطفاً على محل عسى أن يكفِّر. كأنه قيل: تُوبُوا يوجب تكفيرَ سيئاتكم ويدخلْكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ(٥). ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «يُدخلكم»(٦) أو فعلٌ مضمر. ومعنى «يُخْزِي» هنا يعذِّب، أي: لا يعذِّبه ولا يعذِّب الذين آمنوا معه. ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ تقدم في سورة الحديد(٧).

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس

---

(١) المنهاج للحليمي ٣/ ١٢١ - ١٢٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وسلف ١٥/ ١٣٦.

(٤) ما بين حاصرتين لضرورة السياق، ولم يرد في النسخ غير (ظ)، فقد جاء فيها: «في موضع رفع اسم عسى». وهو خطأ. وينظر اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ٢١٢.

(٥) الكشاف ٤/ ١٣٠.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤.

(٧) ٢٠/ ٢٤٥.

ومجاهد[١] وغيرهما: هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ اللهُ نورَ المنافقين؛ حسب ما تقدَّم بيانُه في سورة الحديد[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ **فيه مسألة واحدة:** وهو التشديد في دين الله[٣]. فأمرَه أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى اللهِ، والمنافقين بالغِلْظةِ وإقامة الحجة، وأن يعرِّفهم أحوالَهم في الآخرة، وأنهم لا نورَ لهم يَجُوزون به الصراطَ مع المؤمنين.

وقال الحسن: أي جاهدهم بإقامة الحدود عليهم[٤]؛ فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود. وكانت الحدود تُقامُ عليهم. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يرجع إلى الصِّنفين. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع[٥].

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾

ضرَب اللهُ تعالى هذا المَثَل تنبيهاً على أنه لا يُغْني أحدٌ في الآخرة عن قريبٍ ولا نسيب إذا فرَّق بينهما الدِّينُ. وكان اسم امرأة نوحٍ والهة[٦]. واسم امرأة لوط والعة[٧]؛

---

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٠٩.

(٢) ٢٠/ ٢٤٧.

(٣) أحكام القرآن للكيا ٤/ ٤٢٦.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٤٦، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٤٨.

(٥) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٣.

(٦) في (خ) و(ظ): والغة.

(٧) في (خ) و(ف) والغة، وفي (ظ) بالغة.

قاله مقاتل[١]. وقال الضحاك عن عائشة رضي الله عنها: إن جبريل نزل على النبيِّ ﷺ فأخبَره أن اسم امرأة نوح واعلة[٢] واسم امرأة لوط والهة. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال عكرمة والضحاك: بالكفر[٣].

وقال سليمان بن قَتَّة[٤] عن ابن عباس: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه. وعنه: ما بَغَت امرأة نبيٍّ قط[٥]. وهذا إجماعٌ من المفسرين فيما ذكر القُشيريُّ؛ إنما كانت خيانتهما في الدِّين، وكانتا مشركتين.

وقيل: كانتا منافقتين.

وقيل: خيانتهما النميمة إذا أوحى [الله] إليهما شيئاً أفشتاه إلى المشركين؛ قاله الضحاك.

وقيل: كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخّنت لتُعْلِم قومها أنه قد نزل به ضيف؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما ـ لمَّا عَصتَا ـ شيئاً من عذابِ الله؛ تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة[٦].

ويقال: إن كفار مكة استهزؤوا وقالوا: إن محمداً ـ ﷺ ـ يشفع لنا؛ فبيَّن اللهُ

(١) النكت والعيون ٦/ ٤٧، وزاد المسير ٨/ ٣١٥. والتعريف والإعلام ص٧٨.

(٢) في (م) و(خ) و(ف) و(ق) واغلة. والمثبت من (د) و(ظ) والنكت والعيون ٦/ ٤٧ والكلام منه.

(٣) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره ٢٣/ ١١٣.

(٤) في النسخ عدا (خ) سليمان بن رقية. والخبر في (خ) وتفسير عبد الرزاق ١/ ٣١٠، والطبري ١٢/ ٤٣٠ و٢٣/ ١١١ - ١١٢، والحاكم ٢/ ٤٩٦.

(٥) أخرجه عنه الطبري ١٢/ ٤٣٠ و٢٣/ ١١٢.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٤٦ - ٤٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

تعالى أن شفاعتَه لا تنفع كفّارَ مكة وإن كانوا أقرباء، كما لا تنفع شفاعةُ نوح لامرأته وشفاعةُ لوط لامرأته، مع قربهما لهما؛ لكفرهما. وقيل لهما: «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» في الآخرة؛ كما يقال لكفار مكة وغيرهم[(١)].

ثم قيل: يجوز أن تكون «امرأة نوح» بدلاً من قوله: «مَثَلاً» على تقدير حذف المضاف[(٢)]، أي: ضرب الله مثلاً مثلَ امرأةِ نوحٍ. ويجوز أن يكونا مفعولين[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم. قال يحيى بن سلام: قوله: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» مَثَلٌ ضربه الله يحذِّر به عائشة وحَفْصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثم ضرب لهما مَثَلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران؛ ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدِّين[(٤)].

وقيل: هذا حَثٌّ للمؤمنين على الصبر في الشدة، أي: لا تكونوا في الصبر عند الشِّدة أضعفَ من امرأة فرعون حين صَبَرت على أذى فرعون[(٥)]. وكانت آسية آمنت بموسى[(٦)]. وقيل: هي عمةُ موسى آمنت به[(٧)]. قال أبو العالية: اطَّلع فرعون على إيمان امرأته، فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنتِ مزاحم؟ فأَثْنَوْا عليها. فقال لهم: إنها تعبدُ رَبّاً غيري. فقالوا له: اقتلها. فأَوْتَدَ لها أوتاداً وشدَّ يديها

---

(١) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٣ .

(٢) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٤٩ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٥ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٤٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ .

(٥) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٣ .

(٦) الوسيط ٤/ ٣٢٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣١٥ .

(٧) الكشاف ٤/ ١٣١ .

ورجليها، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ ووافَقَ ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتَها في الجنة. فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها! إنَّا نعذبُها وهي تضحك؛ فَقُبِض روحُها[(١)].

وقال سَلْمان الفارسي فيما روى عنه أبو[(٢)] عثمان النَّهْديُّ: كانت تعذَّبُ بالشمس، فإذا آذاها حَرُّ الشمس أظلَّتها الملائكةُ بأجنحتها[(٣)]. وقيل: سمَّر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رَحىً؛ فأطلعها اللهُ حتى رأت مكانَها في الجنة[(٤)].

وقيل: لما قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ أُرِيَت بيتها في الجنة يُبْنَى. وقيل: إنه من دُرَّةٍ[(٥)]؛ وعن الحسن: ولمَّا قالت: ﴿وَنَجِّنِي﴾ نجَّاها الله أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة، فهي تأكل وتشرب وتتنعَّمُ[(٦)]. ومعنى ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ تعني بالعمل الكفر[(٧)]. وقيل: من عمله مِن عذابه وظلمِه وشماتته[(٨)]. وقال ابن عباس: الجِماع[(٩)]. ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال الكلبي: هم أهل مصر. مقاتل: القبط[(١٠)]. قال الحسن وابن كَيْسان: نجَّاها اللهُ أكرمَ نجاةٍ، ورفعها إلى الجنة؛ فهي

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٤٧ - ٤٨ .

(٢) لفظة: أبو، من (ظ) والمصادر الآتية الذكر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٣١ ، والطبري ٢٣/ ١١٥ ، والحاكم ٢/ ٤٩٦ ، والأصبهاني في الحلية ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦، ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٣٧) .

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ١١٥ عن القاسم بن أبي بزة، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٣٨) عن أبي رافع. والذي في «الشعب» على بطنها، بدل: ظهرها.

(٥) في (ظ): لما قالت ذلك بني من درة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٣١ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٥٠ .

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١١٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥ .

(٨) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٣ .

(٩) النكت والعيون ٦/ ٤٨ ، والوسيط ٤/ ٣٢٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٨ . وضعف هذا القول ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥ .

(١٠) النكت والعيون ٦/ ٤٨ .

فيها تأكل وتشرب[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ أي: واذكر مريمَ. وقيل: هو معطوفٌ على امرأة فرعون[٢]. والمعنى: وضَرَب اللهُ مَثَلاً مريمَ ابنة عمران وصبرها على أذى اليهود. ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: عن الفواحش. وقال المفسرون: إنه أراد بالفرْج هنا الجيبَ؛ لأنه قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وجبريل عليه السلام إنما نفَخ في جيْبها ولم ينفُخ في فرجها[٣]. وهي في قراءة أُبَيٍّ: «فنفخنا في جَيْبها من رُوحِنا»[٤]. وكلُّ خَرْقٍ في الثوب يسمى جَيْباً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[٥] [ق:٦]. ويَحتمل أن تكون أحصنَت فرجَها ونفخ الروح في جَيبها[٦]. ومعنى ﴿فَنَفَخْنَا﴾ أرسلنا جبريلَ فنفخ في جيبها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ أي: روحاً من أرواحنا، وهي روح عيسى[٧]. وقد مضى في آخر سورة النساء بيانُه مستوفىً والحمد لله[٨]. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ قراءة العامة «وَصَدَّقَتْ» بالتشديد. وقرأ حُميد والأموي «وَصَدَقَتْ» بالتخفيف[٩]. ﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ قول جبريل لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الآية [مريم:١٩]. وقال مقاتل: يعني بالكلمات عيسى وأنه نبيٌّ وعيسى كلمةُ الله. وقد تقدم[١٠]. وقرأ الحسن

(١) تفسير البغوي ٤/٣٦٨.

(٢) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٤٩.

(٣) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٤.

(٤) ذكرها في تفسير السمعاني ٥/٤٧٩.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٩، وتفسير الطبري ٢٣/ ١١٦.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٤٨.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٤.

(٨) ٧/ ٢٣٠ وما بعد..

(٩) ذكرها أبو حيان في البحر ٨/ ٢٩٥، من قراءة يعقوب وقتادة وأبي مجلز وعاصم في رواية، وذكرها الرازي ٣٠/ ٥٠ دون نسبة وهي قراءة شاذة.

(١٠) النكت والعيون ٦/ ٤٨، وتقدم ٥/ ١٢٨.

وأبو العالية: «بِكَلِمَةِ رَبِّهَا وكِتَابِهِ»[١]. وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم: «وكُتُبِه» جمعاً[٢]. وعن أبي رجاء: «وكُتْبِهِ» مخفف التاء[٣]. والباقون: «بِكِتَابِه» على التوحيد. والكتاب يُراد به الجنس، فيكون في معنى كلِّ كتابٍ أنزل اللهُ تعالى[٤]. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: من المطيعين، وقيل: من المصلِّين بين المغرب والعشاء[٥]. وإنما لم يقل: من القانتات؛ لأنه أراد: وكانت من القوم القانِتين. ويجوز أن يرجعَ هذا إلى أهل بيتها، فإنهم كانوا مطيعين لله[٦].

وعن مُعاذ بن جبل ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال لخديجة وهي تجود بنفسها: «أتكرهين ما قد نَزَل بكِ ولقد جعل الله في الكره خيراً، فإذا قدمت على ضَرَّاتك فأقرئيهن مني السلام: مريم بنْت عمران وآسية بنت مزاحم وكليمة[٧] ـ أو قال حكيمة[٨] ـ بنت عمران أخت موسى بن عمران». فقالت: بالرفاء والبنينَ يا رسول الله[٩].

وروى قتادة عن أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خُوَيلْد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون بنت مزاحم»[١٠]. وقد مضى في «آل عمران». الكلام في هذا مستوفًى والحمد لله[١١].

---

(١) زاد المسير ٨/ ٢١٦، وتفسير الرازي ٣٠/ ٥٠.

(٢) السبعة ص٦٤١، والتيسير ص٢١٢.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٦.

(٤) زاد المسير ٨/ ٣١٧، وبنحوه في المحتسب ٢/ ٣٢٤.

(٥) الوسيط ٤/ ٣٢٤.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٦٨، وبنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٢.

(٧) في (ظ) حليمة.

(٨) في (د) و(ظ) و(ف): حليمة. والذي في المصادر الآتية الذكر: كُلْثُم أخت موسى.

(٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٤٥١ - ٤٥٢ (١١٠٠)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٧٠/ ١١٩ عن ابن أبي رَوَّاد. قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢١٨: منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن ابن زَبالة، وهو ضعيف.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (١٢٣٩١)، والترمذي (٣٨٧٨).

(١١) ٥/ ١٢٧.

سورة المُلْك

مكيَّةٌ في قول الجميع. وتُسَمَّى: الواقية والمُنْجِيَة. وهي ثلاثون آية[1] روى الترمذيُّ عن ابن عباس قال: ضَرَب رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ خِباءَه على قبر، وهو لا يحسب أنَّه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ المُلْك حتى خَتَمَها، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ضربتُ خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنَّه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورة المُلْك حتى ختمها! فقال رسولُ الله ﷺ: «هي المانعةُ، هي المُنْجِيةُ؛ تُنْجيه من عذاب القبر». قال: حديثٌ حسن غريب[2].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَدِدْتُ أنَّ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» في قلب كلِّ مؤمن». ذكره الثعلبي[3].

وعن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ سورةً من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى أخرجته من النار يوم القيامة، وأدخلته الجنَّة وهي سورة تبارك». خَرَّجه الترمذيُّ بمعناه، وقال فيه: حديث حسن[4].

وقال ابن مسعود: إذا وُضع الميِّت في قبره فيؤتَى من قِبلَ رجليه، فيُقال: ليس

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣٣.

(٢) سنن الترمذي (٢٨٩٠)، وكلامه بتمامه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة. اهـ. وفيه يحيى بن عمرو النكري وهو ضعيف. وذكر الحديث الذهبيُّ في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٩ وعدَّه من مناكير يحيى.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٦١٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٧ : وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف. وأخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٥٦٥ من طريق حفص بن عمر المدني وقال: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: حفص واه.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩١)، وأخرجه أيضاً بمثل لفظ الترمذي: أحمد (٧٩٧٥)، وأبو داود (١٤٠٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٢)، وابن ماجه (٣٧٨٦). وهو بلفظ المصنف عند الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٩.

لكم عليه سبيل، فإنَّه كان يقومُ بسورة الملك على قدميه. ثم يُؤتَى من قِبل رأسه، فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل، إنَّه كان يقرأُ بي[(١)] سورةَ الملك، ثمَّ قال: هي المانعةُ من عذاب القبر[(٢)]، وهي في التوراة سورةُ الملك؛ من قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب[(٣)]. ورُوي أنَّ من قرأها كلَّ ليلةٍ لم يضرَّه الفتان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل؛ من البركة. وقد تقدَّم[(٤)]. وقال الحسن: تقدَّس. وقيل: دام. فهو الدائمُ الذي لا أوَّل لوجوده، ولا آخر لدوامه.

﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أي: ملكُ السماوات والأرض في الدنيا والآخرة[(٥)]. وقال ابن عباس: بيده الملك؛ يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، ويُحيي ويُميت، ويُغني ويُفقِر، ويُعطي ويمنع[(٦)]. وقال محمدُ بن إسحاق: له ملك النبوَّة التي أعزَّ بها من اتبعه، وذلَّ بها من خالفه. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إنعامٍ وانتقام[(٧)].

---

(١) في (ف) في، وليست في (د) و(ظ) و(ف). والمثبت من (خ) و(ز) و(م).

(٢) في النسخ عدا (ظ): عذاب الله.

(٣) في (د) والمستدرك وشعب الإيمان: أطنب. والمثبت من بقية النسخ والمصادر الآتية، وقول ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٠٢٥)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٨٦٥١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤٩٨/٢ ، وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٠٩). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/٧ : وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة. وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ٢٤٤/٩ و ١٥/ ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٥) النكت والعيون ٤٩/٦ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٩/٨ مختصراً.

(٧) النكت والعيون ٤٩/٦ . وكلام محمد بن إسحاق منه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قيل: المعنى خلقكم للموت والحياة؛ يعني: للموت في الدنيا، والحياة في الآخرة[١].

وقدَّم الموتَ على الحياة؛ لأنَّ الموتَ إلى القهر أقرب؛ كما قدَّم البناتِ على البنين فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٤٩].

وقيل: قدَّمه لأنَّه أقدم؛ لأنَّ الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت؛ كالنُّطْفَة والتراب ونحوه[٢].

وقال قتادة: كانَ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تعالى أذلَّ بني آدم بالموت، وجعلَ الدنيا دارَ حياةٍ ثمَّ دارَ مَوْت، وجعل الآخرةَ دار جزاءٍ ثم دار بقاء»[٣].

وعن أبي الدَّرْدَاء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لولا ثلاثٌ ما طأطأ ابنُ آدم رأسَه: الفقر، والمرض، والموت، وإنَّه مع ذلك لَوَثَّاب»[٤].

المسألة الثانية: ﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قُدِّمَ الموتُ على الحياة، لأنَّ أقوى الناس داعياً إلى العمل مَن نَصَب موتَه بين عينيه؛ فَقُدِّم لأنَّه فيما يرجع إلى الغرضِ المسوق له الآيةُ أهمّ[٥].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٠ .

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٦ ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٥٠ . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٩١ ، والطبري مختصراً ٢٢/ ٦٣٦ و ٢٣/ ١١٨ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٧٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٧ : لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهو مرسل.

(٤) لم نقف عليه عن أبي الدرداء، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٧٧ من قول سفيان بن عيينة.

(٥) الكشاف ٤/ ١٣٤ .

قال العلماء: الموتُ ليسَ بعدمٍ مَحْضٍ، ولا فَناءٍ صِرْف، وإنَّما هو انقطاعُ تعلُّقِ الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولةٌ بينهما، وتبدُّلُ حالٍ، وانتقالٌ من دار إلى دار. والحياةُ عكس ذلك[١]. وحُكي عن ابن عباس والكَلْبِي ومُقاتل: أنَّ الموتَ والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبشٍ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه إلا مات، وخَلق الحياة على صورة فرسٍ أنثى بلْقاء ـ وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ـ خطوها[٢] مدُّ البصر، فوقَ الحمار ودون البغل، لا تمرُّ بشيءٍ يجدُ ريحها إلا حَيِيَ، ولا تطأُ على شيء إلا حَيِيَ. وهي التي أخذ السَّامِرِيُّ من أثرها فألقاه على العجل فَحَيِيَ[٣]. حكاه الثعلبيّ والقُشَيري عن ابن عباس[٤]. وحكى المَاوَرْدِي[٥] معناه عن مقاتل والكلبيّ.

قلت: وفي التنزيل ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ثمَّ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، ثمَّ قال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. فالوسائطُ ملائِكةٌ مكرَّمون صلوات الله عليهم. وهو سبحانه المميت على الحقيقة، وإنَّما يُمَثَّل الموت بالكبش في الآخرة[٦] ويذبح على الصراط؛ حسب ما ورد به الخبر الصحيح[٧]. وما ذُكِر عن ابن عباس يحتاجُ إلى خبرٍ صحيح يَقطع العذر. والله أعلم.

وعن مقاتل أيضاً: خلق الموت؛ يعني: النُّطْفَة والعَلَقَة والمُضْغَة، وخلق الحياة؛

(١) ينظر المفهم ٧/ ١٤٥.
(٢) في (ق) و(م) خطوتها.
(٣) سلف الخبر ١٤/ ١٢٧.
(٤) وذكره البغوي ٤/ ٣٦٩.
(٥) في النكت والعيون ٦/ ٥٠، ولفظة: حكى. من (ظ).
(٦) وقعت العبارة في (خ) و(ز) و(ف) و(ق): أما إنه يمثل الموت بالكبش في الآخرة، وفي (ظ): أما إنه جاء بمثل الموت من الآخرة بكبش. والمثبت من (د) و(م).
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

يعني: خَلَق إنساناً ونَفَخ فيه الروح فصار إنساناً[١].

قلت: وهذا قولٌ حسن؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وتقدَّم الكلام فيه في سورة الكهف[٢].

وقال السُّدِّيّ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أكثرُكم للموت ذكراً، وأحسنُ استعداداً، ومنه أشدُّ خوفاً وحذراً[٣].

وقال ابن عمر: تلا النبيُّ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حتى بلغ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فقال: «أَوْرَعُ عن محارم الله، وأسرعُ في طاعة الله»[٤].

وقيل: معنى «لِيَبْلُوَكُمْ»: ليعاملَكم معاملةَ المختبر، أي: ليبلُوَ العبدَ بموت من يَعِزُّ عليه؛ ليُبيِّن صبره، وبالحياة؛ ليُبيِّن[٥] شكره. وقيل: خَلَق الله الموتَ للبعث والجزاء، وخَلَق الحياةَ للابتلاء. فاللام في «لِيَبْلُوَكُمْ» تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت؛ ذكره الزَّجَّاج[٦]. وقال الفَرَّاء والزَّجَّاج أيضاً[٧]: لم تقع البَلْوَى على «أيّ»؛ لأنَّ فيما بين البلوى و«أيّ» إضمارُ فعل؛ كما تقول: بلوتُكم لأنظرَ أيُّكم أطوع. ومثلُه قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] أي: سَلْهم، ثمَّ انظرْ أيُّهم. فـ«أيُّكم»[٨] رُفِع بالابتداء، و«أَحْسَنُ» خبره[٩]. والمعنى: ليبلوكم فيعلم أو فينظر

(١) تفسير أبي الليث ٣/٣٨٦، وتفسير الرازي ٣٠/٥٥.

(٢) ١٣/٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٨٨)، وذكره الماوردي في تفسيره ٦/٥٠.

(٤) هو حديث ضعيف وسلف ١١/٧٦.

(٥) في (ظ): ليتبين. في الموضعين.

(٦) في معاني القرآن ٥/١٩٧.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٦٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٩٧.

(٨) في (خ) و(ظ) و(ف) و(ق): فأيهم، وسقطت اللفظة من (د)، والمثبت من (م).

(٩) تفسير البغوي ٤/٣٦٩ وكلام الفراء السالف منه.

أيُكم[١] أحسنُ عملاً.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه .﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضُها فوق بعض. والملتزقُ منها أطرافها؛ كذا رُوي عن ابن عباس. و«طِبَاقاً» نعتٌ لـ «سَبْع»؛ فهو وصفٌ بالمصدر. وقيل: مصدرٌ بمعنى المطابقة، أي: خَلَق سبعَ سماواتٍ، وطبَّقها تطبيقاً أو مطابقة. أو على: طُوبقت طِباقاً[٣].

وقال سيبويه: نصب «طباقاً» لأنَّه مفعولٌ ثان.

قلت: فيكون «خَلَقَ» بمعنى جعل وصَيَّر.

وطِباق جمع طَبَق؛ مثل جَمَل وجِمال. وقيل: جمع طبقة. وقال أبَان بن تَغْلِب: سمعتُ بعضَ الأعراب يذمُّ رجلاً فقال: شَرُّهُ طِباق، وخيرُه غير باق[٤].

ويجوز في غير القرآن سبعَ سماوات طباقٍ؛ بالخفض على النعت لسماوات[٥]. ونظيره ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ قراءةُ حمزةَ والكسائيّ: «مِن تَفَوُّتٍ» بغير ألف مشدَّدة. وهي قراءةُ ابن مسعود وأصحابه[٦]. الباقون: «منْ تَفَاوُتٍ» بألف. وهما

---

(١) لفظة: أيكم. من(ظ) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٧٦ والكلام منه.

(٢) لفظة: إليه. ليست في (د) و(م). والمثبت موافق لتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) ينظر الكشاف ٤/ ١٣٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٨ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨ ، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦٤٤ ، والتيسير ص٢١٢ .

لغتان[١]؛ مثل التعاهد والتعهُّد، والتحمُّل والتحامل، والتظهُّر والتظاهر، وتصاغر وتصغَّر وتضاعف وتضعّف، وتباعد وتبعّد؛ كلُّه بمعنًى.

واختار أبو عبيد «من تَفَوُّت»، واحتجَّ بحديث عبد الرحمن بن أبي بكر: «أمِثْلِي يُتَفَوَّتُ عليه في بَنَاتِه»[٢]!

النَّحَّاس[٣]: وهذا أمرٌ مردودٌ على أبي عبيد؛ لأنَّ يُتفوّت: يُفتات بهم. «وتفاوت» في الآية أشبه. كما يقال: تباين يقال: تفاوتَ الأمرُ: إذا تباين وتباعد، أي: فات بعضُها بعضاً. ألَا ترى أنَّ قبلَه قولَه: تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾. والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاجٍ ولا تناقضٍ ولا تباين - بل هي[٤] مستقيمةٌ مستويةٌ دالَّة على خالقها - وإنْ اختلفت صُوَره وصفاته.

وقيل: المرادُ بذلك السماوات خاصة، أي: ما ترى في خلق السماوات من عَيْب[٥].

وأصله من الفَوْت؛ وهو أنْ يفوتَ شيءٌ شيئاً، فيقع الخلل لقلَّة استوائها[٦]؛ يدلُّ

---

(١) هو قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٧٠ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/٤٦٨ .

(٢) قطعة من خبر تزويج عائشة رضي الله عنها لحفصة بنت عبد الرحمن من المنذر بن الزبير، وعبد الرحمن غائب بالشام؛ أخرجه مالك ٢/ ٥٥٥ ، وعبد الرزاق (١١٩٤٧)، وسعيد بن منصور (١٦٦٦٢)، وابن أبي شيبة ٤/ ١٣٤ بلفظ يُفتات. بدل يتفوت. وهما بمعنى. قال ابن الأثير في النهاية (فوت): يقال تفوّت فلان على فلان في كذا، وافتات عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه .اهـ.

غير أن الحديث الذي احتج به أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٢٢٨ ونقله عنه الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٧ هو حديث عائشة: قالت: تفوت رجل بمال نفسه على أبيه... أخرجه ابن أبي حاتم في العلل ١/ ٤٧٠ ، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦١١ .

(٣) لم نقف على كلامه، ولعله في معانيه، وهو بنحوه في إعراب القرآن له ٤/٤٦٨، وذكر فيه اختيار أبي عبيد السالف.

(٤) في (ظ): كل شيء من سماء وغيرها. بدل: بل هي.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٣٨ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٧٤ .

عليه قول ابن عباس ﷺ: من تَفَرُّق[(١)]. وقال أبو عبيدة[(٢)]: يقال: تفوَّت الشيءُ، أي: فات.

ثم أَمَر بأنْ ينظروا في خلقه، ليعتبروا به، فيتفكروا في قدرته فقال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: أُردُد طَرْفَك إلى السماء. ويقال: قلِّب البصر في السماء. ويقال: اِجْهَدْ بالنظر إلى السماء. والمعنى متقارب. وإنما قال: «فَارْجِعِ» بالفاء، وليس قبلَه فعلٌ مذكور؛ لأنَّه قال: «ما تَرَى».

والمعنى: انظر ثمَّ ارجع البصر؛ هل ترى من فُطور؟ قاله قتادة[(٣)].

والفُطور: الشّقوق، عن مجاهد والضحاك. وقال قتادة: من خَلَل. السُّدِّيّ: من خُروق. ابن عباس: من وَهْن[(٤)]. وأصلُه من التّفطُّر والانفطار، وهو الانشقاق. قال الشاعر:

بَنَى لكُمُ بِلا عَمَدٍ سماءً ... وَزيَّنَها فما فيها فُطورُ[(٥)]

وقال آخر:

شَقَقْتِ القلبَ ثمَّ ذَرَرْتِ فيه ... هَواكِ فَلِيم فالتَامَ الفُطُورُ

تَغلْغلَ حيثُ لم يبلغْ شرابٌ ... ولا سَكَرٌ ولم يبلُغْ سرور[(٦)]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥١ .

(٢) في (ظ) أبو عبيد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٥١ ولفظه فيه: معناه فانظر إلى السماء.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٥١ .

(٥) هو في البحر ٨/ ٢٩٨ بلفظ: وسواها. بدل: وزينها.

(٦) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما في مجالس ثعلب ص٢٣٦ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٣٥٤ ، والأغاني ٩/ ١٥١ ، باختلاف يسير وتقديم وتأخير. قال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة ٣/ ١٦٧ : فليم يحتمل وجهين: أحدهما ـ وهو الأشبه ـ: أن يريد لئم من الالتئام... والآخر: أن يكون ليم من اللأم، أي: لما عوتب كتم ما به فالتأم فطوره.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ «كرتينِ» في موضع المصدر؛ لأن معناه رجعتين، أي: مَرَّةً بعد أخرى. وإنَّما أَمَر بالنظر مرتين؛ لأنَّ الإنسان إذا نظر في الشيء مرةً لا يرى عَيْبَه ما لم ينظر إليه مرةً أُخرى. فأخبرَ تعالى أنَّه - وإنْ نظر في السماء مرتين - لا يرى فيها عيباً، بل يتَحيَّر بالنظر إليها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي: خاشعاً صاغراً متباعداً عن أنْ يَرى شيئاً من ذلك.

يقال: خسأتُ الكلبَ، أي: أبعدته وطردته. وخسأَ الكلبُ بنفسه؛ يتعدَّى ولا يتعدَّى. وانخسأ الكلبُ أيضاً. وخَسَأ بصرُه خَسْأً وخُسوءاً، أي: سَدِر[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾[2]. وقال ابن عباس: الخاسئ الذي لم ير ما يهوى[3].

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: قد بلغ الغايةَ في الإعياء. فهو فعيل[4] بمعنى فاعل؛ من الحُسور الذي هو الإعياء. ويجوز أنْ يكون مفعولاً من حسره بُعْدُ الشيء[5]، وهو معنى قول ابن عباس. ومنه قولُ الشاعر:

مَن مَدَّ طَرْفاً إلى ما فوقَ غايتِهِ ... ارْتدّ خَسْآنَ منه الطَّرْفُ قد حَسَرا[6]

يقال: قد حَسَر بَصَرُه يَحْسِر حُسوراً، أي: كَلَّ وانقطعَ نظرُه من طول مَدًى، وما أشبه ذلك، فهو حَسيرٌ ومحسورٌ أيضاً[7]. قال:

---

(١) أي: لم يكد يبصر. اللسان (سدر).

(٢) الصحاح (خسأ).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٨ .

(٤) قوله: فعيل، من (ظ).

(٥) ذكر الاحتمالين الأخيرين الرازي في تفسيره ٣٠/ ٥٩ وعزاهما للواحدي.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٧) الصحاح (حسر).

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى ... فعادَ إليَّ الطَّرْفُ وهو حسيرُ[١]

وقال آخر يصف ناقة:

فشَطْرَها نَظَرُ العينين محسورُ

نصب «شطرها» على الظرف، أي: نحوَها[٢].

وقال آخر:

والخيلُ شُعْثٌ ما تزال جيادُها ... حَسْرَى تغادرُ بالطَّريق سِخالَها[٣]

وقيل: إنَّه النادم. ومنه قول الشاعر:

ما أنا اليومَ على شيءٍ خَلَا ... يا ابنة القين تَوَلَّى بِحَسِرْ[٤]

والمرادُ بـ «كَرَّتَيْنِ» هاهنا التكثير. والدليلُ على ذلك: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وذلك دليلٌ على كثرة النظر[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ جمع مصباح، وهو السراج. وتُسَمَّى الكواكبُ مصابيحَ لإضاءتها[٦].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الصحاح (حسر)، وشطر البيت المذكور هو لقيس بن خويلد الهذلي، وصدره: إن الحسير بها داءٌ مخامرها. وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢ .

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٨١ وفيه: بالخيل شعثاً، بدل: والخيل شعث، و: رُجْعا، بدل: حسرى. وهو برواية المصنف عند الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٤) البيت للمَرَّار بن منقذ كما في المفضليات ص٨٢ . وفيه: مضى، بدل: خلا، و: القوم، بدل: القين، وهو برواية المصنف في النكت والعيون ٦/ ٥٢ .

(٥) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٥ ، ومجمع البيان ٢٩/ ٧ .

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠ .

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ أي: جعَلنا شُهُبَها؛ فحذف المضاف. دليلُه ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ١٠]. وعلى هذا فالمصابيحُ لا تزول ولا يُرجم بها. وقيل: إنَّ الضميرَ راجعٌ إلى المصابيح على أنَّ الرجم من أنفُس الكواكب، ولا يسقطُ الكوكب نفسُه، إنَّما ينفصلُ منه شيءٌ يُرْجَم به من غير أنْ ينقص ضوءه ولا صورته؛ قاله أبو عليّ[(١)] جواباً لمن قال: كيف تكون زينةً وهي رجومٌ لا تبقى؟

قال المهدَوِيّ: وهذا على أنْ يكون الاستراقُ من موضع الكواكب، والتقديرُ الأوّل على أنْ يكون الاستراقُ من الهوى[(٢)] الذي هو دونَ موضع الكواكب.

القُشَيْري: وأمثلُ من قول أبي عليّ أنْ نقول: هي زينةٌ قبل أنْ يُرجَم بها الشياطين. والرُّجوم: جمعُ رَجْم، وهو مصدرٌ سُمِّيَ به ما يرجم به[(٣)].

قال قتادة: خَلَق اللَّه تعالى النجومَ لثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدَى بها في البرِّ والبحر والأوقات. فمن تأوَّل فيها غيرَ ذلك فقد تكلَّف ما لا علم له به، وتعدَّى وظلم[(٤)].

وقال محمدُ بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنَّهم يتَّخذونَ الكهانةَ سبيلاً[(٥)]، ويتَّخذون النُّجومَ عِلَّةً[(٦)].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: أعتدنا للشياطين أشدَّ الحريق؛ يقال: سَعَرْتُ النار؛ فهي مسعورةٌ وسعير؛ مثل: مقتولة وقتيل. ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) هو الجبائي. وذكر معنى كلامه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٧ . وينظر الكشاف ٤/ ١٣٥ .

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: الهواء، ويعني به الفراغ.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٥٩ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٣ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩١٣ (١٦٥٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٠٦) مطولاً.

(٥) لفظة: سبيلاً. من (د) و(م) وليست في باقي النسخ والمصادر.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣١ (١٦٠٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٧١٠)، وفيهما وفي الدر المنثور ٣/ ٣٥: يتبعون الكهنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ يعني الكفَّار. ﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا﴾ أي: صَوْتاً. قال ابن عباس: الشهيق لجهنم عندَ إلقاء الكفَّار فيها؛ تَشْهَق إليهم شهقةَ البغلة للشعير، ثم تَزفِرُ زفرةً لا يبقى أحدٌ إلَّا خاف. وقيل: الشَّهِيقُ من الكفَّار عند إلقائهم في النار[١]؛ قاله عطاء[٢]. والشَّهيق في الصَّدر، والزَّفِير في الحَلْق. وقد مضى في سورة هود[٣]. ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تَغْلِي، ومنه قولُ حسان[٤]:

تركتُم قِدْرَكُم لا شيءَ فيها ... وقِدْرُ القوم حاميةٌ تفورُ

قال مجاهد: تفورُ بهم كما يَفور الحَبُّ القليلُ في الماء الكثير[٥]. وقال ابن عباس: تَغْلي بهم غليَ المِرْجَل[٦]؛ وهذا من شدَّة لَهَب النار من شدَّة الغضب؛ كما تقول: فلانٌ يفور غَيْظاً.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ يعني: تتقطَّع ويَنْفصِلُ بعضُها من بعض؛ قاله سعيد بن جُبَير[٧]. وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك وابنُ زيد: تتفرَّق. «مِنَ الْغَيْظِ»: من شدَّة

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣.

(٢) وقول عطاء ـ كما ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٦٣ ـ: سمعوا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقاً.

(٣) ١١/ ٢١١ - ٢١٢.

(٤) بل هو من قول جبل بن جوال الثعلبي يخاطب به حسان بن ثابت ﷺ. ينظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٣، وديوان حسان ص١١٠، وسلف ١١/ ١١٦.

(٥) ذكره الواحدي ٤/ ٣٢٧، والبغوي ٤/ ٣٧٠.

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٦٣.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٥٣.

الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: «مِنَ الْغَيْظِ»: من الغليان[١]. وأصل «تميّزُ»: تتميز ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ أي: جماعةٌ من الكفار. ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ على جهة التوبيخ والتقريع: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ أي: رسولٌ في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ﴾ أنذرنا وخوّفنا. ﴿فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ أي: على ألسنتكم. ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ يا معشرَ الرسل ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ اعترفوا بتكذيب الرُّسل. ثمَّ اعترفوا بجهلهم[٢]؛ فقالوا وهم في النَّار: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ من النذر ـ يعني الرسل ـ ما جاؤوا به ﴿أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ عنهم. قال ابن عباس: لو كنَّا نسمعُ الهدى أو نَعقله[٣]، أو: لو كنَّا نَسمع سماعَ من يَعِي ويفكِّر، أو نعقلُ عقْلَ من يُميِّز وينظر[٤]. ودلَّ هذا على أنَّ الكافر لم يُعْطَ من العقل شيئاً. وقد مضى في «الطُّور» بيانه[٥] والحمد لله.

﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني ما كنَّا من أهل النَّار. وعن أبي سعيدٍ الخُدرِيّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد نَدِم الفاجرُ يومَ القيامة قالوا: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾»[٦]. أي: بتكذيبهم الرسل. والذنبُ هاهنا بمعنى الجمع؛ لأنَّ فيه معنى الفعل. يقال: خَرَج عطاءُ النَّاس، أي: أعْطِيَتهم[٧].

﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: فبُعْداً لهم من رحمة الله. وقال سعيدُ بن جُبَير وأبو

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣. وتفسير الطبري ٢٣/ ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) الوجيز للواحدي (بحاشية مراح لبيد) ٢/ ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٩ .

(٥) ١٩/ ٥٣٤ .

(٦) أخرجه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) (٨٤٠) من طريق داود بن المحبر. قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ١٣ : [أحاديث] كتاب العقل لداود بن المحبر أودعها الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وهي موضوعة كلها، لا يثبت منها شيء.

(٧) في (ظ): أعطياتهم، والكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٦ .

صالح: هو وادٍ في جهنَّم يُقال له: السُّحْق[1]. وقرأ الكسائيُّ وأبو جعفر: «فَسُحُقاً» بضَمِّ الحاء[2]، ورُوِيَت عن عليّ[3]. الباقون بإسكانها، وهما لغتان مثل السُّحْتُ والرُّعْبُ. الزَّجَّاج[4]: وهو منصوبٌ على المصدر، أي: أسحقَهم الله سُحقاً، أي: باعدَهم بُعْداً. قال امرؤُ القيس:

يجولُ بأطرافِ البلادِ مُغَرِّباً وتَسْحَقُه رِيحُ الصَّبا كُلَّ مَسْحَقِ[5]

وقال أبو عليّ[6]: القياسُ: إسحاقاً، فجاء المصدر على الحذف؛ كما قيل:

وإن أهلِكْ فذلك كان قَدْري[7]

أي: تقديري.

وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ من قول خزنة جهنَّم لأهلها[8].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ نظيرُه: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٣، وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٦.

(٢) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢، وقراءة أبي جعفر ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢١٧ من رواية ابن جماز عنه.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٠٠.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ١٩٩.

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٧١، وفيه: بآفاق. بدل: بأطراف. قال شارحه: وتسحقه: أي تبعده وتذهب به.

(٦) في الحجة ٦/ ٣٠٧.

(٧) هو عجز بيت صدره: فإن يبرأ فلم أنفث عليه. ذكره صاحب المفضليات ص٧٠، ونسبه لرجل من عبد القيس. وذكره أبو علي في الحجة ٢/ ١٢٩، وابن الشجري في أماليه ٢/ ١١٠ دون نسبة. وفي المصادر: يهلك. بدل: أهلك.

(٨) الكشاف ٤/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠.

[ق:٣٣]. وقد مضى الكلام فيه. أي: يخافون الله، ويخافون عذابَه الذي هو بالغيب، وهو عذابُ يوم القيامة[١]. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ﴾ اللفظُ لفظ الأمر، والمرادُ به الخبر، يعني: إنْ أخفيتُم كلامَكم في أمر محمدٍ ﷺ، أو جهرتم به؛ فـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٢] يعني بما في القلوب من الخير والشر.

ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبيّ ﷺ، فيخبرُه جبريلُ عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: أسِرُّوا قولَكم كي لا يسمعَ ربُّ محمد[٣]، فنزلت: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ﴾، يعني: أسِرُّوا قولَكم في أمر محمدٍ ﷺ، وقيل: في سائر الأقوال. أوِ اجْهَرُوا بِهِ: أعلنوه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ذاتُ الصدور ما فيها؛ كما يسمَّى ولدُ المرأة وهو جنين: «ذا بطنها».

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ يعني: ألَا يعلمُ السرَّ من خَلَق السرَّ؟! يقول: أنا خلقتُ السرَّ في القلب، أفلا أكونُ عالماً بما في قلوب العباد؟! وقال أهل المعاني: إنْ شئتَ جعلت «مَن» اسماً للخالق جلَّ وعزَّ؛ ويكون المعنى، ألا يعلم الخالقُ خلقَه. وإنْ شئتَ جعلتَه اسماً للمخلوق، والمعنى: ألَا يعلم اللهُ مَن خلق. ولابدَّ أنْ يكون الخالقُ عالماً بما خلقَه وما يخلقه[٤].

---

(١) ينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠.

(٢) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٧، ومجمع البيان ٢٩/ ١٣.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٧٠، والوسيط ٤/ ٣٢٩، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٧١.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٦٨.

قال ابن المسيّب: بينما رجلٌ واقفٌ باللّيل في شجرٍ كثير، وقد عَصَفت الريح، فوقعَ في نفس الرجل: أترى الله يعلم ما يَسقط من هذا الورق؟ فنودي من جانب الغَيْضة بصوتٍ عظيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايِني: مِن أسماء صفات الذَّات ما هو للعلم:

منها: «العَلِيمُ»، ومعناه: تعميمُ جميع المعلومات.

ومنها: «الخَبِيرُ»، ويختصُّ بأنْ يَعلم ما يكون قبلَ أنْ يكون.

ومنها: «الحَكِيم»، ويختصُّ بأنْ يعلمَ دقائقَ الأوصاف.

ومنها: «الشهيد»، ويختصُّ بأنْ يَعلم الغائبَ والحاضر، ومعناه أنَّه لا[١] يغيبُ عنه شيءٌ.

ومنها: «الحافظ»، ويختصُّ بأنَّه لا ينسى.

ومنها: «المُحْصِي»، ويختصُّ بأنَّه لا تَشْغله الكثرةُ عن العلم؛ مثل ضوء النُّور، واشتدادِ الريح، وتساقطِ الأوراق؛ فيَعلمُ عند ذلك [عدد] أجزاءِ الحركات في كلِّ ورقة. وكيف لا يَعلم وهو الذي يَخلق؟! وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي: سهلة تستقرُّون[٣] عليها. والذَّلُول: المنقادُ الذي يَذِلُّ لك، والمصدر: الذِّل؛ وهو اللِّينُ والانقياد[٤]. أي: لم

(١) في (د): إذ لا. وفي (خ) و(ز) و(ف) و(ق) و(م): أن لا. والمثبت من (ظ) وشعب الإيمان.

(٢) شعب الإيمان ١/ ١٢١، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في (ظ): يستقر.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٦٨.

يجعل الأرضَ بحيثُ يمتنع المشيُ فيها بالحزونة والغِلظة[١]. وقيل: أي: ثَبَّتها بالجبال لئلَّا تزولَ بأهلها؛ ولو كانت تتكفَّأُ متمايلةً لما كانت منقادةً لنا. وقيل: أشارَ إلى التمكُّن من الزرع والغرس، وشقِّ العيون والأنهار وحفر الآبار.

﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ هو أمرُ إباحة[٢]، وفيه إظهار الامتنان. وقيل: هو خبرٌ بلفظ الأمر، أي: لكي تمشوا في أطرافِها ونواحيها، وآكامها وجبالها[٣].

وقال ابن عباس وقتادةُ وبُشَير بن كعب[٤]: «في مَنَاكِبِهَا»: في جبالها[٥]. ورُوِيَ أنَّ بُشَير بن كعب كانت له سُرِّيّة فقال لها: إنْ أخْبرتِني ما مناكب الأرض فأنت حرَّة. فقالت: مناكبُها جبالُها. فصارت حرَّة، فأرادَ أنْ يتزوَّجها، فسألَ أبا الدرداء فقال: دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ[٦].

مجاهد: في أطرافها. وعنه أيضاً: في طرقها وفِجاجها[٧]. وقاله السُّدِّيُّ والحسن[٨]. وقال الكَلْبي: في جوانبها. ومَنْكِبَا الرجل: جانباه[٩]. وأصلُ المَنْكِب الجانب، ومنه مَنْكِب الرجل، والريح النكباء، وتَنَكَّب فلانٌ عن فلان[١٠]. يقول:

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٦٩.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٨.

(٤) هو أبو أيوب الحميري العدوي البصري، العابد، أحد المخضرمين، وثَّقه النسائي وغيره، وكان أحد القراء والزهاد. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥١.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٥٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٨، وأخرجه الطبري بنحوه ٢٣/ ١٢٨. وقول أبي الدرداء: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» هو قطعة من حديث مرفوع أخرجه أحمد (١٧٢٣)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي في المجتبى ٨/ ٣٢٧. عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٧) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٥، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٢٩.

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٤ عن مجاهد والسدي، وذكره عن الحسن البغويُّ ٤/ ٣٧١.

(٩) وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٧٥، ونقله عنه أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٨٨، والبغوي ٤/ ٣٧١، والرازي ٣٠/ ٦٩. وقول الكلبي كما ذكره البغوي ٤/ ٣٧١. مناكبها: أطرافها.

(١٠) تفسير البغوي ٤/ ٣٧١.

امشوا حيثُ أردتم فقد جعلتُها لكم ذَلولاً لا تمتنع.

وحَكى قتادة عن أبي الجلد: أنَّ الأرضَ أربعةٌ وعشرون ألف فرسخ؛ فللسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانيةُ آلاف، وللفرس ثلاثةُ آلاف، وللعرب ألف[(١)].

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ أي: مما أحلَّه لكم؛ قاله الحسن. وقيل: مما أنبتَه[(٢)] لكم. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾: المرجع. وقيل: معناه أنَّ الذي خلق السماء لا تفاوتَ فيها، والأرضَ ذَلولاً قادرٌ على أنْ يُنشِركم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾

قال ابن عباس: أمِنتم عذابَ من في السماء إنْ عصيتموه[(٤)]. وقيل: تقديره أمِنتم[(٥)] من في السماء قدرتُه وسلطانُه وعرشُه ومملكتُه[(٦)]. وخصَّ السماء ـ وإنْ عَمَّ مُلْكُه ـ تنبيهاً على أنَّ الإله الذي تنفذُ قدرتُه في السماء، لا من يعظِّمونَه في الأرض. وقيل: هو إشارةٌ إلى الملائكة[(٧)]. وقيل: إلى جبريل، وهو المَلَكُ المُوَكَّل بالعذاب[(٨)].

قلت: ويَحتمل أنْ يكون المعنى: أمنتم خالقَ مَن في السماء أنْ يخسفَ بكم الأرض كما خسفَها بقارون.

﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أي: تَذهبُ وتجيء. والمَوْر: الاضطرابُ بالذهاب والمجيء. قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٤.

(٢) في (م) أتيته، والمثبت من النسخ الخطية والنكت والعيون ٤/ ٥٥ والكلام منه.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧١، وزاد المسير ٨/ ٣٢٢.

(٥) في (م) أأمنتم. في الموضعين.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٠.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٥٥ عن ابن بحر.

(٨) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٠.

رَمَيْنَ فأقْصَدْنَ القلوبَ ولن ترى دماً مائراً إلَّا جَرَى في الحَيَازِمِ[(١)]

جمع حَيْزوم، وهو وسطُ الصدر. وإذا خُسِف بإنسانٍ دارت به الأرض، فهُو المَوْر.

وقال المحققون: أمنتم مَن فوق السماء؛ كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي: فوقَها، لا بالمماسَّة والتحيُّز، لكن بالقهر والتدبير. وقيل: معناه: أمنتم مَنْ على السماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها[(٢)]. ومعناه أنَّه مُدبِّرها ومالكُها؛ كما يقال: فلانٌ على العراق والحجاز، أي: واليها وأميرها. والأخبارُ في هذا الباب كثيرةٌ صحيحةٌ منتشرة، مشيرةٌ إلى العلوّ؛ لا يدفعها إلَّا مُلْحِدٌ أو جاهلٌ معاند؛ والمرادُ بها: توقيرُه وتنزيهُه عن السُّفل والتَّحت. ووصفه بالعلوّ والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود؛ لأنَّها صفات الأجسام. وإنَّما تُرفع الأيدي بالدعاء إلى السماء؛ لأنَّ السماءَ مَهْبِطُ الوحي، ومَنزِلُ القطر، ومَحِلُّ القُدس، ومعدنُ المُطهَّرين من الملائكة، وإليها تُرفعُ أعمالُ العباد، وفوقها عرشُه وجنَّته؛ كما جعلَ الله الكعبةَ قِبلةً للصَّلاة[(٣)]، ولأنَّه خَلقَ الأمكنةَ وهو غير محتاجٍ إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان.

وقرأ قُنبل عن ابن كَثير: «النُّشور وامنتم» بقلبِ الهمزة الأولى واواً وتخفيف الثانية[(٤)]. وقرأ الكوفيون والبصريون وأهلُ الشام سوى أبي عمرو وهشام بالتحقيق[(٥)]

---

(١) البيت لأبي حية النمري، وهو في الكامل ١/ ١٠٠، والأمالي ٢/ ٢٨١ قال في رغبة الآمل ١/ ٢٣٢: فأقصدن القلوب: أصبنها؛ من قولهم: قصدت الرجل: إذا طعنته أو رميته فلم تخطئ مقاتله. دماً مائراً: سائلاً، من مار الدم يمور: سال.

(٢) ينظر الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٢٤، والمفهم ٢/ ١٤٤.

(٣) في (م): للدعاء والصلاة.

(٤) يعني في الوصل. السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): بالتخفيف وهو خطأ.

في الهمزتين، وخفَّف الباقون[١]. وقد تقدَّم جميعُه[٢].

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارةً من السماء كما أرسلَها على قوم لوط وأصحاب الفِيل. وقيل: ريحٌ فيها حجارةٌ وحَصْباء. وقيل: سحابٌ فيه حجارة. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري. وقيل: النذيرُ بمعنى المنذر؛ يعني: محمداً ﷺ، أي: فستعلمون صدقَه وعاقبةَ تكذيبكم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم؛ كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، وقومِ لوطٍ، وأصحابِ مَدْيَن، وأصحابِ الرَّسِّ، وقومِ فرعون. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري. وقد تقدَّم[٤].

وأثبتَ وَرْش الياء في «نذيري، ونكيري» في الوصل. وأثبتَها يعقوب في الحالين. وحذفَ الباقون اتِّباعاً للمصحف[٥].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: كما ذلَّل الأرضَ للآدميِّ،

---

(١) غير أن أبا عمرو البصري وقالون يدخلان ألفاً بينهما. ولهشام التسهيل والتحقيق مع الإدخال فيهما، ولورش وجه آخر: الإبدال مع القصر. ينظر السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢، والنشر ١/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) ١/٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٧٠.

(٤) ١٤/ ٤١٤.

(٥) التيسير ص٢١٣، والنشر ٢/ ٣٨٩.

ذلَّل الهواءَ للطيور. و«صَافَّات» أي: باسطاتٍ أجنحتهنَّ في الجوِّ عند طيرانها؛ لأنَّهنَّ إذا بسطنَها صَففْنَ قوادمها[1] صَفّاً. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضربْنَ بها جُنُوبَهُنَّ.

قال أبو جعفر النحاس: يقال للطائر إذا بسط جناحيه: صافٌّ، وإذا ضمَّهما فأصابا جَنْبَه: قابضٌ؛ لأنَّه يقبضُهما. قال أبو خِرَاش:

يبادر جُنْحَ الليل فهو مُوائل[2] يَحُثُّ الجناح بالتّبَسُّطِ والقَبْضِ[3]

وقيل: ويقبضنَ أجنحتَهُنَّ بعد بسطها: إذا وقفنَ من الطيران. وهو معطوفٌ على «صَافَّاتٍ» عطفَ المضارع على اسم الفاعل؛ كما عطفَ اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر:

باتَ يُغَشِّيها[4] بعَضْبٍ باتر يَقْصِدُ في أسْوُقِها وجائِرِ[5]

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أي: ما يُمسِكُ الطيرَ في الجوِّ وهي تطير إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: حزبٌ وَمَنَعةٌ لكم[6].

---

(١) في (د) و(ز) و(م): قوائمها، وفي (ق) قواه، والمثبت من (خ) والكشاف ٤/ ١٣٨، والكلام منه. وقوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشرٌ في كل جناح، الواحدة قادمة. الصحاح (قدم).

(٢) موائل: من واءل فلان مواءلة ووئالاً: لجأ وخلص، ووائل الطائر: لاوذ بشيءٍ خوفاً من الصقر. المعجم الوسيط (وأل). ووقع في المصادر الآتية: مهابذ بدل: موائل. قال أبو علي القالي: المهابذ: المجاهد في العدو والسير، ويقال: أهذب وأهبذ؛ إذا اجتهد في الإسراع.

(٣) البيت في ديوان الهذليين ٢/ ١٥٩ ، والكامل ٢/ ٧١٤ ، والأمالي ١/ ٢٧١ .

(٤) في (م) يعشيها. بالمهملة، وكذا رواية البيت في خزانة الأدب ٥/ ١٤٠ . قال البغدادي: يعشيها: أي يطعمها العَشَاء.. قال: ورأيت في أمالي ابن الشجري [٢/ ٤٣٧] في نسخة صحيحة قد صححها أبو اليُمن الكندي، وعليها خطوط العلماء وإجازاتهم: «بات يغشيها» بالغين المعجمة من الغِشاء كالغِطاء، بكسر أولهما وزناً ومعنىً، أي: يشملُها ويَعُمُّها.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢ ، والعضب: السيف، ويقصد أي: توسَّط ولم يجاوز الحد، وأسوق: جمع قلة لساق، وهي ما بين الركبة والقدم. خزانة الأدب ٥/ ١٤١ - ١٤٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٢ .

﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ فيدفع عنكم ما أرادَ بكم إنْ عصيتُموه. ولفظُ الجُنْد يُوَحَّد؛ ولهذا قال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ﴾ وهو استفهامُ إنكار، أي: لا جندَ لكم يدفعُ عنكم عذابَ الله ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: مِنْ سوى الرحمن.

﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ من الشياطين؛ تغرُّهم بأنْ لا عذابَ ولا حساب[١].

قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ﴾ أي: يعطيكم منافعَ الدنيا. وقيل: المطر من آلهتكم. ﴿إِنۡ أَمۡسَكَ﴾ يعني: الله تعالى رزقَه. ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أي: تمادَوا وأصروا. ﴿فِي عُتُوّٖ﴾: طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الحق.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر؛ «مُكِبًّا» أي: مُنَكَّساً رأسَه لا ينظر أمامَه ولا يمينَه ولا شمالَه؛ فهو لا يأمنُ من العثور والانكباب على وجهه؛ كمن يمشي سوِيّاً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله[٢]. قال ابن عباس: هذا في الدنيا. ويجوزُ أنْ يريدَ به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسِفُ[٣]؛ فلا يزال يَنْكبُّ على وجهه، وأنَّه ليس كالرجل السوِيِّ الصحيح البصر[٤] الماشي في الطريق المهتدي له. وقال قتادة: هو الكافر أكبَّ على معاصي الله في الدنيا، فحشَره الله يومَ القيامة على وجهه. وقال ابن عباس والكَلْبيّ: عَنَى بالذي يمشي مُكِبّاً على وجهه أبا جهل، وبالذي يمشي سَوِيّاً رسولَ الله ﷺ.

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٢ بنحوه.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٦/ ٥٦ .

(٣) العسف والاعتساف: السير بغير هداية والأخذ على غير طريق. اللسان (عسف)

(٤) في (د) و(ق) و(م): البصير، وفي (ز): البصري، وفي (ظ) الباصر والمثبت من (خ) و(ف) وهو الموافق للكشاف ٤/ ١٣٩ . والكلام منه.

وقيل: أبو بكر. وقيل: حمزة[١]. وقيل: عمَّار بن ياسِر؛ قاله عكرمة[٢].

وقيل: هو عامٌّ في الكافر والمؤمن؛ أي: إنَّ الكافرَ لا يدري أعلى حقٍّ هو أم على باطل، أي: أهذا الكافرُ أهدى، أو المسلمُ الذي يمشي سَوِيّاً معتدلاً يُبصرُ الطريقَ وهو ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام؟[٣].

ويقال: أكبَّ الرجلُ على وجهه؛ فيما لا يتعدَّى بالألف. فإذا تعدَّى قيل: كبَّه الله لوجهه؛ بغير ألف[٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أمر نبيَّه أنْ يُعرِّفَهم قُبح شركهم مع اعترافهم بأنَّ اللهَ خلقَهم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعني القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: لا تشكرون هذه النِّعم، ولا تُوحِّدون الله تعالى[٥]. تقول: قلَّما أفعلُ كذا، أي: لا أفعله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقَكم في الأرض؛ قاله ابن عباس. وقيل: نشرَكُم فيها وفرَّقكُم على ظهرها؛ قاله ابن شجرة[٦]. ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حتى يجازِيَ كُلًّا بعمله.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣٩، دون قوله: وقيل: أبو بكر.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٥٦.

(٣) في (خ) و(ز) و(ف): وهو على طريق مستقيم وهو الإسلام.

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣.

(٥) ينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣٠.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٥٦.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: متى يوم القيامة؟ ومتى هذا العذابُ الذي تَعِدوننا به؟ وهذا استهزاءٌ منهم. وقد تقدَّم[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: قُلْ لهم يا محمد: عِلْمُ وقتِ قيام الساعة عند الله؛ فلا يَعْلمه غيره. نظيرُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف:١٨٧] الآية.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مخوِّف ومُعلم لكم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ مصدرٌ بمعنى مُزْدَلفاً، أي: قريباً؛ قاله مجاهد[2]. الحسن: عِياناً[3]. وأكثر المفسرين على أنَّ المعنى: فلمَّا رأوه يعني العذاب؛ وهو عذابُ الآخرة. وقال مجاهد: يعني عذابَ بدر[4]. وقيل: أي: رأَوا ما وُعِدوا من الحشر قريباً منهم. ودلَّ عليه ﴿تُحْشَرُونَ﴾. وقال ابن عباس: لما رأَوا عملَهم السَّيِّء قريباً.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فُعِلَ بها السوء. وقال الزجاج[5]: تُبيِّن فيها السوء، أي: ساءَهم ذلك العذاب، وظهر على وجوههم سِمَةٌ تدلُّ على كفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦][6].

---

(١) ١١/٥ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٥ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٣ .

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٢٠١ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٥٧ .

وقرأ نافعٌ وابن مُحَيْصِن وابنُ عامر والكسائيُّ: «سيئت» بإشمام الضَّمِّ[١]. وكَسَر الباقون بغير إشمامٍ طلباً للخِفَّة. ومن ضمَّ لاحظَ الأصل.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قال الفرّاء[٢]: «تَدَّعُونَ»: تفتعلون من الدعاء. وهو قولُ أكثر العلماء، أي: تَتمنَّون وتسألون. وقال ابنُ عباس: تَكْذِبون؛ وتأويلُه: هذا الذي كنتم مِن أجله تَدَّعون الأباطيل والأحاديث؛ قاله الزجاج[٣].

وقراءةُ العامة: «تدَّعون» بالتشديد، وتأويلُه ما ذكرناه. وقرأ قتادةُ وابنُ أبي إسحاق والضَّحَّاك ويعقوب[٤]: «تَدْعون» مخفَّفَةً. قال قتادة: هو قولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦]. وقال الضَّحَّاك: هو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الأنفال:٣٢][٥].

وقال أبو العباس: «تَدَّعُونَ»: تستعجلون؛ يقال: دعوتُ بكذا: إذا طلبتَه؛ وادَّعيت: افتعلت منه.

النَّحَّاس: «تَدَّعُونَ، وتَدْعُون» بمعنىً واحد؛ كما يقال: قَدَر واقتدَر، وعَدَى واعتَدَى؛ إلَّا أنَّ في «افتعل» معنى شيء بعد شيء، و«فَعَل» يقع عل القليل والكثير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: قل لهم يا محمد ـ يريدُ مشركي مكَّة، وكانوا يَتمنَّوْن موتَ محمدٍ ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ

(١) التيسير ص١٢٥ عن نافع وابن عامر والكسائي.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ١٧١ بنحوه.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٠١ . وفيه: والأكاذيب. بدل: والأحاديث.

(٤) قراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٨٩ ، وقراءة قتادة والضحاك في تفسير الطبري ١٣٧/٢٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٢٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ١٣٧ .

ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ـ: أرأيتُم إنْ مِتْنَا، أو رُحِمْنَا فأُخِّرت آجالُنا، فمن يجيرُكم من عذاب الله؟ فلا حاجةَ بكم إلى التربُّص بنا، ولا إلى استعجال قيام الساعة.

وأسكنَ الياء في «أهلكني»: ابنُ مُحَيْصِن، والْمُسَيَّبيُّ، وشيبةُ، والأعمشُ، وحمزة(١). وفتحَها الباقون. وكلُّهم فتحَ الياء في «ومَنْ معيَ» إلَّا أهلَ الكوفة؛ فإنَّهم سكَّنُوها، وفتحَها حَفْص كالجماعة(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قرأ الكِسَائيُّ بالياء على الخبر؛ ورواه(٣) عن عليّ. الباقون بالتاء على الخطاب(٤)، وهو تهديدٌ لهم. ويقال: لم أخَّر مفعول «آمَنَّا»، وقدَّم مفعول «تَوَكَّلْنَا»، فيقال: لِوُقوع «آمَنَّا» تعريضاً بالكافرين حينَ ورد عقيب ذكرهم، كأنَّه قيل: آمَنَّا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خصوصاً؛ لم نَتَّكِل على ما أنتم مُتَّكلون عليه من رجالكم وأموالكم؛ قاله الزَّمَخْشَريّ(٥).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائِراً ذاهباً في الأرض لا تنالُه الدِّلاء. وكان ماؤُهم من بئرين: بئر زمزم وبئر ميمون(٦).

---

(١) قراءة حمزة في السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٣، وقراءة المسيبي في السبعة ص٤٦٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣.

(٢) السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٣.

(٣) في (ظ): وروى، وفي(ق). ورواية.

(٤) السبعة ص٤٦٥، والتيسير ص٢١٢.

(٥) في الكشاف ٤/ ١٤٠.

(٦) ينظر النكت والعيون ٦/ ٥٧، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٣. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٤: ويشبه أن تكون هاتان عُظْم ماء مكة، وإلا فكانت فيها بثار كثيرة كخم والجفر وغيرهما.

﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ أي: جارٍ؛ قاله قتادةُ والضَّحَّاك[١]. فلا بدَّ لهم من أنْ يقولوا: لا يأتينا به إلّا الله؛ فقل لهم: لِم تُشركون به من لا يَقْدر على أنْ يأتِيَكم؟ يقال: غارَ الماءُ يَغُور غوراً، أي: نَضَب. والغَوْر: الغائر؛ وُصِف بالمصدر للمبالغة؛ كما تقول: رجلٌ عَدْلٌ ورِضاً[٢]. وقد مضى في سورة الكهف[٣]، ومضى القولُ في المعنى في سورة المؤمنون[٤]. والحمد لله.

وعن ابن عباس: ﴿بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ أي: ظاهرٍ تراهُ العيون؛ فهو مفعول، وقيل: هو من: مَعَن الماءُ، أي: كثُر، فهو على هذا فعيل[٥]. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ المعنى فمن يأتيكم بماء عَذْب؟[٦]. والله أعلم.

---

(١) أخرج قولهما الطبري ٢٣/١٣٩ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/٧٦ .

(٣) ١٣/٢٨٤ .

(٤) ١٥/٢٣ - ٢٤ .

(٥) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/٧٦ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/١٣٩ .

تفسير سورة «نٓ وَالقَلَمِ»

مَكِيّةٌ في قول الحسن وعكرمةَ وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [الآية: ١٦] مكيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ٣٣] مدنيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الآية: ٤٧] مكّيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: ٥٠] مدنيّ، وما بقي مكيّ. قاله الماورديّ[(١)].

وهي ثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ① مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ② وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ③﴾

قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ أدغم النونَ الثانية في هجائها في الواو أبو بكر والمفضَّلُ وهُبَيرةُ ووَرْشٌ وابن مُحَيْصِن وابنُ عامر والكسائيُّ ويعقوب. والباقون بالإظهار[(٢)].

وقرأ عيسى بن عمر بفتحها، كأنَّه أضمر فعلاً[(٣)]. وقرأ ابن عباس ونصر وابنُ أبي إسحاقَ بكسرها على إضمار حرف القسم[(٤)].

وقرأ هارون ومحمد بن السَّمَيْفَع بضمها على البناء[(٥)].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٩، دون ذكرقتادة.

(٢) السبعة ص٥٣٨، والتيسير ص ١٨٣، والنشر ٢/ ١٨ . ولورش الوجهان.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٥) ذكر القراءة ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ عن الحسن وأبي عمران وأبي نهيك.

واختلِف في تأويله، فَرَوَى معاوية بن قُرّة عن أبيه يرفعه إلى النبيّ ﷺ أنه قال: «ن لَوْحٌ من نور»[(١)]. وروَى ثابت البُنَانيّ أنَّ «نَ» الدواة[(٢)]. وقاله الحسن وقتادة[(٣)].

وروى الوليد بن مسلم قال: حدّثنا مالك بن أنس، عن سُمَيّ مولى أبي بكر، عن أبي صالح السّمان، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ ما خلق الله القلمُ، ثمَّ خلق النُّون ـ وهي الدواة ـ وذلك قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، ثمَّ قال له: اكتبْ، قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة من عمل أو أجلٍ أو رزقٍ أو أثَر، فجرى القلمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ـ قال ـ ثم خُتم فَمُ القلم، فلم ينطقْ ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل فقال الجبّار: ما خلَقت خلقاً أعجبَ إليّ منك، وعِزّتي وجلالي لأكَمّلنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت» قال: ثم قال رسولُ الله ﷺ: «أكملُ الناس عقلاً أطوعُهم لله وأعملُهم بطاعته»[(٤)].

وعن مجاهد قال: «ن» الحوتُ الذي تحت الأرض السابعة. قال: «وَالْقَلَم» الذي كُتب به الذِّكر. وكذا قال مقاتل ومُرّة الهَمْدانيّ وعطاء الخراساني والسُّدّي والكَلْبي: إنَّ النون هو الحوت الذي عليه الأرضون[(٥)].

وروى أبو ظَبيان عن ابن عباس قال: أوّلُ ما خلق الله القلمُ فجرى بما هو كائنٌ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ ، وعزاه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية للطبري، ثم قال: وهذا مرسل غريب.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ وفيه: عن ثابت الثمالي، عن ابن عباس.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ ، والأثر أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٧٢ - ٢٢٧٣ وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر، وقال الذهبي في الميزان ٤/ ٦١ : فصدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل. اهـ. والصحيح ما أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥) عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً: «إن أول ما خلق الله القلمُ، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وسيرد.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ١٤١-١٤٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٤، وهذه الأخبار من الإسرائيليات .

ثمَّ رفع بخار الماء فخلق منه السماء، ثم خلق النُّونَ، فبسط الأرض على ظهره، فمادت الأرضُ فأُثْبِتَت بالجبال، وإنَّ الجبالَ لتَفْخَرُ على الأرض. ثم قرأ ابن عباس: «ن وَالْقَلَمِ» الآية. وقال الكَلْبي ومقاتل: اسمه البَهْمُوت[١]. قال الراجز:

مـالـي أراكُـم كـلّـكـم سـكـوتَـا والـلـه رَبِّـي خـلـق الـبَـهْـمُـوتَـا[٢]

وقال أبو اليقظان والواقدي: ليوثا[٣]. وقال كعب: لوثوثا. وقال: بلهموثا[٤].

قال كعب: إنَّ إبليسَ تغلغلَ إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون، فوسوس في قلبه وقال: أتدري ما على ظهركَ يا لوثوثا من الدَّوابِّ والشجر والأرضين وغيرها، لو لفظتَهم ألقيتَهم عن ظهرك أجمع؛ فهمّ ليوثا أن يفعلَ ذلك، فبعث الله إليه دابَّةً فدخلت مِنْخَرَه ووصلت إلى دماغه، فضجّ[٥] الحوتُ إلى الله عزَّ وجلَّ منها، فأذن الله لها فخرجت. قال كعب: فو الله إنَّه لينظُرُ إليها وتنظر إليه، إن همَّ بشيء من ذلك عادت كما كانت[٦].

وقال الضحاك عن ابن عباس: إنَّ «ن» آخرُ حرف[٧] من حروف الرحمن. قال: الر، وحم، ون، الرحمن تعالى مقطعة[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٤ ، وقيّده الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٢٣ : اليَهْموت؛ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء. وأثر ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٠ ، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٤ عن الواقدي.

(٤) اضطرب اسمه في النسخ والمصادر.

(٥) كذا في النسخ، والذي في المصادر ـ الآتية ـ (فعجّ). والعج: رفع الصوت بالتلبية. النهاية (عجج).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٨ ، وهو خبر إسرائيلي باطل، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٧) في (م) حروف.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٤٢ عن ابن عباس من رواية عكرمة عنه.

وقال ابن زيد: هو قسمٌ أقسم الله تعالى به[١]. وقال ابن كَيْسان: هو فاتحةُ السورة[٢]. وقيل: اسمُ السورة[٣]. وقال عطاء وأبو العالية: هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر. وقال محمد بن كعب: أقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين؛ وهو حقٌ[٤]. بيانه قولُه تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال جعفر الصادق: هو نهرٌ من أنهار الجنة يقال له نون[٥]. وقيل: هو المعروفُ من حروف المعجم[٦]؛ لأنَّه لو كان غيرَ ذلك لكان مُعْرَباً؛ وهو اختيار القُشَيْريّ أبو نصر عبد الرحيم في تفسيره. قال: لأنَّ «ن» حرف لم يُعْرَب، فلو كان كلمة تامَّة أعرِب كما أعرب القلم، فهو إذاً حرفُ هجاء كما في سائر مفاتيح السور. وعلى هذا قيل: هو اسم السورة، أي: هذه سورة «ن». ثم قال: «وَالْقَلَمِ» أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان؛ وهو واقعٌ على كل قلم مما يَكتب به مَن في السماء ومَن في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البُسْتيّ:

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم ... وعَدُّوه مما يُكسِبُ المجدَ والكَرَمْ
كَفَى قَلَمُ الكُتَّابِ عِزّاً ورِفعةً ... مَدَى الدهرِ أنَّ الله أقسم بالقَلَمْ[٧]

وللشعراء في تفضيل القلم على السيف أبيات كثيرة، ما ذكرناه أعلاها. وقال ابن عباس: هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال: وهو قلم من نورٍ، طولُه كما بين السماء والأرض. ويقال. خلق الله القلم،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣٢٧ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٧) البيتان في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٤٣٢ . وفيه (مجداً) بدل (عزّاً). وأبو الفتح هو علي بن محمد البستي الكاتب، شاعر زمانه، مات سنة إحدى وأربع مائة. السير ١٧/ ١٤٧ - ١٤٨ .

ثم نظر إليه فانشق نصفين، فقال: اجرِ؛ فقال: يا ربّ، بِمَ أجري؟ قال: بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ[(١)]. وقال الوليد بن عُبادة بنِ الصامت: أوصاني أبي عند موته فقال: يا بُنَيّ، اتقِ الله، واعلمْ أنَّك لن تتقيَ ولن تبلغ العلمَ حتى تؤمنَ بالله وحدَه، والقدرِ خيره وشرّه، سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتبْ، فقال: يا ربّ وما أكتب، فقال: اكتبْ القدرَ، فجرى القلمُ في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد»[(٢)]. وقال ابن عباس: أوّلُ ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[(٣)] [المسد: ١]. وقال قتادة: القلم نعمةٌ من الله تعالى على عباده[(٤)].

قال غيره: فخلق الله القلم الأوّل، فكتب ما يكون في الذكر، ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض، على ما يأتي بيانه في سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[(٥)] [العلق: ١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتبون. يريد الملائكة؛ يكتبون أعمال بني آدم قاله ابن عباس[(٦)]. وقيل: وما يكتبون، [أي:] الناس، وما يتفاهمون به.

وقال ابن عباس: معنى «وَمَا يَسطُرونَ» وما يعلمون[(٧)].

و«ما» موصولة أو مصدرية؛ أي: ومسطوراتِهم أو: وسطرِهم، ويراد به كلُّ من يسطر، أو الحفظة، على الخلاف[(٨)].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٢) أخرجه بطوله الطيالسي في مسنده (٥٧٧)، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢٧٠٥)، والترمذي (٢١٥٥) وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٤/ ٢٠٥ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٢٧ ، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ وفيه (ليعلم به من في الأرض) بدل (ليكتب به في الأرض).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٨ ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٤١ .

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم وهو نفي.

وكان المشركون يقولون للنبيّ ﷺ: إنَّه مجنون، به شيطان. وهو قولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، فأنزل الله تعالى ردّاً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: برحمة ربك. والنعمةُ هاهنا الرحمة. ويحتمل ثانياً: أنَّ النعمةَ هاهنا قَسَم، وتقديره: ما أنت ونعمةِ ربك بمجنون؛ لأنَّ الواو والباء من حروف القسم(١).

وقيل: هو كما تقول: ما أنت بمجنون، والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون، والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك؛ أي: والحمد لله(٢).

ومنه قول لبيد:

وأفردْتُ في الدنيا بفقدِ عشيرتي ... وفارقَني جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ(٣)

أي: وهو أربد. وقال النابغة:

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأمُّهم ... طَفَحتْ عليك بناتقٍ مِذْكارِ(٤)

أي: هو ناتق.

والباء في «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» متعلقة «بمجنون» منفيّاً، كما يتعلق بغافل مثبتاً. كما في قولك: أنت بنعمة ربك غافل. ومحله النصب على الحال؛ كأنَّه قال: ما أنت بمجنون مُنْعَماً عليك بذلك. ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: ثواباً على ما تحملت من أثقال النبوّة.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وفيه (والحمد لك) بدل (والحمد لله).

(٣) ديوان لبيد ص٨٨ في قصيدة يرثي أخاه أربد، وروايته «وقد كنت في أكنافِ جارِ مَضِنَّة... ففارقني...» والبيت أيضاً في الأغاني ١٧/ ٦٣ وفيه (دار) بدل (جار)...، والمضنة: بكسر الضاد وفتحها؛ أي: نفيس مما يضن به. الصحاح (ضنن).

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٦١، والبيت أيضاً في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥١٠ وفيه: دحقت بدل: طفحت. قال ابن قتيبة: ويروى: طفحت عليك، أي: اتسعت، أي: غذوا غذاء حسناً فنموا وكثروا، والناتق: الكثيرة الولد، ومذكار: تلد الذكور.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرَ مقطوع ولا منقوص؛ يقال: مننتُ الحبل: إذا قطعتَه[١]. وحبل منين: إذا كان غير متين. قال الشاعر:

غُبْساً كواسِبُ لا يُمَنّ طعامُها[٢]

أي: لا يقطع.

وقال مجاهد: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غير محسوب[٣]. الحسن: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غيرَ مكدّر بالمَنّ[٤].

الضحَّاك: أجراً بغير عمل. وقيل: غيرَ مقدَّر، وهو التفضُّل؛ لأنَّ الجزاء مقدّر، والتفضُّل غيرُ مقدَّر. ذكره الماوَرْدِيّ، وهو معنى قول مجاهد[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على خُلُقٍ: على دينٍ عظيم من الأديان، ليس دينٌ أحبّ إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه[٦]. وفي صحيح مسلم عن عائشة: أنَّ خُلُقه كان القرآن[٧]. وقال عليٌّ ﷺ وعَطِيّة:

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٧٧ .

(٢) هذا عجز بيت للبيد، وصوره: لِمُعَفَّر قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ، وهو في ديوانه ص١٧١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٧٠٩ ، وفيهما (غبس) بدل(غبساً). وأورد ابن منظور في اللسان (متن) شطر البيت أعلاه كرواية المصنف، ونقد عن ابن بري أنه في نسخة ابن القطاع من الصحاح. ثم قال: وهو غلط. . . إلخ. قال ابن قتيبة: المعفَّر: الولد إذا أرادت أمه أن تفطمه تركته يومين لا تسقيه، ثم ترضعه، ثم تتركه ثلاثة أيام، ثم ترضعه حتى يستمر ويعتاد، والقهد: الغنم الصغار الأذناب، تنازع شلوه؛ أي: تجاذب بقية جسده، غبس: ذئاب في ألوانها لا يمن طعامها من عطاء أحد يمتن به إنّما هو كسبها.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٩ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٢٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٧) صحيح مسلم (٧٤٦): (١٣٩) مطول، وهو في مسند أحمد (٢٤٢٦٩).

هو أدب القرآن[(١)]. وقيل: هو رِفْقُه بأمّته وإكرامُه إيّاهم.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله، وينتهي[(٢)] عنه مما نهى الله عنه.

وقيل: أي: إنَّك على طبع كريم. الماورديّ: وهو الظاهر.

وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسانُ نفسَه من الأدب يُسَمَّى خُلُقاً؛ لأنَّه يصير كالخِلْقة فيه. وأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم[(٣)] ـ بالكسر ـ: السَّجِيَّة والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخِيم: اسم جبل[(٤)]. فيكون الخُلُقُ الطبعَ المتكلَّف، والخِيمُ الطبعَ الغريزي. وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذُو الفضول ضَنَّ على المَوْ لَى وعادت لِخِيمها الأخلاقُ

أي: رجعت الأخلاقُ إلى طبائعها[(٥)].

قلت: ما ذكرته عن عائشةَ في صحيح مسلم أصحُّ الأقوال. وسئلت أيضاً عن خُلُقه عليه الصلاة والسلام، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشر آيات[(٦)]، وقالت: ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لَبَّيْك؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٧)]. ولم يُذكر خُلُقٌ محمود إلا وكان للنبيّ ﷺ منه الحظُّ الأوفر.

---

(١) قول علي ﷺ في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وقول عطية في النكت والعيون ٦/ ٦١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٢.

(٢) المثبت من (م) وهو الموافق لما في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وقول قتادة منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦١.

(٤) الصحاح (خيم).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦١ - ٦٢، والبيت في ديوان الأعشى ص ٣٢ وروايته فيه: وصارت، بدل: وعادت.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨١، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٨٧).

(٧) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص١٧-١٨، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١١٩)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧١ وفي إسناده حسين بن علوان؛ قال في المجروحين. ١/ ٢٤٤: كان يضع الحديث، وكذبه أحمد بن حنبل، وذكر ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٠ عن يحيى بن معين: حسين بن علوان كذّاب، وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الجُنَيْد: سُمِّيَ خلقه عظيماً؛ لأنَّه لم تكن له همة سوى الله تعالى[١]. وقيل: سُمِّيَ خُلُقُه عظيماً؛ لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدلّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله بعثني لأتمِّم مكارمَ الأخلاق»[٢]. وقيل: لأنه امتثل تأديبَ الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣] [الأعراف:١٩٩]. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أَدَّبَني رَبِّي تأديباً حسناً إذ قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] فلما قبلت ذلك منه قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤].

الثانية: روى الترمذيّ عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بِخُلُق حَسَن». قال: حديث حسن صحيح[٥].

وعن أبي الدَّرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما شيءٌ أثقلَ في ميزان المؤمن يومَ القيامة من خُلُق حَسَنٍ، وإنَّ الله تعالى لَيُبْغِضُ الفاحشَ البذيءَ». قال: حديث حسن صحيح[٦].

وعنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: « ما من شيء يوضع في الميزان أثقلَ من حُسْنِ الخُلُق، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلق ليبلغُ به درجةَ صاحب الصلاة والصوم».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٦.

(٢) أخرجه البيهقي ١٠/١٩٢، بلفظ «إنما بعثت»، وهو من حديث أبي هريرة ، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وسلف ٩/ ٤٢٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥.

(٤) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص١ من حديث عبد الله. قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٧٣: أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع، فيه من لم أعرفه عن عبد الله أظنه ابن مسعود. وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى ص٣٥٣: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

(٥) سنن الترمذي (١٩٨٧)، وهو في مسند أحمد (٢١٣٥٤).

(٦) سنن الترمذي (٢٠٠٢).

قال: حديثٌ غريب من هذا الوجه[١].

وعن أبي هريرة قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن أكثرِ ما يُدْخِل الناسَ الجنةَ؟ فقال: «تقوى الله وحسنُ الخُلُق». وسئل عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ النارَ؟ فقال: «الفَمُ والفَرْجُ» قال: هذا حديث صحيح غريب[٢].

وعن عبد الله بن المبارك أنَّه وصف حُسْنَ الخُلُق فقال: هو بَسْط الوجه، وبَذْل المعروف، وكَفُّ الأذى[٣].

وعن جابر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منّي مجلساً يومَ القيامة أحاسنَكم أخلاقاً ـ قال ـ وإنّ أبغضَكم إليّ وأبعدَكم مني مجلساً يومَ القيامة الثرثارون والمُتَشدِّقون والْمُتَفَيْهِقُون». قالوا: يا رسول الله، قد عَلِمْنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». قال: وفي الباب عن أبي هريرةَ، وهذا حديث حسن غريب[٤].

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه: فستعلم ويعلمون يومَ القيامة. وقيل: فسترى ويرون يومَ القيامة حين يتبين الحقّ والباطل[٥]. ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾الباء زائدة، أي: فستبصر ويبصرون أيّكم المفتون، أي: الذي فُتِن بالجنون،

(١) سنن الترمذي (٢٠٠٣)، وأخرجه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩) مختصراً.

(٢) سنن الترمذي(٢٠٠٤)، وهو عند أحمد (٩٦٩٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٣) أخرجه عنه الترمذي في سننه (٢٠٠٥).

(٤) سنن الترمذي (٢٠١٨) . وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٨٢٢) بنحوه مختصراً، وفي الباب عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه أحمد (١٧٧٣٢)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أحمد (٦٥٠٤).

قال الترمذي: الثرثار: هو الكثير الكلام، والمُتَشَدِّق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] و﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] وهذا قول قتادة وأبي عُبيد[١] والأخفش[٢]. وقال الراجز:

نحن بنو جَعْدَةَ أصحاب الفَلَجْ نَضربُ بالسيف ونرجو بالفَرَجْ[٣]

وقيل: الباء ليست بزائدة، والمعنى: «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» أي: الفتنة. وهو مصدر على وزن المفعول، ويكون معناه: الفُتُون، كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول؛ أي: عقل ولا جلادة. وقاله الحسن والضحاك وابن عباس[٤]. وقال الراعي[٥]:

حتى إذا لَمْ يَتْركوا لعظامِهِ لحماً ولا لفؤادِهِ معقولا

أي: عقلاً.

وقيل: في الكلام تقديرُ حذف مضاف، والمعنى: بأيكم فتنة المفتون[٦].

وقال الفرّاء[٧]: الباء بمعنى في، أي: فستبصِر ويبصرون في أيِّ الفريقين المجنون؛ أبالفِرْقة التي أنت فيها من المؤمنين، أم بالفِرقة الأخرى.

والمفتون: المجنون الذي فتنه الشيطان[٨].

وقيل: المفتون المعذَّب. من قول العرب: فتنتُ الذهبَ بالنار: إذا حَمّيتَه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يعذّبون[٩].

---

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٤ -٢٠٥ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ وفيهما (أبي عبيدة) بدل (أبي عبيد) وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٤ ، وذكر قول قتادة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧ .

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٧١٢ .

(٣) الرجز للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٢١٦ برواية: نضرب بالبِيض. وسلف ١٤/ ٣٥٧ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

(٥) ديوانه ص٢٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٨) مجمع البيان ٢٩/ ٢٤ .

(٩) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

ومعظم السورة نزلتْ في الوليد بن المغيرة وأبي جهل[١].

وقيل: المفتون هو الشيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه. وكانوا يقولون: إنَّ به شيطاناً، وعَنَوْا بالمجنون هذا؛ فقال الله تعالى: فسيعلمون غداً بأيِّهم المجنون، أي: الشيطان الذي يحصل من مسّه الجنونُ واختلاطُ العقل[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: إنَّ الله هو العالم بمن حادَ عن دينه. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: الذين هم على الهدى، فيجازِي كُلّاً غداً بعمله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾

نهاه عن ممايلة المشركين، وكانوا يدعونه إلى أن يكُفّ عنهم ليكفُّوا عنه، فبيّن الله تعالى أنَّ مُمايلتَهم كفر. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤][٣]. وقيل: أي: فلا تطع المكذبين فيما دَعوْك إليه من دينهم الخبيث. نزلت في مشركي قريش حين دَعَوْه إلى دين آبائه[٤].

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسُّدّيّ: ودّوا لو تكفر فيتمَادَوْن على كفرهم[٥]. وعن ابن عباس أيضاً: ودّوا لو تُرَخِّص لهم فَيُرَخِّصون لك[٦]. وقال الفرّاء[٧] والكَلْبيُّ: لو تلين فيلينون لك. والإدْهان: التَّليين لمن لا ينبغي له التَّليين. قاله الفرّاء.

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ١٤١ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٥٧ بنحوه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، والوسيط ٤/ ٣٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣١ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ عن ابن عباس والضحاك.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وقول الكلبي الآتي في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

وقال مجاهد: المعنى: ودّوا لو رَكَنْتَ إليهم وتركت الحقَّ فيُمالئونك[١]. وقال الربيع بنُ أنس: ودّوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودّوا لو تذهب عن هذا الأمرِ فيذهبون معك[٢]. الحسن: ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضاً: ودّوا لو ترفض بعضَ أمرك فيرفضون بعضَ أمرهم. زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون[٣]. وقيل: ودّوا لو تضعف فيضعفون. قاله أبو جعفر[٤].

وقيل: ودّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. قاله القُتَبيُّ. وعنه: طلبوا منه أن يعبدَ آلهتهم مدّة ويعبدوا إلهه مدّة[٥]. فهذه اثنا عشر قولاً.

ابن العربيّ[٦]: ذكر المفسرون فيها نحوَ عشرة أقوال، كلُّها دعاوَى على اللغة والمعنى. أمثلُها قولهم: ودّوا لو تكذب فيكذبون، ودّوا لو تكفر فيكفرون.

قلت: كلُّها إن شاء الله تعالى صحيحةٌ على مقتضى اللغة والمعنى؛ فإنَّ الإدْهان: اللينُ والمصانعة[٧]. وقيل: مجاملة العدُوّ وممايلته[٨]. وقيل: المقاربة في الكلام والتَّليين في القول[٩]. قال الشاعر:

لَبَعضُ الغَشْمِ أحزمُ في أمورٍ تنوبُك من مداهنةِ العدوِّ[١٠]

(١) الوسيط ٤/ ٣٣٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٢، وأخرج قول قتادة الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧ بلفظ: «لو أدهنت عن هذا الأمر فأدهنوا معك».

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠-٣٣١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٦٢.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٤٧٨.

(٦) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٣.

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٩) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(١٠) في (م) العده، والمثبت من (د) و(ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٦٣ والبيت فيه، ولم نقف على قائله. الغَشْم: الظلم. اللسان (غشم).

وقال المفضَّل: النفاق وتركُ المناصحة، فهي على هذا الوجه مذمومةٌ، وعلى الوجه الأوّل غيرُ مذمومة[١]، وكلُّ شيء منها لم يكن.

قال المبرد: يقال: أدهن في دينه وداهن في أمره؛ أي: خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر[٢].

وقال قومٌ: داهنتُ بمعنى: واريت، وأدهنت بمعنى: غششت. قاله الجوهريُّ[٣].

وقال: «فَيُدْهِنُونَ» فساقه على العطف، ولو جاء به جواب التمني[٤] لقال: فيدهنوا. وإنما أراد: إنهم[٥] تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك، عطفاً لا جزاءً عليه ولا مكافأة، وإنَّما هو تمثيل وتنظير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

يعني الأخنسَ بنَ شَرِيق، في قول الشعبيَ والسُّدِّيّ وابن إسحاق. وقيل: الأسود ابن عبد يغوث، أو عبد الرحمن بن الأسود. قاله مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة، عرضَ على النبيّ ﷺ مالاً، وحلف أن يعطيَه إن رجع عن دينه. قاله مقاتل[٦]. وقال ابن عباس: هو أبو جهل بن هشام[٧]. والحلّاف: الكثير الحَلِف[٨].

والمَهِين: الضعيف القلب؛ عن مجاهد. ابن عباس: الكذّاب. والكذَّاب مهين.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣ .

(٣) في الصحاح (دهن).

(٤) في النسخ: النهي، والمثبت من أحكام ابن العربي ٤/ ١٨٤٤ ، والكلام منه، ووقع في بعض نسخه: النهي، كما ذكر في حواشيه.

(٥) في النسخ: إن، والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٣ ، ٦٥ دون ذكر عبد الرحمن بن الأسود، والشعبي.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٣ .

وقيل: المِكثار في الشَّر. قاله الحسن وقتادة[١]. وقال الكلبيّ: المَهِين: الفاجر العاجز.

وقيل: معناه الحقير عند الله[٢].

وقال ابن شجرة: إنه الذليل[٣]. الرُّمّاني: المَهين: الوضيع لإكثاره من القبيح.

وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة، وهي هنا القلة في الرأي والتمييز[٤]. أو هو فعيل بمعنى مُفْعَل؛ والمعنى مُهان.

﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن زيد: الهمّاز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم. واللَّمّاز باللسان[٥]. وقال الحسن: هو الذي يهمز بأخيه[٦] في المجلس، كقوله تعالى: ﴿هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقيل: الهَمّاز: الذي يذكر الناسَ في وجوههم. واللَّمّاز: الذي يذكرهم في مغيبهم. قاله أبو العالية وعطاء ابن أبي رباح والحسن أيضاً[٧].

وقال مقاتل ضدّ هذا الكلام: إنَّ الهُمَزَة الذي يغتاب بالغيبة، واللُّمَزَة الذي يغتاب في الوجه. وقال مرّة: هما سواء[٨]. وهو القَتّات الطّعّان للمرء إذا غاب. ونحوه عن ابن عباس وقتادة[٩]. قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣ دون ذكر الحسن، وأخرج أثر ابن عباس والحسن وقتادة الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٨.

(٢) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٩.

(٦) في النسخ (ناحية)، والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨. وينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٩٢.

(٧) زاد المسير ٩/ ٢٢٧.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٩) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٤/ ٦١٨.

تُـدْلـي بِـوُدٍّ إذا لاقـيـتَـنـي كـذبـاً   وإنْ أُغيَّب[١] فأنت الهامزُ اللُّمَزَهْ

﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم. يقال: نَمّ يَنُمّ نَمًّا ونَمِيماً ونَمِيمَةً[٢]، أي: يمشي ويسعى بالفساد.

وفي صحيح مسلم عن حُذيفة: أنَّه بلغَهُ أنَّ رجلاً ينُمُّ الحديثَ، فقال حذيفةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنةَ نمّامٌ»[٣]. وقال الشاعر[٤]:

ومَوْلىً كبَيْتِ النَّملِ لا خيرَ عنده   لـمـولاه إلا سَـعْـيُـه بـنـمـيـم

قال الفرّاء: هما لغتان. وقيل: النَّميم جمع نَميمة[٥].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: للمال أن ينفَق في وجوهه. وقال ابن عباس: يمنع عن الإسلام ولدَه وعشيرتَه. وقال الحسن: يقول لهم: من دخل منكم في دين محمد، لا أنفعه بشيء أبداً[٦].

﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: على الناس في الظلم، متجاوز للحدّ، صاحب باطل. ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: ذي إثم، ومعناه أَثُوم، فهو فَعيل بمعنى فَعول.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العُتُلّ: الجافي الشديد في كفره[٧]. وقال الكلبيّ والفراء: هو الشديد الخصومة بالباطل. وقيل: إنه الذي يعتِلُ الناس فيجرّهم إلى حبس أو عذاب. مأخوذ من العَتْل، وهو الجرّ، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾[٨] [الدخان: ٤٧].

---

(١) في (م) أغب، والشاعر هو زياد الأعجم كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣١١، والبيت أيضاً في إصلاح المنطق ص٤٧٥ وروايتهما (بودِّي) بدل (بودٍّ).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٤.

(٣) صحيح مسلم (١٠٥): (١٦٨)، وهو في مسند أحمد (٢٣٣٢٥).

(٤) هو البعيث - خِداش بن بشر - كما في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٦٣٧، والحيوان للجاحظ ٤/ ٣٢.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤، وكلام الفراء بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

(٦) ذكر القولين البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦١.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٤ دون ذكر الفراء، وكلامه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

وفي الصِّحاح[١]: وعتَلْتُ الرجلَ أعْتِلُه وأعْتُلُه: إذا جذبتَه جذباً عنِيفاً. ورجل مِعْتَل؛ بالكسر. وقال[٢] يصف فرساً:

نَـفْـرَعُـهُ فَـرْعـاً ولـسـنـا نَـعْـتِـلُـهْ

قال ابن السِّكِّيت: عَتَله وعَتَنه، باللام والنون جميعاً. والعُتُلّ: الغليظ الجافي. والعُتُلّ أيضاً: الرمح الغليظ. ورجل عَتِلٌ؛ بالكسر: بَيِّن العَتَل، أي: سريع إلى الشرّ. ويقال: لا أنْعتِلُ معك، أي: لا أبرح مكاني[٣].

وقال عُبيد بن عمير: العُتُلّ: الأكولُ الشروب القويّ الشديد؛ يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع المَلَكُ من أولئك في جهنم بالدُّفعة الواحدة سبعين ألفاً. وقال عليّ بن أبي طالب والحسن: العُتُلّ الفاحش السيِّء الخلق[٤].

وقال مَعْمَر: هو الفاحش اللئيم[٥]. قال الشاعر:

بـعُـتُـلّ مـن الـرجـال زَنِـيـم غـيـرِ ذي نـجـدة وغـيـرِ كـريـم[٦]

وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبيّ ﷺ قال: «ألَا أخبرُكم بأهل الجنة؟» قالو: بلى. قال: «كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعَّف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستَكبِر». في رواية عنه: «كلُّ جوّاظ زَنيمٍ متكبِّر»[٧]. الجَوّاظ: قيل: هو الجَمُوع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال[٨].

(١) مادة (عتل).

(٢) هو أبو النجم، وسلف البيت ١٦/ ١٥٠ .

(٣) الصحاح (عتل).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ دون ذكر علي بن أبي طالب، وأخرج أثر عبيد بن عمير ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٦٢ عن القاسم مولى معاوية، مرفوعاً.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٤ . ولم نقف على قائل البيت.

(٧) صحيح مسلم (٢٨٥٣)، وأخرجه أحمد (١٨٧٢٨)، والبخاري (٦٠٧١).

(٨) المفهم ٧/ ١٧٠ .

وذكر الماوردي[١] عن شَهْر بن حَوْشَب، عن عبد الرحمن بن غَنْم، ورواه ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ، ولا الْعُتُلّ الزَّنيم». فقال رجل: ما الجَوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العتلُّ الزَّنيم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الجوّاظ: الذي جَمعَ ومنع، والجَعْظَريّ: الغليظ، والعُتُلّ الزَّنيم: الشديد الخَلْق، الرّحيب الجوف، المصَحَّح، الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس».

وذكره الثعلبي عن شدّاد بن أوس: «لا يدخلُ الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُلٌّ زنيم» سمعتهن من النبيّ ﷺ. قلت: وما الجَوّاظ؟ قال: الجَمّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرّحِيب الجوف، الوَثِيْر الخَلْق، الأكول الشروب، الغَشوم الظلوم[٢].

قلت: فهذا التفسير من النبيّ ﷺ في العُتُلّ قد أربى على أقوال المفسرين. ووقع في كتاب أبي داود في تفسير الجَوّاظ أنه الفظُّ الغليظ. ذكره من حديث حارثة بن وهب الخُزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ الجَوّاظ ولا الجَعْظَرِيّ». قال: والجَوّاظ: الفظُّ الغليظ[٣]. ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه أوّلاً. وقد قيل: إنه الجافي القلب[٤].

وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: قال النبيّ ﷺ: «تبكي السماءُ من رجل أصحّ الله جِسْمَه، ورحّب جَوْفَه، وأعطاه من الدنيا بعضاً.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٦٤ - ٦٥ ، وأخرجه أحمد (١٧٩٩٣) عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غَنْم مختصراً. وشهر كثير الإرسال والأوهام، وعبد الرحمن بن غَنْم مختلف في صحبته، كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب.

وله شواهد؛ منها الحديث السالف.

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٤٦٧ دون قوله: الوثير الخلق...، والوثارة: كثرة الشحم. الصحاح (وثر).

(٣) سنن أبي داود (٤٨٠١).

(٤) المفهم ٧/ ١٧٠ عن ابن دريد.

فكان للناس ظَلوماً، فذلك الْعُتُلُّ الزنيم. وتبكي السماءُ من الشيخ الزاني ما تكاد الأرض تُقِلّه»[١].

والزّنِيم: المُلْصَق بالقوم الدَّعِيّ؛ عن ابن عباس وغيره. قال الشاعر:

زَنِــيــمٌ تــداعــاه الــرجــالُ زيــادةً كما زِيد في عَرْضِ الأدِيم الأكارعُ[٢]

وعن ابن عباس أيضاً: أنه رجل من قريش كانت له زَنَمة كزنمة الشاة[٣]. وروى عنه ابن جُبَير: أنه الذي يُعرف بالشرِّ؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[٤]. وقال عِكرِمة: هو اللئيم الذي يُعرف بلؤمه؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[٥].

وقيل: إنه الذي يعرف بالأُبْنةِ[٦]. وهو مرويّ عن ابن عباس أيضاً. وعنه أنه الظَّلوم[٧].فهذه ستة أقوال.

وقال مجاهد: زَنِيم كانت له ستة أصابع في يده، في كل إبهام له إصبع زائدة. وعنه أيضاً وسعيدِ بن المسيّب وعكرمة: هو ولد الزّنى الملحق في النسب بالقوم[٨]. وكان الوَلِيد دَعِيّاً في قريش ليس من سِنْخهم، ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده[٩]. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٠٨، والطبري ٢٣/١٦٣ وفيهما: «وأعطاه من الدنيا مقضماً». والخبر مرسل.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٣٩٣، والبيت نسب لحسان بن ثابت، ونسب للخطيم التميمي، وسلف ١/٤٥.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٧)، والزَنَمة: شيء يكون للمعز في أذنها كالقُرط، أو شيءٌ يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. الصحاح (زنم).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٦ - ١٦٧، والحاكم ٢/٤٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٨.

(٦) الأُبْنة: العيب في الكلام. اللسان (أبن).

(٧) النكت والعيون ٦/٦٥، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٧.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٤ - ١٦٥ عن ابن عباس وسعيد وعكرمة.

(٩) الكشاف ٤/١٤٢، وتفسير الرازي ٣٠/٨٥، وقوله: سنخهم؛ السنخ: الأصل. الصحاح (سنخ).

زنـيــمٌ لـيــس يُـعــرفُ مَــن أبــوه بــغــيُّ الأُمِّ ذو حَــسَــب لـئـيــمِ[١]

وقال حَسَّان:

وأنــتَ زَنـيــمٌ نِـيــطَ فــي آل هــاشــمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[٢]

قلت: وهذا هو القول الأول بعينه. وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: أنَّه الذي لا أصل له، والمعنى واحد.

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ وَلَدُ زنىً، ولا ولدُه، ولا ولدُ ولدِه»[٣]. قال عبد الله بن عمر: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أولادَ الزنى يُحشرون يومَ القيامة في صورة القردةِ والخنازير»[٤].

وقالت ميمونة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تزالُ أمتي بخير ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزِّنَى، فإذا فَشَا فيهم ولدُ الزنى، يوشك[٥] أن يعمَّهم الله بعقاب»[٦]. وقال عكرمة: إذا كثر ولدُ الزنى قَحَطَ المَطَرُ.

قلت: أما الحديث الأول والثاني، فما أظنُّ لهما سنداً يصح، وأما حديثُ ميمونةَ وما قاله عكرمةُ؛ ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جَحْش زوجِ النبيّ ﷺ

---

(١) سلف ١/ ٤٤.

(٢) ديوان حسان ص٢١٦ . وقوله: نيط، أي: عُلق، والمنوط بالقوم، أي: الدخيل فيهم.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٣ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٠٨ ، ٨/ ٢٤٩ عن مجاهد واضطربت الرواية عنه، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٣٠٠ ، وقال: ثم أيّ ذنب لولد الزنى حتى يمنعه من دخول الجنة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. وقال صاحب تنزيه الشريعة ٢/ ٢٢٨ : لا يصح.

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٧٥ من طريق زيد بن عياض. قال في الفوائد المجموعة ص٢٠٤ : هو موضوع. وقال في لسان الميزان ٢/ ٥١٠ : ذكره العقيلي في الضعفاء وكناه أبا عياض.

(٥) في النسخ عدا (ظ) أوشك.

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٨٣٠) وفيه ضعفاء، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم ٢/ ٣٧ بلفظ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله، وحديث زينب الآتي ذكره.

قالت: خرج النبيُّ ﷺ يوماً فَزِعاً مُحْمَرّاً وَجْهُهُ يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه» وحلّق بإصبعيه الإبهامِ والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أَنَهْلِك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثُر الخَبَث» خرّجه البخارِيّ[١]. وكثرةُ الخبث ظهورُ الزنى وأولادُ الزنى. كذا فسّره العلماء[٢].

وقول عكرمة «قَحَطَ المطر» تبيينٌ لما يكون به الهلاك، وهذا يحتاج إلى توقيف، وهو أعلم من أين قاله.

ومعظم المفسرين على أنَّ هذا نزل في الوليد بن المغيرة، وكان يُطعم أهلَ مِنىً حَيْساً[٣] ثلاثة أيام، وينادي: ألَا لا يوقدنّ أحد تحت بُرْمَةٍ[٤]، ألا لا يدخنّن أحد بكُراع، ألا ومن أراد الحَيْس فليأت الوليدَ بن المغيرة. وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفاً وأكثر، ولا يعطي المسكين[٥] درهماً واحداً؛ فقيل: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ». وفيه نزل: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت:٦-٧].

وقال محمد بن إسحاق: نزلت في الأَخْنَس بن شَرِيق؛ لأنه حليفٌ مُلْحق في بني زُهْرة، فلذلك سُمِّيَ زَنِيماً[٦].

وقال ابن عباس: في هذه الآية نُعِت، فلم يعرف حتى قيل[٧]، فعُرف، وكان له زَنَمة في عنقه معلّقة يُعرف بها. وقال مُرّة الهَمْدانيّ: إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٨].

(١) في صحيحه (٧٠٥٩)، وهو عند مسلم (٢٨٨٠)، وأحمد (٢٧٤١٣).
(٢) ينظر إكمال المعلم ٨/ ٤١٢، والمفهم ٧/ ٢٠٨.
(٣) الحيس: هو تمر يخلط بسمنٍ أو أقِطٍ. الصحاح (حيس).
(٤) البُرْمة: هي القِدر. الصحاح (برم).
(٥) في (ظ) المسلمين.
(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٥.
(٧) المثبت من (د)، وفي غيرها: قتل، وفي تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ حتى قيل: زنيم، فعرف. . .
(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨.

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وابنُ عامر وأبو حَيْوة والمغيرة والأعرج: «آن كان» بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام. وقرأ المُفَضّل وأبو بكر وحمزةُ: «أأن كان» بهمزتين مُحَقّقتين. وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر[١]، فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين، فهو استفهام والمراد به التوبيخ[٢].

ويحسن له أن يقف على «زنيم»، ويبتدئ: «آنْ كَانَ» على معنى: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين تطيعه؟ ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يقول إِذَا تُتْلَى عليهِ آيَاتُنَا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[٣]!

ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر. ودلّ عليه ما تقدم من الكلام، فصار كالمذكور بعد الاستفهام.

ومن قرأ: «أَنْ كَانَ» بغير استفهام، فهو مفعول من أجله، والعاملُ فيه فعل مضمر، والتقدير: يكفر لأن كان ذا مال وبنين. ودلَّ على هذا الفعل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. ولا يعمل في «أَنْ»: «تُتْلَى» ولا «قَالَ»؛ لأنَّ ما بعد «إِذَا» لا يعمل فيما قبلها؛ لأنَّ «إِذَا» تضاف إلى الجمل التي بعدها، ولا يعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف. و«قال» جواب الجزاء، ولا يعمل فيما قبل الجزاء؛ إذ حكم العامل أن يكونَ قبل المعمول فيه، وحكم الجواب أن يكونَ بعد الشرط، فيصير مقدماً مؤخراً في حال[٤]. ويجوز أن يكون المعنى: لا تطعه لأن كان ذا يسار وعدد.

---

(١) السبعة ص٦٤٦، والتيسير ص٢١٣. والنشر ١/٣٦٧.

(٢) الوسيط ٤/٣٣٦.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٩٤٣ - ٩٤٤ ووقع في (ز) و(ظ): قال أساطير الأولين.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٤٨ - ٧٤٩.

قال ابن الأنباري[١]: ومن قرأ بلا استفهام، لم يحسن أن يقف على «زَنِيم»؛ لأنَّ المعنى: لأنْ كان وبأنْ كان، فـ «أن» متعلقة بما قبلها.

قال غيره: يجوز أن يتعلق بقوله: «مَشَّاءٍ بِنَمِيم»، والتقدير: يمشي بنميم لأن كان ذا مال وبنين.

وأجاز أبو عليّ أن يتعلق بـ «عُتُلٍّ»[٢]. وأساطير الأولين: أباطيلُهم وتُرّهاتُهم وخرافاتُهم. وقد تقدم[٣].

قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ قال ابن عباس: معنى «سَنَسِمُهُ»: سَنَخْطِمُه بالسيف. قال: وقد خُطم الذي نزلت فيه يومَ بدر بالسيف، فلم يزل مخطوماً إلى أن مات. وقال قتادة: سنسمه يومَ القيامة على أنفه سِمةً يُعرف بها[٤]. يقال: وسَمْته وَسْماً وسِمَةً: إذا أثّرتَ فيه بِسِمَةٍ وَكَيّ[٥].

وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فهذه علامة ظاهرة. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]. وهذه علامة أخرى ظاهرة. فأفادت هذه الآية علامة ثالثةً وهي الوسم على الأنف بالنار[٦]، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] قاله الكلبي وغيره[٧].

---

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ بنحوه.

(٣) ٨/ ٣٤٦ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ ، والطبري ٢٣/ ١٧٠ .

(٥) الصحاح (وسم).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٥ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٦ بنحوه.

وقال أبو العالية ومجاهد: «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» أي: على أنفه، ونسوّد وجهَه في الآخرة، فَيُعْرف بسواد وجهه[١].

والخُرطوم: الأنفُ من الإنسانُ، ومن السباع: موضعُ الشَّفَة[٢]. وخراطيم القوم: ساداتُهم[٣].

قال الفراء[٤]: وإن كان الخُرْطُوم قد خُصّ بالسِّمة؛ فإنه في معنى الوجه؛ لأنَّ بعض الشيء يعبّر به عن الكلّ.

وقال الطبري[٥]: نبيّن أمرَه تِبياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السِّمة على الخراطيم.

وقيل: المعنى سَنُلْحِقُ به عاراً وسُبَّةً حتى يكون كمن وُسِم على أنفه[٦].

قال القُتَبيّ[٧]: تقول العرب للرجل يُسَبّ سُبّةَ سوء قبيحة باقية: قد وُسِم مِيسَم سوء، أي: أُلْصِق به عارٌ لا يفارقه، كما أنَّ السِّمة لا يُمْحَى أثرها. قال جرير:

لمّا وضعتُ على الفَرَزْدَق مِيسَمِي وعلى البَعِيث جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ[٨]

أراد به الهجاءَ. قال[٩]: وهذا كلُّه نزل في الوليد بن المغيرة. ولا نعلم أنَّ الله

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٦، ونسب الماوردي فيه الكلام للمبرّد.

(٣) أساس البلاغة (خرط).

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٤.

(٥) في تفسيره ٢٣/ ١٧٠ - ١٧١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ بنحوه.

(٧) في تأويل مشكل القرآن ص١١٨ - ١١٩.

(٨) ديوان جرير بشرح ابن حبيب ٢/ ٩٤٠. وروايته فيه: وضعنا البَعيث، بدل: وعلى البعيث، ووقع في هامش (خ) و(ي) ما نصُّه: البعيث اسم شاعر من تميم .اهـ. والبعيث هو خداش بن بشر.

(٩) القائل القتبي في تأويل مشكل القرآن ص١٢٠.

تعالى بلغ من ذكر عيوب أحدٍ ما بلغه منه، فألحقه به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوَسْم على الخُرْطوم.

وقيل: هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه وماله وأهله من سوء وذُلّ وصَغار. قاله ابن بحر. واستشهد بقول الأعشى:

فدعها وما يعنيك واعمِدْ لغيرها بشعرك واعْلُب أنفَ من أنت واسمُ(١)

وقال النَّضْر بن شُمَيل: المعنى: سنحُدّه على شرب الخمر، والخُرطوم: الخمر، وجمعه خراطيم، قال الشاعر:

تَظَلُّ يومك فِي لَهْوٍ وفي طَرَبٍ وأنت بالليل شَرّاب الخراطيمِ(٢)

قال الراجز:

صَهْبَاءَ خُرْطوماً عُقاراً قَرْقَفا(٣)

وقال آخر:

أبا حاضرٍ من يَزْنِ يُعْرفْ زِناؤُه ومن يشربِ الخُرْطومَ يُصبحْ مُسَكَّرا(٤)

الثانية: قال ابن العربي(٥): كان الوَسْم في الوجه لذي المعصية قديماً عند الناس، حتى إنَّه رُوي ـ كما تقدم ـ أنَّ اليهود لما أهملوا رَجْم الزاني، اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه، وهذا وضع باطل. ومن الوسم الصحيح في الوجه: ما رأى

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٦، وبيت الأعشى في ديوانه ص٩، وورد في (م): (يغنيك) بدل: (يعنيك). قوله: اعلُب: يقال علبتُه أعلُبُه: إذا وسمته أو خدشته. الصحاح (علب).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ دون قوله: وجمعه خراطيم.

(٣) هذه كلها من أسماء الخمر، والرجز للعجاج وهو في ديوانه ص٤٢٣، وقبله: فغمّها حولين ثم استودفا. قال شارحه: استودف: استقطر.

(٤) البيت للفرزدق كما في جمهرة اللغة ٣/ ٢٥٥، والصحاح (زنى)، والبيت أيضاً في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢١ وروايته: يظهر، بدل: يعرف، والصهباء، بدل: الخرطوم. ونسبه للفرزدق، ثم قال: وبعضهم يرويها لزياد الأعجم، وكان أبو حاضر أحد المشهورين بالزنى.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٥، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

العلماء من تسويد وجه شاهد الزور، علامةً على قُبْح المعصية وتشديداً لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنُّبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته؛ فقد كان عزيزاً بقول الحقّ، وقد صار مَهيناً بالمعصية. وأعظمُ الإهانة [إهانةُ الوجه]. وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سبباً لخيرة الأبد والتحريم له على النار؛ فإنَّ الله تعالى قد حرَّم على النار أن تأكلَ من ابن آدم أثَرَ[1] السجود، حسب ما ثبت في الصحيح[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يريد أهلَ مكة. والابتلاء الاختبار. والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليَبْطروا، فلما بَطِرُوا وعادَوْا محمداً ﷺ، ابتليناهم بالجوع والقَحْط، كما بلونا أهلَ الجنة المعروفِ خبرُها عندهم. وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ـ ويقال بفرسخين ـ وكانت لرجل يؤدّي حقَّ الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرَها، وبَخِلُوا بحقِّ الله فيها؛ فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حلّ بها.

قال الكلبي: كان بينهم وبين صنعاء فرسخان، ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم.

وقيل: هي جنةٌ بصَوْران، وصوران[3] على فراسخ[4] من صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير ـ وكانوا بخلاء ـ فكانوا يجدُّون التمر ليلاً

---

(١) صحيح البخاري (٨٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مطولاً.

(٢) في (ظ): موضع أثر.

(٣) في (ق) و(م) بضوران، وضوران . . . إلخ. والمثبت من باقي النسخ، حيث ذكر ياقوت صوران في معجم البلدان ٣/ ٤٣٣ . ووقع في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩: الضروان، وفي النكت والعيون ٦/ ٦٧: ضروان، وفي تفسير أبي الليث: ضيروان.

(٤) في (م) فرسخ.

من أجل المساكين، وكانوا أرادوا حصادَ زرعها، وقالوا: لا يدخلها اليوم عليكم مسكين، فغَدَوْا عليها؛ فإذا هي قد اقْتُلِعَت من أصلها، فأصبحت كالصَّريم، أي: كالليل. ويقال أيضاً للنهار: صريم. فإن كان أراد الليلَ، فلاسْوداد موضعها. وكأنهم وجدوا مَوْضِعَها حَمْأة[١]. وإن كان أراد بالصَّريم النهارَ؛ فلذهاب الشجرِ والزرعِ ونقاءِ الأرض منه. وكان الطّائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتعلها. فيقال: إنه طاف بها حَوْل البيت ثمَّ وضعها حيث مدينة الطائف اليوم؛ ولذلك سُمِّيت الطائف[٢]. وليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الشجر والأعناب والماء غيرها. وقال البكري في المُعْجَم: سُمِّيت الطائف لأنَّ رجلاً من الصَّدِف[٣] يقال له: الدَّمُون؛ بنى حائطاً وقال: قد بَنَيْتُ لكم طائفاً حول بلدكم؛ فسُمِّيت الطائف. والله أعلم[٤].

الثانية: قال بعض العلماء: على من حصد زَرْعاً أو جَدَّ ثمرةً أن يواسيَ منها مَنْ حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وأنه غير الزكاة على ما تقدّم في «الأنعام» بيانه[٥]. وقال بعضهم: وعليه ترك ما أخطأه الحصّادون. وكان بعض العبّاد يتحرّون أقواتَهم من هذا. وروي أنه نُهيَ عن الحصاد بالليل[٦]. فقيل: إنه لِما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرفق. وتأوّل من قال هذا

(١) الحَمْأة: الطين الأسود المنتن. اللسان (حمأ).

(٢) في هذا الكلام نظر، وليس فيه ما يصح.

(٣) الصَّدِف: مِخلاف (وهي الناحية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث) من اليمن منسوب إلى القبيلة. معجم البلدان ٣/ ٣٩٧.

(٤) التعريف والإعلام ص١٧٤ - ١٧٥.

(٥) ٩/ ٥٣.

(٦) أخرجه البزار (٨٨٤) (كشف الأستار) عن عائشة رضي الله عنها، وقال: لا نعلمه عن عائشة إلا من هذا الوجه، وعنبسة حدّث بأحاديث لم يتابع عليها، وهو لين الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٧٧: فيه عنبسة بن سعيد البصري، وهو ضعيف، وقد وثق.

وأخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٨)، والبيهقي ٩/ ٢٨٩ - ٢٩٠ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين مرسلاً.

الآيَةَ التي في سورة ن وَالقَلِمِ. وقيل: إنَّما نهى عن ذلك خشيةَ الحيّات وهوامّ الأرض[١].

قلت: الأوّل أصح، والثاني حسن. وإنما قلنا: الأول أصح؛ لأنَّ العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى.

روى أسباط عن السُّدِّيّ قال: كان قوم باليمن، وكان أبوهم رجلاً صالحاً وله جنة[٢]، وكان إذا بلغ ثمارُه أتاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها وأن يأكلوا منها ويتزوّدوا، فلما مات قال بَنُوه بعضهم لبعض: عَلَامَ نُعطي أموالَنا هؤلاء المساكين! تعالَوْا فلْنُدْلج[٣] فنصْرمنّها قبل أن يعلم المساكين. ولم يستثنوا، فانطلقوا وبعضُهم يقول لبعض خَفْتاً[٤]: لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾ يعني حلفوا فيما بينهم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يعني ليجذّنّها وقت الصبح قبل أن تخرج المساكينُ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني لم يقولوا: إن شاء الله[٥].

وقال ابن عباس: كانت تلك الجنةُ دون صنعاء بفرسخين، غرسها رجلٌ من أهل الصَّلاح وكان له ثلاثة بنين، وكان للمساكين كلُّ ما تعدَّاه الْمِنجَل فلم يجذّه من الكَرْم، فإذا طُرح على البساط فكلُّ شيء سقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، فإذا حصدوا زرعَهم فكلُّ شيء تعدّاه المِنجَل فهو للمساكين، فإذا دَرَسُوا[٦] كان لهم كل شيء انتثر؛ فكان أبوهم يتصدّق منها على المساكين، وكان يعيش في ذلك في حياة أبيهم اليتامى والأراملُ والمساكينُ، فلما مات أبوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم، فقالوا:

---

(١) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٧.

(٢) قوله: وله جنة، من (ظ).

(٣) أدلج القوم: إذا ساروا من أول الليل الصحاح (دلج).

(٤) الخَفْت: إسرار المنطق. الصحاح (خفت).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦) درسوا الحنطة دِراساً: أي داسوها. الصحاح (درس).

قلّ المالُ وكثر العيال، فتحالفوا بينهم ليغدُوُنَّ غُدوة قبل خروج الناس، ثم لَيَصْرِمنّها ولا تعرف المساكين[١].

وهو قوله: «إذْ أَقْسَمُوا» أي: حلفوا «لَيَصْرِمُنَّها»: ليقطعُنَّ ثمرَ نخيلهم إذا أصبحوا بسُدْفة[٢] من الليل؛ لئلا ينتبه المساكين لهم. والصرم: القطع. يقال: صرم العِذق عن النخلة. وأصرم النخلُ، أي: حان وقت صِرامه[٣]. مثل: أرْكَبَ المُهرُ، وأحصدَ الزرعُ، أي: حان ركوبه وحَصاده.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: ولم يقولوا إن شاء الله. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: ينادي بعضُهم بعضاً[٤]. ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: عازمين على الصّرام والجِداد[٥]. قال قتادة: حاصدين زرعَكم. وقال الكلبيّ: ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل.

وقال مجاهد: كان حرثُهم عِنَباً ولم يقولوا: إن شاء الله. وقال أبو صالح: كان استثناؤهم قولهم: سبحان الله رَبِّنا. وقيل: معنى «وَلَا يَسْتَثْنُونَ» أي: لا يستثنون حقَّ المساكين. قاله عكرمة[٦]. فجاؤوها ليلاً فرأوا الجنة مسودّةً قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. قيل: الطائف جبريل عليه السلام؛ على ما تقدّم ذكره[٧].

وقال ابن عباس: أمْرٌ من ربك. وقال قتادة: عذاب من ربّك. ابن جريج: عُنُق من نار[٨] خرج من وادي جهنم. والطائف لا يكون إلا بالليل. قاله الفرّاء[٩].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٢) السدفة: الظلمة، والضوء. وهو من الأضداد. الصحاح (سدف).

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ بنحوه.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٤.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٨.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٧ - ٦٨.

(٧) في المسألة الأولى.

(٨) أي: قطعة من النار. اللسان (عنق).

(٩) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٧ وما قبله منه، ووقع في النكت والعيون (من وادي جنتهم) بدل (من وادي جهنم).

الثالثة: قلت: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ العزم مما يؤاخذ به الإنسان؛ لأنَّهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وفي الصحيح[١] عن النبيّ ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتول في النار»: قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». وقد مضى مبيَّناً في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [الآية: ١٣٥][٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: كالليل المظلم؛ عن ابن عباس[٣] والفرّاء[٤] وغيرهما. قال الشاعر:

تطاول لَيْلُك الجَوْنُ الْبَهِيمُ ... فما ينجابُ عن صبح صريمُ[٥]

أي: احترقت فصارت كالليل الأسود[٦]. وعن ابن عباس أيضاً: كالرَّماد الأسود[٧]. قال: والصَّرِيم: الرماد الأسود بلغة خُزَيمة[٨]. الثوريّ: كالزرع المحصود.

---

(١) صحيح البخاري (٣١)، وصحيح مسلم (٢٨٨٨)، وسلف ٥/ ٣٣١ .

(٢) ٥/ ٣٣١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٤ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٥) في النسخ: بهيم، بدل: صريم، والمثبت من تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٦٨ .
الجون: الأسود المشرب حمرة. اللسان (جون).

(٦) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ .

فالصريم بمعنى المصروم، أي: المقطوع ما فيه. وقال الحسن: صُرِم عنها الخير، أي: قطع، فالصريم مفعول أيضاً[١]. وقال المؤرّج: أي: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، يقال: صريمة وصرائم؛ فالرّملة لا تُنبت شيئاً يُنتفع به[٢]. وقال الأخفش: أي: كالصبح انصرم من الليل[٣]. وقال المبرد[٤]: أي: كالنهار؛ فلا شيء فيها.

قال شَمِر: الصَّرِيم: الليل، والصَّرِيم: النهار، أي: ينصرم هذا عن ذاك، وذاك عن هذا [٥].

وقيل: سُمّيَ الليل صَرِيماً؛ لأنّه يقطع بظلمته عن التصرف، ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل[٦].

قال القُشَيْرِيّ: وفي هذا نظر؛ لأنَّ النهار يسمَّى صَرِيماً، ولا يقطع عن تصرّف.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي: يتسارّون، أي: يُخفون كلامهم ويسرُّونه؛ لئلا يَعلم بهم أحد. قاله عطاء وقتادة[٧]. وهو من خَفَت يَخْفِت: إذا سكن[٨] ولم يبيّن. كما قال دُرَيد بن الصِّمَّة:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨ دون نسبة.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٤) في الكامل ١/ ٣٠٥.

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٨.

(٨) الصحاح (خفت).

وإنّيَ لم أهْلِكْ سُلالاً ولم أمُتْ خُفاتاً وكُلاً ظَنَّه بيَ عُوَّدِي[١]

وقيل: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم[٢]. وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصِّرام[٣].

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي: على قَصْد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم. قال معناه ابن عباس وغيره.

والحَرْد: القصدُ. حَرَد يَحْرِد ـ بالكسر ـ حَرْداً: قَصَد. تقول: حَرَدْتُ حَرْدَك، أي: قصدتُ قصدَك. ومنه قول الراجز:

أقبل سَيْلٌ جاء من عند الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ[٤]

أنشده النحاس:

قد جاء سيلٌ جاء من أمر الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ

قال المبرِّد: المُغِلّة: ذات الغَلّة. وقال غيره: المُغِلّة: التي يجري الماء في غَلَلها؛ أي: في أصولها. ومنه: تغلّلت بالغالية. ومنه تغلّيت، أبدل من اللام ياء. ومن قال: تَغَلّفْت؛ فمعناه عنده: جعلتها غِلافاً[٥].

وقال قتادة ومجاهد: «عَلَى حَرْدٍ» أي: على جِدّ. الحسن: على حاجة وفاقة[٦].

وقال أبو عبيدة والقُتَيبِيّ: على حَرْد: على منع[٧]؛ من قولهم: حَارَدَتِ الإبلُ

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ص٤٥ ، وفيه: لم أهلك خفاتاً.
مات خفاتاً: مات فجأة، السُّلال: السّلّ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ .

(٤) الصحاح (حرد)، وسلف ٦/ ٣٠ .

(٥) من قوله: قال المبرد، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٦ - ١٧٨ .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩ ، ونقله المصنف عنهما بواسطة تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠ .

حِراداً، أي: قلّت ألبانُها. والحَرُود من النُّوق: القليلة الدَّرّ. وحارَدتِ السَّنَةُ: قلّ مطرها وخيرها[١]. وقال السدّي وسفيان: «عَلَى حَرْدٍ»: على غضب[٢].

والحَرْد: الغضب. قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي: وهو مخفف، وأنشد شعراً:

إذا جيادُ الخيلِ جاءت تَرْدِي مملوءةً من غَضَبٍ وحَرْدِ[٣]

وقال ابن السِّكّيت: وقد يحرّك، تقول منه: حَرِد ـ بالكسر ـ حَرَداً، فهو حارد وحَرْدان. ومنه قيل: أسَدٌ حارِدٌ، ولُيُوثٌ حَوارد. وقيل: «عَلَى حَرْدٍ»: على انفراد. يقال: حَرَد يَحْرِد حُرُوداً، أي: تنَحَّى عن قومه ونزل منفرداً ولم يخالطْهم. وقال أبو زيد: رجل حرِيد من قوم حُرَدَاء. وقد حَرَد يَحْرِد حُروداً: إذا ترك قومَه وتحوّل عنهم. وكوكبٌ حَرِيد، أي: معتزلٌ عن الكواكب[٤].

قال الأصمعي: رجل حَرِيد، أي: فريدٌ وحيدٌ. قال: والمُنْحرد: المنفرد في لغة هُذَيل. وأنشد لأبي ذؤيب:

كأنه كوكبٌ في الجَوّ مُنْحَرِدُ[٥]

ورواه أبو عمرو بالجيم، وفسّره: منفردٌ. قال: وهو سُهَيْلٌ[٦].

---

(١) الصحاح (حرد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٣٨ عن الشعبي وسفيان، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٩ عن السدي.

(٣) الرجز لقبيصة بن النصراني كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٦٢٤ ، وهو في مجمع الأمثال ١/ ١٤٤ دون نسبة. قال المرزوقي: تردي: الرَّدَيان ضرب من المشي، والمعنى إذا جاءت الخيل العِتاق قد حميت ونشطت فامتلأت عضباً، وصار مشيها رَدَياناً.

(٤) الصحاح (حرد).

(٥) عجز بيت صدره: من وَحْشِ حَوْضَى يُراعي الصيد مبتقلا. وهو في ديوان الهذليين ص١٢٦ وروايته: منجرد، بدل: منحرد. والبيت أيضاً في المعاني الكبير ٢/ ٧٦١ .

(٦) الصحاح (حرد).

وقال الأزهريّ[١]: حَرْد اسم قريتهم.

السُّدي: اسم جنتهم، وفيه لغتان: حَرْدٌ وحَرَد[٢]. وقرأ العامة بالإسكان. وقرأ أبو العالية وابن السَّمَيْفَع بالفتح، وهما لغتان[٣]. ومعنى «قَادِرِين»: قد قدّروا أمرهم وبَنَوْا عليه. قاله الفرّاء[٤].

وقال قتادة: قادرين على جنتهم عند أنفسهم. وقال الشعبيّ: «قَادِرِينَ» يعني على المساكين. وقيل: معناه من الوجود، أي: مَنعوا وهم واجدون[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: لما رأوها محترقةً لاشيء فيها قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد، أنكروها وشَكُّوا فيها. وقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: ضللنا الطريق إلى جَنَّتِنَا. قاله قتادة[٦]. وقيل: أي: إنا لضالُّون عن الصواب في غدوّنا على نية منع المساكين؛ فلذلك عوقبنا. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمنا جنتنا بما صنعنا.

روى أسباط عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكُم والمعاصي، إنَّ العبدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، فيُحْرَم به رزقاً كان هُيِّيءَ له. ثمَّ تلا: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ الآيتين[٧].

---

(١) في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٣) ذكر القراءة بالتحريك ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ دون نسبة.

(٤) نقله عنه بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣ ، وذكره ابن كثير ٨/ ١٩٦ وفي إسناده عمر بن صبح؛ قال ابن حبَّان في المجروحين ٢/ ٨٨ : كان ممن يضع الحديث على الثقات. وفي الباب عن ثوبان عند أحمد (٢٢٣٨٦) وإسناده ضعيف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أمثلُهم وأعدلُهم وأعقلُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلّا تستثنون. وكان استثناؤهم تسبيحاً. قاله مجاهد وغيره[١]. وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الأوسطَ كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه[٢].

قال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله. فقال لهم: هَلّا تسبحون الله، أي: تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم[٣].

قال النّحاس: أصل التسبيح التنزيهُ لله عزَّ وجلّ، فجعل مجاهدٌ التسبيح في موضع إن شاء الله؛ لأنَّ المعنى تنزيهُ الله عزَّ وجلَّ أن يكون شيء إلا بمشيئته[٤].

وقيل: هلّا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خُبْث نيّتكم؛ كان[٥] أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكّرهم انتقامَه من المجرمين[٦].

﴿قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ اعترفوا بالمعصية ونزّهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل[٧]. قال ابن عباس في قولهم: «سُبْحَانَ رَبِّنَا» أي: نستغفر الله من ذنبنا. ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفسنا في منعنا المساكين.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٩٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٦.

(٥) في (م): فإن.

(٦) في الكشاف ٤/ ١٤٥ والكلام منه: كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين..

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم هذا هذا في القَسَم ومنعِ المساكين، ويقول: بل أنت أشرتَ علينا بهذا[١]. ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ أي: عاصين بمنع حقِّ الفقراء وترك الاستثناء. وقال ابن كَيْسَان: طَغَيْنا نِعَمَ الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل[٢].

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ تعاقدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها؛ لنصنعنّ كما صنعت آباؤنا، فدَعَوا الله وتضرَّعوا؛ فأبدلَهم الله من ليلتهم ما هو خير منها، وأمر جبريلَ أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزُغَر[٣] من أرض الشام، ويأخذَ من الشام جنة فيجعلها مكانها[٤].

وقال ابن مسعود: إنَّ القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقَهم، فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منها عنقوداً واحداً. وقال اليمانيّ أبو خالد: دخلتُ تلك الجنةَ فرأيت كلَّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم[٥].

وقال الحسن: قول أهل الجنة: «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» لا أدري إيماناً كان ذلك منهم، أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؛ فيوقف في كونهم مؤمنين.

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟ فقال: لقد كلَّفْتني تعباً[٦]. والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. حكاه القشيريّ.

---

(١) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٣) زُغر: قرية بمشارف الشام. اللسان (زغر).

(٤) ليس في هذا الكلام ما يصح.

(٥) مجمع البيان ٢٩/ ٣٠، وأثر ابن مسعود ذكره أيضاً في الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٥، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩.

وقراءة العامة: «يُبْدِلَنا» بالتخفيف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد، وهما لغتان[١].

وقيل: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعينُ الشيء قائم. والإبدال رفعُ الشيء ووضع آخرَ مكانَه[٢]. وقد مضى في سورة النساء القول في هذا[٣].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: عذابُ الدنيا وهلاكُ الأموال. عن ابن زيد. وقيل: إنَّ هذا وَعْظٌ لأهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجَدْب لدعاء النبيّ ﷺ[٤]؛ أي: كفِعْلنا بهم نفعل بمن تعدّى حدودنا في الدنيا[٥] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وقال ابن عباس: هذا مَثَلٌ لأهل مكةَ حين خرجوا إلى بَدْرٍ وحلفوا ليقتلنَّ محمداً ﷺ وأصحابَه، وليرجعنّ إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضربَ القَيْنات على رؤوسهم؛ فأخلف الله ظنَّهم وأُسِرُوا وقُتلوا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصِّرَام فخابوا[٦].

ثم قيل: إنَّ الحقَّ الذي منعه أهلُ الجنة المساكين يحتمل أنه كان واجباً عليهم، ويحتمل أنه كان تطوعاً، والأول أظهر، والله أعلم.

وقيل: السورة مَكّية؛ فَبَعُدَ حملُ الآية على ما أصاب أهلَ مكة من القَحْط، وعلى قتال بَدْر.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف. السبعة ص ٣٩٧، والتيسير ص ١٤٥ والنشر ٢/ ٣١٤.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٣) ٦/ ٤٢٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، والكشاف ٤/ ١٤٣، ودعاء النبي ﷺ على قريش سلف ١٩/ ١٠٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٩١ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ تقدم القول فيه، أي: إنَّ للمتقين في الآخرة جناتٍ ليس فيها إلا التنعّم الخالص، لا يشوبُه ما ينغّصه كما يشوب جناتِ الدنيا[١].

وكان صناديدُ قريش يَرَوْن وفورَ حظِّهم من الدنيا وقلّةَ حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صَحَّ أنّا نُبْعث كما يزعم محمدٌ ومن معه، لم يكن حالُنا وحالُهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يَفْضُلونا، وأقصى أمرِهم أن يُساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كالكفار[٢].

وقال ابن عباس وغيره: قال كفار مكة: إنا نُعطى في الآخرة خيراً مما تُعْطَوْن؛ فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] ثم وبَّخهم فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحُكْمَ الأعوج؛ كأنَّ أمر الجزاء مفوّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم[٤] أنَّ لكم من الخير ما للمسلمين! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: ألكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي؟!

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون وتشتهون[٥]. والمعنى: أنَّ لكم ـ بالفتح ـ ولكنه كسر لدخول اللام، تقول: علمت أنك عاقل؛ بالفتح، وعلمت إنَّك لعاقل؛ بالكسر.

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٩١.

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩ بدون نسبة.

(٤) الكشاف ٤/ ١٤٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩.

فالعامل في «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ»: «تَدْرُسُونَ» في المعنى، ومنعت اللامُ من فتح«إن»[١].

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: «تَدْرُسُونَ»، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: إنَّ لكم في هذا الكتاب إذاً ما تخيّرون، أي: ليس لكم ذلك. والكناية في «فيه» الأولى والثانية راجعة إلى الكتاب.

ثم زاد في التوبيخ فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ﴾ أي: عهود ومواثيق[٢]. ﴿عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ مؤكَّدة. والبالغة المؤكّدة بالله تعالى[٣]. أي: أم لكم عهودٌ على الله تعالى استوثقتم بها في أن يدخلَكم الجنة.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ كُسرت «إنَّ» لدخول اللام في الخبر[٤]. وهي من صلة «أيمان»، والموضع النصبُ ولكن كسرت لأجل اللام، تقول: حلفت إن لك لكذا.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ إذاً، أي: ليس الأمر كذلك.

وقرأ ابن هُرْمُز: «آئنّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تخيّرون»، «آئنّ[٥] لكم لَمَا تحكمون» بالاستفهام فيهما جميعاً[٥].

وقرأ الحسن البصري: «بالغةً» بالنصب على الحال[٦]؛ إما من الضمير في «لكم» لأنَّه خبر عن «أيمان» ففيه ضمير منه، وإما من الضمير في «علينا» إن قدّرت «علينا»

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٤٦: الأصل: تدرسون أنَّ لكم ما تخيَّرون، بفتح أن؛ لأنه مدروس، فلما جاءت اللام كُسرت.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٥) المثبت من (خ)، وهو الموافق لما في القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٦٠ حيث قيَّدها بالمد.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٥.

وصفاً للأيمان لا متعلقاً بنفس الأيمان؛ لأنَّ فيه ضميراً منه، كما يكون إذا كان خبراً عنه. ويجوز أن يكون حالاً من «أيمان» وإن كانت نكرة، كما أجازوا نصب «حَقّاً» على الحال من «متاع» في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(١)] [البقرة: ٢٤١].

وقرأ العامة: «بالغةٌ» بالرفع نعت لـ «أيمان»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: سلْ يا محمد هؤلاء المتقوّلين عليَّ: أيُّهم كفيلٌ بما تقدم ذكرُه، [وهو أنَّ لهم في الآخرة من الخير][(٣)] ما للمسلمين؟ والزعيم: الكفِيل والضّمين. قاله ابن عباس وقتادة[(٤)]. وقال ابن كيسان: الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى. وقال الحسن: الزعيم الرسول[(٥)].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ أي: ألهم، والميم صلة. «شُرَكَاء» أي: شهداء. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ يشهدون على ما زعموا. ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم. وقيل: أي: فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم؛ فهو أمر معناه التعجيز.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يجوز أن يكون العامل في ﴿يَوْمَ﴾: ﴿فَلْيَأْتُوا۟﴾

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١.

(٣) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٤٠.

(٤) زاد المسير ٨/ ٣٤٠، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٨٦، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٠.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

أي: فليأتوا بشركائهم يومَ يُكشف عن ساق، ليشفع الشركاءُ لهم. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: اذكر يوم يكشف عن ساق؛ فيوقف على «صَادِقِينَ». ولا يوقف عليه على التقدير الأول.

وقرىء: «يوم نكشف» بالنون[1]. «وقرأ» ابن عباس: «يوم تَكْشِف عن ساق»[2] بتاء مسمَّى الفاعل، أي: تكشف الشدةُ أو القيامةُ عن ساقها، كقولهم: شَمّرت الحربُ عن ساقها. قال الشاعر:

فتى الحرب إن عضّتْ به الحربُ عَضَّها ... وإن شَمّرتْ عن ساقها الحربُ شَمّرا[3]

وقال الراجز:

قد كشفتْ عن ساقها فشُدُّوا ... وجَدّت الحربُ بكم فَجِدُّوا[4]

وقال آخر:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طِرَاد الطيرِ عن أرزاقها

في سَنةٍ قد كَشَفَتْ عن ساقها ... حمراءَ تَبْري اللحمَ عن عُرَاقها[5]

وقال آخر:

كشفتْ لهم عن ساقِها ... وبدا من الشَّرِّ الصُّرَاح[6]

---

(١) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ لابن عباس.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٦، وأخرجها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٧٧.

(٣) البيت لحاتم الطائي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٤٧، وهو في ديوانه ص٤٩ وروايتهما (أخو) بدل (فتى) ونسبه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص٦١. ونسبه صاحب العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس.

(٤) الرجز في الكامل ٢/ ٤٩٤ دون نسبة.

(٥) الرجز لأعرابي كان يطرد الطير عن زرع في سنة جدْب كما في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٦٦-٦٧. وروايته (مِطْرادي) بدل (طراد)، قال ابن قتيبة العُرَاق: العظم.

(٦) البيت لسعد بن مالك كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٥٠٢.

وعن ابن عباس أيضاً والحسن وأبي العالية: «تُكْشَفُ» بتاء غير مسمّى الفاعل[١]. وهذه القراءة راجعةٌ إلى معنى «يُكْشَف»، وكأنه قال: يوم تَكْشف القيامةُ عن شدَّة.

وقرىء: «يَوْمَ تُكْشِف» بالتاء المضمومة وكَسْر الشين؛ من أكشف: إذا دخل في الكشف، ومنه: أكشف الرجل فهو مُكشف[٢]: إذا انقلبت شَفَتُه العليا[٣].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا أسامةُ بن زيد، عن عكرمةَ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن كرب وشدّة. أخبرنا ابن جُريج عن مجاهد قال: شدّة الأمر وجِدّه. وقال مجاهد: قال ابن عباس: هي أشدُّ ساعةٍ في يوم القيامة[٤]. وقال أبو عبيدة[٥]: إذا اشتد الحربُ والأمرُ قيل: كشف الأمرُ عن ساقه

والأصل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدّ شَمّر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة[٦].

وقيل: ساقُ الشيء: أصلُه الذي به قِوامه، كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يومَ يُكشف عن أصل الأمر، فتظهر حقائقُ الأمور وأصلُها. وقيل: يُكشف عن ساق جهنم. وقيل: عن ساق العرش[٧]. وقيل: يريد وقتَ اقتراب الأجل وضعف البدن؛ أي: يَكشِفُ المريضُ عن ساقه ليُبْصِرَ ضعفَه، ويدعوه المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج[٨].

فأما ما رُوِي أنَّ الله يكشف عن ساقه؛ فإنَّه عز وجل يتعالى عن الأعضاء

---

(١) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.

(٢) في (د) مكشوف، وفي (ظ) منكشف.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٧ .

(٤) الزهد (٣٦١ - ٣٦٢) زوائد نعيم.

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ص١٠٣ .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ .

(٨) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ بنحوه.

والتبعيض وأن يكشف ويتغطى. ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره. وقيل: يكشف عن نوره عزَّ وجلَّ[(١)].

وروى أبو موسى عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَن سَاقٍ﴾ قال: «يُكشفُ عن نورٍ عظيم يخرُّون له سجداً»[(٢)].

وقال أبو الليث السَّمَرْقَنْدِيّ في تفسيره[(٣)]: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا ابنُ مَنِيع قال: حدّثنا هُدْبة قال: حدّثنا حمَّاد بنُ سَلَمة، عن علي[(٤)] بنِ زيد، عن عمارةَ القرشي، عن أبي بُردة بن[(٥)] أبي موسى، قال: حدّثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يومُ القيامة، مُثِّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهلُ التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إنَّ لنا ربًّا كنا نعبده في الدنيا ولم نره. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنَّه لا شبيه له. فيُكشفُ لهم الحجابُ، فينظرون إلى الله تعالى، فيخرُّون له سُجَّداً، وتبقى أقوامٌ ظهورُهم مثل صَيَاصِي[(٦)] البقر، فينظرون إلى الله تعالى، فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فيقول الله تعالى: «عبادي ارفعوا رؤوسَكم؛ فقد جعلت بدلَ كلِّ رجلٍ منكم رجلاً من

---

(١) ما ثبت وصح من نصوص الصفات الخبرية لله عز وجل يجب إثباتها له تعالى بلا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٢٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٢) عن روح بن جناح، عن مولى عمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة، عن أبي موسى مرفوعاً. قال البيهقي: تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم، وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

(٣) ٣/ ٣٩٥.

(٤) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: عدي، وهو خطأ.

(٥) في النسخ: عن، وهو خطأ.

(٦) صياصي البقر: قرونها. النهاية (صيص).

اليهود والنصارى في النار». قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمرَ بن عبد العزيز فقال: آللهِ الذي لا إله إلا هو، لقد حَدَّثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلف له ثلاثةَ أيمان؛ فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحبُّ إليَّ من هذا[١].

وقال قيس بن السَّكَن[٢]: حَدّث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال: إذا كان يوم القيامة، قام الناس لربِّ العالمين أربعين عاماً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء، حُفاةً عُراةً يُلْجمهم العرق، فلا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاماً، ثم ينادي منادٍ: أيها الناس، أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوّركم وأماتكم وأحياكم ثمَّ عبدتم غيره أن يُوَلِّيَ كلَّ قوم ما تولَّوْا؟ قالوا: نعم. قال: فيرفع لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون من دون الله، فيتبعونها حتى تقذفَهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم: ألا تذهبون قد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربُّنا، فيقال لهم: أوَ تعرفونه؟ فيقولون: إن اعترف لنا عَرَفناه. قال: فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلّى لهم فيخرّ من كان يعبده مخلصاً ساجداً، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأنّ في ظهورهم السفافيد[٣]، فيُذْهَب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٤].

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلةً متواضعةً، ونصبُها على الحال. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسَهم ووجوهُهم أشدُّ بياضاً من الثلج. وتسودّ وجوه المنافقين والكافرين[٥] حتى ترجع أشدَّ سواداً من القار.

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٥، والوسيط ٤/ ٣٤٠ - ٣٤١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٣/ ٣٣٤، وعلي بن زيد ـ وهو ابن جُدعان ـ وعُمارة القرشي: ضعيفان. ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٧ و١٧٨.

(٢) هو الأسدي الكوفي، أخو بني سُواءة، قال يحيى بن معين: ثقة، قال أبو حاتم: توفي زمن مصعب بن الزبير. تهذيب الكمال ٦/ ١٣٨.

(٣) السفافيد: ـ جمع السَّفُّود ـ الحديدة التي يُشوى بها اللحم. الصحاح (سفد).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٩٠ - ١٩١.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣.

قلت: معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدريّ وغيره[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ أي: في الدنيا[٢]. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ مُعَافَوْن أصحّاء. قال إبراهيم التَّيْميّ: أي: يُدعون بالأذان والإقامة فيأبَوْنه. وقال سعيد بن جُبَير: كانوا يسمعون: حيَّ على الفلاح، فلا يجيبون. وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآيةُ إلا في الذين يتخلّفون عن الجماعات[٣]. وقيل: أي: بالتكليف المُوَجَّه عليهم في الشرع، والمعنى متقارب. وقد مضى في سورة البقرة الكلام في وجوب صلاة الجماعة[٤].

وكان الربيع بن خَيْثم قد فُلِجَ، وكان يُهَادَى[٥] بين الرجلين إلى المسجد؛ فقيل: يا أبا يزيد، لو صلّيتَ في بيتك لكانت لك رخصة. فقال: من سمع حيّ على الفلاح؛ فلْيُجِبْ ولو حبْواً. وقيل لسعيد بن المسيّب: إنَّ طارقاً يريد قتلك فتغيّب. فقال: أبحيث لا يَقْدِر الله عليّ؟ فقيل له: اجلس في بيتك. فقال: أسمع حيّ على الفلاح، فلا أجيب[٦]!

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى﴾ أي: دَعْنِي. ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ «مَنْ» مفعول معه أو معطوف

(١) صحيح مسلم (١٨٣) (٣٠٢)، وهو في صحيح البخاري (٤٥٨١)، ومسند أحمد (١١١٢٧) مطولاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) ٢/ ٣٠ فما بعدها.

(٥) يهادى بين الرجلين: أي: يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله. النهاية (هدا).

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ .

على ضمير المتكلم[١]. ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآنَ. قاله السدّيّ. وقيل: يوم القيامة[٢]. وهذا تسليةٌ للنبيّ ﷺ، أي: فأنا أجازيهم وأنتقم منهم.

ثم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، فعُذّبوا يوم بَدْر[٣].

وقال سفيان الثَّوْريّ: نُسبغ عليهم النعمَ ونُنسيهم الشكرَ. وقال الحسن: كم مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم مفتونٍ بالثناء عليه، وكم مغرورٍ بالسّتر عليه[٤].

وقال أبو رَوْق: أي: كلّما أحدثوا خطيئةً جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار[٥].

وقال ابن عباس: سنمكر بهم[٦]. وقيل: هو أن نأخذَهم قليلاً ولا نباغتهم[٧].

وفي حديث: «أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قال: يا ربّ، كم أعصيك وأنت لا تعاقبني قال: فأوحى الله إلى نبيّ زمانِهم أن قل له: كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر؛ إنَّ جمود عينيك وقَسَاوَةَ قلبك استدراجٌ منّي وعقوبةٌ لو عقَلَت»[٨].

والاستدراج: ترك المعاجلة. وأصله: النقلُ من حالٍ إلى حالٍ كالتدرّج. ومنه قيل: درجة؛ وهي منزلة بعد منزلة[٩]. واستدرج فلان فلاناً، أي: استخرج ما عنده قليلاً. ويقال: درّجه إلى كذا واستدرجه بمعنىً: أدناه منه على التدريج، فتدرّج هو.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٢ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٦ .

(٦) نسبه البغوي في تفسيره ٢/ ٢١٨ لعطاء في تفسير الآية (١٨٢) من سورة الأعراف.

(٧) تهذيب اللغة ١٠/ ٦٤٢ .

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٦٨ عن عبد الله بن خبيق بنحوه.

(٩) النكت والعيون ٦/ ٧٢ .

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: أمهلُهم وأطيلُ لهم المدّة[١]. والملاوة: المُدة من الدهر. وأملى الله له، أي: أطال له. والمَلَوان: الليل والنهار. وقيل: «وأُمْلِي لَهُمْ» أي: لا أعاجلهم بالموت[٢]؛ والمعنى واحد. وقد مضى في «الأعراف» بيان هذا[٣].

﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي: إنَّ عذابي لقويّ شديد، فلا يفوتني أحد[٤].

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

عاد الكلام إلى ما تقدّم من قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ». أي: أم تلتمس منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله؟ فهم من غرامةِ ذلك مُثْقَلون لِما يشقّ عليهم من بذل المال، أي: ليس عليهم كُلْفة، بل يستولون بمتابعتك على خزائن الأرض ويَصِلون إلى جنات النعيم.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علمُ ما غاب عنهم ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ وقيل: أينزل عليهم الوَحْيُ بهذا الذي يقولون. وعن ابن عباس: الغيب هنا اللوحُ المحفوظ، فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به، ويكتبون أنّهم أفضلُ منكم، وأنّهم لا يعاقبون! وقيل: «يَكْتُبُونَ»: يحكمون لأنفسهم بما يريدون!

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربّك[٥]. والحُكْم هنا القضاء. وقيل: فاصبر على ما حَكَم به عليك ربُّك من تبليغ الرسالة[٦]. وقال ابن بحر: فاصبرْ لنصر

---

(١) تفسير البغوي ٢/٢١٨ في تفسير الآية (١٨٣) من سورة الأعراف.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/٩٧.

(٣) ٩/٣٩٨.

(٤) بعدها في (ظ) زيادة: ممن عصاني والله هو الحليم.

(٥) النكت والعيون ٦/٧٣.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/٩٨.

ربك[١]. قال قتادة: أي: لا تعجلْ ولا تغاضبْ؛ فلا بدّ من نصرك[٢]. وقيل إنَّه منسوخ بآية السيف[٣]. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعني يونسَ عليه السلام. أي: لا تكنْ مثلَه في الغضب والضَّجَر والعَجَلة[٤].

وقال قتادة: إنَّ الله تعالى يُعَزِّي نبيَّه ﷺ ويأمره بالصبر، ولا يعجَل كما عَجِل صاحبُ الحُوت[٥]. وقد مضى خبرُه في سورة يونس، والأنبياء، والصافات[٦]، والفرقُ بين إضافة ذي وصاحب في سورة يونس والأنبياء[٧]، فلا معنى للإعادة.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: حين دعا في بطن الحوت فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء غَمّاً. وقيل: كرباً. الأوّل قول ابنِ عباس ومجاهد. والثاني قول عطاء وأبي مالك. قال الماورديّ[٨]: والفرق بينهما أنَّ الغمَّ في القلب، والكربَ في الأنفاس. وقيل: مكظوم محبوس. والكَظْم الحبس، ومنه قولُهم: فلان كَظَم غيظَه، أي: حبس غضبه. قاله ابن بحر.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٧٣ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠٠ .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص٥٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣ .

(٦) ١١/ ٥٤ - ٥٥ ، ١٤/ ٢٦٦ فما بعدها، ١٨/ ٨٧ .

(٧) لفظة «والأنبياء» من (ظ)، وينظر ما سلف من سورة الأنبياء ١٤/ ٢٦٦ عند قول المصنف: وذا النون وهو لقب يونس بن متّى، و١٤/ ٢٦٧ عند قول المصنف: ولم يحمل أثقال النبوة ولهذا قيل للنبي ﷺ ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

قال في التعريف والإعلام ص١١٣ - ١١٤ : بين اللفظتين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: ذا النون، ولم يقل: صاحب، والإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك: ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع.

(٨) في النكت والعيون ٦/ ٧٣ وما قبله منه.

وقيل: إنَّه المأخوذُ بكظمه، وهو مجرى النفس. قاله المبرّد. وقد مضى هذا وغيرُه في «يوسف»[(١)].

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قراءة العامة: «تَدَارَكَهُ». وقرأ ابن هُرْمُز والحسن: «تَدَّاركه» بتشديد الدال[(٢)]؛ وهو مضارع أُدغمتِ التاءُ منه في الدال. وهو على تقدير حكاية الحال، كأنه قال: لولا أن كان يقال فيه تتداركه نعمة. ابن عباس وابن مسعود: «تداركته» وهو خلاف المرسوم[(٣)].

و«تَدَارَكَهُ» فعلٌ ماضٍ مذكّر حُمل على معنى النعمة؛ لأنَّ تأنيثَ النعمة غيرُ حقيقي. و«تداركته» على لفظها[(٤)].

واختلِف في معنى النعمة هنا؛ فقيل النُّبوة. قاله الضحاك. وقيل: عبادته التي سلفت. قاله ابن جُبير. وقيل: نداؤه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قاله ابن زيد. وقيل: نعمة الله عليه إخراجُه من بطن الحوت. قاله ابن بحر[(٥)]. وقيل: أي: رحمَة من ربه، فَرَحِمه وتاب عليه[(٦)].

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لَنُبِذ مذموماً ولكنه نُبذ سقيماً غير مذموم[(٧)]. ومعنى

---

(١) ١١/ ٤٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وقراءة ابن هرمز ـ وهو الأعرج ـ والحسن في القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ بنحوه، وقراءة ابن عباس وابن مسعود ﷺ في القراءات الشاذة ص١٦٠ ووقع في مطبوعه «تداركنه» وهو خطأ.

(٤) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٥٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤٣.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٦.

«مَذْمُومٌ» في قول ابن عباس: مُلِيم[١]. قال بكر بن عبد الله: مذنب[٢]. وقيل: «مذموم»: مُبْعَدٌ من كلّ خير.

والعَرَاء: الأرض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبلٌ ولا شجرٌ يسترُ[٣]. وقيل: لولا فضل الله عليه، لبقيَ في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثُمَّ نُبذ بعراء القيامة مذموماً. يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اصطفاه واختاره[٥]. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس: ردّ الله إليه الوَحْي، وشفّعه في نفسه وفي قومه[٦]، وقبِل توبتَه، وجعله من الصالحين؛ بأن أرسله إلى مئة ألف أو يزيدون.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ «إنْ» هي المخففة من الثقيلة[٧]. ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: يعتانونك. ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أخبر بشدّة عداوتهم النبيَّ ﷺ، وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قومٌ من قريش وقالوا: ما رأينا مثلَه ولا مثلَ حُجَجِه. وقيل: كانت العينُ في بني أسد، حتى إنَّ البقرةَ السمينةَ أو الناقةَ السمينةَ تمرُّ بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المِكْتَلَ[٨] والدرهمَ فأْتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرحُ حتى تقعَ للموت فتُنْحر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠١.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، والوجيز للواحدي ـ على هامش مراح لبيد ـ ٢/ ٣٩٦ بنحوه..
(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١٤٨.
(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٢.
(٨) المِكْتَل: هو الزبيل ـ الوعاء ـ الذي يحمل فيه التمر أو العنب. اللسان (زبل)، (كتل).

وقال الكلبي: كان رجلٌ من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة، ثمَّ يرفع جانبَ الخِباء، فتمرّ به الإبلُ أو الغنمُ فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه! فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقطَ منها طائفةٌ هالكةٌ. فسأل الكفار هذا الرجلَ أن يصيبَ لهم النبيَّ ﷺ بالعين فأجابهم[١] فلما مرّ النبيُّ ﷺ أنشد:

قد كان قومُك يحسبونك سيّداً وإخال أنَّك سيّدٌ مَعْيُونُ[٢]

فعصَم الله نبيَّه ﷺ، ونزلت: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾[٣].

وذكر نحوه الماوردي[٤]، وأنَّ العربَ كانت إذا أراد أحدُهم أن يصيب أحداً بعين[٥] في نفسه وماله، تجوّع ثلاثة أيام، ثم يتعرَّض لنفسه وماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجعَ ولا أكثرَ [مالاً] منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو ومالُه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال القُشَيْرِي: وفي هذا نظر؛ لأنَّ الإصابةَ بالعين إنَّما تكون مع الاستحسان والإعجاب، لا مع الكراهية والبغض، ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: ينسِبونَك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن[٦].

قلت: أقوال المفسرين واللغويّين تدلّ على ما ذكرنا، وأنَّ مرادَهم بالنظر إليه قَتْلُه. ولا يمنع كراهةُ الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود والأعمش وأبو وائل ومجاهد: «ليزهقونك»[٧] أي:

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) البيت لعباس بن مرداس كما في الحيوان للجاحظ ٢/ ١٤٢، والحماسة البصرية ١/ ١٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧٢.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٧٤ وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ عدا (ظ) يعني، والمثبت موافق لما في النكت والعيون والكلام منه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٥.

(٧) هي عن ابن عباس وابن مسعود في القراءات الشاذة ص١٦٠.

ليهلكونك. وهذه قراءة على التفسير؛ من زَهَقتْ نفسه وأَزْهقَها.

وقرأ أهل المدينة: «لَيَزْلِقُونَكَ» بفتح الياء. وضمها الباقون[١]، وهما لغتان بمعنىً، يقال: زَلَقه يَزْلِقه وأزلقه يُزلقه إزلاقاً: إذا نَحّاه وأبعده[٢].

وزَلَق رأسه يَزْلِقه زلقاً: إذا حلقه، وكذلك أزْلَقه وزَلَّقه تزليقاً، ورجل زَلِق وزُمَلِق ـ مثال هُدَبِد[٣] ـ وزَمَالق وزُمّلِق ـ بتشديد الميم ـ وهو الذي يُنزِل قبل أن يجامع. حكاه الجوهري[٤] وغيره. فمعنى الكلمة إذاً التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حقِّ النبيِّ ﷺ إلا بهلاكه وموته. قال الهَرَوِيّ: أراد لَيعتانونك بعيونهم، فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه؛ عداوةً لك.

وقال ابن عباس: ينفذونك بأبصارهم، يقال: زَلَق السهمُ وزَهَق: إذا نفذ[٥]. وهو قول مجاهد. أي: يَنْفذونك من شدّة نظرهم[٦]. وقال الكلبي: يَصْرَعونك[٧]. وعنه أيضاً والسُّدِّي وسعيد بن جُبَير: يصرفونك عمّا أنت عليه من تبليغ الرسالة[٨]. وقال العَوْفيّ: يَرْمُونك. وقال المُؤَرِّج: يُزيلونك. وقال النَّضْر بن شُميل والأخفش: يفتنونك.

وقال عبد العزيز بن يحيى: ينظرون إليك نظراً شزراً بتحديق شديد[٩]. وقال ابن

---

(١) السبعة ص٦٤٧ ، والتيسير ص٢١٣ ، والنشر ٢/ ٣٨٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤.

(٣) رجل هُدَبِد: ضعيف البصر، وبعينه هُدَبِد؛ أي: عمش. لسان (هدبد).

(٤) في الصحاح (زلق).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١١ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ دون نسبة.

(٩) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٠٠ دون نسبة، ونظر إليه شزراً: هو نظر الغضبان بمؤخر العين. الصحاح (شزر).

زيد: لَيَمَسُّونك[١]. وقال جعفر الصادق: ليأكلونك. وقال الحسن وابن كَيْسان: ليقتلونك. وهذا كما يقال: صرعني بطرفه، وقتلني بعينه. قال الشاعر:

ترميك مَزْلَقَةُ العيون بطَرْفها وتَكِلُّ عنك نصالُ نَبْلِ الرامي[٢]

وقال آخر:

يتقارضون إذا التقَوْا في مجلسٍ نَظَراً يُزيلُ[٣] مواطئ الأقدام

وقيل: المعنى أنهم ينظرون إليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك[٤]. وهذا كلُّه راجع إلى ما ذكرنا، وأن المعنى الجامع: يصيبونك بالعين. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾

أي: وما القرآن إلا ذِكْرٌ للعالَمين. وقيل: أي: وما محمدٌ إلا ذِكْرٌ للعالَمين يتذكّرون به. وقيل: معناه شَرَفٌ، أي: القرآن. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٥] [الزخرف: ٤٤] والنبيّ ﷺ شرف للعالمين أيضاً. شَرُفوا باتباعه والإيمان به ﷺ.

---

(١) نسبه في النكت والعيون ٦/ ٧٤ للسدي.

(٢) لم نقف عليه، وتكلّ عنك: إذا تباعدت. اللسان (لحح).

(٣) المثبت من (د)، وفي غيرها: يزلُّ، والبيت في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وهو في المعاني الكبير ٢/ ٨٤٥، والكشاف ٤/ ١٤٨، وفيهما: موطن، بدل: مجلس. وذكر عجزه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص١٢٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٤ .

سورة الحاقّة

مَكيّةٌ في قول الجميع[١] . وهي إحدى وخمسون آية[٢]

روى أبو الزَّاهرية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقَّة أُجِير من فتنة الدّجّال. ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة من فوق رأسه إلى قدمه»[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ يريد القيامة؛ سُمِّيت بذلك لأن الأمور تُحَقُّ فيها؛ قاله الطبري[٤]. كأنه جعلها مِن باب: ليلٌ نائم. وقيل: سُمِّيت حاقَّةً لأنها تكون من غير شكّ. وقيل: سُمِّيت بذلك لأنها أحقَّت لأقوام الجنةَ، وأحقَّت لأقوام النار. وقيل: سُمِّيَت بذلك لأن فيها يصير كلُّ إنسانٍ حقيقًا بجزاء عمله.

وقال الأزهريّ[٥]: يقال: حاققته فحَقَقْتُه أَحُقّه، أي: غالبته فغلبته. فالقيامة حاقَّةٌ لأنها تَحُقُّ كلَّ مُحاقٍّ في دين الله بالباطل، أي: كُلَّ مخاصِم.

وفي الصحاح: وحاقَّه، أي: خاصمه وادَّعى كلُّ واحدٍ منهما الحقَّ؛ فإذا غلبه قيل: حَقَّه. ويقال للرجل إذا خاصم في صِغَار الأشياء: إنه لَنَزِقُ الحِقَاق. ويقال: ماله

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٥٦، وزاد المسير ٨/٣٤٥ .

(٢) الكشاف ٤/١٤٩ . وذكر أبو الليث في تفسيره ٣/٣٩٧، والواحدي في الوسيط ٤/٣٤٣، والبغوي في تفسيره ٤/٣٨٥ أنها اثنتان وخمسون آية.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) في تفسيره ٢٣/٢٠٥ .

(٥) في تهذيب اللغة ٣/٣٧٧ .

فيه حقٌّ ولا حِقاق، أي: خصومة. والتَّحاقُّ: التخاصم. والاحتقاق: الاختصام[١]. والحاقَّة والحَقَّة والحقُّ ثلاثُ لغاتٍ بمعنًى. وقال الكِسائيُّ والمؤرِّج: الحاقَّة: يومُ الحقّ[٢]. وتقول العرب: لمَّا عَرَف الحَقَّةَ منِّي هرب[٣].

والحاقّة الأولى رفع بالابتداء، والخبر المبتدأُ الثاني وخبره، وهو: «مَا الْحَاقَّةُ»، لأن معناها: ما هي. واللفظ استفهام، ومعناه التعظيمُ والتفخيم لشأنها؛ كما تقول: زيدٌ ما زيد! على التعظيم لشأنه[٤].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ استفهامٌ أيضاً، أي: أيُّ شيءٍ أعلمك ما ذلك اليوم. والنبيُّ ﷺ كان عالماً بالقيامة ولكن بالصفة، فقيل تفخيمًا لشأنها: وما أدراك ما هي؛ كأنك لستَ تعلمها إذ لم تعاينْها.

وقال يحيى بن سلام: بلغني أنَّ كلَّ شيءٍ في القرآن «وَمَا أَدْرَاكَ»، فقد أدراه إياه وعلَّمه. وكلَّ شيءٍ قال: «وَمَا يُدْرِيك»، فهو مما لم يعلِّمه[٥]. وقال سفيان بن عُيينة: كلُّ شيء قال فيه: «وَمَا أَدْرَاكَ»، فإنه أُخبر به، وكلُّ شيء قال فيه: «وَمَا يُدْرِيكَ»، فإنه لم يُخبَر به[٦].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾

ذَكَرَ من كذَّب بالقيامة. والقارعة القيامة؛ سُمِّيت بذلك لأنها تَقرَع الناسَ بأهوالها. يقال: أصابتهم قوارعُ الدهر، أي: أهوالُه وشدائده. ونعوذ بالله من قوارع فلانٍ

---

(١) الصحاح (حقق).

(٢) أورد قول الكسائي البغويُّ في تفسيره ٤/ ٣٨٥.

(٣) الصحاح (حقق).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٧ عن سفيان. ولعله الثوري، كما في تفسيره.

ولواذِعه وقوارصِ لسانه؛ جمع قارصة، وهي الكلمة المؤذية. وقوارعُ القرآن: الآياتُ التي يقرؤها الإنسان إذا فَزِع من الجِنّ أو الإنس، نحوُ آيةِ الكرسيّ؛ كأنها تَقرَع الشيطان[١].

وقيل: القارعة مأخوذةٌ من القُرْعة في رفعِ قومٍ وحطّ آخرين؛ قاله المبرِّد. وقيل: عنى بالقارعة العذابَ الذي نزل بهم في الدنيا؛ وكان نبيُّهم يخوّفهم بذلك فيكذّبونه.

وثمودُ قومُ صالح، وكانت منازلهم بالحِجْر فيما بين الشام والحجاز. قال محمد ابن إسحاق: وهو وادي القُرَى، وكانوا عربًا. وأما عادٌ فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف. والأحقاف: الرمل بين عُمَان إلى حضرموت واليمن كلِّه؛ وكانوا عربًا ذَوِي خَلْق وبَسْطة؛ ذكره محمد بن إسحاق[٢]. وقد تقدم[٣].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

فيه إضمار، أي: بالفعلة الطاغية. وقال قتادة: أي: بالصيحة الطاغية[٤]، أي: المجاوِزة للحدّ، أي: لحدِّ الصيحات من الهَوْل، كما قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]. والطغيان: مجاوزة الحدّ، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] أي: جاوز الحدّ. وقال الكلبيّ: بالطاغية: بالصاعقة. وقال مجاهد: بالذنوب. وقال الحسن: بالطُّغيان[٥]، فهي مصدرٌ؛ كالكاذبة والعاقبة والعافية. أي: أُهلكوا بطغيانهم وكفرهم. وقيل: إنَّ الطاغية عاقرُ الناقة؛ قاله ابن زيد[٦]. أي: أُهلكوا بما أَقدم عليه طاغيتُهم مِن عَقْر الناقة، وكان واحداً، وإنما هلك

---

(١) الصحاح (قرع).

(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٦، وفيه كلام المبرد.

(٣) ٩/ ٢٦٤.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦. وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٩.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٦، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٨.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٧٦.

الجميع لأنهم رَضُوا بفعله ومالؤوه. وقيل له: طاغية؛ كما يقال: فلان راوية الشعر، وداهيةٌ وعلّامةٌ ونسّابة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردةٌ تُحْرِق ببردها كإحراق النار؛ مأخوذةٌ من الصِّرّ، وهو البرد؛ قاله الضحّاك[1]. وقيل: إنها الشديدةُ الصوت[2]. وقال مجاهد: الشديدة السَّموم.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: عَتت على خُزّانها فلم تُطِعهم، ولم يطيقوها مِن شدّة هبوبها؛ غضبت لغضب الله. وقيل: عتت على عادٍ فقهرتهم.

روى سفيان الثوريُّ عن موسى بن المسيّب، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله مِن نَسْفَة[3] مِن ريحٍ إلا بمكيال، ولا قطرةٍ من ماء إلّا بمكيال، إلا يومَ عادٍ ويوم نوح، فإنَّ الماء يومَ نوحٍ طغى على الخُزّان، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»، والريح لمّا كان يومُ عادٍ عَتَت على الخُزّان فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»[4].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أرسلها وسَلَّطها عليهم. والتسخير: استعمالُ الشيء

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١١ .

(٢) ذكره في النكت والعيون ٦/ ٧٧ عن مجاهد .

(٣) في (خ) : هبة ، وفي (ظ): سفّة ، وفي (م) : نسمة ، وفي الكشاف ٤/ ١٥٠ : سفية، والمثبت من (د) و(ز) و(ق) .

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٣٢) و(٨٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٥ . وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٠ موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما .

بالاقتدار[١]. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: متابعة لا تَفْتُر ولا تنقطع؛ عن ابن عباس وابنِ مسعود وغيرهما[٢]. قال الفرَّاء[٣]: الحُسُوم: التِّباع، مِن حَسْمِ الدَّاء: إذا كُويَ صاحبُه، لأنه يُكْوَى بالمِكواة ثم يُتابَع ذلك عليه. قال عبد العزيز بن زُرارة الكِلابيّ:

فـفـرَّق بـيـن بـيـنِـهـمُ[٤] زمـانٌ تـتـابـعَ فـيـه أعـوامٌ حـسـومُ[٥]

وقال المبرِّد: هو من قولك: حَسَمْتُ الشيء: إذا قطعتَه وفصلتَه عن غيره. وقيل: الحَسْم: الاستئصال. ويقال للسيف: حُسام؛ لأنه يَحْسِم العدوَّ عما يريده مِن بلوغ عداوته. وقال الشاعر:

حُـسـامٍ إذا مـا قـمـتُ مُـعْـتَـضِـدًا بـه كَفى العَودَ منه البَدْءُ ليس بمِعْضَدِ[٦]

والمعنى أنها حسمتهم، أي: قَطَعَتهم وأذهبتهم. فهي القاطعةُ بعذاب الاستئصال.

قال ابن زيد: حسمتهم فلم تُبْقِ منهم أحداً[٧]. وعنه أنها حَسَمت الليالِيَ والأيام حتى استوفتها[٨]؛ لأنها بدأت طلوعَ الشمس من أوَّل يومٍ، وانقطعت غروبَ الشمس من آخِر يوم.

وقال اللَّيث: الحُسوم: الشؤم. ويقال: هذه ليالي الحُسوم، أي: تَحْسِم الخيرَ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧.

(٢) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ١٨٠.

(٤) البين: الوصل، وهو من الأضداد. الصحاح (بين).

(٥) الكشاف ٤/ ١٥٠.

(٦) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ص ٣٧، وروايته: منتصراً به. بدل: معتضداً به. وقبله:

فـآلـيـتُ لا يـنـفـك كَـشْـحـي بـطـانـةً لِـعـضـبٍ رقـيـق الـشـفـرتـيـن مـهـنـد

والمِعْضَد: سيف يمتهن في قطع الشجر. القاموس (عضد).

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٤.

(٨) في (خ) و(م): استوعبتها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٧٧، ونسبه للضحاك. وينظر زاد المسير ٨/ ٣٤٦.

عن أهلها[١]، وقاله في الصحاح[٢]. وقال عكرمة والربيع بنُ أنس: مشائيم[٣]، دليلُه قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦]. عطية العَوْفي: «حُسُومًا» أي: حَسَمت الخير عن أهلها[٤].

واختُلف في أوَّلها، فقيل: غداة يوم الأحد، قاله السُّدِّي. وقيل: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. وقيل: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام[٥] ووهب بنُ مُنَبِّه. قال وهب: وهذه الأيام هي التي تسمِّيها العرب أيامَ العجوز، ذاتُ بردٍ وريحٍ شديدة، وكان أوَّلُها يومَ الأربعاء وآخِرُها يومَ الأربعاء؛ ونُسبت إلى العجوز، لأن عجوزًا من عادٍ دخلت سَرَبًا، فتبعتها الريحُ فقتلتها في اليوم الثامن. وقيل: سُمِّيت أيامَ العجوز لأنها وقعت في عَجُز الشتاء[٦]. وهي في آذار من أشهر السُّرْيانيِّين. ولها أسامٍ مشهورةٌ، وفيها يقول الشاعر ـ وهو ابن أحمر[٧] ـ:

كُسِعَ الشتاءُ بسبعةٍ غُبْرِ ... أيامِ شَهْلَتِنا من الشَّهْرِ
فإذا انقضت أيامُها ومضت ... صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوَبْرِ
وبآمرٍ وأخيه مُؤْتَمِرٍ ... ومُعَلِّلٍ وبمُطْفِئ الجَمْرِ
ذهب الشتاء مُوَلِّياً عَجِلًا ... وأتتك واقدةٌ من النَّجْرِ[٨]

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤.

(٢) مادة (حسم).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٧، وقول عكرمة أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣١٢.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦.

(٧) قوله: وهو ابن أحمر ليس في (د) وهو الصواب، فقد نقل صاحب اللسان (عجز) عن ابن بري أنها ليست لابن أحمر، وينظر التعليق التالي.

(٨) نسبت الأبيات في معجم الشعراء ص ١٢٣ لأبي شبل عُصْم بن وهب التميمي البرجمي، وفي اللسان (كسع) لأبي شبل الأعرابي. وفي معجم الأدباء ١١/ ٥٧ لخِرْقة بن نُباتة. وهي في الأزمنة والأمكنة =

و«حُسُومًا» نصب على الحال. وقيل: على المصدر. قال الزَّجاج: أي: تَحْسِمهم حسومًا، أي: تُفْنيهم[١]، وهو مصدرٌ مؤكّد. ويجوز أن يكونَ مفعولاً له، أي: سَخَّرها عليهم هذه المدَّةَ للاستئصال، أي: لقطعهم واستئصالهم. ويجوز أن يكون جمعَ حاسم. وقرأ السُّدِّي: «حَسُومًا» بالفتح، حالًا من الريح، أي: سخَّرها عليهم مستأصِلةً[٢].

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام. ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صَريع؛ يعني موتى. وقيل: «فيها» أي: في الريح. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أي: أصول. ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي: بالية؛ قاله أبو الطفيل[٣]. وقيل: خالية الأجوافِ لا شيء فيها. والنخلُ يذكَّر ويؤنَّث[٤]. وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فيحتمل أنهم شُبِّهوا بالنخل التي صُرعت من أصلها، وهو إخبارٌ عن عِظَم أجسامهم. ويحتمل أن يكونَ المرادُ به الأصولَ دون الجذوع، أي: إنَّ الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخلِ خاويةً. أي: الريحُ كانت تدخل أجوافَهم فتصرعُهم كالنخلة الخاويةِ الجوف. وقال ابن شجرة: كانت الريح تدخل في أفواههم فتُخرج ما في أجوافهم من الحَشْوِ من أدبارهم، فصاروا كالنخلِ الخاوية. وقال يحيى ابن سلام: إنما قال: «خاوية»؛ لأن أبدانهم خَوَتْ من أرواحهم مِثلَ النخل الخاوية[٥]. ويحتمل أن يكونَ المعنى: كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية عن أصولها من البقاع؛ كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ [النمل: ٥٢] أي: خَرِبةً لا سُكَّان

= ١/ ٢٧١، وثمار القلوب للثعالبي ص ٣١٤ دون نسبة. قوله: كسع الشتاء: الكسع شدة المَرّ، يقال: كسعه بكذا وكذا: إذا جعله تابعاً له ومُذْهَباً به. والشهلة: العجوز. والنجر: الحر. اللسان (كسع) (شهل) (نجر).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٨. والقول الآتي نسبه لابن كامل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٨.

فيها. ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا؛ لأنها إذا بَلِيت خلت أجوافها. فشُبِّهوا بعد أن هَلكوا بالنخل الخاوية.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

أي: مِن فِرْقة باقيةٍ أو نَفْس باقية. وقيل: مِن بقيَّة. وقيل: مِن بقاء. فاعلة بمعنى المصدر؛ نحوُ العاقبة والعافية. ويجوز أن يكونَ اسمًا، أي: هل تجد لهم أحدًا باقياً؟ وقال ابنُ جريج: كانوا سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام أحياءً في عذاب الله من الريح، فلمَّا أمسَوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريحُ فألقتهم في البحر، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمروٍ والكِسائي: «وَمَن قِبَلَه» بكسر القاف وفتح الباء[١]؛ أي: ومَن معه وتَبِعَه من جنوده. واختاره أبو عبيد[٢] وأبو حاتم اعتبارًا بقراءة عبدِ الله وأُبي: «ومَن مَعَهُ»[٣]. وقرأ أبو موسى الأشعريّ: «ومَن تلقاءه»[٤]. الباقون: «قَبْلَه» بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومَن تقدَّمه من القرون الخالية والأممِ الماضية.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: أهل قرى لوط[٥]. وقراءة العامة بالألف. وقرأ الحسن والجَحْدَريّ: «والمُؤْتَفِكَة» على التوحيد[٦]. قال قتادة: إنما سُمِّيت قُرَى قومِ لوطٍ

---

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ١٥٠. ونسبها في القراءات الشاذة ص ١٦١ لأبي موسى وأُبي.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٦١، ونسبها أيضاً لأُبي.

(٥) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٢١٦ - ٢١٧ عن قتادة وابن زيد.

(٦) قراءة الحسن في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨.

«مؤتفكات»؛ لأنها ائتفكت بهم، أي: انقلبت[١]. وذكر الطبريُّ[٢] عن محمد بن كعب القُرَظيِّ قال: خمسُ قَرْيات: صبعة[٣]، وصعرة[٤]، وعمرة، ودوما، وسدوم؛ وهي القرية العظمى.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفَعلة الخاطئة، وهي المعصية والكفر. وقال مجاهد: بالخطايا التي كانوا يفعلونها[٥]. وقال الجُرجانيّ: أي: بالخطأ العظيم، فالخاطئةُ مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ قال الكلبيّ: هو موسى. وقيل: هو لوط[٦]؛ لأنه أقرب. وقيل: عَنى موسى ولوطاً عليهما السلام[٧]؛ كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]. وقيل: «رسول» بمعنى رسالة. وقد يعبَّر عن الرسالة بالرسول؛ قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحْت عندهم ... بِسِرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٨]

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: عالية زائدة على الأخَذَات وعلى عذاب الأمم. ومنه الرِّبَا: إذا أَخذ في الذهب والفضة أكثرَ مما أعطى. يقال: ربا الشيءُ يربو، أي: زاد وتضاعف. وقال مجاهد: شديدة[٩]. كأنه أراد: زائدةً في الشدَّة.

---

(١) ذكر قوله بنحوه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٤٠ .

(٢) في تاريخه ١/ ٣٠٦-٣٠٧، ونقله عنه المصنف بواسطة التعريف والإعلام للسهيلي ص ١٧٥ .

(٣) في النسخ الخطية : صنعة . والمثبت من (م).

(٤) في (خ) : ضعرة ، وفي (د) و(ز) و(ظ) و(ق) : صعدة، والمثبت من (م)، وسلف الكلام عليها ١١/ ١٨٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٨ .

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ٧٩ . والبيت لكثير عزة ، وهو في ديوانه ص ٢٧٨ ، والشطر الثاني فيه:

بليلى ولا أرسلتهم برسيل

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٨ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: ارتفع وعلَا. وقال عليٌّ ﷺ: طغى على خُزَّانه من الملائكة غضبًا لربِّه، فلم يقدروا على حبسه. قال قتادة: زاد على كل شيءٍ خمسةَ عشرَ ذِراعًا[١]. وقال ابن عباس: طغى الماء زمنَ نوحٍ على خُزَّانه فكثر عليهم، فلم يَدْرُوا كم خرج. وليس من الماء قطرةٌ تنزل قبله ولا بعده إلَّا بكيل معلوم، غيرَ ذلك اليوم. وقد مضى هذا مرفوعًا أوَّلَ السورة.

والمقصود من قصص هذه الأممِ وذِكْرِ ما حلَّ بهم من العذاب زَجْرُ هذه الأمةِ عن الاقتداء بهم في معصية الرسول. ثم مَنَّ عليهم بأنْ جعلهم ذُرِّيَّةَ مَن نجا من الغرق بقوله: «حَمَلْنَاكُمْ». أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم.

﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ أي: في السفن الجارية. والمحمولُ في الجارية نوحٌ وأولاده، وكلُّ مَن على وجه الأرض مِن نسل أولئك.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يعني سفينة نوح عليه الصلاة والسلام. جعلها الله تذكرةً وعِظَةً لهذه الأمة حتى أدركها أوائلُهم؛ في قول قتادة. قال ابن جريج: كانت ألواحها على الجُودِيّ[٢]. والمعنى: أبقيتُ لكم تلك الخشباتِ حتى تذكرُوا ما حلَّ بقوم نوح، وإنجاءَ الله آباءكم؛ وكم من سفينة هلكت وصارت ترابًا ولم يبقَ منها شيء. وقيل: لِنجعلَ تلك الفَعلةَ من إغراق قوم نوح وإنجاءِ مَن آمن معه موعظةً لكم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي: تحفظها وتسمعها أُذُنٌ حافظةٌ لمَا جاء من عند الله. والسفينة لا توصف بهذا.

قال الزجاج: ويقال: وَعَيْتُ كذا، أي: حَفِظتُه في نفسي، أَعِيه وَعْياً، ووعَيْتُ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٧٩. وأخرج الطبري القولين ٢٣/ ٢١٠ - ٢١١، ٢١٩.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٨٠. وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢١.

العلم، ووعَيْتُ ما قلت؛ كلُّه بمعنًى. وأَوعيتُ المتاعَ في الوِعاء. قال الزجاج[١]: يقال لكل ما حَفِظتَه في غير نفسك: «أَوعيتُه» بالألف، ولِمَا حفِظته في نفسك: «وعيتُه» بغير ألف.

وقرأ طلحة وحُميد والأعرج: «وتَعْيَها» بإسكان العين[٢]؛ تشبيهاً بقوله: «أَرْنَا»[٣]. واختُلف فيها عن عاصم وابن كثير. الباقون بكسر العين[٤].

ونظيرُ قولِه تعالى: «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قولُه تعالى[٥]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. وقال قتادة: الأذن الواعية أُذُنٌ عَقَلت عن الله تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ[٦].

وروى مكحولٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت رَبِّي أن يجعلهَا أُذُنَ عليٍّ». قال مكحول: فكان عليٌّ ﷺ يقول: ما سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ فنسيته، إلَّا وحفظته. ذكره الماورديّ[٧]. وعن الحسن نحوُه، ذكره الثعلبي قال: لمَّا نزلت «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»، قال النبيُّ ﷺ: «سألت رَبِّي أن يجعلها أُذُنَك يا عليّ» قال عليّ: فواللهِ ما نسيتُ شيئًا بعدُ، وما كان لي أن أنسى.

وقال بُريدة[٨] الأَسْلَميّ: قال النبيُّ ﷺ لعليّ: «يا عليّ، إنَّ الله أمرني أن أُدْنِيَكَ ولا أُقصِيَك، وأن أُعلِّمَك، وأن تَعيَ، وحقٌّ على الله أن تَعي»[٩].

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) قراءة طلحة في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١.

(٣) سلفت هذه القراءة ٢/ ٣٩٨.

(٤) روى الحلواني عن ابن كثير وأبو ربيعة عن قنبل: «وتَعْيَها» بإسكان العين. السبعة ص ٦٤٨. وقال في التيسير ص ٢١٣: وجاء عن ابن كثير وعاصم وحمزة في ذلك ما لا يصح.

(٥) عبارة: قوله تعالى من (ظ).

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٣.

(٧) في النكت والعيون ٦/ ٨٠. وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣، وهو مرسل.

(٨) في (د) و(ظ): أبو بردة، وفي باقي النسخ: أبو برزة، وكلاهما خطأ.

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٦٩ - ٣٣٧٠ (١٨٩٦٢)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧٣. وأورده ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢١١ وقال: لا يصح.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾

قال ابن عباس: هي النفخة الأولى لقيام الساعة[1]، فلم يبقَ أحدٌ إلَّا مات. وجاز تذكيرُ «نُفِخَ» لأن تأنيث النفخة غيرُ حقيقي. وقيل: إنَّ هذه النفخةَ هي الأخيرة[2]. وقال: «نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» أي: لا تُثنَّى.

قال الأخفش: ووقع الفعل على النفخة إذ لم يكن قبلها اسمٌ مرفوع، فقيل: نفخة. ويجوز «نفخةً» نصبًا على المصدر. وبها قرأ أبو السَّمَّال[3]. أو يقال: اقتصر على الإخبار عن الفعل، كما تقول: ضُرب ضربًا. وقال الزجَّاج[4]: «في الصُّورِ» يقوم مَقامَ ما لم يُسمَّ فاعلُه.

قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ قراءة العامة بتخفيف الميم، أي: رُفعت من أماكنها.

﴿فَدُكَّتَا﴾ أي: فُتَّتا وكُسِرتا. ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ لا يجوز في «دَكَّة» إلَّا النصب، لارتفاع الضمير في «دُكَّتَا». وقال الفراء[5]: لم يقل: فَدُكِكْن؛ لأنه جَعَلَ الجبال كلَّها كالجملة الواحدة، والأرضَ كالجملة الواحدة[6]. ومثلُه: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ولم يقل: كُنَّ. وهذا الدكُّ كالزلزلة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. وقيل: «دُكَّتَا» أي: بُسِطتَا بسطةً واحدة، ومنه: اندكَّ سَنام

---

(١) نسبة لابن عباس الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٥١ ، ونسبه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٤٨ لعطاء .

(٢) هو قول الكلبي ومقاتل كما في الوسيط ٤/ ٣٤٥ ، وزاد المسير ٨/ ٣٤٨ .

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦١ .

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢١٦ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٨١ .

(٦) قوله: والأرض كالجملة الواحدة، ليس من كلام الفراء، وغير موجود في (ظ) .

البعير: إذا انفرش في ظهره. وقد مضى في سورة الأعراف القولُ فيه(١).

وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر: «وَحُمِّلَت الأَرْضُ وَالْجِبَالُ» بالتشديد على إسناد الفعل إلى المفعول الثاني. كأنه في الأصل: وَحَمَّلْتُ قُدْرَتَنا أو مَلَكًا من ملائكتنا الأرضَ والجبال؛ ثم أُسنِد الفعل إلى المفعول الثاني فَبُنِيَ له. وَلَوْ جِيء بالمفعول الأول لأسند الفعل إليه؛ فكأنه قال: وَحُمِّلت قُدْرَتُنَا الأرضَ. وقد يجوز بناؤه للثاني على وجه القلب، فيقال: حُمِّلت الأرضُ المَلَك؛ كقولك: أُلْبِس زيدٌ الجُبَّةَ، وأُلْبِست الجبةُ زيدًا(٢).

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انصدعتْ وتفطَّرت. وقيل: تنشقُّ لنزول ما فيها من الملائكة؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقد تقدَّم(٣).

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي: ضعيفة. يقال: وَهَى البناء يَهِي وَهْيًا فهو واهٍ: إذا ضَعُف جدًّا. ويقال: كلامٌ وَاهٍ، أي: ضعيف. فقيل: إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوَهْي، ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا. وقيل: لهول يوم القيامة. وقيل: «وَاهِيَةٌ» أي: متخرِّقة؛ قاله ابن شجرة. مأخوذٌ من قولهم: وَهَى السِّقاء: إذا تخرَّق. ومن أمثالهم:

خَلِّ سبيلَ مَن وَهَى سِقاؤُهُ ومن هُرِيق بالفلاة ماؤُهُ

أي: مَن كان ضعيفَ العقل لا يحفظ نفسه(٤).

---

(١) ٩/ ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٨ بنحوه.

(٣) ١٥/ ٣٩٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨١، وكلام ابن شجرة فيه. والرجز في الصحاح (وهى)، وجمهرة الأمثال ١/ ٤١٤، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ٧٦.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني الملائكة؛ اسمٌ للجنس. ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي: على أطرافها حين تنشقّ؛ لأن السماء مكانُهم؛ عن ابن عباس. الماورديّ[1]: ولعله قولُ مجاهدٍ وقتادة. وحكاه الثعلبيُّ عن الضحّاك، قال: على أطرافها ممّا لم ينشقَّ منها[2]. يريد أنَّ السماء مكانُ الملائكة، فإذا انشقَّت صاروا في أطرافها.

وقال سعيد بن جُبَير: المعنى: والمَلَكُ على حافَّات الدنيا، أي: يَنزلون إلى الأرض ويحرُسون أطرافها. وقيل: إذا صارت السماء قِطَعًا؛ تقف الملائكةُ على تلك القطعِ التي ليست مُتَشقِّقة في أنفسها. وقيل: إنَّ الناس إذا رأَوا جهنمَ هالتهم؛ فَيِنِدُّوا كما تَنِدُّ الإبل، فلا يأتون قُطْرًا من أقطار الأرض إلَّا رأَوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا.

وقيل: «على أَرْجَائِهَا» ينتظرون ما يؤمرون به في أهل النارِ من السَّوق إليها، وفي أهل الجنة من التَّحيَّة والكرامة.

وهذا كلُّه راجعٌ إلى معنى قولِ ابنِ جُبَير. ويَدُلُّ عليه: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقولُه تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٣٣] على ما بيَّنّاه هناك.

والأرجاء: النواحي والأقطارُ؛ بلغة هذيل، واحدها: رَجاً، مقصور، وتثنيته: رَجَوان؛ مِثل عَصاً وعَصَوان. قال الشاعر:

فــلا يُــرْمَــى بِــيَ الــرَّجَــوَانِ إنِّــي أقـلُّ الـقـومِ مَـن يُـغْـنِـي مـكـانـي[3]

ويقال ذلك لحرف البئرِ والقبر.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٨١ .

(٢) أخرج أقوالهم الطبري ٢٣/ ٢٢٦ ، دون قوله : لأن السماء مكانهم .

(٣) أدب الكاتب ص٢٥٧ ، ومجمع الأمثال ١/ ٢١٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٤٧ ، واللسان (رجو) دون نسبة . وفي الاقتضاب للبطليوسي ص ٣٦٦ أنه لعبد الرحمن بن الحكم من شعر يقوله في أخيه مروان .

قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ قال ابن عباس: ثمانية صفوفٍ من الملائكة لا يعلم عددَهم إلَّا الله. وقال ابن زيد: هم ثمانية أملاك[١]. وعن الحسن: الله أعلم كم هم، ثمانيةٌ أم ثمانيةُ آلاف[٢]. وعن النبيِّ ﷺ «أنَّ حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يومُ القيامة، أيَّدهم اللهُ تعالى بأربعةٍ آخَرين، فكانوا ثمانية». ذكره الثعلبيّ[٣]. وخَرَّجه الماورديُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمله اليومَ أربعة، وهم يومَ القيامة ثمانية»[٤].

وقال العباس بن عبد المطلب[٥]: هم ثمانيةُ أملاكٍ على صورة الأوعال[٦]. ورواه عن النبيِّ ﷺ[٧]. وفي الحديث: «إنَّ لكلِّ مَلَكٍ منهم أربعةَ أوجه: وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثَوْر، ووجه نَسْر. وكلُّ وجهٍ منها يسأل اللهَ الرزقَ لذلك الجنس»[٨]. ولما أُنشد بين يدَي النبيِّ ﷺ قولُ أميَّة بنِ أبي الصَّلْت:

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجلِ يمينهِ ... والنَّسرُ للأُخرى ولَيثٌ مُرْصَدُ
والشمس تطلعُ كلَّ آخِرِ ليلةٍ ... حمراءَ يصبح لونُها يَتورَّدُ

(١) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٢ .

(٣) وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٩ عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ... ثم ذكره ؛ وهو مرسل.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨٢ دون سند .

(٥) في النسخ : عبد الملك ، وهو خطأ .

(٦) خبر ضعيف أخرجه أبو يعلى (٦٧١٢) ، والحاكم ٢/ ٥٠٠ من طريق شريك بن عبد الله ، عن سماك ابن حرب ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ﷺ . وشريك صدوق يخطئ كثيراً ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وسماك تغيّر بأخَرَة، كما في تقريب التهذيب . وعبد الله ابن عميرة مجهول، وقال فيه البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ١٥٩ : لا نعلم له سماعاً من الأحنف .

(٧) سيذكره المصنف قريباً ، وهو ضعيف .

(٨) لم نقف عليه مرفوعاً . وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٤ عن وهب بن منبه والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٩٥ عن أبي مالك مطولاً . وليس فيهما : وكل وجه منها يسأل ... إلخ . قال أبو حيان في البحر ٨/ ٣٢٤ : ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة؛ ضربنا عن ذكرها صفحاً .

ليست بطالعة لهم في رِسْلِها[١] إلَّا مُعذَّبةً وإلَّا تُجلَدُ

قال النبيُّ ﷺ: «صَدَق»[٢].

وفي الخبر: «أنَّ فوق السماء السابعةِ ثمانيةَ أوعال، بين أظلافهنَّ ورُكَبهنَّ مثْلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، وفوق ظُهورهنَّ العرشُ». ذكره القشيريّ، وخرَّجه الترمذيُّ[٣] من حديث العباس بنِ عبد المطلب. وقد مضى في سورة البقرةِ بكماله[٤]. وذكر نحوَه الثعلبيُّ ولَفْظَه.

وفي حديثٍ مرفوع: «أنَّ حملة العرش ثمانيةُ أملاكٍ على صورة الأوعال، ما بين أظلافِها إلى رُكَبها مسيرةُ سبعين عاماً للطائر المسرع».

وفي تفسير الكلبيّ: ثمانيةُ أجزاءٍ من تسعةِ أجزاءٍ من الملائكة. وعنه: ثمانيةُ أجزاءٍ من عشْرة أجزاءٍ من الملائكة. ثم ذكر عِدَّة الملائكة بما يطول ذِكْرُه. حكى الأوَّلَ عنه الثعلبيُّ والثانيَ القشيريّ. وقال الماورديُّ عن ابن عباس: ثمانيةُ أجزاءٍ من تسعة، وهم الكَرُوبِيُّون[٥]. والمعنى ينزل بالعرش[٦].

ثم إضافةُ العرش إلى الله تعالى كإضافة البيت، وليس البيتُ للسُّكنى، فكذلك العرش. ومعنى: «فَوْقَهُمْ»، أي: فوقَ رؤوسِهم[٧]. قال السُّدِّي: العرش تَحمِله

---

(١) في المصادر: تأبى فلا تبدو لنا في رسلها. والرِّسْل: التُّؤَدة.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف، فيه محمد بن إسحاق، ولم يصرح بالتحديث. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: ولو ثبت تصريح ابن إسحاق؛ فلا يعتدُّ به في مثل هذا المطلب. اهـ. والأبيات في الديوان ص٥٠.

(٣) برقم (٣٣٢٠) وهو ضعيف، إسناده بنحو إسناد حديث العباس السالف عنه موقوفاً.

(٤) ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩ وليس فيه ذكر لحملة العرش.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٢. وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٦٥ - ٦٦ بنحوه. والكروبيون: الملائكة المقربون. النهاية (كرب).

(٦) ينظر ما سلف ١٥/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٧) أي: رؤوس الحملة كما في النكت والعيون ٦/ ٨٢، والوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٥، وتفسير البغوي ٤/ ٦٨٧، وزاد المسير ٨/ ٣٥٠، ونسبه لمقاتل.

الملائكةُ الحَمَلَةُ فوقهم، ولا يَحمِلُ حَمَلَة العرشِ إلَّا الله. وقيل: «فَوْقَهُمْ» أي: إنَّ حملة العرش فوق الملائكةِ الذين في السماء على أرجائها. وقيل: «فَوْقَهُمْ» أي: فوق أهلِ القيامة[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي: على الله؛ دليلُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨]، وليس ذلك عرضًا يَعلَمُ به ما لم يكن عالمًا به، بل معناه الحسابُ وتقريرُ الأعمال عليهم للمجازاة. وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَض الناسُ يومَ القيامة ثلاثَ عَرَضات: فأمَّا عَرْضتان، فجدالٌ ومعاذير، وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصُّحُف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بشِماله». خرَّجه الترمذيُّ وقال: ولا يَصحُّ مِن قِبَلِ أنَّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة[٢].

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: هو عالمٌ بكل شيءٍ من أعمالكم. فـ «خَافِيَةٌ» على هذا بمعنى خَفِيَّة، كانوا يُخفونها من أعمالهم؛ قاله ابن شجرة[٣]. وقيل: لا يخفى عليه إنسان، أي: لا يبقى إنسانٌ لا يُحاسَب. وقال عبد الله بن عمرو بنِ العاص: لا يخفى المؤمنُ من الكافر ولا البَرُّ من الفاجر. وقيل: لا تَستَتِر منكم عَورةٌ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «يُحْشَر الناسُ حُفاةً عُراةً»[٤].

وقرأ الكوفيون إلَّا عاصمًا: «لَا يَخْفَى» بالياء؛ لأن تأنيث الخافيةِ غيرُ حقيقي؛

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٢ .

(٢) سنن الترمذي (٢٤٢٥) . وقال أيضاً : وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ . قال أبو عيسى : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى . اهـ . وهذه الرواية التي أشار إليها عند أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧).

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٩٥ زيادات نعيم) موقوفاً على أبي موسى ﷺ . قال الدارقطني في العلل ٧/ ٢٥١ : والموقوف هو الصحيح.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٨٢ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨٢ ، وفيه كلام ابن عمرو رضي الله عنهما . وسلف الحديث ٤/ ١٢ - ١٣ .

نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] واختاره أبو عبيد؛ لأنه قد حال بين الفعلِ وبين الاسم المؤنَّثِ الجارُّ والمجرور. الباقون بالتاء[١]. واختاره أبو حاتم لتأنيث الخافية.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إعطاءُ الكتاب باليمين دليلٌ على النجاة[٢]. وقال ابن عباس: أوَّلُ مَن يُعطَى كتابَه بيمينه من هذه الأمةِ عمر بنُ الخطاب، وله شعاعٌ كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات!! زَفَّته الملائكةُ إلى الجنة. ذكره الثعلبي. وقد ذكرناه مرفوعًا من حديث زيد بنِ ثابتٍ بلفظه ومعناه في كتاب «التذكرة». والحمد لله[٣].

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: يقول ذلك ثقةً بالإسلام وسرورًا بنجاته؛ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشِّمال من دلائل الغَمّ. قال الشاعر:

---

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٣. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٨٣.

(٣) لم نقف عليه في التذكرة، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٠/ ١٥٤ من طريق عاصم الأحول، عن زيد ابن ثابت ﷺ مرفوعاً. ولم يُذكر لعاصم الأحول رواية عن زيد.

ثم إن في إسناده إسحاق بن إبراهيم بن سُنين الخُتَّلي، وهو ضعيف، وعمر بن إبراهيم بن خالد الكردي؛ قال الدارقطني: كذاب. الميزان ١/ ١٨٠، و٣/ ١٧٩-١٨٠. وفيه أيضاً: مرحوم بن أرطان، ولم نعرفه.

أَبِيـنـي أفـي يُـمْـنَـى يَـدَيـكِ جعـلـتِـنـي فـأفـرحَ أم صـيَّـرتِـنِـي فـي شـمـالـكِ[١]

ومعنى «هَاؤُمُ»: تعالَوا؛ قاله ابن زيد[٢]. وقال مقاتل: هَلُمَّ. وقيل: أي: خذوا؛ ومنه الخبر في الرِّبا: «إلا هَاءَ وهَاءَ»[٣] أي: يقول كلٌّ واحدٍ لصاحبه: خذ. قال ابن السِّكِّيت والكِسائي: العرب تقول: هاءَ يا رجلُ اقرأ، وللاثنين: هاؤما يا رجلان، وهاؤم يا رجال، وللمرأة هاءِ ـ بكسر الهمزة ـ وهاؤما وهاؤُنَّ[٤]. والأصل: هاكُم، فأُبدلت الهمزةُ من الكاف؛ قاله القُتَبي[٥].

وقيل: إنَّ «هاؤم» كلمةٌ وضعت لإجابة الداعي عند النشاطِ والفرح. روي أنَّ رسول الله ﷺ ناده أعرابيٌّ بصوت عالٍ، فأجابه النبيُّ ﷺ: «هاؤم»؛ يطوِّل صوته[٦].

«وَكِتَابِيَهْ» منصوب بـ «هاؤم» عند الكوفيين. وعند البصريين بـ «اقرؤوا»؛ لأنه أقربُ العاملَيْن[٧]. والأصل: «كتابي»، فأُدخلت الهاءُ لِتَبين فَتحةُ الياء، وكانت الهاء للوقف، وكذلك في أخواته: «حِسَابِيَهْ» و«ماليه» و«سلطانيه» وفي القارعة: «ماهيه».

وقراءة العامة بالهاء فيهنَّ في الوقف والوصل معًا؛ لأنهنَّ وقعن في المصحف بالهاء، فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يُتعمَّدَ الوقفُ عليها ليوافِقَ اللغةَ في إلحاق الهاء في السَّكْت ويوافقَ الخَطّ. وقرأ ابن مُحَيْصن ومجاهدٌ وحميدٌ ويعقوب بحذف الهاء في

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٣ . والبيت لعبد الله بن دُمَيْنة ، وهو في دلائل الإعجاز ص٩٠ ، ودرة الغوّاص ص٦٢ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣١ .

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢) ، والبخاري (٢١٣٤) ، ومسلم (١٥٨٦) من حديث عمر ﷺ .

(٤) في (م) : هاؤمن . وكلام ابن السكيت في الوسيط ٤/ ٣٤٦ ، وكلام الكسائي في النكت والعيون ٦/ ٨٣ . وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٧ .

(٥) في تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٨٣ . والحديث أخرجه أحمد (١٨٠٩٥)، والترمذي (٣٥٣٥) ، والنسائي في الكبرى (١١١١٤) من حديث صفوان بن عسال ﷺ، ولفظه : هاءُ ، بدل : هاؤم .

(٧) الكشاف ٤/ ١٥٢ .

الوصل وإثباتِها في الوقف فيهنَّ أَجْمَع[١]. ووافقهم حمزة في «ماليه» و«سلطانيه»، و«ماهيه» في القارعة[٢]. وجملة هذه الحروفِ سبعة. واختار أبو حاتم قراءةَ يعقوبَ ومَن معه اتّباعًا للّغة[٣]. ومَن قرأهنَّ في الوصل بالهاء فهو على نيَّة الوقف.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنت وعلمت، عن ابن عباسٍ وغيره[٤]. وقيل: أي: إني ظننت إنْ يؤاخذْني اللهُ بسيئاتي عذَّبني، فقد تفضَّل عليَّ بعفوه ولم يؤاخذني بها. قال الضحَّاك: كلُّ ظَنٍّ في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شكّ. وقال مجاهد: ظَنُّ الآخرة يقين، وظَنُّ الدنيا شكّ. وقال الحسن في هذه الآية: إنَّ المؤمن أَحسنَ الظنَّ بربِّه فأحسن العمل، وإنَّ المنافق أساء الظنَّ بربِّه فأساء العمل[٥]. ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: في الآخرة ولم أُنكر البعث؛ يعني أنه ما نجا إلَّا بخوفه من يوم الحساب، لأنه تيقَّن أنَّ الله يحاسبه، فعَمِلَ للآخرة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في عَيشٍ يرضاه لا مكروهَ فيه. وقال أبو عبيدة والفرَّاء[٦]: «رَاضِيَةٍ» أي: مرضية؛ كقولك: ماءٌ دافق، أي: مدفوق. وقيل: ذاتُ رِضًا، أي: يرضى بها صاحبُها[٧]. مثل: لابِن وتامِر؛ أي: صاحب اللبن والتمر.

وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «أنهم يعيشون فلا يموتون أبدًا، ويَصِحُّون فلا يَمْرَضون أبدًا، ويَنْعَمون فلا يَرْون بؤسًا أبدًا، ويَشِبُّون فلا يَهْرَمُون أبدًا»[٨].

---

(١) قراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ١٤٢، وهو من العشرة.

(٢) التيسير ص ٢١٤، ٢٢٥.

(٣) كلام أبي حاتم في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢.

(٧) ذكر هذا المعنى النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٨٣ - ٨٤، وأخرجه بنحوه أحمد (٨٢٥٨)، ومسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عظيمة في النفوس(١). ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجِع، على ما يأتي بيانُه في سورة الإنسان(٢). والقُطُوف جمع قِطف، بكسر القاف، وهو ما يُقطف من الثمار. والقَطْف، بالفتح: المصدر. والقِطَاف ـ بالفتح والكسر ـ وقت القطف.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك. ﴿هَنِيئًا﴾ لا تكديرَ فيه ولا تنغيص. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: قدَّمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: في الدنيا. وقال: «كُلُوا» بعد قوله: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ»؛ لقوله: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ»، و«مَن» يتضمن معنى الجمع.

وذَكَرَ الضحَّاك أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزوميّ؛ وقاله مقاتل(٣). والآيةُ التي تليها في أخيه الأسودِ بنِ عبد الأسد؛ في قول ابنِ عباسٍ والضحاكِ أيضًا(٤)؛ قاله الثعلبيّ. ويكون هذا الرجلُ وأخوه سببَ نزول هذه الآيات. ويَعُمُّ المعنى جميعَ أهلِ الشقاوة وأهلِ السعادة؛ يدُلُّ عليه قولُه تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا».

وقد قيل: إنَّ المراد بذلك كلُّ مَن كان متبوعًا في الخير والشرّ. فإذا كان الرجل رأسًا في الخير؛ يدعو إليه ويأمر به ويكثر تَبَعُه عليه، دُعي باسمه واسمِ أبيه فيتقدَّم، حتى إذا دنا؛ أُخرج له كتابٌ أبيضُ بخطٍّ أبيض، في باطنه السيئاتُ وفي ظاهره الحسنات؛ فيبدأ بالسيئات فيقرؤها، فيُشْفِق ويصفرُّ وجهه ويتغيَّر لونه؛ فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد غفرت لك»، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يَقْلِب كتابَه فيقرأ حسناتِه، فلا يزداد إلا فرحاً؛ حتى إذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ص٤٧٢ من هذا الجزء.

(٣) كلام الضحاك في النكت والعيون ٦/ ٨٣، وكلام مقاتل في زاد المسير ٨/ ٣٥٢.

(٤) نسبه لابن عباس أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٩، وللضحاك الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٨٥.

«هذه حسناتك قد ضُوعفت لك»، فيبيضُّ وجهه، ويُؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويُكسَى حُلَّتين، ويُحلَّى كلَّ مَفْصِلٍ منه، ويطول سِتِّين ذراعاً، وهي قامة آدمَ عليه السلام؛ ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشِّرهم أنَّ لكل إنسانٍ منهم مِثْلَ هذا. فإذا أدبر قال: «هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ». قال الله تعالى: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أي: مرضيَّة قد رضيها. «في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» في السماء. «قُطُوفُهَا»: ثمارها وعناقيدها. «دَانِيَةٌ»: أدنيت منهم. قال: فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمَرتك كرامةُ الله، مَن أنت؟ فيقول: أنا فلان بنُ فلان، أُبشِّر كلَّ رجلٍ منكم بمثل هذا. «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» أي: قدَّمتم في أيام الدنيا. وإذا كان الرجل رأسًا في الشَّرّ، يدعو إليه ويأمر به فيكثر تَبَعُه عليه، نودي باسمه واسمِ أبيه، فيتقدَّم إلى حسابه، فيُخرَج له كتابٌ أسودُ بخطٍّ أسود، في باطنه الحسناتُ وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤُها ويظنُّ أنه سينجو، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه حسناتك وقد رُدَّت عليك» فيسودُّ وجهه ويعلوه الحزنُ ويَقْنَط من الخير، ثم يَقْلِب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنًا، ولا يزداد وجهه إلّا سوادًا، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك. أي: يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل. قال: فيعظم للنار وتزرقُّ عيناه ويسودُّ وجهه، ويُكسَى سرابيلَ القَطِران ويقال له: انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أنَّ لكل إنسانٍ منهم مثلَ هذا؛ فينطلق وهو يقول: «يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كانت الْقَاضِيَةَ» يتمنَّى الموت.

«هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» تفسيرُ ابنِ عباس: هلكتْ عني حُجَّتي. وهو قول مجاهدٍ وعِكرمةَ والسُّدِّيِّ والضحاك. وقال ابن زيد: يعني: «سلطانيه» في الدنيا الذي هو المُلْك[1]. وكان هذا الرجلُ مطاعًا في أصحابه.

قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ قيل: يبتدره مئةُ[2] ألفِ مَلَك، ثم تُجمع يدُه إلى

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧ عدا قول السدي، وهو في النكت والعيون ٦/ ٨٥.

(٢) لفظة: مئة، ليست في (ظ).

عنقه، وهو قولُه عزَّ وجلَّ: «فَغُلُّوهُ» أي: شُدُّوه بالأغلال ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: اجعلوه يَصْلَى الجحيم.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ الله أعلم بأيِّ ذراع، قاله الحسن[(١)]. وقال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع المَلَك. وقال نَوْف: كلُّ ذراعٍ سبعون باعًا، وكلُّ باع أبعدُ ما بينك وبين مكة. وكان في رحبة الكوفة[(٢)]. وقال مقاتل: لو أنَّ حَلْقةً منها وُضعت على ذُرْوة جبل، لذاب كما يذوب الرَّصاص[(٣)]. وقال كعب: إنَّ حَلْقة من السلسلة التي قال الله تعالى فيها: ذَرْعُها سبعون ذراعًا؛ إنَّ حلقة منها مِثْلُ جميعِ حديدِ الدنيا[(٤)].

﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ قال سفيان: بلغَنا أنها تدخل في دُبُره حتى تخرجَ من فيه[(٥)]. وقاله مقاتل. والمعنى: ثم اسلُكوا فيه سِلسِلةً. وقيل: تُدخَلُ عنقُه فيها ثم يُجَرُّ بها. وجاء في الخبر: أنها تدخل مِن دُبُره وتخرج من مَنْخِرَيه[(٦)]. وفي خبرٍ آخَر: تدخل مِن فيه وتخرج من دبره، فينادي أصحابَه: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي، فمن أنت؟ فينادي أصحابه: أنا فلان بنُ فلان، لكل إنسانٍ منكم مثلُ هذا.

قلت: وهذا التفسير أصحُّ ما قيل في هذه الآية، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. وفي الباب حديثُ أبي هريرة بمعناه، خَرَّجه الترمذيّ[(٧)]. وقد ذكرناه في سورة سبحان؛ فتأمَّله هناك[(٨)].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٧، وتفسير البغوي ٣٨٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.
(٢) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٣) نسبه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١ لابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٨٩ زوائد نعيم).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٥.
(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٧) في سننه (٣١٣٦).
(٨) ١٣/ ١٢٩.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: على الإطعام، كما يوضع العطاءُ موضِعَ الإعطاء. قال الشاعر[١]:

أَكُفْرًا بعد رَدِّ الموتِ عنِّي   وبعد عطائك المئةَ الرِّتَاعا

أراد: بعد إعطائك. فبيَّن أنه عُذِّب على ترك الإطعام، وعلى الأمر بالبخل، كما عُذِّب بسبب الكفر. والحَضُّ: التحريض والحَثّ. وأصل «طعام» أن يكونَ منصوباً بالمصدر المقدَّر[٢]. والطعام عبارةٌ عن العين، وأضيف للمسكين؛ للملابسة التي بينهما. ومَن أعملَ الطعام كما يُعمِلُ الإطعام، فموضع «المسكين» نصب. والتقدير: على إطعام المطْعِمِ المسكينَ؛ فحُذف الفاعل، وأضيف المصدرُ إلى المفعول.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ خبرُ «ليس» قولُه: «له»، ولا يكون الخبرُ قولَه: «هَا هُنَا» لأن المعنى يصير: ليس ها هنا طعامٌ إلَّا من غِسْلِين، ولا يصِحُّ ذلك؛ لأن ثَمَّ طعامًا غيره. و«هَا هُنَا» متعلِّقٌ بما في «له» من معنى الفعل. والحميم ها هنا القريب. أي: ليس له قريبٌ يَرِقُّ له ويدفع عنه. وهو مأخوذٌ من الحمِيم، وهو الماءُ الحارّ؛ كأنه الصَّدِيقُ الذي يَرِقُّ ويحترق قلبُه له.

والغِسْلِين: فِعْلِين، مِن الغَسْل؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم، وهو صَدِيدُ أهلِ النارِ السائلُ من جروحهم وفروجهم؛ عن ابن عباس[٣]. وقال الضحَّاك والربيع بن أنس: هو شجرٌ يأكله أهلُ النار[٤]. والغِسْل ـ بالكسر ـ: ما يُغسل به الرأسُ من خِطْمِيٍّ وغيره. الأخفش: ومنه الغِسلين، وهو ما انغسل من لحوم أهلِ النار ودمائهم. وزيد

---

(١) هو القطامي. وقد سلف البيت ٥/ ١٠٥.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١: المراد به: ولا يحضُّ على إطعام طعام المسكين.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.

فيه الياءُ والنونُ كما زيد في عِفرِّين[١]. وقال قتادة: هو شرُّ الطعام وأبشعُه. ابن زيد: لا يُعلم ما هو ولا الزَّقُّوم[٢]. وقال في موضعٍ آخرَ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦] يجوز أن يكونَ الضَّريعُ من الغِسْلين.وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخير؛ والمعنى: فليس له اليوم ها هنا حميمٌ إلَّا من غِسْلِين؛ ويكون الماءَ الحارّ. ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ أي: وليس لهم طعامٌ ينتفعون به.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ أي: المذنبون. وقال ابن عباس: يعني المشركين.

وقُرئ: «الخاطِيون» بإبدال الهمزة ياءً، و«الخاطُون» بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون! كلُّنا نخطو. وروَى عنه أبو الأسود الدُّؤَليّ: ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون. ما الصابون! إنما هو الصابئون. ويجوز أن يراد: الذين يتخطَّوْن الحقَّ إلى الباطل، ويتعدَّوْن حدودَ اللهِ عزَّ وجلّ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ المعنى: أُقسم بالأشياء كلِّها، ما ترَون منها وما لا ترون[٤]. و«لا» صِلَة. وقيل: هو رَدٌّ لكلام سبق، أي: ليس الأمرُ كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سببُ ذلك أنَّ الوليد بنَ المغيرة قال: إنَّ محمدًا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن؛ فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: أُقسم[٥].

---

(١) الصحاح (غسل). وعِفِرِّين: مأسدة، ودويبَّة مأواها التراب السهل في أصول الحيطان، أو دابة كالحرباء يتعرض للراكب ويضرب بذنبه، والرجل الكامل الضابط القوي. القاموس (عفر).

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤١، وكلام قتادة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.

(٣) الكشاف ٤/ ١٥٤. وقراءة «الخاطيون» نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٩ للزهري والحسن وموسى ابن طلحة. وقراءة «الخاطون» نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١ لابن مسعود وابن عباس ﵄.

(٤) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٢٤١ - ٢٤٢ عن ابن عباس وابن زيد.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٥ - ٨٦. وعقبة هو ابن أبي مُعيط.

وقيل: «لا» هاهنا نفيٌ للقَسَم[(١)]، أي: لا يُحتاج في هذا إلى قسم؛ لوضوح الحقِّ في ذلك، وعلى هذا فجوابُه كجواب القسم.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يريد جبريل، قاله الحسن والكلبيُّ ومقاتل[(٢)]. دليلُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]. وقال الكلبيُّ أيضًا والقُتَبيّ: الرسول هنا محمدٌ ﷺ؛ لقوله: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ». وليس القرآن قولَ الرسول ﷺ، إنما هو مِن قول اللهِ عزَّ وجلَّ[(٣)]؛ ونُسب القولُ إلى الرسول لأنه تاليه ومبلِّغُه والعاملُ به، كقولنا: هذا قولُ مالِكٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لأنه مبايِنٌ لصنوف الشعر كلِّها. ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ لأنه ورد بسبِّ الشياطين وشتمِهم؛ فلا يُنْزِلون شيئًا على مَن يسبُّهم[(٤)].

و«ما» زائدة في قوله: «قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ» و«قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»؛ والمعنى: قليلًا تؤمنون، وقَليلًا تَذَكَّرُونَ[(٥)]. وذلك القليلُ من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا: مَن خلقهم قالوا: الله. ولا يجوز أن تكونَ «ما» مع الفعل مصدرًا وتَنصِبَ «قليلًا» بما بعد «ما»؛ لما فيه من تقديم الصِّلَة على الموصول؛ لأن ما عمل فيه المصدرُ مِن صلة المصدر[(٦)].

وقرأ ابن مُحَيْصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «مَا يُؤْمِنُونَ»، و«يذَّكَّرون»

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/١١٦ .

(٢) كلام الكلبي ومقاتل في النكت والعيون ٦/ ٨٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٥٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ بنحوه .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ١١٧ - ١١٨ بنحوه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨ .

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٥ .

بالياء[١]. الباقون بالتاء؛ لأن الخطاب قبله وبعده[٢]. أما قبله فقوله: «تُبْصِرُونَ»، وأما بعده: «فَمَا مِنْكُمْ» الآية.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل من ربِّ العالمين[٣]، وهو عطفٌ على قوله: «إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»، أي: إنه لَقولُ رسولٍ كريم، وهو تنزيلٌ من ربِّ العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ «تقوَّل» أي: تكلَّف وأتى بقول من قِبَل نفسه. وقُرِئ: «وَلَوْ تُقُوِّلَ» على البناء للمفعول[٤].

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ أي: بالقوَّة والقدرة[٥]، أي: لأخذناه بالقوَّة. و«مِنْ» صِلَةٌ زائدة. وعبَّر عن القوَّة والقدرة باليمين؛ لأن قوَّةَ كلِّ شيءٍ في ميامنه، قاله القُتَبيّ[٦]. وهو معنى قولِ ابنِ عباس ومجاهد. ومنه قولُ الشَّمَّاخ[٧]:

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لِمَجْدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمينِ

أي: بالقوَّة. عرابة: اسمُ رجلٍ من الأنصار من الأوس، وقال آخر:

ولمَّا رأيتُ الشمسَ أشرق نُورها تناولتُ منها حاجتي بيميني[٨]

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠. وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان بخلف عنه.

(٢) وقرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر بتشديد الذال، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٥، وهي قراءة شاذة.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٩٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في تأويل مشكل القرآن ص ١١٧.

(٧) ديوانه ص ٣٣٦. وسلف ٦/ ٣٨.

(٨) لم نقف عليه.

وقال السُّدِّيُّ والحَكَم: «باليمين»: بالحقّ. قال:

تـلـقَّـاهـا عَـرَابـةُ بـالـيـمـيـنِ

أي: بالاستحقاق.

وقال الحسن: لَقطعنا يدَه اليمين[١]. وقيل: المعنى: لَقبضنا بيمينه عن التصرُّف؛ قاله نفطويه.

وقال أبو جعفر الطبري[٢]: إنَّ هذا الكلام خَرَجَ مَخرجَ الإذلالِ؛ على عادة الناس في الأخذ بيدِ منَ يعاقَب. كما يقول السلطان لمن يريد هَوَانَه: خذوا بيديه[٣]. أي: لَأمرنا بالأخذ بيده وبَالَغْنا في عقابه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ يعني: نِيَاط القلب، أي: لأهلكناه. وهو عِرْقٌ يتعلَّق به القلبُ؛ إذا انقطع مات صاحبه[٤]؛ قاله ابن عباس وأكثرُ الناس[٥]. قال:

إذا بَـلَّـغْـتِـنِـي وحَـمَـلْـتِ رَحْـلـي عَـرَابـةَ فـاشْـرَقـي بـدَم الـوتـيـنِ[٦]

وقال مجاهد[٧]: هو حبل القلب الذي في الظَّهر، وهو النخاع؛ فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه. والمَوْتون: الذي قُطع وَتِينُه. وقال محمد بن كعب: إنه القلب ومَرَاقُّه وما يليه. قال الكلبيّ: إنه عِرْقٌ بين العِلْباء والحلقوم[٨]. والعِلْباء: عَصَبُ العنق. وهما عِلْباوان، بينهما ينبت العِرْق[٩]. وقال عكرمة: إنَّ الوتين إذا قُطع؛ لا إن

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٦.

(٢) في تفسيره ٢٣/ ٢٤٣. ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٨٧.

(٣) المثبت من (ظ) و(ق)، وفي غيرهما: يديه.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٣ - ٢٤٥ عن ابن عباس وغيره.

(٦) قائله الشماخ، وهو في ديوانه ص ٣٢٣. وروايته: وحططتِ رحلي. وهو خطاب لناقته كما في الخزانة ٤/ ٣٤٩. وعرابة: هو ممدوحه، وقد سلف قريباً ذكره. وقوله: فاشرقي، أي: فغُصِّي.

(٧) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٢٤٤.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٨٧.

(٩) الصحاح (علب).

جاع عرف[١]، ولا إن شَبع عرف.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ «ما» نفي، و«أحدٍ» في معنى الجمع، فلذلك نَعتَهُ بالجمع، أي: فما منكم قومٌ يَحجُزون عنه، كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] هذا جمع، لأن «بين» لا تقع إلَّا على اثنين فما زاد[٢]. قال النبيُّ ﷺ: «لم تَحِلَّ الغنائمُ لأحد سُودِ الرؤوس قبلكم»[٣]. لفظه واحدٌ، ومعناه الجمع. و«مِن» زائدة. والحجز: المنع. و«حَاجِزِينَ» يجوز أن يكونَ صفةً لـ«أَحدٍ» على المعنى كما ذكرنا؛ فيكونُ في موضع جَرّ، والخبر «مِنْكُمْ». ويجوز أن يكونَ منصوباً على أنه خبر، و«مِنْكُمْ» مُلْغًى، ويكون متعلِّقًا بـ«حَاجِزِينَ». ولا يمنع الفصلُ به مِن انتصاب الخبر في هذا؛ كما لم يمتنع الفصلُ به في: إنَّ فيك زيدًا راغب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن[٤] ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للخائفين الذي يخشَون الله. ونظيرُه: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] على ما بيَّنَّاه أوَّلَ سورةِ البقرة[٥]. وقيل: المراد محمدٌ ﷺ[٦]، أي: هو تذكرةٌ ورحمةٌ ونجاة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: بالقرآن. ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ﴾ يعني

---

(١) في (ظ): عرق، وقول عكرمة في النكت والعيون ٦/ ٨٧، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٣ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣.

(٣) سلف ٤/ ٤٩٧.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٦ عن قتادة.

(٥) ١/ ٢٤٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٣.

التكذيب. والحسرة: الندامة. وقيل: أي: وإنَّ القرآن لَحسرةٌ على الكافرين يوم القيامة إذا رأَوا ثوابَ مَن آمن به. وقيل: هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تَحَدِّيهم أن يأتوا بسورةٍ مثلِه[١]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ يعني أنَّ القرآن العظيم تنزيلٌ من الله عزَّ وجلَّ، فهو لحق[٢] اليقين. وقيل: أي: حَقًّا يقينًا لَيكونَنَّ ذلك حسرةً عليهم يومَ القيامة[٣]. فعلى هذا «وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ» أي: لَتَحَسُّر؛ فهو مصدرٌ بمعنى التحسر، فيجوز تذكيرُه. وقال ابن عباس: إنما هو كقولك: لَعيْن اليقين ومحض اليقين. ولو كان اليقين نعتاً لم يجز أن يضافَ إليه؛ كما لا تقول: هذا رجلُ الظَّرِيف. وقيل: أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين[٤].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي فصَلِّ لربِّكَ؛ قاله ابن عباس[٥]. وقيل: أي: نزِّه اللهَ عن السُّوء والنقائص[٦].

خُتمت السورة والحمدُ لله.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٧ . وكلام الربيع فيه .

(٢) في (ظ) : بحق .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٨٨ عن الكلبي .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩١ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٨ .

(٦) المصدر السابق ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٦ بنحوه .

سورة المعارج

وهي مَكِّيةٌ باتفاق[1]، وهي أربعٌ وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامر: «سال سائل» بغير همزة. الباقون بالهمز[2]. فَمَن هَمَزَ فهو من السؤال. والباءُ يجوز أنْ تكونَ زائدة، ويجوز أنْ تكون بمعنى عن. والسؤال بمعنى الدعاء، أي: دعا داعٍ بعذاب؛ عن ابن عباس[3] وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب. ويقال: دعوتُ زيدًا، أي: التمست إحضارَه. أي: التَمَسَ مُلتمِسٌ عذاباً للكافرين؛ وهو واقعٌ بهم لا محالةَ يوم القيامة. وعلى هذا فالباء زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] فهي تأكيد. أي: سأل سائلٌ عذابًا واقعًا[4].

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: على الكافرين. وهو النضرُ بن الحارث حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فنزل سؤالُه، وقُتل يومَ بدرٍ صبرًا هو وعقبةُ بن أبي مُعَيط؛ لم يُقْتل صَبْرًا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤ ، وزاد المسير ٨/ ٣٥٧ .

(٢) السبعة ص٦٥٠ ، والتيسير ص٢١٤ .

(٣) أخرج قول ابن عباس بنحوه الطبريُّ ٢٣/ ٢٤٨ .

(٤) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ٣٥٠ .

غيرُهما؛ قاله ابن عباس ومجاهد[١].

وقيل: إنَّ السائلَ هنا هو الحارثُ بن النعمان الفِهريّ.وذلك أنَّه لمَّا بلغَه قول النبيِّ ﷺ في عليٍّ ﷺ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» ركبَ ناقته، فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح[٢]، ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسولُ الله، فقبلناه منك، وأنْ نصلِّي خمساً، فقبلناه منك، ونُزكِّي أموالنا، فقبلناه منك، وأنْ نصومَ شهر رمضان في كلِّ عام، فقبلناه منك، وأنْ نَحُجَّ، فقبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى فَضَّلْتَ ابنَ عمِّك علينا! أفهذا شيءٌ منك أم من الله؟! فقال النبيُّ ﷺ: «والله الذي لا إله إلَّا هو، ما هو إلَّا من الله» فولَّى الحارثُ وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًّا، فأمطرْ علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم. فوالله ما وصلَ إلى ناقته حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتلَه؛ فنزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ الآية[٣].

وقيل: إنَّ السائلَ هنا أبو جهل، وهو القائلُ لذلك، قاله الربيع. وقيل: إنَّه قولُ جماعةٍ من كفار قريش[٤]. وقيل: هو نوحٌ عليه السلام سأل العذابَ على الكافرين. وقيل: هو رسولُ الله ﷺ أي: دعا عليه الصلاة والسلام بالعقاب، وطلب أنْ

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢ دون نسبة، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٠٢ عن سعيد بن جبير. ونسبه لابن عباس ومجاهد الماورديُّ في النكت والعيون ٦/ ٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٥٧.

(٢) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منىً أقرب. وهو المحصب، وهو خيفُ بني كنانة. معجم البلدان ١/ ٧٤.

(٣) النكارة في الخبر ظاهرة، و أخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٥٣ - ٥٤، وفي إسناده انقطاع، ومن لم نعرفهم، وذكره المناوي في فيض القدير ٦/ ٣١٨ وعزاه للثعلبي؛ قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٧٦: الثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. اهـ. وقال الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٥٥: وأنت تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله وجهه كان في غدير خم وذلك في أواخر سني الهجرة فلا يكون ما نزل مكياً على المشهور في تفسيره، وقد سمعت ما قيل في مكية هذه السورة. اهـ.

وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» سلف ١/ ٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

يُوْقِعه اللهُ بالكفَّار[١]؛ وهو واقعٌ بهم لا محالة. وامتدَّ الكلامُ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا تستعجل فإنَّه قريب.

وإذا كانت الباء بمعنى عن ـ وهو قول قتادة[٢] ـ فكأنَّ سائلًا سألَ عن العذاب بمن يقع، أو متى يقع. قال الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] أي: سلْ عنه. وقال علقمة[٣]:

فإنْ تسألوني بالنِّساء فإنَّني بصيرٌ بأدواء النِّساء طبيبُ

أي: عن النساء. ويقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. فالمعنى: سألوا بمن يقع العذاب ولمن يكون، فقال الله: «لِلْكَافِرِينَ»[٤].

قال أبو علي وغيره: وإذا كان من السؤال، فأصلُه أنْ يتعدَّى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصارُ على أحدهما. وإذا اقتصر على أحدهما جاز أنْ يتعدَّى إليه بحرف جَرٍّ؛ فيكونُ التقديرُ: سأل سائلٌ النبيَّ ﷺ أو المسلمينَ بعذابٍ أو عن عذاب[٥].

ومن قرأ بغير همزٍ فله وجهان: أحدهما: أنَّه لغةٌ في السؤال، وهي لغةُ قريش؛ تقول العرب: سال يسال؛ مثل نال ينال وخاف يخاف. والثاني: أنْ يكون من السيلان؛ ويؤيده قراءةُ ابن عباس «سال سَيْل»[٦]. قال عبد الرحمن بن زيد: سال وادٍ من أودية جهنم يقال له: سائل[٧]؛ وهو قول زيد بن ثابت[٨]. قال الثعلبي: والأوَّل

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٥٦ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩.

(٣) في ديوانه ص٣٥، وسلف ٢/ ٢٦١.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦.

(٦) الكشاف ٤/ ١٥٦، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨. وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٢٠، وقال: وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨.

أحسن؛ كقول الأعشى في تخفيف الهمزة:

سَالَتَانِي الطَّلاقَ إذ رأتانِي قَلَّ مالي قد جِئتُماني بنُكْرِ[(١)]

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسألُ عن فلانٍ وبفلان. وقد تُخفَّفُ همزته فيقال: سال يَسالُ. وقال:

ومُرْهَقٍ سالَ إمتاعًا بأُصْدَتِه لم يَسْتَعِنْ[(٢)] وحَوامي الموتِ تغشاهُ[(٣)]

المُرْهَق: الذي أُدرِكَ ليُقتل. والأُصْدَةُ بالضمِّ: قميصٌ صغيرٌ يَلبسُ تحت الثوب[(٤)].

المهدويُّ: من قرأ: «سال»؛ جاز أنْ يكون خفَّف الهمزة بإبدالها ألفًا، وهو البدل على غير قياس. وجاز أنْ تكونَ الألفُ منقلبةً عن واوٍ على لغة من قال: سِلتُ أسال؛ كخفت أخاف[(٥)]. النحاس[(٦)]: حكى سيبويه: سِلت أسال؛ مثل: خِفتُ أخاف؛ بمعنى سألت. وأنشد[(٧)]:

سالَتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحشةً ضَلَّتْ هذيلٌ بما سالتْ ولم تُصِبِ[(٨)]

ويقال: هما يتساولان. المهدويُّ: وجاز أن تكونَ مبدلةً من ياء، من سال يسيل. ويكون سايل واديًا في جهنم[(٩)]؛ فهمزةُ سايل على القول الأوَّل أصليةٌ، وعلى الثاني

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل، وقد سلف ١٦/٣٢٦ .

(٢) أي: يحلق عانته. الصحاح (عون).

(٣) الصحاح (سال). وذكره في اللسان (رهق) وقال: قال ابن بري: أنشده أبو علي الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلاً شريفاً ارتُثَّ في بعض المعارك، فسألهم أن يمتعوه بأُصْدته.

(٤) الصحاح (رهق) (أصد).

(٥) وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/٧٥٦ .

(٦) في إعراب القرآن ٥/٢٧ بنحوه مختصراً.

(٧) في الكتاب ٣/٤٦٨ .

(٨) البيت لحسان بن ثابت ﷺ، وهو في ديوانه ص٣٤ ،وفيه وفي الكتاب: بماجاءت. بدل: بما سالت.

(٩) سلف قريباً أن هذا القول ضعيف.

بدلٌ من واو، وعلى الثالث بدلٌ من ياء .

القشيريُّ: وسائلٌ مهموز؛ لأنَّه إنْ كان من سأل بالهمز، فهو مهموز، وإنْ كان من غير الهمز، كان مهموزًا أيضاً؛ نحو قائلٌ وخائف؛ لأنَّ العينَ اعتلَّ في الفعل واعتلَّ في اسم الفاعل أيضًا. ولم يكن الاعتلالُ بالحذفِ لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيفُ الهمزة حتى تكون بين بين.

﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع بالكفَّار، بيَّن أنَّه من الله ذي المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فقال: لمن هو؟ فقال: للكافرين؛ فاللام في الكافرين متعلقةٌ بـ«واقع»[1].

وقال الفراء: التقدير بعذابٍ للكافرين واقع؛ فالواقع من نعتِ العذاب، واللَّام دخلت للعذاب لا للواقع[2]. أي: هذا العذابُ للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل: إنَّ اللامَ بمعنى على، والمعنى: واقعٌ على الكافرين. ورُوِي أنها في قراءة أُبَيٍّ كذلك[3]. وقيل: بمعنى عن، أي: ليس له دافعٌ عن الكافرين من الله، أي: ذلك العذابُ من الله.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي العلوِّ والدرجات الفواضل والنِّعم؛ قاله ابن عباس وقتادة[4]. فالمعارجُ مراتبُ إنعامه على الخلق. وقيل: ذي العظمة والعلاء. وقال مجاهد: هي معارجُ السماء. وقيل: هي معارجُ الملائكة؛ لأنَّ الملائكةَ تعرجُ إلى السماء، فوصفَ نفسه بذلك[5].

وقيل: المعارج الغرف، أي: إنَّه ذو الغُرَف، أي: جعل لأوليائه في الجنة غرفًا.

---

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ .

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٢٥٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٠ .

وقرأ عبدُ الله: «ذي المعاريج» بالياء[١]. يقال: مَعْرَج ومِعْراج، ومعارج ومعاريج؛ مثل: مفاتح[٢] ومفاتيح[٣]. والمعارج: الدرجات؛ ومنه: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أي: تَصْعَد في المعارج التي جعلها الله لهم. وقرأ ابنُ مسعود وأصحابه، والسُّلَمِيُّ، والكسائي: «يَعْرُجُ» بالياء على إرادة الجمع[٤]؛ ولقوله: ذكِّروا الملائكة ولا تُؤنِّثوهم[٥]. وقرأ الباقون بالتاء على إرادة الجماعة.

«وَالرُّوحُ»: جبريلُ عليه السلام؛ قاله ابن عباس[٦]. دليله قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[٧] [الشعراء: ١٩٣]. وقيل: هو مَلَكٌ آخرُ عظيمُ الخِلقة.

وقال أبو صالح: إنَّه خَلْقٌ من خَلْق الله، كهيئة النَّاس، وليس بالناس. وقال قَبيصة بن ذُؤَيْب: إنَّه روحُ الميت حين يُقبض[٨].

﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى المكان هو محلُّهم، وهو في السماء؛ لأنَّها محلُّ بِرِّه وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]. أي: إلى الموضع الذي أمرني به[٩]. وقيل: «إِلَيْهِ» أي: إلى عرشه[١٠].

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: مفتاح.

(٣) الصحاح (عرج) وفيه: معارج ومعاريج جمع مِعْراج، وفيه أيضاً عن الأخفش قوله: إن شئت جعلت الواحد: مِعْرَج ومَعْرَج، مثل مِرْقاة ومَرْقاة.

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤، وأخرجها عن ابن مسعود الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٨٤. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٤.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢١ من قول ابن مسعود، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٦) قوله: قاله ابن عباس. ليس في (ظ).

(٧) النكت والعيون ٦/ ٩٠ دون نسبة.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

(٩) الوسيط ٤/ ٣٥١.

(١٠) الكشاف ٤/ ١٥٧.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال وَهْبٌ والكلبيُّ ومحمدُ بن إسحاق: أي: عروجُ الملائكة إلى المكان الذي هو محلُّهم، في وقتٍ كان مقداره على غيرهم لو صَعِد، خمسين ألف سنة[١]. وقال وهبٌ أيضاً: ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرةُ خمسين ألف سنة؛ وهو قول مجاهد[٢]. وجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في سورة السجدة [الآية: ٥]، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى مُنتهى أمره من فوق السماوات خمسونَ ألف سنة. وقوله تعالى في «الم تنزيل»: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني: بذلك نزول الأمر من سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدارُ ألف سنة؛ لأنَّ ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمس مئة عام[٣]. وعن مجاهد أيضاً والحَكَم وعِكْرمة: هو مدَّةُ عمر الدنيا من أوَّل ما خُلقت إلى آخر ما بقي، خمسونَ ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضى، ولا كم بقي، إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ[٤].

وقيل: المرادُ يوم القيامة، أي: مقدار الحُكْم فيه لو تولَّاه مخلوقٌ، خمسون ألف سنة، قاله عكرمة أيضاً والكلبيُّ ومحمد بن كعب[٥]. يقول سبحانه وتعالى: وأنا أفرغُ منه في ساعة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة، ولكنَّ يومَ القيامة لا نفاد له. فالمراد ذِكرُ موقفهم

---

(١) ذكره عن محمد بن إسحاق البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣، وذكره عن وهب الرازي ٣٠/ ١٢٤.

(٢) ذكره عن وهب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وذكره عن مجاهد ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٢.

(٤) قول الحكم وعكرمة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٣/ ٢٥٢، وذكره البغوي عن الكلبي ٤/ ٣٩٣، وعن محمد بن كعب ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩٠.

للحساب، فهو في خمسينَ ألف سنة من سِني الدنيا، ثم حينئذٍ يستقرُّ أهلُ الدارين في الدارين.

وقال يَمَان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطنًا كلُّ مَوطِن ألف سنة[١].

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسينَ ألف سنة، ثم يدخلون النَّار للاستقرار[٢].

قلت: وهذا القولُ أحسن ما قيل في الآية إنْ شاء الله، بدليل ما رواه قاسم بن أَصْبَغ من حديث أبي سعيد الخُدرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنة». فقلت: ما أطولَ هذا! فقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّفُ عن المؤمن، حتى يكونَ أخفَّ عليه من صلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا»[٣].

واستدلَّ النحاس على صحة هذا القول بما رواه سُهيلٌ عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال[٤]: «ما من رجلٍ لم يؤدِّ زكاةَ ماله، إلا جُعِلَ [يوم القيامة] شجاعًا من نار، تكوى به جبهته وظهره وجَنْباه، في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنة، حتى يقضيَ اللهُ بين الناس»[٥].

قال: فهذا يدلُّ على أنَّه يومُ القيامة.

---

(١) قولا الحسن ويمان في تفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣، وأخرجه أيضاً أحمد (١١٧١٧) وفي إسناده ابن لهيعة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه. اهـ. وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح ١١/ ٤٤٨.

(٤) كذا ذكر المصنف، والذي في مطبوع إعراب القرآن ٥/ ٢٨ للنحاس حديث أبي سعيد الخدري السالف ولعل النحاس استدل بحديث أبي هريرة المذكور أعلاه في كتاب آخَر له. أو أن ثمة سقطاً في كتاب الإعراب، والله أعلم.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٧) وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضًا أحمد (٧٧٢٠) وفيه: صفائح من نار. بدل: شجاعًا من نار.

وقال إبراهيم التيميّ: ما قَدْرُ ذلك اليوم على المؤمن، إلا قدرُ ما بين الظهر والعصر[١].

وروي هذا المعنى مرفوعًا من حديث معاذٍ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين، ولذلك سَمَّى نفسَه سريعَ الحساب، وأسرع الحاسبين». ذكره الماورديُّ[٢].

وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم[٣]. كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]. وهذا على قدر فَهم الخلائق، وإلّا فلا يشغلُه شأنٌ عن شأن. وكما يرزقهم في ساعةٍ، كذا يحاسبُهم في لحظة، قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وعن ابن عباس أيضاً أنَّه سُئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيامٌ سَمَّاها الله عزَّ وجلَّ، هو أعلمُ بها كيف تكون، وأكره أنْ أقولَ فيها ما لا أعلم[٤].

وقيل: معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيلٌ، وهو تعريفُ طول مدَّة القيامة في الموقف، وما يَلقى الناسُ فيه من الشدائد. والعربُ تَصِف أيّامَ الشدَّة بالطول، وأيامَ الفرح بالقِصر؛ قال الشاعر:

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْح قَصَّرَ طولَه ... دَمُ الزِّق عنَّا واصطفاقُ المزاهرِ[٥]

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ والمعنى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له من الله دافع، في يومٍ كان مقداره خمسينَ ألف سنةٍ، تعرجُ الملائكة والروح

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٦.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٩١، وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٥١٥٠) بنحوه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥١، والبغوي ٤/ ٣٩٣ من قول عطاء.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٤.

(٥) سلف ١٧/ ١١.

إليه[١]. وهذا القول هو معنى ما اخترناه، والموفق الإله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: على أذى قومك. والصبرُ الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شَكْوَى لغير الله[٣]. وقيل: هو أنْ يكون صاحبُ المصيبة في القوم لا يُدْرَى من هو. والمعنى متقارب. وقال ابن زيد: هي منسوخةٌ بآية السيف[٤].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ يريد أهلَ مكة، يرون العذاب بالنار بعيدًا، أي: غير كائن.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ لأنَّ ما هو آتٍ فهو قريب[٥]. وقال الأعمش: يرون البعثَ بعيدًا[٦]؛ لأنَّهم لا يؤمنون به؛ كأنَّهم يستبعدونه على جهة الإحالة. كما تقول لمن تناظره: هذا بعيدٌ لا يكون[٧]! وقيل: أي: يرون هذا اليوم بعيدًا «وَنَرَاهُ» أي: نعلمه؛ لأنَّ الرؤيةَ إنما تتعلَّق بالموجود. وهو كقولك: الشافعيُّ يرى في هذه المسألة كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «واقع»؛ تقديره يقع بهم العذاب يوم[٨]. وقيل: «نَرَاهُ»، أو «يُبَصَّرونهم»، أو يكونُ بدلًا من قريب[٩]. والْمُهْلُ:

---

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٦٠ .

(٢) في (ظ) : والموافق له .

(٣) هو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٥ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٢٥ ، وردَّه هو والطبري .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ وعزاه لعبد بن حميد .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٠ .

(٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩ .

(٩) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧ .

دُرْديُّ الزيت وعَكَرُه[١]؛ في قول ابن عباس وغيره. وقال ابن مسعود: ما أُذيب من الرَّصاص والنُّحاس والفضَّة. وقال مجاهد: «كَالْمُهْلِ»: كقيحٍ من دمٍ وصديد[٢]. وقد مضى في سورة الدخان والكهف القولُ فيه[٣].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: كالصُّوف المصبوغ، ولا يقال للصوف عِهْنٌ إلَّا أنْ يكون مصبوغًا[٤]. وقال الحسن: «تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» وهو الصوفُ الأحمر. وهو أضعفُ الصُّوف[٥]. ومنه قولُ زهير:

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ[٦]

الفُتاتُ: القِطَع. والعِهْنُ: الصوفُ الأحمر؛ واحده عِهْنة. وقيل: العِهْنُ الصوف ذو الألوان؛ فشبَّه الجبال به في تَلَوُّنها ألوانًا[٧]. والمعنى: أنها تلين بعد الشدَّة، وتتفرَّق بعد الاجتماع. وقيل: أوَّلُ ما تتغيَّرُ الجبال تصير رَمْلًا مَهيلًا، ثم عِهْنًا منفوشًا، ثم هَباءً مُنْبثًّا[٨].

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: عن شأنه لشغل كلِّ إنسانٍ بنفسه، قاله قتادة[٩]. كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]. وقيل: لا يَسألُ حميمٌ عن حميم، فَحذفَ الجارَّ ووصل الفعل[١٠]. وقراءةُ العامة: «يَسأل» بفتح الياء. وقرأ شيبةُ

---

(١) دردي الزيت: هو ما يبقى في أسفله. الصحاح (درد).

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٢.

(٣) ١٩/ ١٣٣، ١٣/ ٢٦٢.

(٤) ياقوتة الصراط ص٣٥٠، وينظر ما سلف ١٤/ ١٣٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.

(٦) ديوان زهير ص١٢. قال شارحه ثعلب: أراد أن حَبَّ الفنا صحيح؛ لأنه إذا كسر، ظهر له لون غير الحمرة. وقال أبو عبيدة: وحَبُّ الفنا: شجر له حب تتخذ منه القراريط يوزن بها، وهو شديد الحمرة.

(٧) القول بنحوه في الكشاف ٤/ ١٥٧. وتفسير الرازي ٣٠/ ١٢٥.

(٨) ينظر مجمع البيان ٢٩/ ٥٥.

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٧.

(١٠) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢٦.

والبَزِّيُّ عن عاصم: «ولا يُسأل» بالضم على ما لم يُسمَّ فاعله[١]، أي: لا يُسأل حميمٌ عن حميمه، ولا ذو قرابةٍ عن قرابته، بل كلُّ إنسانٍ يُسأل عن عمله. نظيره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم. وليس في القيامة مخلوقٌ إلَّا وهو نُصْبَ[٢] عينِ صاحبِه من الجنِّ والإنس. فيُبصِرُ الرجلُ أباه وأخاه وقرابته وعشيرته، ولا يَسأله ولا يكلِّمه، لاشتغالهم بأنفسهم. وقال ابن عباس: يتعارفون ساعةً ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة[٣]. وفي بعض الأخبار: إنَّ أهلَ القيامة يَفِرُّون من المعارفِ مخافةَ المظالم.

وقال ابن عباس أيضًا: «يُبَصَّرُونَهُمْ»: يبصر بعضهم بعضًا، فيتعارفون، ثم يفرُّ بعضُهم من بعض. فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» على هذا للكفار، والهاء[٤] والميم للأقرباء.

وقال مجاهد: المعنى يُبصِّر اللهُ المؤمنينَ الكفارَ في يوم القيامة؛ فالضمير في «يبصَّرونَهم» للمؤمنين، والهاء والميم للكفار.

ابن زيد: المعنى يُبصِّر الله الكفارَ في النار الذين أضلُّوهم في الدنيا؛ فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» للتابعين، والهاء والميم للمتبوعين.[٥] وقيل: إنَّه يبصِّرالمظلومَ ظالمَه

(١) كذا ذكر المصنف رواية البزي عن عاصم، والذي ذكره أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٥٤ هو رواية البرجمي عن أبي بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير باختلاف فيه.
وأما القراءة عن شيبة فقد ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٦٥٠ وقال: وهو غلط.

(٢) في (ظ): يبصر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٣.

(٤) لفظة: والهاء. ليست في (م).

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبريُّ ٢٣/ ٢٥٧-٢٥٨، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧.

والمقتولَ قاتلَه[(١)]. وقيل: «يُبَصَّرُونَهُمْ» يرجع إلى الملائكة، أي: يعرفون أحوالَ الناسِ، فيسوقون كلَّ فريقٍ إلى ما يليق بهم[(٢)]. وتم الكلام عند قوله: «يُبَصَّرُونَهُمْ».

ثم قال: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنَّى الكافر. ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ يعني: من عذاب جهنمَ بأعزِّ من كان عليه في الدنيا من أقاربه فلا يقدر.

ثم ذَكَرَهم فقال: ﴿بِبَنِيهِ . وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته. ﴿وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته. ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تنصره؛ قاله مجاهد وابن زيد. وقال مالك: أمُّه التي تُربِّيه. حكاه الماورديُّ[(٣)] ورواه عنه أشهب[(٤)]. وقال أبو عبيدة[(٥)]: الفصيلة دون القبيلة. وقال ثعلب: هم آباؤه الأدْنَوْن. وقال المبرِّد: الفصيلةُ: القطعة من أعضاء الجسد، وهي دون القبيلة. وسُمِّيت عِتْرة الرجل فصيلَته تشبيهاً بالبعض منه. وقد مضى في سورة الحجرات القولُ في القبيلة وغيرها[(٦)].

وهنا مسألة، وهي: إذا حَبَسَ على فصيلته، أو أوصى لها؛ فمن ادَّعى العمومَ حملَهُ على العشيرة، ومن ادَّعى الخصوصَ حملَهُ على الآباء؛ الأدنى فالأدنى. والأوَّل أكثر في النطق. والله أعلم[(٧)].

ومعنى: «تُؤْوِيه»: تضمُّه وتؤمِّنه من خوف إن كان به.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: ويَوَدُّ لو فُدِيَ بهم لافتدى ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ أي: يخلِّصه ذلك الفداء. فلا بدَّ من هذا الإضمار، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٩٢ .

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٥٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٢ . والأقوال السالفة منه عدا قول مجاهد ، وقد أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٠ .

(٤) أي عن مالك . أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦ .

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٩٢ .

(٦) ١٩/ ٤١٤ - ٤١٦ .

(٧) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦ .

أي: وإنَّ أَكْلَهُ لَفِسق. وقيل: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يقتضي جوابًا بالفاء؛ كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. والجواب في هذه الآية: «ثُمَّ يُنْجِيهِ» لأنَّها من حروف العطف؛ أي: يَوَدُّ المجرمُ لو يفتدي فينجيَه الافتداء.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ تقدَّم القول في «كَلَّا» وأنها تكون بمعنى حَقًّا، وبمعنى لا[1]. وهي هنا تحتمل الأمرين؛ فإذا كانت بمعنى حقًّا، كان تمامُ الكلام «يُنْجِيهِ». وإذا كانت بمعنى لا، كان تمامُ الكلام عليها، أي: ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء. ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: هي جهنم، أي: تتلظَّى نيرانها؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] واشتقاقُ لظى من التلظِّي. والتِظَاءُ النَّارِ: التهابُها، وتلظِّيها: تلهُّبُها[2]. وقيل: كان أصلها: «لظظ»، أي: دامت[3] لدوام عذابها؛ فقُلبتْ إحدى الظائين ألفًا، فبقيت لظى.

وقيل: هي الدَّرَكَةُ الثانية من طبقات جهنم[4]. وهي اسمٌ مؤنثٌ معرفةٌ، فلا ينصرف.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه، والأعمش وأبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ «نَزَّاعَةٌ» بالرفع[5]. وروى أبو عمر عن عاصم[6] «نزاعةً» بالنصب.

---

(١) ١١/ ١٤٧ .

(٢) الصحاح (لظى)، وقال الزمخشري ٤/ ١٥٨ : لظى عَلَم للنار، منقول من اللظى، بمعنى اللهب .

(٣) في (م) : ما دامت .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ .

(٥) النشر ٢/ ٣٩٠ ، والسبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص٢١٤ .

(٦) في (د) و(خ) و(م) : أبو عمرو عن عاصم ، وفي (ظ) أبو عمرو وعاصم . والمثبت من (ق) . وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨ . والكلام منه . وأبو عمر هو حفص بن سليمان راوية عاصم .

فمن رفع فله خمسةُ أوجه: أحدها: أنْ تجعلَ «لظى» خبرَ «إنَّ»، وترفعَ «نزاعةٌ» بإضمار هي؛ فمن هذا الوجه يحسنُ الوقف على «لظى»[1].

والوجه الثاني: أنْ تكون «لظى» و«نزاعةٌ» خبران لإنَّ؛ كما تقول: إنَّه حلوٌ حامض[2].

والوجه الثالث: أنْ تكونَ «نزاعةٌ» بدلاً من «لظى»، و«لظى» خبر «إنَّ».

والوجه الرابع: أنْ تكون «لظى» بدلاً من اسم «إنَّ»، و«نزاعةٌ» خبرُ «إنَّ».

والوجه الخامس: أنْ يكون الضمير في «إنَّها» للقصَّة، و«لظى» مبتدأ، و«نزاعة» خبرُ الابتداء، والجملة خبر «إنَّ»[3]. والمعنى: أنَّ القصةَ والخبرَ لظى نزاعةٌ للشَّوَى.

ومن نصب «نزاعة» حَسُنَ له أن يقف على «لظى» وينصب «نزاعة» على القطع من «لظى» إذ كانت نكرةً متصلةً بمعرفة[4].

ويجوز نصبُها على الحال المؤكّدة؛ كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]. ويجوز أنْ تُنصبَ على معنى: إنَّها تتلظى نزاعةً[5]، أي: في حال نزعها للشَّوَى. والعاملُ فيها ما دلَّ عليه الكلام من معنى التلظِّي[6].

ويجوز أنْ يكونَ حالًا؛ على أنه حالٌ للمكذِّبين بخبرها.

ويجوز نصبها على المدح[7]؛ كما تقول: مررتُ بزيدٍ العاقلَ الفاضلَ. فهذه

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٢) في النسخ: خلق مخاصم. وهو خطأ. والمثبت من الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦ والكلام منه.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢١.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥.

(٧) في (ق) و(خ): المنع. وفي (ظ) و(م): القطع. والمثبت من (د) وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨. والكلام منه.

خمسةُ أوجهٍ للنصب أيضًا .

والشَّوَى: جمعُ شواةٍ، وهي جلدةُ الرأس. قال الأعشى:

قَـالَـت قُـتَـيـلَـةُ مـالَـهُ قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيـبًـا شَـوَاتُـهْ[١]

وقال آخر:

لأصبحتَ هـدَّتـك الـحـوادثُ هَـدَّةً لـهـا فَـشَـواةُ الـرأس بـادٍ قَـتِـيـرُهـا[٢]

القتير: الشَّيب[٣]. وفي الصحاح: والشَّوى: جمع شَواة، وهي جلدةُ الرأس. والشَّوَى: اليدان والرِّجلان والرأس من الآدميِّين، وكلُّ ما ليس مَقْتَلًا. يقال: رماه فأشواه، إذا لم يُصِبِ المقتل. قال الهُذَلِيُّ[٤]:

فـإنَّ مـن الـقـول الـتـي لا شَـوَى لـهـا إذا زَلَّ عـن ظـهـرِ الـلِّـسـان انـفـلاتُـهـا

يقول: إنَّ من القول كلمةً لا تُشوِي، ولكنْ تقتل. قال الأعشى:

قَـالَـت قُـتَـيْـلَـةُ مَـالَـهُ قـد جُـلِّـلـتْ شَـيْـبًـا شَـوَاتُـهْ[٥]

قال أبو عبيدة[٦]: أنشدها أبو الخطاب الأخفشُ أبا عمرو بنَ العلاء، فقال له: صَحَّفت، إنَّما هو سَرَاتُه[٧]؛ فسكت أبو الخطَّاب، ثمَّ قال لنا: بل هو صَحَّف، إنَّما هو شَواته. وشَوَى الفرسِ: قوائمُهُ؛ لأنَّه يقال: عَبْلُ الشَّوى[٨]، ولا يكونُ هذا

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٢١ . ولم نقف على البيت في ديوان الأعشى ، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٦١ .

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص١٦١ . وفيه : نعم . بدل : لها .

(٣) الصحاح (قتر) .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي؛ كما في ديوان الهذليين ١/ ١٦٣ .

(٥) سلف قريباً .

(٦) في (ظ) و(م) : أبو عبيد . والمثبت من (د) و(خ) و(ق)، وهو الموافق للصحاح والكلام منه. وكلامُ أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ .

(٧) بعدها في الصحاح (شوى) والكلام منه: سراته : أي : نواحيه .

(٨) أي: ضخم القوائم .

للرأس؛ لأنَّهم وصفوا الخيلَ بأسالة الخدَّين، وعِتْقِ الوجه؛ وهو رِقَّته. والشَّوَى: رُذال المال. والشَّوى: هو الشيء الهيِّن اليسير.

وقال ثابت البُنَانِيُّ والحسن: «نَزَّاعَةً لِلشَّوَى» أي: لمكارم وجهه[١]. أبو العالية: لمحاسن وجهه[٢]. قتادة: لمكارم خلقته وأطرافه. وقال الضَّحَّاك: تَبْرِي[٣] اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً. وقال الكسائيُّ: هي المفاصل. وقال بعضُ الأئمة: هي القوائم والجلود. قال امرؤ القيس:

سَلِيمِ الشَّظى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسا ... له حَجَباتٌ مُشْرِفاتٌ على الفالِ[٤]

وقال أبو صالح: أطراف اليدين والرِّجلين. قال الشاعر:

إذا نظرتْ عَرَفْتَ الفخرَ منها ... وعينيها ولم تعرف شَواها[٥]

يعني: أطرافها. وقال الحسن أيضاً: الشَّوَى: الهام[٦].

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: تدعو لَظَى من أدبرَ في الدنيا عن طاعة الله، وتولَّى عن الإيمان. ودعاؤها أنْ تقول: إليَّ يا مشرك، إليَّ يا كافر.

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٣ عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ عن ثابت وعزاه لابن المنذر.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٣) في (د) و(م): تفري، وفي (ظ): تجري. والمثبت من (خ) و(ق) وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٣ وقد أخرجه عنه.

(٤) ديوان امرئ القيس ص٣٦. قال شارحه: قوله: سليم الشظى: هو عظم صغير في يد الفرس، فإذا تحرك قيل: شِظَي الفرس. والشوى: القوائم. والنَّسَا: عرق، ووصفه بالشَّنِجِ لأنه أصلب له. والحجبات: رؤوس الأوراك. وقوله: على الفال: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عَجْب الذنب ويساره.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣. والبيت في ديوان مجنون ليلى ص٣٠٠ وفيه: الجيد. بدل: الفخر. وهو أيضاً في ديوان ابن الدمينة ص١٩١. وفيه: النحر، بدل: الفخر. وجاء في الديوانين بلفظ: سواها؛ بالمهملة. بدل: شَوَاها.

(٦) لفظ قول الحسن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧: الشوى: جلد الرأس والهامة.

وقال ابن عباس: تدعو الكافرينَ والمنافقين بأسمائهم، بلسانٍ فصيح: إليَّ يا كافر، إليَّ يا منافق؛ ثم تلتقطهُم كما يلتقط الطيرُ الحبَّ[١].

وقال ثعلب: «تَدْعُو» أي: تُهلك. تقول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك الله[٢].

وقال الخليل[٣]: إنَّه ليس كالدُّعاء: تعالوا، ولكن دَعْوَتُها إياهم، تَمَكُّنها من تعذيبهم.

وقيل: الداعي خَزَنَةُ جهنم؛ أُضيف دعاؤهم إليها. وقيل: هو ضربُ مَثَل، أي: إنَّ مصيرَ من أدبر وتولَّى إليها، فكأنَّها الداعية لهم. ومثله قول الشاعر[٤]:

ولقد هبطنا الوادِيَيْن فواديًا يدعو الأنيسَ به العضيضُ الأبكمُ

العضيض الأبكم: الذباب. وهو لا يدعو، وإنما طنينه نبَّه عليه، فدعا إليه[٥].

قلت: القولُ الأوَّل هو الحقيقة؛ حَسَب ما تقدَّم بيانه بآي القرآن والأخبار الصحيحة.

القشيريُّ: ودعاءُ لَظى بخلق الحياة فيها حين تدعو، وخوارق العادة غدًا كثيرة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي: جمع المالَ فجعله في وعائه، ومنعَ منه حقَّ الله تعالى؛ فكان جَموعًا مَنوعًا[٦]. قال الحَكَم: كان عبد الله بن عُكَيم لا يربط كيسه، ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

(٣) في العين ٢/ ٢٢١.

(٤) ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣ – ٩٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٩٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٥.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يعني: الكافر؛ عن الضحاك[١]. والهَلَع في اللغة: أشدُّ الحرص وأسوأُ الجزع وأفحشُه. وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما. وقد هَلِع ـ بالكسر ـ يَهْلَع، فهو هَلِعٌ وهَلُوع[٢]؛ على التكثير.والمعنى: إنَّه لا يصبر على خيرٍ ولا شرٍّ حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. عِكرمة: هو الضَّجور[٣]. الضَّحَّاك: هو الذي لا يشبع[٤]. والمَنُوع: هو الذي إذا أصابَ المالَ منعَ منه حقَّ الله تعالى[٥]. وقال ابنُ كَيسان: خلق اللَّهُ الإنسانَ يحبُّ ما يَسرُّه ويُرضيه، ويهربُ مما يَكرهه ويسخطُ، ثم تَعَبَّده الله بإنفاق ما يحبُّ، والصبرِ على ما يكره[٦].

وقال أبو عبيدة: الهَلُوعُ: هو الذي إذا مسَّه الخيرُ لم يَشكر، وإذا مسَّه الضُّرُّ لم يَصبر؛ قاله ثعلب.

وقال ثعلب أيضاً: قد فسَّر الله الهَلُوع، وهو الذي إذا ناله الشرُّ أظهرَ شدَّة الجَزَع، وإذا ناله الخيرُ بَخِل به ومنعه الناس[٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «شَرُّ ما أُعطي العبدُ: شُحٌّ هالع، وجُبْنٌ خالع»[٨]. والعربُ تقول: ناقةٌ هِلْواعة وهِلْواع؛ إذا كانت سريعةَ السَّير خفيفة[٩]. قال:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٦ .

(٢) الصحاح (هلع) .

(٣) زاد المسير ٨/ ٣٦٣ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦ وعزاه لابن المنذر .

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠٤ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ .

(٧) ينظر الدر المصون ١٠/ ٤٥٩ .

(٨) أخرجه أحمد (٨٠١٠)، وأبو داود (٢٥١١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٩) ينظر الصحاح (هلع) .

صكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استدبرتَها حَرَجٍ إذا استقبلتَها هِلْواعِ[(١)]

الذِّعْلِب والذِّعْلِبة: الناقة السريعة[(٢)].

و«جَزُوعًا» و«مَنُوعًا» نعتان لِهَلُوع. على أنْ ينويَ بهما التقديمَ قبل «إذا». وقيل: هو خبر «كان» مضمرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ دلَّ على أنَّ ما قَبْلَه في الكفار؛ فالإنسانُ اسمُ جنس؛ بدليل الاستثناء الذي يعقبه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢-٣].

قال النَّخَعيُّ: المراد بالمصلِّين الذين يؤدُّون الصلاةَ المكتوبة[(٣)]. ابن مسعود: الذين يصلُّونها لوقتها، فأمَّا تركُها فكفر[(٤)]. وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون عامَّة، فإنَّهم يَغْلبون فَرْطَ الجزع بثقتهم بربِّهم ويقينهم.

---

(١) البيت للمسيَّبِ بن عَلَس، وهو في المفضليات ص٦١، وكتاب الحيوان للجاحظ ٤/٣٩٩، وتهذيب اللغة ١/ ١٤٤. قوله: صكاء؛ من الصكك، وهو تقارب العُرقوبين، يقول: كأنها نعامة في تقارب عُرْقُوبَيْها، ويُحمد من النجائب تقاربُ العُرْقُوبَيْن. (والعُرْقُوب من الدابة: ما يكون في رِجلها بمنزلة الركبة في يدها). وقوله: الحَرَج هو سرير عمل عليه الموتى؛ شبهها به لطولها. والهِلْواع: الحديدة السريعة. شرح اختيارات المفضل ١/ ٣٠٩-٣١٠.

(٢) الصحاح (ذعلب).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ أي: على مواقيتها. وقال عقبةُ بن عامر: هم الذين إذا صلَّوْا لم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا[١]. والدائم الساكن، ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم[٢]، أي: الساكن. وقال ابن جُريج والحسن: هم الذين يُكثرون فعلَ التطوّع منها[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ يريد الزكاة المفروضة؛ قاله قتادة وابن سيرين[٤]. وقال مجاهد: سِوى الزكاة. وقال عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة رَحِم وحَمْلُ كَلٍّ[٥]. والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّه وَصَفَ الحقَّ بأنَّه معلوم، وسِوى الزكاة ليس بمعلوم، إنَّما هو على قدر الحاجة، وذلك يَقِلُّ ويكثر[٦].

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ تقدَّم في «الذاريات»[٧].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة. وقد مضى في سورة الفاتحة القولُ فيه[٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ أي: خائفون. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ﴾ قال ابن عباس: لمن أشرك أو كَذَّب أنبياءه.

وقيل: لا يأمنُه أحدٌ، بل الواجب على كلِّ أحدٍ أنْ يخافه ويُشفقَ منه.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٩ .

(٢) في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «لا يَبُلْ أحدكم في الماء الدائم ، ولا يغتسل فيه من الجنابة». أخرجه أحمد (٩٥٩٦) .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٦٤ عن ابن جريج .

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣٢ عن قتادة .

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٠ – ٢٧١ .

(٦) غير أن ابن عطية صحح قول مجاهد في المحرر الوجيز ٥/٣٦٨ . قال : وهذا هو الأصح في هذه الآية لأنَّ السورة مكية ، وفرض الزكاة وبيانها إنما كان بالمدينة .

(٧) ١٩/ ٤٨٢ .

(٨) ١/ ٢٢١ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تقدَّم القولُ فيه في سورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ تقدَّم أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ على من كانت [عليه](٢) من قريبٍ أو بعيد، يقومون بها عند الحكام(٣) ولا يكتمونها ولا يغيِّرونها. وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في سورة البقرة(٤). وقال ابن عباس: «بِشَهَادَاتِهِمْ» أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله(٥). وقُرئ «لِأَمَانَتِهِمْ» على التوحيد. وهي قراءة ابن كثير وابن مُحَيْصن(٦). فالأمانة: اسمُ جنس، فيدخل فيها أمانات الدِّين، فإنَّ الشرائع أماناتٌ ائتمنَ الله عليها عبادَه. ويدخل فيها أماناتُ الناس من الودائع. وقد مضى هذا كلُّه مستوفًى في سورة النساء(٧).

وقرأ عباس الدُّورِي(٨) عن أبي عمرو ويعقوب: «بِشَهَادَاتِهِمْ» جمعًا(٩). الباقون:

---

(١) ١٥/١١ - ١٥ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق . ينظر اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ٣٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٢٩٣ .

(٣) في (د) و(م) : الحاكم .

(٤) ٤/ ٤٧٧ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣١ .

(٦) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص١٥٨ . وقراءة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر ص٥٥٦ .

(٧) ٦/ ٤٢٣ .

(٨) كذا قال المصنف، وهو وهم منه رحمه الله، إنما هو عباس بن الفضل بن عمرو، أبو الفضل الأنصاري الواقفي. معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٧ . أما عباس الدوري، فهو ابن محمد أبو الفضل البغدادي، روى عنه أصحاب السنن.

(٩) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية حفص. السبعة ص ٦٥١، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٩١، ولم يذكر أبو عمرو الداني رواية عباس بن الفضل عن أبي عمرو في التيسير، وذكرها في جامع البيان ٢/ ٤٥٥ .

«بِشَهَادَتِهِمْ» على التوحيد؛ لأنَّها تؤدِّي عن الجمع. والمصدر قد يُفرد وإن أُضيف إلى جمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]. وقال الفراء: ويدلُّ على أنَّها «بِشَهَادَتِهِمْ» توحيدًا قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:٢].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها. وقال ابن جُرَيج[١]: التطوع. وقد مضى في سورة المؤمنين[٢]. فالدوام خلاف المحافظة. فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخِلُّون بها ولا يشتغلون عنها بشيءٍ من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغَ الوضوء لها ومواقيتَها، ويقيموا أركانها، ويكمِّلوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف[٣] المآثم. فالدوامُ يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظةُ إلى أحوالها[٤].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال الأخفش: مسرعين. قال:

بمكَّةَ أهلُها ولقد أراهم إليه مهطعين إلى السماع[٥]

والمعنى: ما بالهم يُسرعون إليك، ويجلسون حواليك، ولا يعملون بما تأمرُهم؟ وقيل: أي: ما بالُهم مسرعين في التكذيب لك؟ وقيل: أي: ما بالُ الذين كفروا

---

(١) ذكر قوله ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠ .

(٢) ١٥/ ١٥ .

(٣) في (م) باقتراب .

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٦ . والبيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري وهو في ديوانه ص١١٠ ، وروايته فيه:

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

يُسْرِعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك[١]؟ وقال عطيَّة: مهطعين: معرضين. الكلبيُّ: ناظرين إليك تعجُّبًا[٢]. وقال قتادة: عامدين[٣]. والمعنى متقارب، أي: ما بالهم مسرعين عليك، مادِّين أعناقَهم، مدمني النظر إليك[٤]؟ وذلك من نظر العدوِّ. وهو منصوبٌ على الحال. نزلت في جمعٍ من المنافقين المستهزئين، كانوا يَحضرونه عليه الصلاة والسلام ولا يؤمنون به[٥]. و«قِبَلَكَ» أي: نحوك.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمين النبيِّ ﷺ وشماله، حِلَقاً حِلَقاً وجماعات. والعِزِين: جماعاتٌ في تَفرِقة، قاله أبو عبيدة[٦]. ومنه حديثُ النبيِّ ﷺ، أنَّه خرج على أصحابه فرآهم حِلقًا، فقال: «ما لي أراكم عِزِين، أَلَا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟»، قالوا: وكيف تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَلَ، ويَتراصُّونَ في الصَّفِّ» خرَّجه مسلمٌ وغيره[٧]. وقال الشاعر:

تَرانا عنده واللَّيلُ داجٍ ... على أبوابه حِلَقاً عِزينا[٨]

وقال الراعي:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّ عشيرتي ... أمسى سَراتُهُم إليك عِزينا[٩]

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٣.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٧٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.

(٧) صحيح مسلم (٤٣٠)، ومسند أحمد (٢٠٩٦٤)، عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٧. وجاء بعد البيت في (د) و(م): أي متفرقين.

(٩) ديوان الراعي النميري ص٢٢٨ وروايته فيه:

أوليَّ أمرِ الله إنَّ عشيرتي ... أمسى سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولا

وسَراة الشيء أي: خياره. لسان العرب (سرا).

أي: متفرقين. وقال آخر:

كأنَّ الجماجمَ من وقعها خناطيل[١] يهوينَ شَتَّى عِزِينا[٢]

وقال آخر:

فلمَّا أنْ أَتَيْنَ على أُضَاخٍ ضَرَحْنَ حَصَاهُ أَشْتَاتًا عِزِينا[٣]

وقال الكُمَيْت[٤]:

ونحنُ وجَنْدَلٌ باغٍ تَرَكْنَا كَتَائبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينا

وقال عنترة[٥]:

وقِرْنٍ قد تركتُ لِذِي وَلِيٍّ عليه الطير كالعُصَبِ العِزِين

وواحدُ عِزِينَ: عِزَة، جُمع بالواو والنون؛ ليكون ذلك عِوَضاً مما حُذِف منها. وأصلها: عِزْهة، فاعتلَّت كما اعتلَّت سَنَة، فيمن جعل أصلها سَنْهة[٦]. وقيل: أصلها: عِزْوة، من عزاه يعزوه: إذا أضافه إلى غيره. فكلُّ واحدٍ[٧] من الجماعات مضافةٌ إلى الأخرى، والمحذوف منها الواو.

وفي الصحاح: والعِزَة: الفِرْقةُ من الناس، والهاء عوضٌ من الياء، والجمع عِزًى ـ على فِعَل ـ وعِزُون وعُزُون أيضاً بالضم، ولم يقولوا عِزات، كما قالوا ثُبات. قال

---

(١) الخناطيل: جماعاتٌ من الوحش والطير في تفرقةٍ، ولا واحد لها من جنسها. اللسان (خنطل).

(٢) لم نقف عليه. وجاء بعده في (د) و(م): أي متفرقين.

(٣) لم نقف على قائله. وهو في الصحاح (عزا). قوله: أُضاخ: اسم جبل أو موضع. اللسان (أضخ)، وضرحه: دفعه ونحّاه. القاموس (ضرح).

(٤) في ديوانه ص٤٤٨.

(٥) في (د) و(ظ): وقال غيره. والبيت في ديوان عنترة (مصورة دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي) ص١٧٩ برواية:

وقِرنٍ قد تركت لدى مَكَرٍّ عليه سبائباً كالأرجوان

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٩.

(٧) في (د) أحد، وفي مجمع البيان ٢٩/ ٦١ ـ والكلام منه ـ: جماعة.

الأصمعيُّ: يقال في الدار: عِزونَ، أي: أصنافٌ من الناس[١].

و﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ متعلِّقٌ بـ«مُهْطِعِينَ» ويجوز أنْ يتعلَّق بـ«عِزِين» على حدِّ قولك: أخذته عن زيد[٢].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبيِّ ﷺ، ويستمعون كلامه، فيكذِّبونه، ويَكْذِبون عليه، ويستهزئون بأصحابه، ويقولون: لئنْ دخلَ هؤلاء الجنَّةَ لندخلنَّها قبلَهم، ولئن أُعطوا منها شيئاً لَنُعطَيَنَّ أكثرَ منه، فنزلت: «أَيَطْمَعُ» الآية[٣].

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهُط[٤]. وقرأ الحسنُ وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ والأعرجُ: «أَنْ يَدْخُلَ» بفتح الياء وضم الخاء؛ مُسمَّى الفاعل. ورواه المفضَّل عن عاصم[٥]. الباقون: «أَنْ يُدْخَلَ» على الفعل المجهول.

﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنَّهم يعلمون أنَّهم مخلوقون من نطفة، ثم من علقةٍ، ثم من مضغةٍ؛ كما خُلِقَ سائرُ جنسهم، فليس لهم فضلٌ يستوجبون به الجنة، وإنما تُستوجَب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى[٦]. وقيل: كانوا يستهزؤون بفقراء المسلمين، ويتكبَّرون[٧] عليهم. فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من القَذَر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وقال قتادة في هذه الآية: إنما خُلِقْتَ يا ابن آدم من قذرٍ، فاتَّقِ الله[٨].

---

(١) الصحاح (عزا).

(٢) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٦٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤.

(٤) الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٥) قراءة الحسن وطلحة والمفضل عن عاصم في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٦٤.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥.

(٧) في (د): وينكرون.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٢.

وروي أنَّ مُطَرِّفَ بنَ عبد الله بن الشِّخِّير رأى المُهَلَّب بنَ أبي صُفْرة يتبختر في مُطْرَف[١] خَزٍّ وجُبَّة خزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المِشْية التي يُبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أوَّلُكَ نطفةٌ مَذِرة، وآخِرُكَ جيفةٌ قَذِرة، وأنت تحمل العَذِرة. فمضى المهلَّب وترك مشيته[٢].

ونظم الكلامَ محمود الورَّاق فقال:

عَجِبتُ من مُعْجَبٍ بصورتهِ ... وكان في الأصل نُطفةً مَذِرهْ
وهو غَدًا بعد حُسْن صورتهِ ... يصيرُ في اللَّحد جيفةً قَذِرهْ
وهو على تِيهه ونَخْوتهِ ... ما بين ثوبيه يحمل العذرهْ[٣]

وقال آخر:

هل في ابن آدم غيرُ الرأس مَكْرُمةٌ ... وهو بخمسٍ من الأوساخ مضروبُ
أنفٌ يسيل وأذْنٌ ريحُها سَهِكٌ[٤] ... والعين مُرْمَصَةٌ[٥] والثغْر ملعوبُ[٦]
يا ابن التراب ومأكولَ التراب غدًا ... قصِّرْ فإنَّك مأكولٌ ومشروبُ[٧]

وقيل: معناه من أجل ما يعلمون، وهو الأمر والنهي، والثواب والعقاب. كقول

---

(١) المطرف: بضم الميم وكسرها واحد المطارف، وهي أرديةٌ من خزٍّ مربعةٌ لها أعلام. مختار الصحاح (طرف).

(٢) ذكر هذه القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٥.

(٣) الأبيات ذكرها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨ دون نسبة. ونسبها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٨ لأبي محمد البافي.

(٤) السهك: هي ريحٌ كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق. اللسان (سهك).

(٥) الرَّمص: وسخ أبيض يجتمع في الموق. القاموس (رمص).

(٦) في (د) و(ق) و(م): ملهوب. والمثبت من (خ) و(ظ)، وغرر الخصائص الواضحة. وثغر ملعوب، أي: ذو لعاب، الصحاح (لعب).

(٧) الأبيات في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨. دون نسبة.

الشاعر وهو الأعشى[١]:

أَأَزْمَعْتَ مِن آلِ لَيْلى ابْتِكَارَا   وشَطَّتْ عَلى ذِي هَوًى أن تُزَارَا

أي: من أجل ليلى[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أقسم. و«لا» صلة. ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ هي مشارقُ الشمس ومغاربُها. وقد مضى الكلام فيها[٣]. وقرأ أبو حَيْوَة وابن مُحَيْصِن وحُميد: «بِربّ المشرِقِ والمغرِب» على التوحيد[٤].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يقول: نقدرُ على إهلاكهم والذهاب بهم، والمجيء بخيرٍ منهم في الفضل والطوع والمال[٥].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتنا شيءٌ ولا يعجزنا أمرٌ نريده.

قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم؛ على جهة الوعيد. واشتغِلْ أنت بما أُمِرت به، ولا يَعظُمنَّ عليك شِركُهم؛ فإنَّ لهم يوماً يَلقَون فيه ما وُعِدوا. وقرأ ابنُ مُحَيْصِن ومجاهد وحُميد: «حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمْ الَّذِي يُوْعَدُونَ»[٦]. وهذه الآية

---

(١) في ديوانه ص٩٥.

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٦٣.

(٣) ٢/ ٣٢٤.

(٤) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ عن ابن محيصن.

(٥) في (د): المثال.

(٦) وهي قراءة أبي جعفر - من العشرة - كما في النشر ٢/ ٣٩١. وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦.

منسوخة بآية السيف[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾

«يَوْمَ» بدل من «يَوْمَهُمُ» الذي قبله، وقراءةُ العامة: «يَخْرُجُونَ» بفتح الياء، وضمِّ الراء على أنَّه مسمَّى الفاعل. وقرأ السُّلَمِيُّ والمغيرةُ والأعشى عن عاصم: «يُخْرَجون» بضمِّ الياء، وفتح الراء على الفعل المجهول[٢].

والأجداث: القبور، واحدها جَدَث[٣]. وقد مضى في سورة يس[٤].

﴿سِرَاعًا﴾ حين يسمعون الصيحةَ الآخرة إلى إجابة الداعي، وهو نصبٌ على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد. وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد[٥]. وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد[٦]. والنَّصْب والنُّصْب لغتان، مثل الضَّعْف والضُّعْف[٧]. الجوهريُّ[٨]: والنَّصْب ما نُصِب فعُبِد من دون الله، وكذلك النُّصْب بالضمِّ؛ وقد يُحرَّك. قال الأعشى:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦ ، وقال ابن الجوزي: وإذا قلنا إنه وعيدٌ بلقاء يوم القيامة ، فلا وجه للنسخ .

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ ، ونسبها لعلي ﷺ . وهي برواية الأعشى عن عاصم في جامع البيان لأبي عمرو الداني ٢/ ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٤ .

(٤) ١٧/ ٤٦٢ .

(٥) السبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص٢١٤ .

(٦) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ لأبي العالية ، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ للحسن وقتادة .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣٣ .

(٨) في الصحاح (نصب) .

وذَا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه ... لعافيةٍ[1] واللهَ ربَّك فاعْبُدا[2]

أراد «فَاعْبُدَنْ» فوقف بالألف؛ كما تقول: رأيتُ زيداً. والجمع الأنصاب. وقوله: «وذا النُّصُبَ» بمعنى إيَّاك وذا النُّصُبَ. والنُّصْب: الشرُّ والبلاء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقال الأخفش والفرَّاء: النُّصُب جمع النَّصْب مثل رَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع نُصُب؛ فهو جمع الجمع[3]. وقيل: النُّصُب والأنصاب واحد. وقيل: النُّصُب جمع نِصاب، وهو حجرٌ أو صنمٌ يُذبَح عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. وقد قيل: نَصْب ونُصْب ونُصُب؛ بمعنًى واحد؛ كما قيل: عَمْر وعُمْر وعُمُر؛ ذكره النحاس[4].

قال ابن عباس: «إلى نصب» إلى غاية، وهي التي تَنْصِب إليها بصرك.

وقال الكلبيُّ: إلى شيءٍ منصوبٍ؛ عَلَمٍ أو رَايةٍ[5]. وقال الحسن: كانوا يَبْتَدرون إذا طَلعت الشمس إلى نُصُبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، لا يلوي أوَّلهم على آخرهم[6].

﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرعون. والإيفاض: الإسراع. قال الشاعر:

فوارسُ ذُبْيانَ تحت الحديـ ... ـدِ كالجنِّ يُوفِضْنَ من عَبْقَرِ[7]

---

(١) قوله: لعافية، من (م)، ووقع في مطبوع الصحاح: لعاقبة، وفي اللسان (نصب): لعافية، وأشار محقق اللسان إلى أنها وردت في نسخة خطية للصحاح: لعافية.

(٢) ديوان الأعشى ص١٨٧، ورواية الشطر الثاني فيه: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا.

(٣) قول الأخفش ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٣٦، وقول الفراء ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات ص٧٢٥.

(٤) وهو معنى قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٦٨، وينظر الصحاح واللسان (نصب).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٧، وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥٥، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٩٦ بنحوه.

(٧) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٤٦٥، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٩٥.

عبْقَرٌ: موضعٌ تزعُم العرب أنَّه من أرض الجنّ . قال لبِيد:

كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ كـجِـنَّـةِ عـبـقـرِ[١]

وقال الليث: وَفَضتِ الإبلُ تَفِض وَفْضًا؛ وأَوفضَها صاحبُها[٢]. فالإيفاض متعدٍّ، والذي في الآية لازم. يقال: وَفَضَ وأَوفَضَ واستوفض، بمعنى أسرع[٣].

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: ذليلةً خاضعة، لا يرفعونها لِمَا يتوقعونَه من عذاب الله.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ أي: يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سوادُ الوجوه. والرَّهَق: الغشيان، ومنه غلامٌ مراهقٌ: إذا غشي الاحتلام. رَهِقَه ـ بالكسر ـ يَرْهَقُه رَهَقًا، أي: غَشِيَه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ [يونس: ٢٦][٤].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: يوعدونَه في الدنيا أنَّ لهم فيه العذاب. وأَخرجَ الخبرَ بلفظ الماضي؛ لأنَّ ما وعدَ اللهُ به يكونُ ولا محالة.

والحمد لله.

---

(١) ديوانه ص٥٤ . وصدره : ومن قَادَ من إخوانهم وبنيهمِ، والكلام في الصحاح (عبقر).

(٢) تهذيب اللغة ١٢/ ٨٢ .

(٣) الصحاح (وفض) .

(٤) الصحاح (رهق) .

سورة نوح

مَكّيَّةٌ، وهي ثمان وعشرون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾

قد مضى القول في «الأعراف» أن نُوحاً عليه السلام أوَّلُ رسولٍ أُرسِل[2]. ورواه قتادة عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال: «أوَّلُ رسولٍ أُرسل نوح، وأُرسل إلى جميع أهل الأرض»[3]. فلذلك لمَّا كَفَروا أَغْرَق اللهُ أهلَ الأرض جميعاً.

وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ[4]، وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام[5]. قال وهب: كلهم مؤمنون. أُرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقال عبد الله بن شدَّاد: بُعث وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة[6]. وقد مضى في سورة العنكبوت القولُ فيه[7]. والحمد لله.

---

(١) تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٤٠٦، والبغوي ٤/ ٣٩٧. ووقع في (ق) سبع وعشرون، وفي (د) و(ظ): تسع وعشرون. وفي الكشاف ٤/ ١٦١: تسع أو ثمان وعشرون آية.

(٢) ٩/ ٢٥٨.

(٣) لم نقف عليه من حديث ابن عباس، وجاء في حديث الشفاعة المطول الذي رواه أنس ﷺ: «إنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض». وهو عند أحمد (١٢١٥٣)، والبخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٤).

(٤) في (د) و(ق): خنوخ.

(٥) سلف مختصراً ٧/ ٢٢١ إلى أخنوخ، وفيه: لمك، بدل: لامك. وسلف ١٣/ ٣٣٣، ووقع فيه: مهلايل بن قينان بن أنوش.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٩٨، وسلف ٩/ ٢٥٩.

(٧) ١٦/ ٣٤٥.

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن أنذر قومك؛ فموضع «أن» نصب بإسقاط الخافض. وقيل: موضعها جَرٌّ لقوَّة خِدْمتها مع «أن». ويجوز «أن» بمعنى المفسِّرة، فلا يكون لها موضع من الإعراب؛ لأن في الإرسال معنى الأمر، فلا حاجة إلى إضمار الباء. وقراءة عبد الله: «أَنْذِر قَوْمَكَ» بغير «أن» بمعنى قلنا له: أنذر قومك[١]. وقد تقدَّم معنى الإنذار في أوّل «البقرة»[٢].

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يعني عذاب النار في الآخرة. وقال الكلبيُّ: هو ما نزَل عليهم من الطوفان. وقيل: أي أنذرهم العذابَ الأليم على الجملة إن لم يؤمنوا. فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يَرى منهم مجيباً؛ وكانوا يَضربونه حتى يُغشى عليه فيقول: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[٣]. وقد مضى هذا مستوفًى في سورة العنكبوت[٤] والحمد لله وحده.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: مخوِّف. ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: مُظهرٌ لكم بلسانكم الذي تعرفونه. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ و«أن» المفسِّرة على ما تقدم في «أَنْ أَنْذِرْ». «اعْبُدُوا» أي: وحِّدوا. واتقوا: خافوا. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ أي: فيما آمركم به، فإني رسول الله إليكم. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ جُزم «يغفِر» بجواب الأمر[٥]. و«مِن» صلةٌ زائدة. ومعنى الكلام: يغفر لكم ذنوبَكم، قاله السدِّيُّ[٦]. وقيل: لا يصح كونها

---

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٢، وذكر القراءة أيضاً الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٦١.

(٢) ١/ ٢٨١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٨ - ٩٩، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠، والطبري ٢٣/ ٣٠٩ عن مجاهد.

(٤) ١٦/ ٣٤٥، وفي سورة التوبة ١٠/ ٣٩٩، وسورة هود ١١/ ١٢٩-١٣٠.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٧.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٩٩.

زائدة؛ لأن «مِن» لا تُزاد في الواجب، وإنما هي هنا للتبعيض، وهو بعض الذنوب، وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين. وقيل: هي لبيان الجنس. وفيه بُعْدٌ؛ إذ لم يتقدَّم جنسٌ يليق به[١]. وقال زيد بن أسلم: المعنى: يخرجكم من ذنوبكم. ابن شجرة: المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها[٢].

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ قال ابن عباس: أي: ينسئ في أعماركم. ومعناه أن الله تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك في أعمارهم، وإن لم يؤمنوا عُوجلوا بالعذاب. وقال مقاتل: يؤخِّركم إلى منتهى آجالكم في عافية؛ فلا يعاقبكم بالقحط وغيره. فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدائد إلى آجالكم. وقال الزجاج[٣]: أي يؤخِّركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصَلين بالعذاب. وعلى هذا قيل: «أَجَلٍ مُسَمًّى» عندكم تعرفونه، لا يميتكم غَرَقاً ولا حَرَقاً ولا قَتْلاً؛ ذكره الفرَّاء[٤]. وعلى القول الأوّل «أَجَلٍ مُسَمًّى» عند الله.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾ أي: إذا جاء الموت لا يؤخَّر بعذاب كان أو بغير عذاب. وأضاف الأَجَلَ إليه سبحانه؛ لأنه الذي أثبته. وقد يضاف إلى القوم، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] لأنه مضروب لهم. و«لَوْ» بمعنى «إن» أي: إن كنتم تعلمون. وقال الحسن: معناه: لو كنتم تعلمون لَعَلِمْتُم أن أَجَلَ اللهِ إذا جاء لا يؤخَّر[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: سِرًّا وجهراً. وقيل: أي:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٢ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٩.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٢٨.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٨٧.

(٥) جاءت العبارة في (د) و(م): إذا جاءكم لم يؤخر. والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٩٩ وقول الحسن فيه.

واصلت الدعاء. ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: تباعداً من الإيمان، وقراءة العامة بفتح الياء من «دعائي» وأسكنها الكوفيون ويعقوب والدُّوري عن أبي عمرو[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ أي: إلى سبب المغفرة، وهي الإيمانُ بك والطاعةُ لك. ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلّا يَسمعوا دعائي ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: غطَّوا بها وجوهَهم لئلّا يَرَوْني[٢]. وقال ابن عباس: جعلوا ثيابَهم على رؤوسهم لئلا يَسمعوا كلامَه. فاستِغشاءُ الثياب إذاً زيادة في سدِّ الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتنكيرهم أنفسَهم حتى يَسكت، أو ليعرِّفوه إعرَاضَهم عنه. وقيل: هو كناية عن العَداوة. يقال: لبِس لي فلان ثيابَ العداوة. ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي: على الكفر فلم يتوبوا. ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن قبول الحقِّ؛ لأنهم قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ تفخيم[٣].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: مُظْهِراً لهم الدعوة. وهو منصوب بـ«دعوتُهم» نصبَ المصدر؛ لأن الدعاء أحدُ نوعيه الجِهار، فنصب به نصبَ القُرفُصاء

---

(١) كذا ذكر المصنف عن أبي عمرو، وهو وهم منه رحمه الله، فالذي روى إسكان الياء في هذا الحرف عن أبي عمرو هو عباس؛ كما ذكر ابن مجاهد في السبعة ص٦٥٢، وعباس هذا: هو ابن الفضل بن عمر، أبو الفضل الواقفي، فلعل وهم المصنف ذهب إلى عباس الدوري الذي روى عنه أصحاب السنن، فقال: الدوري عن أبي عمرو. ووُلد عباس الدوري سنة (١٨٥)، أي بعد وفاة أبي عمرو بن العلاء بحوالي ثلاثين عاماً. أما الدُّوري راوي أبي عمرو؛ فهو حفص بن عمر، أبو عمر، وقد روى عنه - هو والسوسي - فتح الياء في هذا الحرف. وقد وقع للمصنف رحمه الله مثل هذا الوهم في سورة المعارج الآية (٣٣).

(٢) في (د) و(ق) و(م) يروه. والمثبت من (خ)و(ظ) وهو الموافق لما في الوسيط ٤/ ٣٥٧، وزاد المسير ٨/ ٣٧٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٠.

بقَعَد؛ لكونها أحد أنواع القعود، أو لأنه أراد بـ «دَعَوْتُهُم»: جاهرتُهم. ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا؛ أي: دعاءً جهاراً؛ أي: مجاهِراً به. أو يكون[١] مصدراً في موضع الحال، أي: دَعَوْتُهم مجاهِراً لهم بالدعوة.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾. أي: لم أُبْقِ مجهوداً. وقال مجاهد: معنى أعلنت: صحتُ[٢]، «وأسررت لهم إسراراً». بالدعاء عن بعضهم من بعض. وقيل: «أَسْرَرْتُ لَهُمْ» أي: أتيتهم في منازلهم. وكلٌّ هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء لهم، وتلطُّفٌ في الاستدعاء[٣].

وفتح الياءَ من «إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ» الحِرْمِيَّان[٤] وأبو عمرو، وأسكن الباقون[٥].

قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: سَلُوه المغفرةَ من ذنوبكم السالفةِ بإخلاص الإيمان. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾. وهذا منه ترغيبٌ في التوبة. وقد روى حُذَيفة بنُ اليمان عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الاستغفارُ مِمْحاة للذنوب». وقال الفُضيل: يقول العبد: أستغفرُ اللهَ، وتفسيرها: أَقِلْني[٦].

---

(١) في (م): ويكون، والمثبت من (ظ) و(ق) وهو الموافق لما في الكشاف ٤/ ١٦٢ والكلام منه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٩٣.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠١.

(٤) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: الحرميون. والحِرْميَّان هما: نافع المدني، وابن كثير المكي، والحِرْميّ ـ بكسر الحاء وسكون الراء ـ نسبة إلى الحَرَمَ على غير قياس في الناس، والنسبة في غير الناس: حَرَميّ، بفتح الحاء والراء. اللسان (حرم).

(٥) التيسير ص٢١٥، ولم يذكرها ابن مجاهد في السبعة.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٠١، والحديث ذكره الديلمي في الفردوس ١/ ١٢٤ (٤٢٨)، وقال المناوي في فيض القدير ٣/ ١٧٧: فيه عبيد بن كثير التمار، قال الذهبي: قال الأزدي: متروك وعبيد الله بن خراش، ضعفه الدارقطني وغيره.

الثانية: قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي: يُرسل ماءَ السماء، ففيه إضمارٌ. وقيل: السماء المطر؛ أي: يُرسل المطرَ. قال الشاعر:

إذا سقط السماءُ بأرض قومٍ رَعيناه وإن كانوا غِضابا[١]

و«مِدْرَارًا»: ذَا غَيْثٍ كثير. وجزم «يُرْسِل» جواباً للأمر. وقال مقاتل: لمَّا كذَّبوا نوحاً زماناً طويلاً حبَس اللهُ عنهم المطرَ، وأعقَم أرحامَ نسائِهم أربعين سنةً؛ فهَلَكت مواشيهم وزروعهم، فصاروا[٢] إلى نوح عليه السلام واستغاثوا به. فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٣] أي: لم يَزَل كذلك لمن أناب إليه. ثم قال ترغيباً في الإيمان: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾. قال قتادة: عَلِم نبيُّ الله ﷺ أنهم أهل حرصٍ على الدنيا فقال: هَلُمّوا إلى طاعة الله، فإن في طاعة الله دَرْكَ[٤] الدنيا والآخرة[٥].

الثالثة: في هذه الآية والتي في «هود»[٦] دليلٌ على أن الاستغفار يُستنزل به الرزقُ والأمطار. قال الشعبيُّ: خَرَج عمر يستسقي؛ فلم يَزد على الاستغفار حتى رجع، فأُمطروا، فقالوا: ما رأيناك استسقيتَ؟ فقال: لقد طلبتُ المطرَ بمجاديح السماء التي يُستنزل بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٧].

---

(١) البيت لمعاوية بن مالك، وسلف ١/ ٣٢٧.

(٢) في (ظ) فساروا.

(٣) الوسيط ٤/ ٣٥٧، والرازي ٣٠/ ١٣٧ بنحوه.

(٤) في (ظ): عزَّ.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٠١، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٩٤.

(٦) ١١/ ١٤١ - ١٤٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٤٩٠٢)، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٧٤، والطبري ٢٣/ ٢٩٣ - ٢٩٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٥ (١٠٩٦٠) قال الحافظ في الكافي الشاف ص ١٧٧. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

وقوله: بمجاديح. جمع مِجْدَح، وهو نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالَّة على المطر، فجعل الاستغفارَ مشبَّهاً بالأنواء؛ مخاطبةً لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء التي يزعمون أن من شأنها المطر. ينظر النهاية (جدح).

وقال الأوزاعيُّ: خَرَج الناس يستسقون؛ فقام فيهم بلال بنُ سعد، فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: اللهمَّ إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفرْ لنا وارحمنا واسقِنا! فرفع يديه ورَفعوا أيديَهم، فسُقُوا[١].

وقال ابن صَبِيح[٢]: شكا رَجلٌ، إلى الحسن الجُدوبةَ، فقال له: استغفرِ اللهَ. وشكا آخر إليه الفقرَ، فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادعُ اللهَ أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفافَ بستانه، فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئاً؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٣].

وقد مضى في سورة آل عمران[٤] كيفيةُ الاستغفار، وأن ذلك يكون عن إخلاص وإقلاعٍ من الذنوب، وهو الأصل في الإجابة.

قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

قيل: الرجاءُ هنا بمعنى الخوف[٥]؛ أي: ما لَكم لا تخافون لله عظمةً وقدرة على أحدكم بالعقوبة. أيْ: أيُّ عذرٍ لكم في ترك الخوف من الله. وقال سعيد بن جُبَير وأبو العالية وعطاء بن أبي رَبَاح: ما لَكم لا تَرجون لله ثواباً ولا تخافون له[٦] عقاباً. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ما لكم لا تخشَون لله عقاباً وترجون منه ثواباً[٧]. وقال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٢ (١٠٢٠٩)، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٢٢٦.

(٢) هو الربيع بن صَبيح البصري، من رجال التهذيب.

(٣) الكشاف ٤/ ١٦٢، ومجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٦٧ - ٦٨، وذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٤، والرازي ٣٠/ ١٣٧.

(٤) ٥/ ٦٠.

(٥) الوسيط ٤/ ٣٥٨، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٨.

(٦) في (ظ): منه.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٠١.

الوالبيُّ والعَوْفي عنه: ما لكم لا تعلَمون لله عظمةً. وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد: ما لكم لا تَرَوْن لله عظمة[١] وعن مجاهد والضحاك: مالكم لا تبالون لله عظمة[٢]. قال قُطْرُب: هذه لغة حجازية. وهُذيل وخزاعة ومُضَر يقولون: لم أرجُ: لم أُبالِ. والوَقار: العظمة. والتوقير: التعظيم[٣]. وقال قتادة: ما لكم لا ترجون لله عاقبةً[٤]؛ كأن المعنى: ما لكم لا ترجون لله عاقبةَ الإيمان. وقال ابن كَيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً[٥]. وقال ابن زيد: ما لكم لا تؤدُّون لله طاعةً. وقال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقًّا ولا تشكرون له نعمةً. وقيل: ما لكم لا توحِّدون اللهَ؛ لأن من عَظَّمه فقد وحَّده. وقيل: إن الوَقار الثباتُ للهِ عزَّ وجلَّ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] أي: اثبتن. ومعناه: ما لكم لا تُثبتون وحدانيةَ اللهِ تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه؛ قاله ابنُ بحر.

ثم دَلَّهم على ذلك فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[٦] أي: جَعَل لكم في أنفسكم آيةً تدل على توحيده[٧]. قال ابن عباس: «أَطْوَارًا» يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة[٨]؛ أي: طَوْراً بعد طور إلى تمام الخَلْق، كما ذكر في سورة المؤمنون[٩]. والطَّوْرُ في اللغة: المَرَّةُ، أي: مَن فَعَل هذا وقَدَرَ عليه فهو أحقُّ أن تُعَظِّموه. وقيل: «أَطْوَارًا»: صبياناً، ثم شباباً، ثم شيوخاً وضعفاء، ثم أقوياء. وقيل: أطواراً أي: أنواعاً: صحيحاً

(١) تفسير البغوي ٤/٣٩٨، وأخرجه عنهما الطبري ٢٣/٢٩٥، وعن ابن عباس البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨).

(٢) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/٢٩٥.

(٣) الوسيط ٤/٣٥٨.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣١٩، والطبري ٢٣/٢٩٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/٣٩٨.

(٦) النكت والعيون ٦/١٠١ - ١٠٢.

(٧) الوسيط ٤/٣٥٨.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/٢٩٧.

(٩) ١٥/١٩.

وسقيماً، وبصيراً وضريراً، وغنيًّا وفقيراً[١]. وقيل: إن «أطواراً»: اختلافُهم في الأخلاق والأفعال[٢].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ ذكر لهم دليلاً آخر، أي: ألم تعلموا أن الذي قدر على هذا، فهو الذي يجب أن يُعْبَد؟! ومعنى «طِبَاقًا»: بعضها فوق بعض[٣]، كل سماء مُطبقة على الأخرى كالقباب؛ قاله ابن عباس والسدّيُّ. وقال الحسن: خَلق اللهُ سبعَ سماوات طباقاً على سبع أرضين، بين كل أرض وأرض وسماءٍ وسماء خَلْقٌ وأمرٌ[٤].

وقوله: «أَلَمْ تَرَوْا» على جهة الإخبار لا المعاينة؛ كما تقول: ألم ترني كيف صنعت بفلان كذا. و«طِبَاقاً» نصب على أنه مصدر، أي: مطابقة طباقاً. أو حال بمعنى ذات طباق؛ فحذف ذات وأقام طِباقاً مقامه[٥].

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي: في سماء الدنيا؛ كما يقال: أتاني بنو تميم وأتيت بني تميم، والمراد بعضهم؛ قاله الأخفش[٦]. قال ابن كَيْسان: إذا كان في إحداهن فهو فيهنَّ. وقال قُطْرُب: «فِيهِنّ» بمعنى معهنَّ[٧]؛ وقاله الكلبيُّ. أي: خلق الشمسَ والقمر مع خلق السماوات والأرض. وقال جِلَّةُ أهل اللغة في قول امرئ القيس:

---

(١) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٦٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٢ .

(٣) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٩٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٠٢ بنحوه .

(٥) ينظر معاني للزجاج ٥/ ٢٣٠ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٩٩ .

(٦) في معاني القرآن ٢/ ٧١٥ ، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٧١ .

(٧) مجمع البيان ٢٩/ ٧٠ دون نسبة .

وهل ينعمن مَنْ كانَ آخِرُ عهدِهِ ثلاثين شهراً في ثلاثةِ أحوالِ[١]

«في» بمعنى مع. النحاس: وسألت أبا الحسن بن كَيسان عن هذه الآية فقال: جواب النحْويين أنه إذا جعله في إحداهنَّ فقد جعلَه فيهنَّ، كما تقول: أعطني الثياب المُعْلَمة وإن كنتَ إنما أعلمت أحدَها. وجوابٌ آخر: أنه يروى أن وجه القمر إلى السماء، وإذا كان إلى داخلها فهو متصل بالسماوات[٢].

ومعنى: «نُورًا» أي: لأهل الأرض؛ قاله السدّيُّ[٣]. وقال عطاء: نوراً لأهل السماء والأرض. وقال ابن عباس وابن عمر: وجهه يضيء لأهل الأرض وظهره يضيء لأهل السماء.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يعني مصباحاً لأهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم. وفي إضاءتها لأهل السماء القولان الأوَّلان؛ حكاه الماورديُّ[٤]. وحكى القشيريُّ عن ابن عباس أن الشمسَ وجهها في السماوات وقفاها في الأرض[٥]. وقيل: على العكس. وقيل لعبد الله بن عمر[٦]: ما بالُ الشمس تَقْلِينا أحياناً وتَبْرُد علينا أحياناً؟ فقال: إنها في الصيف في السماء الرابعة، وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن؛ ولو كانت في السماء الدنيا لمَا قام لها شيء.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلِّها؛ قاله ابن جريج[٧]. وقد مضى

(١) ديوانه ص٢٧، وفيه: وهل يَعِمَنْ من كان أحدثُ عهده، وسلف ١٣/ ١٦٢.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٩ بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٢.
(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٠٢، وقول ابن عباس وابن عمر ذكره عن ابن عباس فقط.
(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥.
(٦) في (ظ) و(ق): عمرو.
(٧) النكت والعيون ٦/ ١٠٢.

في سورة الأنعام والبقرة بيان ذلك[١]. وقال خالد بن مَعْدان: خلق الإنسانَ من طين، فإنما تلين القلوب في الشتاء[٢]. و«نَبَاتاً» مصدر على غير المصدر؛ لأن مصدره أنبت إنباتاً، فجعل الاسم الذي هو النَّبات في موضع المصدر. وقد مضى بيانه في سورة آل عمران[٣] وغيرها. وقيل: هو مصدر محمولٌ على المعنى؛ لأن معنى: «أَنْبَتَكُمْ» جعلكم تنبتون نباتاً؛ قاله الخليل والزجاج[٤]. وقيل: أي أنبت لكم من الأرض النبات. فـ«نَبَاتاً» على هذا نصب على المصدر[٥] الصريح. والأوّل أظهرُ.

وقال ابن بحر[٦]: أنبتهم في الأرض بالكِبَر بعد الصِّغَر، وبالطول بعد القِصَر.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: عند موتكم بالدفن. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالنشور للبعث يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي: مبسوطة. ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ السُّبُل: الطُّرق. والفِجاج جمع فَجٍّ، وهو الطريق الواسعة؛ قاله الفرَّاء. وقيل: الفَجُّ: المسلَك بين الجبلين. وقد مضى في سورة الأنبياء والحج[٧].

قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾

شكَاهم إلى الله تعالى، وأنهم عصَوْه ولم يتَّبعوه فيما أمرهم به من الإيمان. وقال

---

(١) ٨/ ٣٢٠ و١/ ٤١٩ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٢ .

(٣) ٥/ ١٠٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٠ . وزاد المسير ٨/ ٣٧٢ .

(٥) في (ظ) و(ق) : المفعول .

(٦) في (م) ابن جريج . والمثبت من النسخ الخطية وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٢ .

(٧) ١٤/ ١٩٨ - ١٩٩ و٣٦٤ - ٣٦٥ .

أهل التفسير: لبث فيهم ما أخبر الله تعالى: ألفَ سنة إلا خمسين عاماً داعياً لهم وهم على كفرهم وعصيانهم. قال ابن عباس: رجا نوحٌ عليه السلام الأبناءَ بعد الآباء؛ فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفَشَوْا. قال الحسن: كان قوم نوح يَزرعون في الشهر مرتين؛ حكاه الماورديُّ[١].

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرُهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالًا في الدنيا وهلاكاً في الآخرة.

وقرأ أهل المدينة والشام وعاصم: «وَوَلَدُه» بفتح الواو واللام. الباقون: «وُلْده» بضم الواو وسكون اللام[٢] وهي لغة في الولد. ويجوز أن يكون جمعًا للولد، كالفُلْك، فإنه واحد وجمع. وقد تقدَّم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾

أي: كبيراً عظيماً. يقال: كَبير وكُبَار وكُبَّار، مثل عجيب وعُجَاب وعُجَّاب بمعنًى، ومثله طويل وطُوَال وطُوَّال. يقال: رجل حَسن وحُسَّان، وجميل وجُمَّال[٤]، وقُرَّاء للقارئ[٥]، ووُضَّاء للوضيء. وأنشد ابنُ السِّكِّيت:

بَيْضاء تَصْطادُ القلوب وتَسْتَبي ... بالحسن قَلْبَ المُسْلِم القُرَّاءِ

وقال آخر:

والمَرْءُ يُلْحِقُه بِفِتْيَانِ النَّدَى ... خُلُقُ الكريم وليس بالوُضَّاءِ[٦]

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٠٣.

(٢) السبعة ص ٦٥٢ - ٦٥٣، والتيسير ص ٢١٥.

(٣) ٢/ ٤٩٤.

(٤) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٩٩، ومجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٧٠.

(٥) والقُرَّاء أيضاً: الناسك المتعبِّد. القاموس (قرأ).

(٦) هذا البيت والذي قبله من قصيدة واحدة أنشدها أبو صدقة الدُّبَيْري للفراء كما ذكر ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٢٤، وذكره الجوهري في الصحاح (وضأ) (قرأ)، وابن منظور في اللسان (وضأ)، وذكر الزَّبيدي البيت الأول في تاج العروس، ونسبه لزيد بن تُرك الدُّبيري.

وقال المبرِّد: «كُبَّارًا» ـ بالتشديد ـ للمبالغة. وقرأ ابن مُحَيْصِن وحُميد ومجاهد: «كُبَارًا» بالتخفيف[١].

واختلف في مكرهم ما هو؟ فقيل: هو تحريشُهم سَفِلَتَهم على قتل نوح[٢]. وقيل: هو تعزيزُهم الناس بما أُوتوا من الدنيا والولد؛ حتى قالت الضَّعَفَةُ: لولا أنهم على الحقّ لَمَا أوتوا هذه النعم. وقال الكلبيُّ: هو ما جعلوه لِله من الصاحبة والولد. وقيل: مكرهم كفرُهم. وقال مقاتل: هو قول كبرائهم لأتباعهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

قال ابن عباس وغيره: هي أصنام وصُوَر، كان قوم نوح يعبدونها، ثم عبدتها العرب[٤] وهذا قول الجمهور.

وقيل: إنها للعرب لم يعبدها غيرُهم[٥]، وكانت أكبرَ أصنامهم وأعظمَها عندهم؛ فلذلك خَصُّوها بالذكر بعد قوله تعالى: «لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ». ويكون معنى الكلام: كما قال قومُ نوح لأتباعهم: «لا تَذَرُنَّ آلهتكم»؛ قالت العرب لأولادهم وقومهم: لا تذرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً؛ ثم عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام. وعلى القول الأوّل؛ الكلام كلُّه منسوق في قوم نوح.

وقال عُروة بن الزبير وغيره: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه: وَدٌّ، وسُواعٌ، ويغوثُ، ويعوقُ، ونَسرٌ. وكان وَدٌّ أكبرَهم وأبرَّهم به[٦].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٦٢ ، وذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٤١ بضم الكاف وكسرها.

(٢) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ١٦٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٢٠) .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٠٤ .

(٦) المصدر السابق .

قال محمد بن كعب: كان لآدم عليه السلام خمس بنين: وَدّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَسر؛ وكانوا عُبَّاداً، فمات واحدٌ[١] منهم، فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أصوِّر لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه. قالوا: افعل. فصوَّره في المسجد من صُفْر ورصاص، ثم مات آخر، فصوَّره حتى ماتوا كلُّهم فصوَّرهم. وتنقَّصَت الأشياء كما تَتنقَّص اليوم إلى أن تركوا عبادَة الله تعالى بعد حين. فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترونها[٢] في مُصَلَّاكم؟ فعبدوها من دون الله؛ حتى بعث الله نوحاً فقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية.

وقال محمد بن كعب أيضاً ومحمد بن قيس: بل كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم تَبَع يَقتدون بهم، فلما ماتوا زَيَّن لهم إبليس أن يصوِّروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم، وليتسَلَّوا بالنظر إليها؛ فصوَّرهم. فلما ماتوا هُم وجاء آخرون قالوا: لَيْتَ شِعْرَنا! هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها!؟ فجاءهم الشيطان فقال: كان آباؤكم يعبدونها، فترحمهم وتسقيهم المطر. فعبدوها فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت[٣].

قلت: وبهذا المعنى فسِّر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة: أن أمَّ حبِيبة وأمَّ سَلَمة ذكرتا كَنيسةً رأَيْنَها بالحبشة تسمَّى مارية، فيها تصاوير لرسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئِك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات؛ بَنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصّوَر، أولئك شِرارُ الخلق عند الله يوم القيامة»[٤].

---

(١) في (د) و(ظ): رجل.

(٢) في (د) و(م) ألا ترون. والمثبت من (ظ) و(ق) وهو الموافق لما في زاد المسير ٨/ ٣٧٣ والكلام بنحوه منه، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥٩، والبغوي ٤/ ٣٩٩ عن محمد بن كعب، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٠٣ عن محمد بن قيس بنحوه.

(٤) صحيح مسلم (٥٢٨)، وسلف ٢/ ٢٩٤.

وذكر الثعلبيُّ عن ابن عباس قال: هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم تذكروهم بها؛ ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم؛ عُبدت من دون الله[١].

وذُكِر أيضاً عن ابن عباس: أن نوحاً عليه السلام، كان يحرس جسدَ آدم عليه السلام على جبل بالهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره؛ فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصوِّر لكم مثله تطوفون به؛ فصوَّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها. فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء؛ فلم تزل مدفونةً حتى أخرجها الشيطانُ لمشركي العرب[٢].

قال الماوَرْدِيُّ[٣]: فأما وَدٌّ؛ فهو أوّل صنمٍ معبود، سُمِّي وَدًّا لودِّهم له؛ وكان بعدَ قومِ نوح لكَلْب بدومة الجَنْدَل؛ في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل. وفيه يقول شاعرُهم:

حَـيَّـاك وَدٌّ فـإِنَّـا لا يـحـلُّ لـنـا لَـهْـوُ الـنساءِ وإن الـدِّيـن قـد عَـزَمَـا[٤]

وأما سُواعٌ؛ فكان لهذيل بساحل البحر؛ في قولهم.

وأما يَغُوثُ؛ فكان لغُطَيف من مُراد بالجَوْف[٥] من سبأ؛ في قول قتادة.

وقال المهدَوِيُّ: لمُراد ثم لغَطَفان. الثعلبيُّ: وأخذت أعلى وأنعُم ـ وهما من

---

(١) وأخرجه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٧٢ دون نسبة، ومن قوله: فلما كان أيام الطوفان ... إلى هنا، ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٠ عن ابن عباس.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ١٠١، وهو في كتاب الأصنام لابن الكلبي ص١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، وروايته في الديوان: حيَّاك ربي، بدل: حياك ودٌّ.

(٥) في (ظ): بالجرف. وهي في بعض نسخ البخاري كما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٦٦٨.

طيِّئ ـ وأهل جُرَش من مَذْحج يَغُوث، فذهبوا به إلى مُرَاد، فعبدوه زماناً. ثم إن بني ناجية أرادوا نزعه من أنعُم، ففرُّوا به إلى الحُصَين أخي بني الحارث بن كعب من خُزاعة.

وقال أبو عثمان النَّهْدِي: رأيت يغوث وكان من رَصاص، وكانوا يحملونه على جمل أَجْرَد، ويسيرون معه لا يَهيجونه حتى يكون هو الذي يَبْرُك، فإذا بَرَك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل؛ فيضربون عليه بناءً ينزلون حوله(١).

وأما يَعُوق؛ فكان لهَمْدان ببَلْخَع؛ في قول عكرمة وقتادة وعطاء. ذكره الماورديُّ. وقال الثعلبيُّ: وأما يَعُوق؛ فكان لكَهْلان من سَبَأ، ثم توارثه بنوه؛ الأكبر [فالأكبر] حتى صار إلى هَمْدان. وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني:

يَريشُ اللهُ في الدنيا ويَبْري ولا يَبْرِي يعوقُ ولا يَرِيشُ(٢)

وأما نَسرٌ فكان لذي الكَلَاعِ من حِمْير؛ في قول قتادة، ونحوه عن مقاتل(٣). وقال الواقديّ: كان وَدٌّ على صورة رجل، وسُواعٌ على صورة امرأة، ويغوثُ على صورة أسد، ويعوقُ على صورة فرس، ونسرٌ على صورة نَسْر من الطير؛ فالله أعلم(٤).

وقرأ نافع: «وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا» بضم الواو. وفتحها الباقون(٥).

قال الليث: وَدٌّ ـ بفتح الواو ـ صنمٌ كان لقوم نوح، ووُدٌّ ـ بالضم ـ صنمٌ لقريش؛ وبه سُمِّي عمرو بن وُدّ(٦). وفي الصحاح: والوَدّ ـ بالفتح ـ الوَتِدُ في لغة أهل نجد؛

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٠٤. وقوله: أجرد، أي: سبَّاق.

(٢) ذكر البيت مع قول الثعلبي أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٤١ - ٣٤٢ وابن عادل في اللباب ١٩/ ٣٩٧، وما بين حاصرتين من اللباب.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٥، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠، والطبري ٢٣/ ٣٠٤، وقاله ابن عباس في حديث البخاري (٤٩٢٠).

(٤) زاد المسير ٨/ ٣٧٤.

(٥) السبعة ص ٦٥٣، والتيسير ص ٢١٥.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ١٤٤.

كأنهم سكَّنوا التاءَ وأدغموها في الدال. والوَدُّ في قول امرئ القيس:

تُـظْـهِـرُ الـوَدَّ إذا مـا أَشْـجَـذَتْ وتُـوارِيـهِ إذا مـا تَـعْـتَـكِـرْ

قال ابن دُريد: هو اسم جبل: ووَدٌّ صنم كان لقوم نوح عليه السلام، ثم صار لكلب وكان بدُومة الجَنْدَل؛ ومنه سمّوه عبد ودٍّ[١].

وقال: «لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» ثم قال: «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا» الآية، خصَّها بالذِّكر؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب:٧].

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ هذا من قول نوح، أي: أضلَّ كبراؤهم كثيرًا من أتباعهم؛ فهو عطف على قوله: «وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا». وقيل: إن الأصنام «أَضَلُّوا كَثِيرًا»، أي: ضلَّ بسببها كثير؛ نظيره قول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦] فأجرى عليهم وصف ما[٢] يعقل؛ لاعتقاد الكفار فيهم ذلك.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ أي: عذابًا؛ قاله ابن بحر. واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:٤٧]. وقيل: إلا خسراناً. وقيل: إلا فتنةً بالمال والولد. وهو محتمل[٣].

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خطاياهم أُغْرِقُوا﴾ «ما» صلة مؤكِّدة، والمعنى: من خطاياهم. وقال الفرَّاء: المعنى من أجل خطاياهم، فأدَّت «ما» هذا المعنى. قال: و«ما» تدل على المجازاة[٤].

---

(١) الصحاح (ودد)، والبيت في ديوان امرئ القيس ص ١٤٤، وروايته فيه: تخرج الود، بدل: تظهر الود، وتشتكر، بدل: تعتكر وقوله: أشجذت أي: أقلعت وسكنت، يعني الغيمة.

(٢) في (ظ): من. والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ١٤٤.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٥.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٩ - ١٩٠ بنحوه، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٢.

وقراءة أبي عمرو: «خَطَايَاهُمْ» على جمع التكسير؛ الواحدة خطيَّة. وكان الأصل في الجمع خطائئ على فعائل[١]؛ فلما اجتمعت الهمزتان قُلِبت الثانية ياءً؛ لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل، وهو معتلٌّ مع ذلك؛ فقلبت الياء ألفاً، ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين. الباقون «خَطِيئَاتِهِمْ» على جمع السلامة[٢].

قال أبو عمرو: قوم كفروا ألف سنة، فلم يكن لهم إلا خطيئات! يريد أن الخطايا أكثر من الخطيئات. وقال قوم: خطايا وخطيئات واحد، جمعان مستعملان في الكثرة والقلَّة؛ واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧] وقال الشاعر:

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْنَ بِالضّحَى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدةٍ دَمَا[٣]

وقرئ: «خطيئاتهم» و«خطِيّاتِهم»[٤] بقلب الهمزة ياء وإدغامها. وعن الجَحْدَرِيِّ وعمرو بن عبيد والأعمش وأبي حَيْوة وأشهب العقيلي: «خطيئتِهِم» على التوحيد[٥]، والمراد: الشرك. ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ أي: بعد إغراقهم.

قال القشيريُّ: وهذا يدلُّ على عذاب القبر. ومنكروه يقولون: صاروا مستحقين دخولَ النار، أو عُرِض عليهم أماكنهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦].

وقيل: أشاروا إلى ما في الخبر من قوله: «البحر نار في نار»[٦].

---

(١) في (ق) فعائيل.

(٢) السبعة ص ٦٥٣ ، والتيسير ص ٢١٥ ، وسلف كلام الخليل وسيبويه في أصل «خطايا» ٢/ ١٣٠-١٣١.

(٣) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه ص ٤٢٧ .

(٤) في (د): خطاياهم ، وخطيئاتهم

(٥) ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦٢ خطيَّاتهم من قراءة أبي رجاء ، وخطيئتهم من قراءة الجحدري وعبيد عن أبي عمرو .

(٦) أخرج الحاكم ٤/ ٥٩٦ عن يعلى قال : قال رسول الله ﷺ: «إن البحر هو جهنم» .

وأخرج ابن أبي شيبة ١/ ١٣١ عن عبد الله بن عمرو قال : «... إن تحت البحر ناراً ثم ماء ثم نار». وقد ذكر الحاكم هذا الحديث مرفوعاً إثر الحديث السالف .

وروى أبو رَوْق عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ قال: يعني عُذِّبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة؛ كانوا يَغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب[١]. ذكره الثعلبيُّ قال[٢]: أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رُمَيح قال: أنشدني أبو بكر بن الأنباريّ:

الخلق مجتمِع طَوْرًا ومفترِقٌ والحادِثات فُنُونٌ ذاتُ أطوارِ
لا تعجبنَّ لِأضدادٍ إنِ اجتمعت فاللهُ يجمع بين الماءِ والنارِ[٣]

﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي: مَن يَدفع عنهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: دعا عليهم حين يَئس من اتّباعهم إيَّاه. وقال قتادة: دعا عليهم بعد أن أَوحى اللهُ إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[٤] [هود:٣٦]. فأجاب اللهُ دعوته وأغرَق أُمَّتَه. وهذا كقول النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ منزل الكتاب، [سريعَ الحساب]، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزِهم»[٥].

وقيل: سببُ دعائه أن رجلاً من قومه حمل ولداً صغيراً على كتفه، فمرَّ بنوحٍ فقال: احذر هذا فإنه يضلك. فقال: يا أبتِ أنزلني؛ فأنزله فرماه فشجَّه؛ فحينئذٍ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٠، والكشاف ٤/ ١٦٥، وزاد المسير ٨/ ٣٧٤. دون قوله: ويحترقون في الماء.

(٢) لفظة: قال، من (ظ).

(٣) اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ٤٠٠.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٠٥ وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠، والطبري ٢٣/ ٣٠٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٩١٠٧)، والبخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢) عن عبد الله بن أبي أوفى، وسلفت قطعة منه ١٤/ ٣١١، وما بين حاصرتين من المصادر.

غَضِبَ ودعا عليهم[١].

وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد: إنَّما قال هذا حينما أخرَج اللهُ كلَّ مؤمن من أصلابهم وأرحامِ نسائهم. وأعقمَ أرْحَام النساء وأصلابَ الرجال قبل العذاب بسبعين سنة[٢]. وقيل: بأربعين[٣]. قال قتادة: ولم يكن فيهم صبيٌّ وقت العذاب.

وقال الحسن وأبو العالية: لو أَهْلَكَ اللهُ أطفالهم معهم كان عذاباً من الله لهم وعدلاً فيهم؛ ولكنَّ الله أهلكَ أطفالَهم وذرِّيتهم بغير عذاب، ثم أهلكهم بالعذاب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾[٤] [الفرقان: ٣٧].

الثانية: قال ابن العربيّ[٥]: دعا نوحٌ على الكافرين أجمعين، ودعا النبيُّ ﷺ على من تحزَّب على المؤمنين وألَّب عليهم. وكان هذا أصلاً في الدعاء على الكافرين في الجملة، فأما كافرٌ معيَّن لم تُعْلَم خاتمتُه فلا يدعَى عليه؛ لأن مآله عندنا مجهولٌ، وربما كان عندَ الله معلومَ الخاتمة بالسعادة. وإنما خصَّ النبيُّ ﷺ بالدعاء عُتبةَ وشَيْبَةَ وأصحابَهما[٦]؛ لعلمه بمآلهم، وما كُشِفَ له من الغطاء عن حالهم. والله أعلم.

قلت: قد مضت هذه المسألة مجوَّدة في سورة البقرة[٧] والحمد لله.

الثالثة: قال ابن العربي[٨]: إن قيل: لِمَ جَعَل نوحٌ دعوتَه على قومه سبباً لتوقُّفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة؟ قلنا: قال الناس: في ذلك وجهان:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٠٥ ، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣١٩ ، والطبري ٢٣/ ٢٩١ عن قتادة.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧ من قول محمد بن كعب والربيع وابن زيد.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٧٥ ، والرازي ٣٠/ ١٣٧ من قول مقاتل.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٦٦ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٤٧ عن الحسن بنحوه.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٨ - ١٨٤٩ .

(٦) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٧) ٢/ ٤٨٥ وما بعد.

(٨) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٩ .

أحدهما: أن تلك الدعوة نشأت عن غضبٍ وقسوة، والشفاعةُ تكون عن رِضاً ورِقَّة، فخاف أن يُعاتَب بها ويقال: دعوتَ على الكفار بالأمس وتشفعُ لهم اليوم!

الثاني: أنه دعا غضباً بغير نصٍّ ولا إذنٍ صريح في ذلك؛ فخاف الدَّرْكَ[١] فيه يوم القيامة؛ كما قال موسى عليه السلام: إنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لم أُومر بقتلها. قال: وبهذا أقول.

قلت: وإن كان لم يؤمر بالدعاء نَصًّا فقد قيل له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾. فأُعلم عواقبهم، فدعا عليهم بالهلاك؛ كما دعا نبيُّنا ﷺ على شَيْبة وعتبة[٢] ونظرائهم فقال: «اللهم عليك بهم»[٣]؛ لمَّا أُعلم عواقبهم؛ وعلى هذا يكون فيه معنى الأمر بالدعاء. والله أعلم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: من يسكن الديار؛ قاله السدّيُّ[٤]. وأصله: دَيوار على فَيْعال من دار يَدور؛ فقلبت الواو ياءً وأدغمت إحداهما في الأخرى. مثل القيَّام؛ أصله: قَيْوام. ولو كان فعَّالاً لكان دَوَّاراً. وقال القُتَبيُّ[٥]: أصله من الدار، أي: نازل بالدار. يقال: ما بالدار ديَّار، أي: أحد. وقيل: الديّار صاحبُ الدار.

قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمِنَيْن. وهما:

---

(١) الدرْك: التبعة. القاموس (درك).

(٢) في (ظ) وعقبة.

(٣) سلف تخريجه في الصفحة السالفة، ولفظه في الصحيح: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط».

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٠٥ .

(٥) في تفسير غريب القرآن ص٤٨٨ ، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٧٥ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٤٦ .

لمك[١] بن متوشلخ وشمخى بنت أنوش[٢]؛ ذكره القشيريُّ والثعلبيُّ. وحكى الماورديُّ[٣] في اسم أمّه: منجل. وقال سعيد بن جُبَير: أراد بوالديه أباه وجدَّه[٤].

وقرأ سعيد بن جُبَير «لِوَالِدِي» بكسر الدال على الواحد[٥]. قال الكلبيُّ: كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون[٦]. وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح والدٌ فيما بينه وبين آدم عليهما السلام[٧].

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ أي: مسجدي ومُصلَّاي مصلِّياً مصدِّقاً بالله[٨]. وكان إنما يَدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم، فجعل المسجد سبباً للدعاء بالمغفرة. وقد قال النبيُّ ﷺ: «الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّى فيه ما لم يُحْدِث فيه تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» الحديث. وقد تقدَّم[٩]. وهذا قول ابن عباس: «بيتي»: مسجدي[١٠]؛ حكاه الثعلبيُّ وقاله الضحاك[١١].

وعن ابن عباس أيضاً: أي: ولمن دخَل دِيني، فالبيت بمعنى الدِّين[١٢]؛ حكاه القشيريُّ وقاله جُوَيْبِر. وعن ابن عباس أيضاً: يعني صديقي الداخل إلى منزلي؛ حكاه

---

(١) في (د) و(ظ) و(ق): لامك.

(٢) الوسيط ٤/ ٣٦٠، والكشاف ٤/ ١٦٥.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ١٠٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٢.

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٤٦ من قول عطاء بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧.

(٨) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٨.

(٩) ٢/ ٣٤، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١٠) زاد المسير ٨/ ٣٧٥.

(١١) النكت والعيون ٦/ ١٠٦، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٠٨.

(١٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧.

الماورديُّ[١]. وقيل: أراد داري. وقيل: سفينتي[٢].

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۖ﴾ عامَّةً إلى يوم القيامة؛ قاله الضحاك[٣]. وقال الكلبيُّ: من أمّة محمد ﷺ. وقيل: من قومه؛ والأوّل أظهر.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين. ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾: إلا هلاكاً، فهي عامَّة في كلّ كافر ومشرك. وقيل: أراد مشركي قومه، والتَّبار: الهلاك. وقيل: الخسران؛ حكاهما السُّدّيُّ[٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

وقيل: التَّبار: الدَّمار، والمعنى واحد[٥]، والله أعلم بذلك. وهو الموفِّق للصواب.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٠٦ وقول جويبر فيه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٦ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٤٧ بنحوه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن

مكِّيَّةٌ في قول الجميع(١). وهي ثمانٍ وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أَوْحَى اللهُ إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إليّ ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أنْ أُوحي إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وُحِيَ» على الأصل، يقال: أَوحى إليه ووَحى، [وقُرئ: أُحِيَ] فقُلبت الواوُ همزة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات:١١]. وهو من القلب المطلق جوازُه في كل واوٍ مضمومة. وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إعَاءِ أَخِيهِ» [يوسف:٧٦] ونحوه(٢).

الثانية: واختُلِف هل رآهم النبيُّ ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدلُّ على أنه لم يرهم، لقوله تعالى: «اسْتَمَعَ»، وقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، وزاد المسير ٨/ ٣٧٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٦ بتقديم وتأخير، وما بين حاصرتين لضرورة السياق، ومستفاد منه، وذكرَ قراءة: وُحي، عن ابن أبي عبلة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٢. وقرأ ابن أبي عبلة أيضاً: أُحيَ: كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٦، والقراءتان شاذتان. وقراءة: «إعاء أخيه» شاذة أيضاً، وهي في المحتسب ١/ ٣٤٨، والقراءات الشاذة ص٦٥.

[الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والتِّرمذيّ عن ابن عباس قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهُب! قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فمرَّ النَّفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عُكَاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1]. رواه الترمذي[2] عن ابن عباس قال: قولُ الجنِّ لقومهم: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية: ١٩] قال: لمَّا رأوه يصلِّي، وأصحابُه يصلُّون بصلاته، فيسجدون بسجوده، قال: تعجَّبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾قال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ الجنَّ، ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّ كانوا مع الشياطين حين تجسَّسوا الخبر بسبب الشياطين لمَّا رُمُوا بالشُّهُب. وكان المرميُّون بالشُّهُب من الجنِّ أيضاً. وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإنَّ الشيطان كلُّ متمرِّدٍ وخارجٍ عن طاعة الله.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٩)، وسنن الترمذي (٣٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٢٢٧١). وهو عند البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) دون قوله: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم.

(٢) هو بعض حديثه السالف.

وفي الترمذي[١] عن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوَحْي، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً، فأمَّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بُعث رسولُ الله ﷺ، مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمرُ إلَّا مِن أمرٍ قد حدث في الأرض! فبعث جنوده، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قائماً يصلِّي بين جبلين ـ أُراه قال: بمكة ـ فأتَوه فأخبروه، فقال: هذا الحَدث الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الجنَّ رُموا كما رُميت الشياطين.

وفي رواية السُّدِّيّ: أنهم لمَّا رُموا أتَوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أَشَمُّها، فأتَوه، فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة؛ فبعث نفراً من الجنِّ[٢]. قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة، منهم زَوْبعة.

وروى عاصمٌ عن زِرٍّ قال: قَدِمَ رهط زوبعة وأصحابُه على النبيِّ ﷺ. وقال الثُّمالي: بلغني أنهم من بني الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجنِّ عدداً، وأقواهم شوكة، وهم عامَّةُ جنودِ إبليس. وروى أيضاً عاصمٌ عن زِرٍّ: أنهم كانوا سبعةَ نفر؛ ثلاثة من أهل حَرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. وحكى جُويبر عن الضحَّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبين، قرية باليمن غير التي بالعراق. وقيل: إنَّ الجنَّ الذين أتَوا مكة جنُّ نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنُّ نِيْنَوَى. وقد مضى بيانُ هذا في سورة الأحقاف[٣].

قال عِكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسولُ الله ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][٤]. وقد مضى في سورة الأحقاف التعريفُ باسم النفرِ من الجنّ، فلا معنى لإعادة ذلك.

---

(١) برقم (٣٣٢٤)، وهو في مسند أحمد (٢٤٨٢) بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٨ .

(٣) ١٩/ ٢٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١١ ، والنكت والعيون ٦/ ١٠٨-١٠٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٠٨ .

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ رأى الجنَّ ليلةَ الجنّ، وهو أثبت؛ روى عامر الشَّعبيُّ قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال: فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا[1] إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». فانطلَقَ بنا فأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ـ وكانوا من جنِّ الجزيرة ـ فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرة عَلَفٌ لدوابِّكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

قال ابن العربي[3]: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده، وابن عباس سمعه؛ وليس الخبر كالمعاينة.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة، وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أوَّل ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبيِّ ﷺ وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقتِ لم يقرأ عليهم ولم يرهم، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنِّ مرَّةً أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود. قال البيهقي: والأحاديث الصِّحاح تدلُّ على أنَّ ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثارَ الجنِّ وآثارَ نيرانهم. قال: وقد رُوي من غير

---

(١) في النسخ: أصبح، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠) واللفظ له. وسلف قطعة منه ١/ ٤٦٩ . قوله: استطير، أي: ذُهب به بسرعة كأن الطير حملته، أو اغتاله أحد. النهاية (طير) .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٢ .

وجه أنه كان معه ليلتئذ[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة الأحقاف، والحمد لله[٢].

روي عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمرت أنْ أتلوَ القرآن على الجنِّ، فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطّاً، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثالُ الحَجَل يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دُفوفهم كما تَقْرع النُّسور[٣] في دُفوفها، حتى غَشَوه فلا أراه، فقمت، فأوْمَى إليَّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولَصِقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردتَ أن تأتيَني؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر؛ فلا يَستطيبَنَّ أحدُكم بعظم ولا بعر».

قال عكرمة: وكانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرة الموصل.

وفي رواية[٤]: انطلق بي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف؛ خَطَّ لي خطًّا، فأتاه نفر منهم، فقال أصحابنا: كأنهم رجال الزُّط، وكأنَّ وجوههم المَكَاكيّ[٥]، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة، تعالي[٦] يا شجرة» فجاءت تجرُّ عروقها، لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله.

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ١٩/ ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣) في النسخ: النسوة، والمثبت من المصادر. وسلف الخبر ١٩/ ٢٢٢ بنحوه.

(٤) أخرج هذه الرواية والتي قبلها الفاكهي في أخبار مكة (٢٣١٩). وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٦ (١٨٥٧٨).

(٥) جمع مكُّوك: وهو مكيال.

(٦) في (م): فقال.

فرجعت كما جاءت تجرُّ بعروقها الحجارة لها قعاقع، حتى عادت كما كانت.

ثم روي أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا فرغ، وضع رأسه على حِجْر ابن مسعود، فرقد، ثم استيقظ فقال: «هل مِن وضوء؟» قال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوةٌ فيها نبيذ. فقال: «هل هو إلَّا تمر وماء» فتوضأ منه[١].

الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة الحِجْر[٢]، وما يستنجى به في سورة براءة[٣]، فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم في أصل الجنّ؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصريّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسَ ولد آدم، ومِن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمَن كان مِن هؤلاء وهؤلاء مؤمناً، فهو وليُّ الله، ومَن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، وهم يموتون[٤]؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجنِّ الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمَن زعم أنهم من الجانِّ لا من ذرِّيَّة إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومَن قال: إنهم من ذرِّيَّة إبليس، فلهم فيه قولان: أحدهما، وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني، وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار. حكاه الماوردي[٥]. وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية: ٥٦]. بيان أنهم يدخلونها[٦].

---

(١) سلف ١٦/ ٢١٢-٢١٣، وسلفت هذه القطعة ـ أيضاً ـ ١٥/ ٤٤١.

(٢) ١٢/ ١٩٩.

(٣) ١٠/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) في النسخ عدا (ظ): يؤمنون، والمثبت موافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٦) ٢٠/ ١٥٥.

الخامسة: قال البيهقيُّ[١] في روايته: وسألوه الزاد، وكانوا من جنِّ الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظم» دليلٌ على أنهم يأكلون ويَطعَمون. وقد أنكر جماعةٌ من كَفَرة الأطباءِ والفلاسفةِ الجنَّ، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصحُّ طعامهم؛ اجتراءً على الله وافتراءً عليه، والقرآن والسنة تردُّ عليهم، وليس في المخلوقات بسيط، [بل الكلُّ] مركَّبٌ مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركَّبٌ ليس بواحد كيفما تصرَّف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبيُّ ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة. وأكثر ما يَتَصوَّرون لنا في صور الحيات؛ ففي الموطأ[٢]: أن رجلاً حديثَ عهدٍ بعُرس استأذن رسولَ الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث، وفيه: فإذا حيَّةٌ عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها. وذكر الحديث. وفي الصحيح[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرِّجوا عليها ثلاثاً، فإنْ ذهب وإلَّا فاقتلوه؛ فإنه كافر». وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٤] وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة وبيانُ التحريج عليهن[٥].

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمدينة؛ لقوله في الصحيح[٦]: «إنَّ بالمدينة جنَّاً قد أسلموا». وهذا لفظ مختصٌّ بها، فيختصُّ بحكمها. قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ غيرها من البيوت مثلُها؛ لأنه لم يُعلَّل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكمُ مخصوصاً بها، وإنما عُلِّل بالإسلام، وذلك عامٌّ في غيرها، ألا ترى قولَه في الحديث مخبِراً عن الجنِّ الذين لقي: «وكانوا من جنِّ الجزيرة»؛ وهذا بيِّنٌ، يَعضُده قولُه:

---

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢: قال الشعبي. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢٩ من طريق الشعبي، وسلف في المسألة الثانية.

(٢) ٢/ ٩٧٦، وسلف الحديث ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٦): (١٤٠)، وسلف ١/ ٤٧٠.

(٤) أي الرجل الحديث العهد بعرس الذي قتلته الحية، وهو من حديث الموطأ المذكور.

(٥) ١/ ٤٦٨ فما بعد.

(٦) هو بعض الحديث السالف.

«وَنَهَى عن عوامر البيوت»[١]، وهذا عامٌّ[٢]. وقد مضى في سورة البقرة القولُ في هذا، فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ أي: في فصاحة كلامه. وقيل: عَجَباً في بلاغة مواعظه. وقيل: عجباً في عِظَم بركته[٣]. وقيل: قرآناً عزيزاً لا يوجد مثله[٤]. وقيل: يعنون عظيماً. ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى[٥]؛ و«يَهْدي» في موضع الصفة، أي: هادياً. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ أي: فاهتدينا به وصدَّقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما[٦] رُميَ الجنُّ بالشُّهب. وقيل: لا نتَّخذ مع الله إلهاً آخر، لأنه المتفرِّد بالرُّبُوبية. وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهاب مشركي قريش عمَّا أدركته الجنُّ بتدبُّرها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبيِّ ﷺ، فعلموا أنَّ ما يقرؤه كلامُ الله. ولم يذكر المستمَع إليه لدلالة الحال عليه. والنَّفَر: الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثَّقفي: «يَهْدي إلى الرَّشَد» بفتح الراء والشين[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان عَلْقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكِسائيُّ وابن عامر وخَلَفٌ وحفص والسُّلَميُّ ينصبون «أنَّ» في جميع السورة في اثني عشر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي الباب عن أبي لبابة أو زيد بن الخطاب رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢-٧٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٩-١١٠ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٦) في (د): لِمَ، وفي(م): ثم.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ .

موضعاً[(١)]، وهو: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وأَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلَّا الفتح، لأنها في موضع اسم فاعل«أُوحِيَ»، فما بعده معطوفٌ عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ»، أي: وبـ«أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا»، وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور، لكثرة حذف الجارِّ[(٢)] مع «أنَّ». وقيل: المعنى: أي: وصدَّقنا أنه جَدُّ ربِّنا.

وقرأ الباقون كلَّها بالكسر، وهو الصواب، واختاره أبو عبيد[(٣)] وأبو حاتم عطفاً على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»لأنه كله من كلام الجنِّ.

وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثةَ مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾[(٤)]، قالا: لأنه من الوحي، وكسرا مابقي، لأنه من كلام الجنِّ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكلُّهم فتحوا إلَّا نافعاً وشيبةَ وزرَّ بن حُبيش وأبا بكر والمفضَّل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير[(٥)].

ولا خلاف في فتح همزة﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وأَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر مابعد القول، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾

---

(١) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١. وعن علقمة أخرجها الفراء ٣/ ١٩١، ونسبها له وليحيى والأعمش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٦.

(٢) في النسخ: حرف الجارّ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣.

(٣) في(د) و(م): أبو عبيدة.

(٤) النشر ٢/ ٣٩١ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

و﴿قَالَ[١] إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر ماكان بعد فاء الجزاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾و﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظَمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حَفِظَ«البقرة» و«آل عمران» جَدَّ في عيوننا[٢]، أي: عَظُم وجَلَّ. فمعنى: « جدُّ رَبِّنَا» أي: عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهدٌ وقتادة. وعن مجاهد أيضاً: ذِكْرُه. وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً: غناه. ومنه قيل للحظِّ: جَدٌّ، ورجل مجدود، أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدِّ، منك الجَدّ»[٣] قال أبو عبيد[٤] والخليل: أي: ذا الغنى منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. وقال الضحاك: فِعْله. وقال القُرَظيُّ والضحَّاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٥] والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره. وقال سعيد ابن جُبير: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾أي: تعالى ربُّنا. وقيل: إنهم عَنَوا بذلك الجَدَّ الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن[٦].

وقال محمد بن عليٍّ بن الحسين وابنهُ جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجنُّ للجهالة، فلم يؤاخذوا به[٧].

وقال القشيريّ: ويجوز إطلاق لفظ الجدِّ في حقِّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لَمَا

---

(١) قرأ عاصم وحمزة «قل» بغير ألف. السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢١٥) مطولاً.

(٣) سلف ١٩/ ٤٦٣ .

(٤) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٥) مجاز القرآن٢/ ٢٧٢ .

(٦) ينظر لهذه الأقوال تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣١٥ عن محمد أبي جعفر الباقر. قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف.

ذُكِرَ في القرآن، غير أنه لفظ مُوهم، فتجنُّبه أولى.

وقرأ عِكرمة: «جِدّ» بكسر الجيم؛ على ضد الهَزْل. وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد ابنُ السَّمَيفع.

ويروى عن ابن السَّمَيفع أيضاً وأبي الأشهب: «جَدَا رَبِّنا» وهو الجَدْوى، والمنفعة.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا» بالتنوين؛ «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع بـ «تعالى»، و«جَدًّا» منصوب على التميز.

وعن عكرمة أيضاً: «جَدٌّ» بالتنوين والرفع، «رَبُّنَا» بالرفع، على تقدير: تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، فـ «جَدّ» الثاني بدلٌ من الأول، وحذف وأقيم المضافُ إليه مُقامه[١].

ومعنى الآية: وأنه تعالى جلالُ ربِّنا أن يتَّخذ صاحبةً وولداً للاستئناس بهما والحاجةِ إليهما، والربُّ يتعالى عن الأنداد والنظراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في «أَنَّهُ» للأمر أو الحديث، وفي «كان» اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون «كان» زائدة[٢].

والسفيه هنا إبليس في قول مجاهدٍ وابن جريج وقتادة. ورواه أبو بُرْدة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[٣]. وقيل: المشركون من الجنّ. قال قتادة: عصاه سفيه الجنِّ كما عصاه سفيه الإنس[٤].

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٢، وفيه القراءتان عن عكرمة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١٠ دون ذكر ابن جريج، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢١.

والشطط والاشتطاط: الغلوُّ في الكفر. وقال أبو مالك: هو الجَور. وقال الكلبيّ: هو الكذب. وأصله البعد، فيعبَّر به عن الجَور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق[1]، قال الشاعر:

بأيَّة حالٍ حكَّموا فيك فاشتطُّوا وماذاكَ إلا حيثُ يَمَّمك الوَخْطُ[2]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: حَسِبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدَّقناهم في أنَّ لله صاحبةً وولداً، حتى سمعنا القرآنَ وتبيَّنَّا به الحقّ.

وقرأ يعقوب والجحدريُّ وابن أبي إسحاق: «أَنْ لَنْ تَقَوَّل»[3].

وقيل: انقطع الإخبار عن الجنِّ هاهنا، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فَمن فَتَحَ وجعله من قول الجنّ، ردَّها إلى قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ»، ومن كسر جعلها مبتدأً من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ: أعوذ بسيِّد هذا الوادي مِن شرِّ سفهاء قومه، فَيبيت في جِواره حتى يُصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما[4]. قال مقاتل: كان أَوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[5]، فلمَّا جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم.

وقال كَرْدَم بن أبي السائب[6]: خرجت مع أبي إلى المدينة أَوَّلَ ما ذُكر النبيُّ ﷺ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٢) لم نقف عليه. والوخط: الشيب.

(٣) قراءة يعقوب في النشر٢/ ٣٩٢، وهي من العشرة، وقراءة الجحدري في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ .

(٦) الأنصاري. قال البخاري وابن السكن: له صحبة. وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: يقال: له صحبة، سكن المدينة، ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. الإصابة ٨/ ٢٧٦ .

فآوانا المبيتُ إلى راعي غنم، فلمَّا انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامرَ الوادي، جارُك. فنادى منادٍ لا نراه: ياسِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يَشْتدّ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(١) أي: زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً، أي: خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة(٢).

والرَّهَق: الإثم في كلام العرب وغِشْيانُ المحارم(٣)، ورجلٌ رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قولهُ تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وقال الأعشى(٤):

لاشيءَ ينفعُني مِن دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي عاشقٌ(٥) مالم يُصِب رَهَقَا

يعني إثماً. وأضيف الزيادة إلى الجنّ إذ كانوا سبباً لها. وقال مجاهدٌ أيضاً: «فَزَادُوهم» أي: إنَّ الإنس زادوا الجنَّ طغياناً بهذا التعوُّذ، حتى قالت الجنّ: سُدنا الإنسَ والجنَّ(٦). وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فَرَقَاً وخوفاً من الجنِّ(٧). وقال سعيد بن جُبير: كفراً(٨). ولا خفاءَ أنَّ الاستعاذة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٠ـ والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩١-١٩٢ (٤٣٠)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٤، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٢. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٩: فيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه. قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجاربه، ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٤-٣٢٥ عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٢.

(٤) ديوانه ص٤١٥.

(٥) في (م): وامق، أي: محبّ.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥ مختصراً. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦ عن الربيع وابن زيد، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١١ عن أبي العالية.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١١١.

بالجنِّ دون الاستعاذةِ بالله كفرٌ وشرك.

وقيل: لا يطلق لفظُ الرجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنِّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر من جنِّ هذا الوادي.

قال القشيريّ: وفي هذا تحكُّم، إذ لا يَبْعُدُ إطلاقُ لفظ الرجال على الجنّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا مِن قول اللهِ تعالى للإنس، أي: وأنَّ الجنَّ ظنُّوا أنْ لن يبعثَ اللهُ الخلقَ كما ظننتم. قال الكلبيّ: المعنى: ظنَّت الجنُّ كما ظنَّت الإنس أنْ لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيمُ به الحجَّةَ عليهم[١]. وكلُّ هذا توكيدٌ للحجَّة على قريش، أي: إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد، فأنتم أحقُّ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هذا من قول الجنّ، أي: طلبنا خبرَها كما جرت عادتنا، فوجدناها قد مُلِئت حَرَساً شديداً، أي: حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس «وشُهُباً» جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[٢]. وقد مضى القولُ فيه في سورة الحِجْر والصافَّات[٣].

و«وجَدَ» يجوز أن يقدَّر متعدِّياً إلى مفعولين، فالأوَّل الهاء والألف، و« مُلِئت» في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدَّى إلى مفعول واحد، ويكون «مُلئت» في

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٣) ١٢/ ١٨٦ فما بعد، ١٨/ ١٠ فما بعد.

موضع الحال على إضمار «قد»[١]. و«حَرَساً» نصب على المفعول الثاني بـ«مُلِئت»[٢]. و«شديداً» من نعت الحَرس، أي: ملئت ملائكةً شِداداً.

ووحّد الشَّديد على لفظ الحرَس، وهو كما يقال: السَّلَف الصالح، بمعنى الصالحين، وجمع السَّلَف: أسلاف، وجمع الحرس: أحراس، قال:

تـجـاوزتُ أحـراسـاً وأهـوالَ مَـعْـشَـرٍ[٣]

ويجوز أن يكون «حَرَساً» مصدراً على معنى: حُرِستْ حراسةً شديدةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ «مِنْهَا» أي: من السماء، و«مَقَاعِدَ»: مواضع يُقْعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، يعني أنَّ مَرَدة الجنِّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبارَ السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، على ما تقدَّم بيانه[٤]، فَحَرسها اللهُ تعالى حين بعث رسولَه بالشُّهب المحرِقة، فقالت الجنُّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكبَ المُحرِق[٥]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك[٦].

ويقال: لم يكن انقضاضُ الكواكب إلَّا بعد مبعث النبيِّ ﷺ، وهو آيةٌ من آياته[٧].

واختلف السَّلف: هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث، أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبيِّ ﷺ؟ فقال الكلبيُّ وقال قوم: لم تكن تُحرس السماء في الفترة بين

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٨، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ قال النحاس: والأول أولى، وبنحوه قال مكي.

(٢) والأظهر أنه تمييز كما في البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٦٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤.

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: عليَّ حِرَاصٌ لو يُشِرُّون مقتلي، وهو في ديوانه ص١٣، وسلف ١٤/ ٣٠٣.

(٤) في المسألة الثانية، وينظر ١٥/ ٦٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) ١٨/ ١٢ - ١٣.

(٧) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٤.

عيسى ومحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، خمس مئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبيِّ ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ منعوا من السماوات كلِّها، وحُرست بالملائكة والشُّهب.

قلت: ورواه عطية العوفيُّ عن ابن عباس، ذكره البيهقي[١].

وقال عبد الله بن عمر[٢]: لمَّا كان اليومُ الذي نُبِّئ رسولُ الله ﷺ، مُنعت الشياطين ورُمُوا بالشُّهب. وقال عبد الملك بن سابور[٣]: لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمدٌ ﷺ حُرست السماء، ورُميت الشياطين بالشُّهب، ومُنعت من الدُّنوّ من السماء. وقال نافع ابن جُبير: كانت الشياطين في الفترة تَسمع فلا تُرمَى، فلما بعث رسولُ الله ﷺ رُميت بالشُّهب. ونحوهُ عن أُبيِّ بن كعب قال: لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها[٤].

وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسولِ الله ﷺ إنذاراً بحاله[٥]؛ وهو معنى قولِهِ تعالى: ﴿مُلِئَتۡ﴾ أي: زيد في حَرَسها؛ وقال أَوْس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعُهُ نَقْعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُباً

وهذا قول الأكثرين[٦]. وقد أنكر الجاحظُ هذا البيتَ وقال: كلُّ شعر رُوي فيه فهو مصنوع[٧]، وأنَّ الرمي لم يكن قبل المبعث.

---

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢.

(٢) في(ظ): عبد الله بن المبارك، والأثر أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٧٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) أخرجه الواقدي وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) المصدر السابق. والبيت في ديوان أوس ص٣. الطُّنب: حبل الخِباء. الصحاح (طنب).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

والقولُ بالرمي أصحّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبارٌ عن الجنّ، أنه زِيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولِمَا رُوي عن ابن عباس قال: بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في نفر من أصحابه إذ رُمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنها لا تُرْمَى لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً في السماء؛ سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهل كلِّ سماء، حتى ينتهيَ التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبرُ أهلُ السماء حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كلِّ سماءٍ حتى ينتهيَ الخبرُ إلى هذه السماء، فتتخَطَّف الجنُّ، فيُرْمَون، فما جاؤوا به فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه»[(١)]. وهذا يدلُّ على أنَّ الرجم كان قبل المبعث.

وَرَوى الزُّهريُّ نحوَه عن عليِّ بن الحسين بن[(٢)] عليِّ بن أبي طالب، عن ابن عباس، وفي آخره: قيل للزهريِّ: أكان يُرمَى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيتَ قولَه سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبيُّ ﷺ[(٣)]. ونحوَه قال القُتبي. قال ابن قتيبة: كان، ولكن اشتدَّت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبلُ يسترِقُون ويُرمَون في بعض الأحوال، فلما بُعث محمدٌ ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً[(٤)].

وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الصافات عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[(٥)] [الآية: ٨-٩] قال الحافظ : فلو قال قائل: كيف تتعرَّض الجنُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩) من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (د) و(م): عن، وهو خطأ.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧، وهذه الرواية عند أحمد (١٨٨٢) في أثناء الحديث.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٣٣.

(٥) ١٨/ ١٢ - ١٣.

لإحراقِ نفسِها بسبب استماعِ خبر، بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظُمَ المِحْنة، كما ينسَى إبليس في كلِّ وقتٍ أنه لا يسلم، وأنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لَمَا تحقَّقَ التكليف.

والرَّصَد؛ قيل: من الملائكة، أي: ورَصَداً من الملائكة. والرَّصَدُ: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضعِ يجوز أن يكون جمعاً كالحرس، والواحد: راصد. وقيل: الرَّصَد هو الشِّهاب، أي: شهاباً قد أُرصد له، ليُرجَمَ به؛ فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالخَبَط والنَّفَض[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بهذا[٢] الحرسِ الذي حُرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيراً.

قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن يُنزل على أهل الأرض عذاباً أو يُرسل إليهم رسولاً؟[٣]

وقيل: هو من قول الجنِّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءةَ النبيِّ ﷺ. أي: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأرض بإرسال محمدٍ إليهم، فإنهم يكذِّبونه ويَهلكون بتكذيبه كما هلك مَن كذَّب مِن الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا. فالشرُّ والرَّشَد على هذا الكفرُ والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علمٌ بمبعث النبيِّ ﷺ، ولمَّا سمعوا قراءته علموا أنهم مُنعوا من السماء حراسةً للوحي.

وقيل: لا؛ بل هذا قولٌ قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لمَّا آمنوا أشفقوا ألَّا يؤمنَ كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهلُ الأرض بما آمنَّا به أم يؤمنون؟

---

(١) الخَبَط: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط، ونحوه النَّفَض.

(٢) في (د) و(م): هذا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ هذا من قول الجنِّ، قال بعضهم لبعض لمَّا دَعَوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وإنَّا كنَّا قبل استماع القرآنِ منَّا الصالحون ومنَّا الكافرون.

وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه مِن حَمْله على الإيمان والشرك[1].

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فِرَقاً شتَّى؛ قاله السُّدِّيّ. الضَّحاك: أدياناً مختلفة[2]. قتادة: أهواءً متباينة[3]؛ ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي لطاعتهِ في فتنة الناسِ إذ أهواؤهمْ قِدَدُ[4]

والمعنى: أي: لم يكن كلُّ الجنِّ كفاراً، بل كانوا مختلفين؛ منهم كفَّار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيَّب[5]: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجنّ مِثْلُكم: قَدَريَّة، ومُرْجِئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُنِّية[6]. وقال قوم: أي: وإنَّا بعد استماع القرآن مختلفون: منَّا المؤمنون ومنَّا الكافرون. أي: ومنَّا الصالحون، ومنَّا مؤمنون لم يتناهَوا في الصلاح. والأوَّل أحسن؛ لأنه كان في الجنّ مَن آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر اللهُ عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ . .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٠ .

(٤) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣، والكلام في النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٥) في فتح القدير٥/ ٣٠٦ : سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٠ عن الحسن والسدي.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وهذا يدلُّ على إيمان قومٍ منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغةً منهم في دعاء مَن دَعَوهم إلى الإيمان. وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنَّا فِرَقاً مختلفة. ويقال: القوم طرائق، أي: على مذاهبَ شتّى. والقِدَد: نحوٌ من الطرائق، وهو توكيدٌ لها، واحدها: قِدَّة. يقال: لكل طريق قِدَّة، وأصلها مِن قَدِّ السُّيور، وهو قَطْعُها؛ قال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد[1]:

لم تَبْلُغ العينُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ

وقال آخر:

ولقد قلتُ وزَيدٌ حاسرٌ يومَ وَلَّتْ خَيلُ عَمْرٍو قِدَدا[2]

والقِدّ ـ بالكسر ـ سَيْر يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ماله قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقِدُّ: إناء من جلد، والقِحف: من خشب[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلمِ واليقين، وهو خلاف الظنِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ أي: عَلِمْنا بالاستدلال والتفكُّر في آيات الله أَنَّا في قبضته وسلطانه، لن نفوتَه بهرب ولا غيرِه. و﴿هَرَبًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال[4]، أي: هاربين.

(١) في النسخ: زيداً، والتصويب من المصادر، والبيت في ديوان لبيد ص٥٠ .

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٠٦ للبيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ فقال: وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله... قال ابن عباس: أما سمعت الشاعر وهو يقول... ثم ذكره .

(٣) الصحاح (قدد).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٩ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبالله، وصدَّقنا محمداً ﷺ على رسالته. وكان ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجنّ. قال الحسن: بعث اللهُ محمداً ﷺ إلى الإنس والجنِّ، ولم يبعث الله تعالى قطُّ رسولاً من الجنِّ، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩][(١)] وقد تقدَّم هذا المعنى[(٢)]. وفي الصحيح[(٣)]: «وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود» أي: الإنس والجنّ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف أن يُنْقص من حسناته ولا أن يزادَ في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرَّهَق العدوان[(٤)] وغشيان المحارم، قال الأعشى[(٥)]:

لا شيء ينفعني من دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي وامِقٌ مالم يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحبّ؛ وقد وَمِقَه يمِقُه ـ بالكسر ـ أي: أحبَّه، فهو وامق[(٦)].

وهذا قولٌ حكاه الله تعالى عن الجِنِّ؛ لقُوَّة إيمانهم وصِحَّةِ إسلامهم[(٧)].

وقراءة العامة: «فَلَا يَخَافُ» رفعاً، على تقدير: فإنه لا يخاف. وقرأ الأعمش

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٢) ١١/ ٤٦٩-٤٧٠

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١). وسلف ٤/ ٢٥٨ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤ . وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢ .

(٥) ديوانه ص٤١٥ ، وسلف ص٢٨٤ من هذا الجزء.

(٦) الصحاح (ومق).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٤ .

ويحيى وإبراهيم: «فَلَا يَخَفْ» جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: وأنّا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنّا مَن أسلم ومنّا مَن كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادلٌ عن الحقّ، والمُقْسِط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر[٢]:

قـومٌ هـمُ قـتـلـوا ابـنَ هـنـدٍ عَـنـوةً عَـمْـراً وهـمْ قَـسَـطُوا عـلـى الـنُّـعْـمـانِ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحقِّ وتوخَّوه[٣]. ومنه تحرِّي القِبلة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحقِّ والإيمان ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وَقوداً. وقوله: ﴿فَكَانُوا۟﴾ أي: في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا مِن قول الله تعالى. أي: لو آمن هؤلاء الكفار، لوسَّعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمولٌ على الوحي، أي: أُوحي إليَّ: أنْ لو استقاموا.

ذكر ابن بحر: كلُّ ما في السورة مِن «إنَّ» المكسورة المثقَّلة فهي حكايةٌ لقول الجِنِّ الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكلُّ ما فيها مِن «أنْ» المفتوحة المخففة[٤] فهي وحيٌ إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) نسب القراءة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ للأعمش ويحيي بن وثاب، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ ليحيى بن وثاب.

(٢) هو الفرزدق، والبيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥ ، والمحرر ٥/ ٣٨٢ ، والأغاني ١١/ ٥٤ ، والخزانة ٦/ ٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٤) بعدها في النكت والعيون ٦/ ١١٦ـ والكلام منه ـ: أو المثقلة . اهـ. وفي هذا الكلام خلاف، وينظر ما سلف ص٢٧٩-٢٨٠ من هذا الجزء.

وقال ابن الأنباريّ[(١)]: ومَن كسر الحروف وفتح «وأنْ لو استقاموا» أضمر يميناً تامّاً[(٢)]، تأويلها: واللهِ أنْ لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أنْ [لو] قمتَ لقمتُ، ووالله لو قمتَ قمتُ؛ قال الشاعر:

أمَا واللهِ أنْ لو كُنتَ حُرًّا ... وما بالحُرِّ أنتَ ولا العتِيقِ[(٣)]

ومَن فتح ما قبل المخفَّفة نسَقها ـ أعني الخفيفة ـ على: «أوحيَ إليَّ أنَّه»، «وأنْ لو استقاموا»، أو على[(٤)]: «آمنَّا به» وبأن لو استقاموا. ويجوز لمن كسر الحروف كلَّها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخفَّفةَ على: «أُوحيَ إليَّ» أو على: «آمنَّا به»، ويستغني عن إضمار اليمين.

وقراءة العامة بكسر الواوِ مِن «لو»؛ لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثَّاب والأعمش بضمِّ الواو[(٥)].

﴿مَآءً غَدَقًا﴾ أي: واسعاً كثيراً، وكانوا قد حُبِس عنهم المطرُ سبعَ سنين[(٦)]؛ يقال: غَدِقت العينُ تَغدَق فهي غَدِقة: إذا كَثُر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلُّهم، أي: «لو استقاموا على الطَّريقة» طريقةِ الحقِّ والإيمان والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين، «لأسقيناهُمْ ماءً غَدَقاً» أي كثيراً: «لِنَفتِنَهُمْ فيه» أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النِّعَم.

وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماءُ كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[(٧)]. فمعنى «لأَسقيناهُمْ»: لوسَّعنا عليهم في الدنيا؛ وضَرَب الماءَ الغَدَقَ الكثيرَ

(١) في الوقف والابتداء ٢/ ٩٥١-٩٥٢ . وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٢) قوله: تامًّا، ليس في الوقف والابتداء.
(٣) سلف ١١/ ٣٣٦ .
(٤) في النسخ الخطية والمصدر: وعلى، والمثبت من (م).
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .
(٦) قاله مقاتل كما في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .
(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٧ .

لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأُقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦][١] أي: بالمطر. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رَبَاح والضحَّاك وقتادة ومقاتل وعطية وعُبيد بنُ عمير والحسن: كان - واللهُ - أصحابُ النبيِّ ﷺ سامعين مطيعين، ففُتحت عليهم كنوزُ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيِّ ففُتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بنَ عفَّان[٢].

وقال الكلبيُّ وغيره: «وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة» التي هم عليها من الكفر فكانوا كلُّهم كفاراً، لوَّسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يَفتتنوا بها، فنعذِّبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قولٌ قاله الربيع بنُ أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبيُّ والثُّماليُّ وَيَمَان بنُ رِئاب وابن كيسان وأبو مِجْلَز؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والأوَّل أشبه؛ لأنَّ الطريقة معرَّفةٌ بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقةَ الهدى[٤]؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلَّا مع الهدى. وفي صحيح مسلم[٥] عن

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٢) ذكره عن الحسن وسعيد بن المسيب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) قول الربيع وزيد والكلبي وابن كيسان في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤، وعن أبي مجلز أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦.

(٥) برقم (١٠٥٢): (١٢٢)، وسلف ١٣/ ٢٠٨.

أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زَهْرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض..» وذَكَر الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على مَن قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكم كما أهلكتهم»(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد. وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القَبول؛ إن قيل: إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل؛ إن قيل: إنها في المؤمنين(٢). وقيل: «ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْر ربِّه» أي: لم يشكر نعمه.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيُّون وعبّاسٌ(٣) عن أبي عمرو: «يَسْلُكْهُ» بالياء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لِذِكر اسمِ اللهِ أوّلاً فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾. الباقون: «نَسْلُكْهُ» بالنون(٤). وروي عن مسلم بن جُندب ضمُّ النون وكسرُ اللام(٥). وكذلك قرأ طلحة والأعرج، وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنىً؛ أي: ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقّاً شديداً. قال ابن عباس: هو جبل في جهنم(٦). الخدريّ(٧): كلَّما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس: أنَّ المعنى: مشقَّة من العذاب(٨). وذلك معلوم في اللغة أنَّ الصَّعَد: المشقة، تقول: تَصعَّدتني الأمر: إذا شقَّ عليك؛ ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدتني خُطبة النكاح، أي: ما شقَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٣٤)، والبخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ. وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٢) النكت والعيون ٦/١١٨ .

(٣) في (د) و(ظ) و(م): عياش. ولم نقف على هذه الرواية.

(٤) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ٢١٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/٥١ وهي قراءة شاذة .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/٣٣٩ .

(٧) قوله: الخدري، ليس في (ظ).

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/٣٣٩ .

عليّ[١]. وعذاب صَعَد، أي شديد. والصَّعَد: مصدر صَعِد؛ يقال: صَعِدَ صَعَداً وصُعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب، أي: يعلوه ويغلبه، فلا يطيقه[٢]. وقال أبو عبيدة[٣]: الصَّعَد مصدر، أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشي في الصَّعود يشقّ. والصَّعود: العقبة الكؤود[٤]. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودَها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم[٥].

وقال الكلبيّ: يكلَّف الوليد بنُ المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغُ إلّا[٦] في أربعين سنة. فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها، ثم يكلَّف أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً، وهو قولهُ تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ «أنَّ» بالفتح، قيل: هو مردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل أُوحي إليَّ أنَّ المساجد لله. وقال الخليل: أي: ولأنَّ المساجد لله[٧]. والمراد البيوت التي تبنيها أهلُ المِللِ للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجِنّ: كيف لنا أن نأتيَ المساجدَ ونشهدَ معك الصلاةَ ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[٨] أي: بُنيت لِذِكر الله وطاعته.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١، والكشاف ٤/ ١٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، ووقع في (ز) و(ظ): أبو عبيد.

(٤) الصحاح (صعد).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ دون نسبة.

(٦) لفظة: إلا، من (ظ). وهذا القول ذكره الفراء مختصراً دون نسبة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤١.

وقال الحسن: أراد بها كلَّ البقاع؛ لأن الأرض كلَّها مسجد للنبيِّ ﷺ[١]، يقول: أينما كنتم فصلُّوا، فأينما صلَّيتم فهو مسجد[٢] وفي الصحيح[٣]: «وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً».

وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق بنُ حبيب: أراد بالمساجد الأعضاءَ التي يَسجد عليها العبد[٤] وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجدْ لغيره بها، فتجحدَ نعمةَ الله. قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد عليها لا تذلِّلها لغير خالقِها.

وفي الصحيح[٥] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظُم: الجبهةِ ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». وقال العباس: قال النبيُّ ﷺ « إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب»[٦].

وقيل: المساجد: هي الصلوات، أي: لأن السجود لله. قاله الحسن أيضاً[٧].

فإن جعلت المساجدَ المواضع، فواحدُها مَسجِد، بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفرَّاء. وإن جعلتها الأعضاء، فواحدها مَسجَد، بفتح الجيم[٨].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٤ .

(٢) أخرج أحمد (٢١٣٣٣)، والبخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً ضمن حديث: «أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فهو مسجد».

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٥٢١)، وسلف ٢/ ٢٨٣ .

(٤) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ لسعيد بن جبير، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ للربيع، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن عطاء.

(٥) صحيح البخاري (٨١٢)، وصحيح مسلم (٤٩٠): (٢٣٠). وسلف ٢/ ٢٨ .

(٦) أخرجه أحمد (١٧٦٤) ، ومسلم (٤٩١) قوله: آراب، أي: أعضاء، واحدها إرْبٌ، بالكسر والسكون، والمراد بها الأعضاء السبعة المذكورة قبل .

(٧) ذكر قوله أبو الليث في تفسيره٣/ ٤١٣ ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ لابن شجرة.

(٨) تفسير البغوي٤/ ٤٠٤ ، وكلام الفراء في الصحاح(سجد).

وقيل: هو جمع مَسجَد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومَسجَداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضرَباً، بالفتح: إذا سرتَ في ابتغاء الرِّزق[١].

وقال ابن عباس: المساجد هنا مكةُ التي هي القِبلة، وسمِّيت مكة المساجد، لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجد إليها.

والقول الأوَّل أظهر هذه الأقوالِ إن شاء الله، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رحمه الله[٢].

الثانية: قوله تعالى: «لِلَّهِ» إضافةُ تشريفٍ وتكريم، ثم خصَّ بالذِّكر منها البيت العتيق، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:٢٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُعمَل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[٣] الحديث خرَّجه الأئمة. وقد مضى الكلامُ فيه. وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام».

قال ابن العربي: وقد روي من طريق لابأس بها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام، فإنَّ صلاة فيه خيرٌ من مئة صلاة في مسجدي هذا» ولوصحَّ هذا لكان نَصًّا[٤].

قلت: هو صحيحٌ بنقل العدل عن العدل حَسب ما بيَّنَّاه في سورة إبراهيم[٥].

الثالثة: المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً، فإنها قد تُنسب إلى غيره تعريفاً، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيل التي أُضمرت

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٩ .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ . وسلف ٧/ ٧٢ بلفظ: لاتشد الرحال...

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد(١٦١١٧)، وسلف ١٢/ ١٥١ .

(٥) ١٢/ ١٥١ .

من الحفياء، وأمدُها ثَنِيَّةُ الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّر من الثنيَّة إلى مسجد بني زُريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلِّية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، و لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر و إن اختلفوا في تحبيس غير ذلك(١).

الرابعة: مع أنَّ المساجد لله لا يُذكر فيها إلَّا الله، فإنه تجوز القِسمةُ فيها للأموال. ويجوز وضع الصَّدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، وكلُّ مَنْ جاء أكل. ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنومُ فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عَرِيَ عن الباطل(٢). وقد مضى هذا كلُّه مبيَّناً في سورة براءة والنور وغيرِهما(٣).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخٌ للمشركين في دعائهم مع الله غيرَه في المسجد الحرام(٤). وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوةَ إذا دخلوا المساجد كلَّها(٥). يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيرَه مما يُعبد.

وقيل: المعنى: أَفرِدوا المساجدَ لذكر الله، ولا تتَّخذوها هُزُواً وَمتْجَراً ومجلساً، ولا طرقاً، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً(٦). وفي الصحيح(٧): «مَن نَشَد ضالَّةً في

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم(١٨٧٠)، وسلف ١١/ ٢٨٢

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٣) ١٠/ ١٥٢ فما بعد، ١٥/ ٢٧٠ فما بعد.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٥) أخرج هذا القول عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٣ عن قتادة. ونسبه له أيضاً أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ بنحوه.

(٧) صحيح مسلم (٥٦٨)، وسلف ١٥/ ٢٨١ .

المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا».

وقد مضى في سورة النور ما فيه كفايةٌ من أحكام المساجد، والحمدُ لله.

السادسة: روى الضحَّاك عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دخل المسجد قدَّم رِجلَه اليمنى، وقال: «وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع الله أَحَداً» اللهمَّ أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حقّ، وأنت خيرُ مزور، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار» فإذا خرج من المسجد قدَّم رجله اليسرى، وقال: « اللهم صُبَّ عليَّ الخيرَ صبًّا، ولا تَنزِع عني صالحَ ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كَدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا»[1] أي: غنىً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوز الفتح، أي: أُوحى اللهُ أنه.

ويجوز الكسر على الاستئناف. و«عبد الله» هنا محمدٌ ﷺ حين كان يصلِّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدَّم أَوَّلَ السورة﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده. وقال ابن جُريج: « يَدْعُوهُ» أي: قام إليهم داعياً لهم إلى الله تعالى[2].

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوَّام: هم الجنُّ حين استمعوا القرآن من النبيِّ ﷺ[3]. أي: كاد يركب بعضُهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه حرصاً، قاله الضحَّاك[4]. ابن عباس: رغبةً في سماع الذِّكر. وروى بُردْ عن مكحول[5]: أنَّ الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ بنحوه .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ : روى مكحول عن ابن مسعود، ثم ذكر الخبر.

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ هذا من قول الجنِّ، لمَّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبيِّ ﷺ وائتمامِهم به في الركوع والسجود[(١)].

وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرَدًا[(٢)] على النبيِّ ﷺ. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني «لمَّا قام عبد الله» محمدٌ بالدعوة، تَلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأَبَى اللهُ إلَّا أن ينصره ويُتمَّ نوره.

واختار الطبريُّ[(٣)] أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبيِّ ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النورِ الذي جاء به. وقال مجاهد[(٤)]: قوله: «لِبَداً»: جماعات، وهو مِن: تَلَبَّد الشيءُ على الشيء، أي: تجمَّع، ومنه اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه. وكلُّ شيءٍ ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته[(٥)]، وجمع اللِّبدة: لِبَد، مثل: قِرْبة وقِرَب. ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد[(٦)]، قال زهير:

لـدى أَسَـدٍ شـاكـي الـسِّـلاحِ مُـقَـذَّفٍ ... لـه لِـبَـدٌ أَظـفـارُه لـم تُـقَـلَّـمِ[(٧)]

ويقال للجراد الكثير: لِبَد.

وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامَّة. وضمُّ اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهدٍ وابنِ مُحَيْصن وهشام عن أهل الشام[(٨)]، واحدتها لُبْدة. وبضمِّ اللام والباء، وهي قراءة أبي حَيْوة ومحمد بنِ السَّمَيْفَع وأبي الأشهب

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٢٣/ ٣٤٤ .

(٢) الحَرَد: الغضب. الصحاح(حرد).

(٣) في تفسيره ٢٣/ ٣٤٥ ، وفيه قول الحسن وقتادة وابن زيد.

(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧ .

(٦) الصحاح(لبد) بنحوه.

(٧) شرح ديوان زهير ص٢٣ . شاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. المقذف: الغليظ اللحم.

(٨) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ص٢١٥ ، وعن مجاهد وابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٣ .

العُقَيلي والجَحْدري[١]. واحدها لَبْد، مثل: سَقْف وسُقُفٍ، ورَهْن ورُهُن. وبضَّم اللام وشدِّ الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجَحْدريِّ أيضاً[٢]. واحدها لابِد، مثل: راكع ورُكَّع، وساجِد وسُجَّد.

وقيل: اللُّبَد، بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم، ومنه قيل لنَسر لقمان: لُبَد، لدوامه وبقائه، قال النابغة:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ[٣]

القشيريّ: وقُرِئ: «لُبُداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيد، وهو الجُوالِق[٤] الصغير.

وفي الصحاح: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦] أي: جمًّا. ويقال أيضاً: الناس لُبَد، أي: مجتمعون، واللُّبَد أيضاً: الذي لايسافر ولايبرح [منزله] قال الشاعر[٥]:

مِن امرئٍ ذي سَماحٍ لا تزال له بَزْلاءُ يعيا بها الجَثَّامة اللُّبَدُ

ويروى: اللَّبِد. قال أبو عُبيد: وهو أشبه[٦].

ولُبَد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وَفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا، خُيِّر لقمان

---

(١) قراءة الجحدري في المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٢) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٤ للحسن والجحدري، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ للجحدري.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، وسلف ٢٠/ ١٠٤ ، وسيأتي قريباً بتمامه.

(٤) الجوالق: الوعاء. الصحاح (جلق).

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص٦٠ برواية: مِن أمرٍ ذي بدوات...

(٦) الصحاح (لبد)، وماسلف بين حاصرتين منه. ووقع بعدها في (م): والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام، قال الشاعر:

إني إذا شَغَلتْ قوماً فروجُهمُ رحبُ المسالك نهَّاضٌ ببزلاءِ

بين بقاء سبع بعرات[١] سُمْر، مِن أَظْبٍ عفر، في جبل وعَرْ، لا يَمسُّها القَطْر، أو بقاءِ سبعة أنسر، كلَّما هلك نَسر، خلف بعده نَسر، فاختار النُّسور، وكان آخر نُسوره يُسمَّى لُبَداً، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحت خَلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

واللِّبِيد: الجُوَالق الصغير، يقال: ألبدت القِرْبة، جعلتها في لَبِيد. ولبِيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي قال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القرَاء: «قَالَ»؛ على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم: «قُلْ»؛ على الأمر[٢].

وسبب نزولها أنَّ كفار قريش قالوا له: إنكَ جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلَّهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لاأقدر أن أدفع عنكم ضَرًّا ولا أسوق لكم خيراً[٤].

وقيل: « لا أملِك لكم ضَرًّا» أي: كفراً، «ولا رَشَداً» أي: هدًى، أي: إنما عليَّ التبليغ. وقيل: الضَّرّ: العذاب، والرَّشَد: النعيم. وهو الأوَّل بعينه. وقيل: الضَّرّ: الموت، والرَّشَد: الحياة[٥].

---

(١) في النسخ الخطبة: بقرات، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الصحاح (لبد)، والكلام منه. قال شارح القاموس (لبد): هكذا في نسختنا بالعين، ويوجد في بعض نسخ الصحاح: بقرات، بالقاف. . قال شيخنا: والذي في نسخ القاموس هو الأشبه ، إذ لاتتولد البقر من الظباء، ولا تكون منها.

(٢) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسيرص٢١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٥ عن مقاتل.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٠-١٢١ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لايدفع عذابه عني أحدٌ إن استحققتُه[(١)]، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، حتى أتى الحَجُون فخطَّ عليَّ خطًّا، ثم تقدَّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيِّدٌ لهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك، فقال: «إِنِّي لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي[(٢)]، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني ممَّا قدَّره اللهُ تعالى عليَّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾أي: ملجأً ألجأ إليه، قاله قتادة[(٣)]. وعنه: نصيراً ومولىً. السُّدِّيّ: حِرزاً. الكلبي: مَدْخلاً في الأرض مثل السَّرَب[(٤)]. وقيل: وليًّا ولا مولىً. وقيل: مذهباً ولا مسلكاً. حكاه ابن شجرة[(٥)]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يالَهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مجدِيَةٍ ... عنِّي وما مِن قضاء اللهِ مُلْتَحدُ[(٦)]

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ فإنَّ فيه الأمان والنَّجاة، قاله الحسن. وقال قتادة:

---

(١) في(د)و(ز) و(م): استحفظته، والمثبت من(ظ).

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٢١. قوله: أزجلهم، أي: أدفعهم. القاموس(زجل).

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٣٤٩ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢١ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢١ دون نسبة، وهو في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ منسوباً لخصيب الضمري.

«إِلَّا بَلاَغاً مِنَ اللهِ» فذلك الذي أملكه بتوفيق الله[١]، فأما الكفرُ والإيمان فلا أملكهما. فعلى هذا يكون مردوداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك لكم إلَّا أن أُبلِّغَكم.

وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلَّا[٢] أن أبلغكم، أي: لكنْ أبلِّغُكم ما أُرسلتُ به، قاله الفرَّاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: هو منصوب على البدل من قوله: «مُلْتَحَداً»، أي: «ولن أجدَ مِن دونه مُلْتَحداً» إلَّا أن أُبلِّغَ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو: إلَّا أن أبلغ عن الله وأعملَ برسالته، فآخذ نفسي بما آمرُ به غيري.

وقيل: هو مصدر، و«لا» بمعنى لم، و«إنْ» للشرط. والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً[٥] إنْ لم أبلِّغ رسالاتِ ربِّي بلاغاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد والعبادة. ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كُسِرت «إنَّ» لأن ما بعد فاء الجزاء موضعُ ابتداء، وقد تقدَّم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ﴾ نصب على الحال، وجَمَعَ «خَالِدِينَ»؛ لأنَّ المعنى: لكلِّ مَن فعل ذلك، فوحَّد أوَّلاً للفظ «مَن»، ثم جَمَعَ للمعنى[٦].

وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليلٌ على أنَّ العصيان هنا هو الشِّرك[٧]. وقيل: هو المعاصي غيرَ الشرك، ويكون معنى «خالدين فيها أبداً» إلَّا أن أعفوَ أو تلحَقهم شفاعة، ولا محالة

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٢) في (ظ) و(م): أي إلا.

(٣) معاني القرآن له ٣/ ٢٥ بنحوه، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

(٥) بعدها في(د) و(ز) و(م): أي. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٧٢ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ بنحوه.

إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبيَّناً في سورة النساءِ وغيرها[١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ «حَتَّى» هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون[٢] من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر[٣] ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا﴾ أهم أم المؤمنون. ﴿وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ معطوف.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي: لا أدري، فـ «إنْ» بمعنى «ما» أو «لا»؛ أي: لا يَعرف وقتَ نزول العذاب ووقتَ قيام الساعة إلّا الله؛ فهو غيبٌ لا أعلم منه إلّا ما يعرِّفنيه الله. و«ما» في قوله: «ما يوعدون» يجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، ويقدَّر حرفُ[٤] العائد.

﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وأجلاً. وقرأ العامَّة بإسكان الياء مِن «ربِّي» وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو بالفتح[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ «عالِمُ» رفعاً؛ نعتاً لقوله: «رَبِّي». وقيل: أي: هو «عالِمُ الغيب»[٦]. والغيب: ما غاب عن العباد. وقد تقدَّم بيانُه في أوَّل سورة البقرة[٧].

---

(١) ٧/ ٣٩ فما بعد.

(٢) في (ظ): وما يوعدون.

(٣) الكشاف ٤/ ١٧٢.

(٤) في النسخ الخطية: حذف. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥-٧٦٦.

(٥) السبعة ص٦٥٧، والتيسير ص٢١٥، والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير المكي.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٧) ١/ ٢٥١-٢٥٢.

﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ فإنه يُظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأنَّ الرسل مؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبارُ عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال ابن جبيرُ: «إلَّا مَن ارتضى مِن رسول»: هو جبريل عليه السلام(١). وفيه بُعد، والأَوْلَى أن يكون المعنى: أي: لا يُظهر على غيبه إلَّا مَن ارتضى، أي: اصطفى للنبوَّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوَّته(٢).

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لمَّا تمدَّح سبحانه بعلم الغيبِ واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم. وليس المنجِّم ومَن ضاهاه - ممن يضرِب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير- ممَّن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافرٌ بالله مفترٍ عليه؛ بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شِعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألفُ إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملِك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمَّهم حكمُ الغَرَق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجِّم قبَّحه الله: إنما أغرقهم الطالعُ الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أنَّ هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلِّها - على اختلافها - عند ولادة كلِّ واحدٍ منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوصُ به، فلا فائدة إذاً(٣) في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندةُ القرآن العظيم. وفيه استحلالُ دمه على هذا التنجيم. ولقد أحسن الشاعرُ حيث قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) في (د) و(م): أبداً.

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولدي يقضي عليَّ بميتةِ الغَرَقِ
قل للْمُنجِّم صُبْحَةَ الطُّوفانِ هل وُلد الجميعُ بكوكب الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ لمَّا أراد لقاءَ الخوارج: أتلقاهم والقمرُ في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرُهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمةِ التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردِّ على مَن يقول بالتنجيم، والإفحامِ لكل جاهلٍ يحقِّق أحكامَ النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له عليٌّ ﷺ: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة؛ أصابك وأصاب أصحابَك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي آمُرُك بها؛ ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال عليٌّ ﷺ: ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم، ولا لنا من بعده ـ في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل ـ فمَن صدَّقك في هذا القول، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[١]. ثم قال للمتكلِّم: نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس، إياكم وتعلُّمَ النجوم، إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر؛ إنما المنجِّم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لَأُخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار[٢] في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القومَ فقتلهم، وهي وقعة النَّهْرَوَان الثابتةُ في الصحيح لمسلم[٣]. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا، لقال

(١) قوله: ولا إله غيرك، من (ظ) ومصدر التخريج.

(٢) في (د) و(ز) و(م): سافر.

(٣) برقم (١٠٦٤): (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، و(١٠٦٦): (١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجهني ﷺ. وهو عند أحمد (٧٠٦).

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجِّم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم، ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائرَ البلدان. ثم قال: يا أيها الناس! توكَّلوا على الله وثِقوا به، فإنه يكفي ممَّن سواه[١].

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ يعني ملائكة يحفظونه عن أن يَقْرُبَ منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة. قال الضحَّاك: ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك، فإذا جاءه شيطان في صورة المَلَك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه المَلَك، قالوا: هذا رسول ربِّك[٢].

وقال ابن عباس وابن زيد: «رَصَداً» أي: حَفَظة يحفظون النبيَّ ﷺ من أمامه وورائه من الجنِّ والشياطين[٣]. قال قتادة وسعيد بن المسيِّب: هم أربعةٌ من الملائكة حفظة[٤].

وقال الفراء[٥]: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة، نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجنُّ الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول.

وقال السُّدِّي: «رَصَداً» أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان[٦].

و«رَصَداً» نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر[٧] والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد.

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٥٦٤ ـ بغية الباحث).

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٣ مختصراً، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤ .

(٤) قول قتادة في النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠ .

(٧) قوله: والمذكر، من (د) و(م).

والراصد للشيء: الراقب[١] له؛ يقال: رَصَده يَرْصُده رَصْداً ورَصَداً. والتَّرصُّد: التَّرقُّب، والمَرْصَد: موضع الرصد.

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمدٌ أنَّ الرسل قبله قد بلَّغوا الرسالة كما بلَّغ هو الرسالة[٢]. وفيه حذفٌ يتعلَّق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي، ليعلم أنَّ الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقِّ والصدق.

وقيل: ليعلم محمدٌ أن قد أبلغ جبريل ومَن معه إليه رسالةَ ربِّه؛ قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلَّا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام[٣].

وقيل: ليعلم الرسل أنَّ الملائكة بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلم الرسول ـ أيّ رسول كان ـ أنَّ الرسل سواه بلَّغوا.

وقيل: أي: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطه واستراقِ أصحابه.

وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسل قد بلَّغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلِّغين باستراق السمع عليهم[٤].

وقال مجاهد: ليعلم من كذَّب الرسل أنَّ المرسلين قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم[٥].

وقراءة الجماعة: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء، وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد

---

(١) في الصحاح (رصد): المراقب.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤-٣٥٥ عن قتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥ .

وحُميد ويعقوب بضمِّ الياء[١]، أي: ليُعْلَم الناس أنَّ الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجَّاج[٢]: أي: ليَعلم اللهُ أنَّ رسله قد أبلغوا رسالاته، بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [التوبة:١٦]. المعنى: ليعلم اللهُ ذلك علمَ مشاهدةٍ كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمُه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أنَّ ربَّهم قد أحاط علمُه بما لديهم، فيبلِّغوا رسالاتِه[٣].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كلِّ شيءٍ، وعرفَه وعلمَه، فلم يخفَ عليه منه شيء. و«عَدَداً» نصب على الحال، أي: أحصى كلَّ شيءٍ في حال العدد، وإن شئتَ على المصدر، أي: أحصى[٤] وعدَّ كلَّ شيءٍ عدداً، فيكون مصدرَ الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط؛ العالم الحافظ لكل شيء وقد بيَّنَّا جميعَه في «الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى»[٥]. والحمد لله وحدَه.

---

(١) قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٣٩٢ . وذكرها عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ .

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٨ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٦ .

(٤) بعدها في (ظ): كل شيء.

(٥) ص٢٥٥ ، ٢٦٧ .

سورة المُزَّمِّل

مَكِّيَّةٌ كلُّها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي تليها، ذكره الماورديُّ[1]. وقال الثعلبيُّ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة، فإنه نزل بالمدينة[2]، وهي عشرون آية[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قال الأخفش سعيد: «الْمُزَّمِّلُ» أصله: المتزمِّل، فأدغمت التاء في الزاي، وكذلك «المدَّثر»[4]. وقرأ أُبيٌّ بن كعب على الأصل: «الْمُتَزَمِّل» و«المتدثِّر»[5]، وسعيد: «الْمُزَمِّلُ»[6].

وفي أصل: «المزَّمِّل» قولان: أحدهما أنه المتحمِّل، يقال: زَمَلَ الشيء: إذا حمله، ومنه الزَّاملة، لأنها تحمِلُ القُمَاش[7].

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٢٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦ دون نسبة.

(٣) في النسخ: سبع وعشرون آية، وهو خطأ. ووقعت هذه العبارة في (م) أول الكلام. وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧١٦ ، ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٦٠ .

(٦) بتخفيف الزاي، وسيذكرها المصنف عن عكرمة.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٢٤ . وقوله: الزاملة: هي التي يُحمل عليها من الإبل وغيرها. القاموس (زمل). والمراد بالقماش هنا: متاع البيت. الصحاح (قمش).

الثاني: أن المزَّمِّل هو المتلفِّف، يقال: تزمَّل وتدثَّر بثوبهِ إذا تغطى. وزمَّل غيره إذا غطَّاه، وكلُّ شيء لُفِّف فقد زُمِّل ودُثِّر، قال امرؤ القيس:

كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ[١]

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ[٢]، وفيه ثلاثة أقوال:

الأوّل: قول عكرمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بالنبوَّة والملتزم للرسالة[٣]. وعنه أيضاً: ياأيها الذي زُمِّل هذا الأمر، أي: حُمِّلَه ثم فتر[٤]، وكان يقرأ: «يا أيها المزَمَّل» بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك: «المُدَثَّر»[٥]. والمعنى: المزمِّل نفسه والمدثِّر نفسه، أو الذي زَمَّله غيره.

الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بالقرآن، قاله ابن عباس.

الثالث: المزَّمِّل بثيابه، قاله قتادة وغيره. قال النَّخَعيُّ: كان متزمِّلاً بقَطِيفةٍ[٦]. عائشة: بمِرطٍ طوله أربعة عشرة ذراعاً، نصفه عليَّ وأنا نائمة، ونصفه على النبيِّ ﷺ وهو يصلي، واللهِ ما كان خَزًّا ولا قَزًّا ولا مِرعِزاءَ ولا إبرِيسماً ولا صُوفاً، كان سَداه شَعراً، ولُحْمَتُه وَبَراً[٧]، ذكره الثعلبيُّ.

قلت: وهذا القول من عائشة يدلُّ على أن السورة مَدَنِيَّة، فإن النبيَّ ﷺ لم يَبْنِ بها إلَّا في المدينة، وماذُكر من أنها مكية لايصحُّ. والله أعلم.

---

(١) عجز بيت له، وصدره: كأن أبانا في أفانين وَدْقِه، وهو في ديوانه ص٢٥ ،وسلف ٧/ ٣٤٧-٣٤٨ ، قوله: بجاد، أي: كساء مخطط. والكلام بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٢٤-١٢٥ .

(٢) الوسيط ٤/ ٣٧١ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٥ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٨ .

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٧٤-١٧٥.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣-١٦٤ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٥ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢٥ ، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٢٤ ، والطبري ٢٣/ ٣٥٧ .

(٧) الكشاف ٤/ ١٧٤ ، والمِرْعِزاء: الزَّغَبُ الذي تحت شعر العنز، والإبريسَمُ: الحرير. القاموس (رعز - برسم) والسَّدَى من الثوب: ما يُمَدُّ طولاً في النسيج، واللُّحمة منه: ما يلحمُ به السَّدَى.

وقال الضحاك: تزمَّلَ بثيابه لمنامه[١]. وقيل: بلغه من المشركين سوء قولٍ فيه، فاشتدَّ عليه فتزمَّل في ثيابه وتدثَّر، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وقيل: كان هذا في ابتداء ما أوحي إليه[٢]، فإنه لَمَّا سمع قول[٣] المَلَك ونظر إليه؛ أخذته الرِّعدة، فأتى أهلَه فقال: «زمِّلوني دثروني» روي معناه عن ابن عباس[٤].

وقالت الحكماء: إنما خاطبه بالمزَّمل والمدَّثر في أوَّل الأمر، لأنه لم يكن بعدُ ادّثر شيئاً من تبليغ الرسالة[٥].

قال ابن العربي[٦]: واختلف في تأويل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ فمنهم من حملَه على حقيقته، قيل له: يامن تلفَّف في ثيابه، أو في قطيفته؛ قُمْ، قاله إبراهيم وقتادة. ومنهم من حمله على المجاز، كأنه قيل له: يامن تزمَّل بالنبوَّة، قاله عكرمة[٧]. وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشدَّدة بصيغة المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل.

قلت: وقد بينَّا أنها على حذف المفعول، وقد قرئ بها، فهي صحيحة المعنى.

قال[٨]: وأما من قال: إنه زُمِّل القرآن فهو صحيح في المجاز، لكنه كما قد قدَّمنا أنه لايُحتاج إليه.

الثالثة: قال السُّهَيلي[٩]: ليس المُزَّمِّل باسم من أسماء النبيِّ ﷺ، ولم يُعرف به

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٨ من قول السدي.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في (ظ)و(ي): صوت.
(٤) الكشاف ٤/ ١٧٤ ، وأخرج نحوه الإمام أحمد(١٤٢٨٧)، والبخاري (٤) ، ومسلم(١٦١) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، وفيه نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ .
(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ بنحوه.
(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٩ .
(٧) سلفت أقوالهم آنفاً.
(٨) يعني: ابن العربي.
(٩) في التعريف والإعلام ص١٧٧-١٧٨ .

كما ذهب إليه بعضُ الناس وعدُّوه في أسمائه عليه الصلاة والسلام، وإنما المُزَّمِّل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المُدَّثِّر.

وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان:

إحداهما: الملاطفةُ، فإنَّ العرب إذا قصدت ملاطفةَ المخاطَب وترك المعاتبة سمَّوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبيِّ ﷺ لعليٍّ حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه الترابُ، فقال له: «قُمْ يا أبا تُراب»[(١)] إشعاراً له أنه غير عاتب عليه، وملاطفةً له. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة: «قم يانَوْمَان»[(٢)]، وكان نائماً؛ ملاطفةً له، وإشعاراً لِترك العَتْب والتأنيب. فقولُ اللهِ تعالى لمحمدٍ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ﴾ فيه تأنيسٌ وملاطفةٌ، ليستشعر أنه غيرُ عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيهُ لكلِّ متزمِّل راقدٍ ليلَه؛ ليتنبه إلى قيام الليل وذكرِ الله تعالى فيه، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كلُّ من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين، وقرأ أبو السَّمَّال بضم الميم إتباعاً لضمة القاف[(٣)]. وحُكي الفتح لخفته. قال عثمان بن جنيّ[(٤)]: الغرضُ بهذه الحركة التبلُّغ بها هرباً من التقاء الساكنين، فبأي حركة تحرَّكت فقد وقع الغرضُ. وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدِّية إلى مفعول، فأما ظرف الزمان والمكان فسائغٌ فيه، إلا أن ظرف المكان لا يتعدَّى إليه إلا بواسطة، لا تقول: قمت الدار؛ حتى تقول: قمت وسط الدار وخارجَ الدار.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩) من حديث سهل بن سعد.

(٢) صحيح مسلم (١٧٨٨)، وسلف ١٧/ ٨٢ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٤ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٥ .

(٤) في المحتسب ٢/ ٣٣٦ ، ونقله عنه المصنف بواسطة الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٥ .

وقد قيل: إن «قم» هنا معناه: صَلِّ، عبَّر به عنه، واستعير له حتى صار عُرْفاً بكثرة الاستعمال[(١)].

الخامسة: «اللَّيْلَ» حدُّ الليل: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وقد تقدَّم بيانه في سورة البقرة[(٢)].

واختلف: هل كان قيامه فرضاً وحتماً، أو كان ندباً وحضًّا؟

والدلائل تقوِّي أن قيامه كان حتماً وفرضاً، وذلك أن الندب والحضَّ لايقع على بعض الليل دون بعض، لأن قيامه ليس مخصوصاً به وقتاً دون وقت. وأيضاً فقد جاء التوقيف[(٣)] بذلك عن عائشة وغيرها على مايأتي.

واختلف أيضاً: هل كان فرضاً على النبيِّ ﷺ وحدَه، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال:

الأوَّل: قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إليه خاصة.

الثاني: قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل فريضة على النبيِّ ﷺ وعلى الأنبياء قبله.

الثالث: قول عائشة وابن عباس أيضاً[(٤)] وهو الصحيح، كما في صحيح مسلم عن زُرارة بن أوْفَى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزوَ في سبيل الله...الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: ألست تقرأ: «يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّل»؟ قلت: بلى! قالت: فإن الله عزَّ وجلَّ افترض قيامَ الليل في أوَّل هذه السورة، فقام ﷺ وأصحابُه حَوْلاً، وأمسك اللهُ عزَّ وجلَّ خاتمتَها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ في آخر هذه السورة التخفيفَ، فصار قيام الليل

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٩-١٨٦٠ .

(٢) ٢/ ٤٩٣ .

(٣) في(م) التوقيت. والكلام في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٢٦ -١٢٧.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٥ دون قول ابن عباس: قيام الليل فريضة على النبي ﷺ وعلى الأنبياء قبله.

تطوُّعاً بعد فريضة. وذكر الحديث[١].

وذكر وكيع ويَعْلَى قالا: حدَّثنا مِسْعر عن سِماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول: لمَّا أنزل أوّل﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؛ كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أوَّلها وآخرها نحو من سنة[٢].

وقال سعيد بن جبير: مكث النبيُّ ﷺ وأصحابُه عشر سنين يقومون الليل، فنزل بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠]، فخفَّف اللهُ عنهم[٣].

السادسة: قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الليل، أي: صلِّ الليل كلَّه إلا يسيراً منه[٤]، لأن قيام جميعه على الدوام غيرُ ممكن، فاستثنى منه القليلَ لراحة الجسد. والقليلُ من الشيء مادون النصف، فحكي عن وهب بن منبِّه أنه قال: القليل مادون المعشار والسدس. وقال الكلبي ومقاتل: الثلث.

ثم قال تعالى: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ فكان ذلك تَخْفيفاً إذ لم يكن زمان القيام محدوداً، فقام الناس حتى ورمت أقدامُهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾[٥].

وقال الأخفش[٦]: «نِصْفَهُ» أي: أو نصفَه، يقال: أعطه درهماً درهمين ثلاثةً. يريد: أو درهمين، أو ثلاثة.

وقال الزجاج[٧]: «نِصفَه» بدل من الليل و«إلَّا قَلِيلاً» استثناء من النصف. والضمير

---

(١) صحيح مسلم (٧٤٦)، وهو عند الإمام أحمد(٢٤٢٦٩)

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٠٥)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٩٠٧).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧.

(٤) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٦٢.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٦.

(٦) في معاني القرآن له ٢/ ٧١٦-٧١٧.

(٧) في معاني القرآن له ٥/ ٢٣٩ بنحوه.

في «منه» و«عليه» للنصف. المعنى: قمْ نصفَ الليل، أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد عليه قليلاً إلى الثلثين(١)، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن «نِصْفَهُ» بدل من قوله «قَلِيلاً»، وكان مخيراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه، كأن تقدير الكلام: قم الليلَ إلا نصفه، أو أقلَّ من نصفه، أو أكثر من نصفه(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «يَنزل اللهُ عزَّ وجلَّ إلى سماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثلثُ الليل الأوّل، فيقول: أنا الملِك أنا الملِك، مَن ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له، من ذا الذي يَسألني فأعطيَه، من ذا الذي يَستغفرني فأغفرَ له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»(٣).

ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعاً. وهو يدلُّ على ترغيب قيام ثلثي الليل.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى شطرُ الليل ـ أو ثلثاه ـ ينزل الله»...الحديث. رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك(٤).

وقد جاء في كتاب النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجل يُمهل حتى يمضيَ شَطْرُ الليل الأوَّل، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داعٍ يُستجابُ له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ هل من سائل يُعطَى»؟ صحَّحه أبو محمد عبد الحقِّ، فبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول، وأن ذلك يكون عند نصف الليل(٥).

وخرَّج ابنُ ماجه من حديث ابن شهاب، عن أبي سَلَمة وأبي عبد الله الأغرّ، عن

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٦، وإملاء مامنَّ به الرحمن ٤/ ٤٢٤-٤٢٥ على هامش الفتوحات.

(٢) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٦٣، والكشاف ٤/ ١٧٥.

(٣) صحيح مسلم (٧٥٨): (١٦٩). وسلف ٥/ ٦٠.

(٤) صحيح مسلم (٧٥٨): (١٧٠و١٧١).

(٥) السنن الكبرى للنسائي (١٠٢٤٣)، والأحكام الصغرى ١/ ٢٧٨، وسلف ٥/ ٦٠.

أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال: «ينزلُ ربُّنا ـ تبارك وتعالى ـ حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرِ كلَّ ليلة، فيقول: من يَسألني فأعطيَه؟ من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يستغفرني فأغفرَله؟ حتى يطلُعَ الفجرُ». فكانوا يَستحبُّون الصلاة آخِرَ الليل على أوَّله[١].

قال علماؤنا: وبهذا الترتيب انتظم الحديثُ والقرآن، فإنهما يبصران من مشكاة واحدة[٢].

وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس: بِتُّ عند خالتي ميمونة؛ حتى إذا انتصف الليلُ، أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسولُ الله ﷺ، فقام إلى شَنٍّ معلَّق، فتوضأ وضوءاً خفيفاً. وذكر الحديث[٣].

السابعة: اختلف العلماءُ في الناسخ للأمر بقيام الليل، فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للأمر بقيام الليل قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ إلى آخر السورة[٤].

وقيل: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وعن ابن عباس أيضاً: هو منسوخ بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠].

وعن عائشة أيضاً والشافعيِّ ومقاتل وابن كيسان: هو منسوخ بالصلوات الخمس[٥].

وقيل: الناسخ لذلك قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال أبو

---

(١) سنن ابن ماجه (١٣٦٦)، وهو عند الإمام أحمد (٧٥٩٢)، والبخاري(١١٤٥)، ومسلم(٧٥٨).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٦٢ .

(٣) الموطأ ١/ ١٢١ بنحوه، وهو عند البخاري (١٣٨) ومسلم (٧٦٣) (١٨٦) .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١٢٥ عن ابن عباس.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٥ من قول عائشة، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٧ من قول مقاتل وابن كيسان.

عبد الرحمن السُّلَمي: لمَّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ قاموا حتى وَرِمَت أقدامُهم وسُوقهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾[١].

قال بعض العلماء: وهو فرض نُسخ به فرض، كان على النبيِّ ﷺ خاصة لفضله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾[٢]

قلت: القول الأوَّل يعمُّ جميع هذه الأقوال، وقد قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فدخل فيها قول من قال: إن الناسخ الصلواتُ الخمس.

وقد ذهب الحسن وابن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حَلْب شاةٍ[٣].

وعن الحسن أيضاً أنه قال في هذه الآية: الحمد لله؛ تطوّع بعد الفريضة[٤]. وهو الصحيح إن شاء الله تعالى، لِما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل للنبيِّ ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به، فلما رأى جماعتهم[٥] كرِهَ ذلك، وخشي أن يُكتب عليهم قيام الليل، فدخل البيتَ كالمُغْضَب، فجعلوا يَتنحنحون ويَتفلون، فخرج إليهم فقال: «أيها الناس اكْلَفوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لايَمَلُّ من الثواب، حتى تَمَلُّوا من العمل، وإن خيرَ العمل أدومُه وإن قَلَّ». فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾. فكُتب عليهم، فأُنزل بمنزلة الفريضة، حتى إن كان أحدُهم ليَربطُ الحبلَ فيتعلقُ به، فمكثوا ثمانيةَ أشهر، فرحمهم اللهُ وأنزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ فردَّهم اللهُ إلى

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٦٢.

(٢) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وزاد المسير ٨/ ٣٨٩، والناسخ المنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠-٣٩١، ورد هذا القول النووي رحمه الله بالإجماع والنصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس. شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٧.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٦٢.

(٥) في (ظ): جماعاتهم.

الفريضة، ووضع عنهم قيامَ الليل إلا ما تطوَّعوا[١].

قلت: حديث عائشة هذا ذكره الثعلبيُّ، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله: «وإن قَلَّ»[٢]، وباقيه يدل على أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ نَزَل بالمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون. وقد تقدَّم عنها في صحيح مسلم: حولاً[٣]. وحكى الماورديُّ عنها قولاً ثالثاً، وهو ستة عشر شهراً، لم يذكر غيره عنها. وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أوَّل المزمِّل وآخرها سنة؛ قال: فأمَّا رسولُ الله ﷺ فقد كان فرضاً عليه.

وفي نسخه عنه قولان: أحدهما: أنه كان فرضَه عليه إلى أن قبضَه اللهُ تعالى.

الثاني: أنه نُسخ عنه كما نُسخ عن أمته.

وفي مدَّة فرضه إلى أن نُسخ قولان: أحدهما: المدَّةُ المفروضة على أمته في القولين الماضيين، يريد قول ابن عباس حولاً، وقول عائشة ستة عشر شهراً.

الثاني: أنها عشر سنين إلى أن خفِّف عنه بالنسخ زيادةً في التكليف، ليميزه بفعل الرسالة؛ قاله ابن جبير[٤].

قلت: هذا خلاف ما ذكره الثعلبيُّ عن سعيد بن جبير[٥] حَسْب ما تقدَّم فتأمله.

وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مَهَل وبيان مع تدبر المعاني. وقال الضحاك: اقرأه حرفاً حرفاً. وقال مجاهد:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٩-٣٦٠ بنحوه.

(٢) هو عند الإمام أحمد (٢٤١٢٤)، والبخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) يعني دون قوله: فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ .....الخ.

(٣) صحيح مسلم (٧٤٦)، وسلف ص٣١٧ من هذا الجزء.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٥، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٨٩، وأخرج قول سعيد الطبري ٢٣/ ٣٦١ دون قوله: زيادة في التكليف.

(٥) لعل صواب العبارة: ما ذكره الثعلبي عن عائشة.

أحبُّ الناس في القِراءة إلى الله أعقلُهم عنه[١].

والترتيل: التنضيدُ والتنسيق وحسن النظام؛ ومنه ثغر رَتِل ورَتَل، بكسر العين وفتحها: إذا كان حسنَ التنضيد[٢]. وتقدَّم بيانه في مقدِّمة الكتاب[٣].

وروى الحسن أن النبيَّ ﷺ مرَّ برجل يقرأ آيةً ويبكي، فقال: «ألم تسمعوا إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾؟ هذا الترتيل»[٤]. وسمع عَلْقَمةُ رجلاً يقرأ قراءةً حسنة فقال: لقد رتَّل القرآن، فِداه أبي وأمّي[٥].

وقال أبو بكر بن طاهر: تدبَّرْ في لطائف خطابه، وطالبْ نفسَك بالقيام بأحكامه، وقلبَك بفهم معانيه، وسِرَّك بالإقبال عليه[٦].

وروى عبدُ الله بن عمرو قال: قال النبيُّ ﷺ: «يؤتَى بقارئ القرآن يومَ القيامة، فيُوقف في أوَّل درجِ الجنة، ويقال له: اقرأ وارتقِ ورتِّل كما كنت ترتلُ في الدنيا، فإن منزلكَ عند آخر آية تقرؤها» خَرَّجه أبو داود وقد تقدَّم في أوّل الكتاب[٧].

وروى أنس أن النبيَّ ﷺ كان يمدُّ صوته بالقراءة مدًّا»[٨].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/٤١٦.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٦/١٢٦، وتفسير الرازي ٣٠/١٧٥.

(٣) ١/٣٢.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٩٩)، وابن أبي شيبة ١٤/١١ بلفظ: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ....

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٦٣.

(٦) ذكره العيني في عمدة القاري ٧/١٨٩، وأبو بكر بن طاهر، لعله الأبهري واسمه عبد الله بن طاهر، كان عالماً ورعاً، وهو من أقران الشبلي، مات قرب ٣٣٠هـ. طبقات الصوفية للسلمي ص٣٩١، والتدوين في أخبار قزوين ٣/٢٢٨.

(٧) سنن أبي داود (١٤٦٤)، وهو عند الإمام أحمد (٦٧٩٩)، وسلف ١/١٦، ولفظه: «يقال لصاحب القرآن...» بدل: يؤتى بقارئ القرآن...

(٨) صحيح البخاري (٥٠٤٥)، وسلف ١/١٨-١٩.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هو متصل بما فُرض من قيام الليل، أي: سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثقيلاً يثقل حملهُ؛ لأن الليل للمنام، فمن أُمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بِحَمْلٍ شديد على النفس ومجاهدةٍ للشيطان، فهو أمر يثقل على العبد. وقيل: إنا سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه. قال قتادة: ثقيلٌ واللهِ فرائضه وحدوده[١]. مجاهد: حلاله وحرامه. الحسن: العمل به[٢]. أبو العالية: ثقيلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام. محمد بن كعب: ثقيلاً على المنافقين. وقيل: على الكفار[٣]؛ لما فيه من الاحتجاج عليهم، والبيان بضلالتهم وسبِّ آلهتهم، والكشف عما حرَّفه أهل الكتاب. السُّديُّ: ثقيل بمعنى كريم؛ مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليَّ، أي: كريم عليّ[٤]. الفرَّاء: «ثَقِيلاً»: رزيناً ليس بالخفيف السَّفْساف؛ لأنه كلام ربِّنا[٥]. وقال الحسين بن الفضل: ثَقيلاً لا يحمله إلا قلبٌ مؤيَّد بالتوفيق، ونفس مزيَّنة بالتوحيد.

وقال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك، كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة[٦]. وقيل «ثَقِيلاً» أي: ثابتاً كثبوت الثقيل في محلِّه، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز، لا يزول إعجازه أبداً[٧]. وقيل: هو القرآن نفسُه؛ كما جاء في الخبر: أن النبيَّ ﷺ كان إذا أوحيَ إليه وهو على ناقته وضعت جِرانها ـ يعني صدرَها ـ على

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٦، والوسيط ٤/ ٣٧٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٦٥، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٧٣.

(٣) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧.

(٤) في (م) و(ي): يكرم، وفي (ظ) نكرم. والمثبت من (د)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٢٧، وقول السدي منه.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٧، ونقله عنه الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٧٤.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٦٦.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٢٧.

الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرَّى عنه(١).

وفي الموطأ وغيره أنه عليه الصلاة والسلام سئل: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصَلة الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فَيَفصِم عنّي وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرْد، فَيَفصِم عنه، وإن جبينَه ليَتفصَّد عرقاً(٢).

قال ابن العربيّ(٣): وهذا أولى؛ لأنه الحقيقة، وقد جاء: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال عليه الصلاة والسلام: «بُعِثتُ بالحنيفية السَّمْحة»(٤). وقيل: القول في هذه السورة: هو قول لا إله إلا اللهُ؛ إذ في الخبر: «لا إله إلا الله خفيفةٌ على اللسان، ثقيلة في الميزان»(٥)؛ ذكره القشيريُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال العلماء: ناشئة الليل، أي: أوقاته وساعاته؛ لان أوقاته تنشأ أوَّلاً فأولاً؛ يقال: نشأ الشيء ينشأ: إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شيء، فهو ناشئ، وأنشأه اللهُ فنشأ، ومنه: نشأت السحابةُ: إذا بَدَتْ(٦)،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٤، والطبري ٢٣/ ٣٦٥ عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبي ﷺ..، وأخرجه الإمام أحمد (٢٤٨٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها بنحوه.

(٢) الموطأ ١/ ٢٠٢-٢٠٣، وهو عند الإمام أحمد (٢٥٢٥٢)، والبخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣): (٨٧). قوله: فيَفْصِمُ، أي: يُقلِعُ وينجلي ما يغشاني. فتح الباري ١/ ٢٠.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٤.

(٤) سلف ٨/ ١١٧-١١٨ من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٥) ذكره الذهبي في الميزان ٤/ ٥١٣ في ترجمة أبي حرب مولى الزُّهري، ونقل عن ابن حبان قوله فيه: يروي عن مولاه المقلوبات والأوابد لا تحلُّ عنه الرواية بحال إلا على سبيل الاعتبار... وذكر الحديث.

(٦) في (ظ) و(م): بدأت.

وأنشأها اللهُ؛ فناشئة: فاعلة من نشأت تنشأ، فهي ناشئة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨]. والمراد: إن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم[١]، فالتأنيث للفظ ساعة؛ لأن كلَّ ساعة تحدث.

وقيل: الناشئة مصدر بمعنى [قيام الليل][٢] كالخاطئة والكاذبة، أي: إن نشأة[٣] الليل هي أشدُّ وطئاً.

وقيل: إن ناشئة الليل قيام الليل. قال ابن مسعود: الحبَشَة يقولون: نشأ، أي: قام[٤]. فلعله أراد أن الكلمة عربية[٥]، ولكنها شائعة في كلام الحبشة، غالبة عليهم، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب. وقد تقدَّم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى[٦].

الثانية: بيَّن تعالى في هذه الآية فضلَ صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظمُ للأجر، وأجلبُ للثواب.

واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل؛ فقال ابن عُمر وأنس بن مالك: هو ما بين المغرب والعشاء[٧]، تمسكاً بأن لفظ نشأ يعطي الابتداء، فكان بالأولية أحقّ؛ ومنه قول الشاعر:

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نُصَيبٌ لَقلتُ بِنفسِيَ النَّشَأ الصِّغارُ[٨]

(١) بعدها في (ظ): الموصوف. والكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن ٢٨٣-٢٨٤ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة تقتضيها العبارة، ينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٠٨ ، والكشاف ٤/ ١٧٦ .

(٣) في (د): ناشئة.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٧٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٠ ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٥ .

(٥) في (د): غريبة.

(٦) ١/ ١١٠ وما بعد.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧ .

(٨) البيت لنصيب بن رباح، وهو في ديوانه ص٨٨ .

وكان عليٌّ بن الحسين يصلّي بين المغرب والعشاء ويقول: هذا ناشئة الليل[١]. وقال عطاء وعكرمة: إنه بدء الليل[٢]. وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هي الليل كلُّه؛ لأنه ينشأ بعد النهار[٣]، وهو الذي اختاره مالك بن أنس.

قال ابن العربيّ[٤]: وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة.

وقالت عائشة وابن عباس أيضاً ومجاهد: إنما الناشئة القيامُ بالليل بعد النوم. ومن قام أوّل الليل قبل النوم فما قام ناشئة[٥]. وقال يَمان وابن كَيْسان: هو القيام من آخر الليل[٦]. وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ[٧].

وفي الصحاح[٨]: وناشئة الليل: أولُ ساعاته. وقال القُتَبيُّ: إنه ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة. وعن الحسن ومجاهد: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح[٩]. وعن الحسن أيضاً: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة[١٠]. ويقال: ما ينشأ في الليل من الطاعات؛ حكاه الجوهري[١١].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٨ ، والكشاف ٤/ ١٧٦ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٧ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩١ .

(٣) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٩٠ عن ابن عباس، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٩٩-٧٠٠ .

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٥ ، وما قبله منه.

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧ عن عائشة رضي الله عنها ومجاهد، وأخرجه الطبري ٣٦٧/٢٣ عن مجاهد.

(٦) زاد المسير ٨/ ٣٩١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨ .

(٨) مادة (نشأ).

(٩) النكت والعيون ٦/ ١٢٧ .

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨ .

(١١) في الصحاح (نشأ).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن أبي إسحاق ومجاهد وحُميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وأبو حَيْوة: «وِطَاءً» بكسر الواو وفتح الطاء والمدِّ، واختاره أبو عبيد. الباقون: «وَطْئاً» بفتح الواو وسكون الطاء مقصورةً[١]، واختاره أبو حاتم؛ من قولك: اشتدت على القوم وطأة سلطانهم، أي: ثقل عليهم ما حمَّلهم من المُؤَن[٢]، ومنه قول النبيِّ ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مُضَر»[٣]، فالمعنى أنها أثقل على المصلّي من ساعات النهار، وذلك أن الليل وقتُ منامٍ وتودُّع وإجمام، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة.

ومن مدَّ فهو مصدر: واطأت وِطاءً ومواطأةً، أي: وافقتُه. أبو زيد: واطأتُه على الأمر مواطأة: إذا وافقتَه من الوِفاق، وفلان يواطئ اسمُه اسمي، وتواطؤا عليه، أي: توافقوا[٤]؛ فالمعنى أشدُّ موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان؛ لانقطاع الأصوات والحركات؛ قاله مجاهد وابن أبي مُلَيكة وغيرهما. وقال ابن عباس بمعناه[٥]، أي: يواطئ السمع القلب؛ قال الله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] أي: ليوافقوا. وقيل: المعنى: أشد مِهاداً للتصرف في التفكّر والتدبّر. والوِطاء خلاف الغِطاء[٦]. وقيل: «أَشَدُّ وَطْئاً» بسكون الطاء وفتح الواو، أي: أشدّ ثباتاً[٧] من النهار؛ فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله، فيكون ذلك أثبت للعمل

(١) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦عن أبي عمرو وابن عامر. وعن مجاهد في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨، وعن ابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٤.

(٢) الكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن ص٢٨٤، وزاد المسير ٨/ ٣٩١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٧٢٦٠)، والبخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ٤/٣٠٣-٣٠٤.

(٤) الصحاح (وطأ).

(٥) ينظر الوسيط ٤/ ٣٧٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٧٢ عن مجاهد بنحوه.

(٦) الصحاح (وطأ).

(٧) في (د): بياناً، وفي (ي): شأناً.

وأتقى[١] لما يُلهي ويشغل القلب. والوطء الثبات، تقول: وطئت الأرض بقدَمي. وقال الأخفش: أشد قياماً. الفراء: أثبت قراءةً وقياماً[٢]. وعنه: «أَشَدُّ وَطْئاً» أي: أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثارَ من العبادة، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش، فعبادته تدوم ولا تنقطع. وقال الكلبيُّ: «أَشَدُّ وَطْئاً» أي: أشد نشاطاً للمصلّي؛ لأنه في زمان راحته. وقال عبادة: «أَشَدُّ وَطْئاً» أي: نشاطاً للمصلّي وأخفُّ، وأثبت للقراءة[٣].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي: أشد استقامة واستمراراً على الصواب؛ لأن الأصوات هادئة، والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلّي ما يقرؤه. قال قتادة ومجاهد: أي: أصوب للقراءة وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم[٤]. وقال أبو علي[٥]: «أَقْوَمُ قِيلاً» أي: أشد استقامة لفراغ البال بالليل. وقيل: أي: أعجل إجابة للدعاء. حكاه ابن شجرة[٦]. وقال عكرمة: عبادة الليل أتم نشاطاً، وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة[٧]. وعن زيد بن أسلم: أجدر أن يتفقَّه في القرآن. وعن الأعمش قال: قرأ أنس بن مالك: «إِنَ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَصْوَبُ قِيلاً». فقيل له: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ فقال: أقوم وأصوب وأهيأ: سواء[٨]. قال أبو بكر الأنباريّ: وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب، إذا لم يخالف معنىً ولم يأتِ بغير ما أراد اللهُ وقصَد له، واحتجوا بقول أنس هذا. وهو قول لا يُعرَّج عليه ولا يُلتفت إلى قائله؛

---

(١) في (د) و(ي) وأبقى.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٧.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٧ بنحوه.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بنحوه في الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٣٥.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢٧ .

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٩ دون نسبة.

(٨) المحتسب ٢/ ٣٣٦ ، وأخرجه أبو يعلى (٤٠٢٢)، والطبري ٢٣/ ٣٧٣ منقطعاً.

لأنه لو قرَأ بألفاظ تخالفُ ألفاظَ القرآن إذا قاربت معانيها واشتَملت على عامتها، لجاز أن يقرأ في موضع ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الشكرُ للباري ملكِ المخلوقين، ويتسع الأمرُ في هذا حتى يبطل لفظُ جميع القرآن، ويكون التالي له مفترياً على الله عز وجل، كاذباً على رسولِهِ ﷺ، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود: نزل القرآنُ على سبعة أحرف، إنما هو كقول أحدِكم: هَلُمَّ وتعالَ وأقبل؛ لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورةَ المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبيِّ ﷺ إذا اختلفت ألفاظُها، واتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في «هلمَّ وتعال، وأقبل». فأما ما لم يقرأ به النبيُّ ﷺ وأصحابه وتابِعوهم ﷺ، فإنه مَن أورد حرفاً منه في القرآن بَهت ومال[(١)] وخَرَج من مذهب الصواب. قال أبو بكر: والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديثٌ لا يصح عن أحدٍ من أهل العلم[(٢)]؛ لأنه مبني على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به، من قبل أن الأعمش رأى أنساً ولم يسمع منه.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ قراءة العامة بالحاء غير معجمة، أي: تصرُّفاً في حوائجك، وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً[(٣)]. والسَّبْح: الجري والدوران، ومنه السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه. وفرس سابح: شديدُ الجري[(٤)]؛ قال امرؤ القيس:

مِسَحٌّ إذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى ... أَثَرْنَ غُباراً[(٥)] بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ[(٦)]

(١) بدلها في (ظ): فقد كذبه وخانه.

(٢) في (د) و(ظ): لا يصحح مذهب أهل العلم. وفي (ي): لا يصحح مذهبَه أهل العلم.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٤ .

(٤) الكلام بنحوه في الصحاح (سبح)، والوسيط للواحدي ٤/ ٣٧٤ .

(٥) في (م): الغبار. والمثبت من (د) و(ي) والديوان.

(٦) ديوان امرئ القيس ص٢٠ ، قال شارحه: قوله: مِسَحٌّ، أي: يسح العدوَ سحًّا مثل سحّ المطر، وهو انصبابه. والسابحات: التي تبسط يديها إذا عَدَت فكأنها تسبح. والونى: الفتور. والكديد: ما غلظ من =

وقيل: السَّبْحُ الفراغ، أي: إن لك فراغاً للحاجات بالنهار[١]. وقيل: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا﴾ أي: نوماً، والتسبّح التمدُّد؛ ذكره الخليل. وعن ابن عباس وعطاء: ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يعني فراغاً طويلاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك[٢]. وقال الزجاج[٣]: إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للاستدراك.

وقرأ يحيى بن يَعْمَر وأبو وائل: «سَبْخاً» بالخاء المعجمة[٤]. قال المهدويُّ: ومعناه النوم؛ روي ذلك عن القارئين بهذه القراءة. وقيل: معناه الخفة والسَّعة والاستراحة؛ ومنه قول النبيِّ ﷺ لعائشة وقد دعت على سارق ردائها: «لاتُسبِّخِي [عنه] بدعائك عليه»[٥] أي: لاتخفِّفي عليه إثمَه، قال الشاعر:

فَسَبِّخْ عليك الْهَمَّ واعلم بِأَنَّهُ إذا قَدَّرَ الرحْمنُ شيئاً فَكَائِنُ

الأصمعيُّ: يقال: سَبَّخ اللهُ عنك الحُمَّى، أي: خفَّفها. وسَبَخ الحَرُّ: فتر وخَفَّ. والتَّسبِيخ: النومُ الشديد[٦]. والتَّسبيخ أيضاً: توسيع القطن والكَتَّان والصوف وتنفيشها، يقال للمرأة: سبِّخي قطنَك[٧] والسَّبيخُ من القطن: ما يسبَّخ بعد النَّدْف، أي: يُلفُّ لتغزله المرأة، والقطعة منه سَبِيخة، وكذلك من الصوف والوبر. ويقال لقطع القطن: سبائخ، قال الأخطل[٨] يصف القُنَّاص والكلاب:

= الأرض. والمركَّل: الذي ركلته الخيل بحوافرها، فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها. والمعنى: أن هذا المسح بمنزلة السابحات.

(١) بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٩ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٧ .

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٤٠ ، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٧٧ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٤ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٤١٨٣)، وأبو داود (١٤٩٧)، بلفظ: «لا تُسَبِّخي عنه» وسلف ٧/ ٢٠١ واللفظ أعلاه في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٩ ، والفائق للزمخشري والنهاية لابن الأثير (سبخ). وما بين حاصرتين منها.

(٦) الصحاح (سبخ).

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٧ .

(٨) في ديوانه ص١١٥ .

فـأرسَـلُـوهُـنَّ يُـذْرِيـنَ الـتّـرابَ كـمـا يُـذْرِي سَـبَـائـخَ قُـطْـنٍ نَـدْفُ أوْتَـارِ

وقال ثعلب: السَّبْخ ـ بالخاء ـ التردّدُ والاضطراب، والسَّبْخ أيضاً السكون، ومنه قول النبيِّ ﷺ: «الحُمّى من فيح جهنم، فسبِّخوها بالماء» أي: سكِّنوها(١). وقال أبو عمرو: السَّبْخ: النوم والفراغ(٢).

قلت: فعلى هذا يكون من الأضداد، وتكون بمعنى السبح، بالحاء غير المعجمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: أُدعه بأسمائه الحسنى، ليحصل لك مع الصلاة محمودُ العاقبة. وقيل: أي اقصد بعملك وجهَ ربِّك(٣). وقال سهل(٤): اقرأ بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركةُ قراءتها إلى ربك، وتقطعك عمّا سواه(٥).

وقيل: اذكر اسم ربِّك في وعده ووعيده، لتَوَفَّر على طاعته وتعدل عن معصيته(٦).

وقال الكلبيُّ: صلِّ لربِّك أي: بالنهار.

قلت: وهذا حسن، فإنه لمَّا ذكر الليل ذكَر النهار، إذ هو قَسيمُه، وقد قال

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وهو عند أحمد (٢٦٤٩)، والبخاري (٣٢٦١)، ومسلم (٢٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: فأبردوها، بدل: فسبِّخوها. وفي الباب عن ابن عمر ورافع بن خديج وأبي بشير وأبي أمامة وعائشة وأسماء، رضي الله عنهم.

(٢) الصحاح (سبخ).

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٨.

(٤) في(د) و(ظ) سهيل. والمثبت من (م) و(ي) والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨، وذكر هذا القول الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٩٦ دون نسبة.

(٥) في(د) و(ظ) و(ي): تهواه

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢٨.

الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢] على ما تقدَّم[١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ التَّبَتُّل: الانقطاع إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ، أي: انقطع بعبادتك إليه، ولا تشرك به غيرَه. يقال: بتلت الشيء، أي: قطعته، ومنه قولهم: طلقها بَتَّةً بتلة، وهذه صدقة بتة بتلة، أي: بائنة منقطعة عن صاحبها، أي: قُطِع مِلكُه عنها بالكلية، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى[٢]، ويقال للراهب: متبتّل، لانقطاعه عن الناس، وانفراده بالعبادة. قال:

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاءِ كأَنَّها ... مَنارةُ مُمْسَى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ[٣]

وفي الحديث النهي عن التبتُّل[٤]، وهو الانقطاع عن الناس والجماعات[٥]. وقيل: إن أصله عند العرب التفرد، قاله ابن عرفة. والأوّل أقوى[٦] لِما ذكرنا. ويقال: كيف قال: تَبْتِيلاً، ولم يقل: تَبَتُّلاً؟ قيل له: لأن معنى تَبتَّل: بَتَّل نفسَه، فجيء به على معناه مراعاة لحقِّ الفواصل[٧].

الثالثة: قد مضى في «المائدة» في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية: ٨٧] كراهةٌ لمن تبتَّل وانقطع وسلكَ سبيلَ الرهبانية بما فيه كفاية. قال ابن العربيّ[٨] وأما اليوم وقد مَرِجت عهودُ الناس، وخفَّت أماناتهم،

---

(١) ١٥/ ٤٦١ .

(٢) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٩ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٢ .

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٧ ، قال شارحه: قوله: مُمْسَى راهب، أي: المنارة التي تضيء في وقت إمساء الراهب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٠١٩٢) عن سمرة بن جندب ﷺ. وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص عند أحمد (١٥٢٥)، والبخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢) .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٨ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٦٧ .

(٧) الكشاف ٤/ ١٧٧ .

(٨) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٧-١٨٦٨ ، وما قبله منه.

واستولى الحرام على الحُطام، فالعُزْلة خير من الخِلْطة، والعُزْبة أفضل من التأهُّل، ولكن معنى الآية: انقطِع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله. وكذلك قال مجاهد: معناه: أخلِص له العبادة. ولم يرد التبتُّلَ، فصار التبتل مأموراً به في القرآن، منهيًّا عنه في السنة، ومتعلَّق الأمر غير متعلَّق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بُعث ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، فالتبتُّل المأمور به: الانقطاعُ إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. والتبتُّل المنهيُّ عنه: هو سلوك مسلَك النصارى في ترك النكاح والترهُّب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خيرُ مالِ المسلم غَنَماً يتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القَطْر، يفرُّ بدينه من الفتن.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قرأ أهلُ الحرمين وابن مُحَيْصن ومجاهد وأبو عمرو وابن أبي إسحاق وحفص: «رَبُّ» بالرفع على الابتداء، والخبر: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١]. وقيل: على إضمار «هو». الباقون: «رَبِّ» بالخفض[٢] على نعت الربِّ تعالى في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾«رَبِّ الْمَشرِقِ». ومن علم أنه ربُّ المشارق والمغارب انقطع بعمله وأملِه إليه.

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ أي: قائماً بأمورك[٣]. وقيل: كفيلاً بما وعدَك[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من الأذى والسبِّ والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم. ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾أي: لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك تركَ الدعاء إلى الله. وكان هذا قبل الأمر

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨.

(٢) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨ بنحوه.

(٤) الكشاف ٤/ ١٧٧.

بالقتال، ثم أمر بعدُ بقتالهم وقتلهم، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من التَّرْك، قاله قتادة[١] وغيره. وقال أبو الدرداء: إنا لَنَكْشِرُ في وجوه [أقوام] ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتَقْليهم أو لتلعنهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: اِرض بي لعقابهم. نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين. وقال مقاتل: نزلت في المُطْعِمِين يوم بدر[٣] وهم عشرة. وقد تقدَّم ذكرهم في «الأنفال»[٤]. وقال يحيى بن سلام: إنهم بنو المغيرة. وقال سعيد ابن جُبير: أُخبرت أنهم اثنا عشر رجلاً[٥]. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي: أولي الغنى والترفُّه واللذة في الدنيا. ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ يعني إلى مدَّة آجالهم. قالت عائشة رضي الله عنها: لمَّا نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيراً حتى وقعت وقعةُ بدر[٦]. وقيل: «وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً» يعني إلى مدة الدنيا[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ الأنكال: القيودُ. عن الحسن ومجاهد وغيرهما[٨]. واحدها نِكْل، وهو ما منع الإنسان من الحركة. وقيل: سمِّي نِكلاً، لأنه

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٣٠-١٣١ ، وبنحوه الطبري ٢٣/ ٣٨٠ .

(٢) علقه عنه البخاري بصيغة التضعيف قبل الحديث (٦١٣١)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٨ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (٨١٠٣). وما بين حاصرتين من المصادر . قوله: نَكْشِرُ، أي: نتبسَّم. وتَقْليهم، أي: تُبغضهم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤١٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٢ .

(٤) ١٠/ ٨١ وما بعد

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٩ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٨١ ، وأبو يعلى (٤٥٧٨).

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ١٨٠ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٨٣ .

يُنَكَّل به[١]. قال الشعبيُّ: أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشيةَ أن يهربوا؟ لا واللهِ! ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا اسْتَفَلت بهم[٢]. وقال الكلبيُّ: الأنكال: الأغلالُ، والأوّل أعرف في اللغة، ومنه قول الخنساء:

دَعــاكَ فَــقَــطَّــعْــتَ أَنْــكَــالَــهُ وقَــدْ كُــنَّ قَــبْــلَــكَ لا تُــقْــطَــعُ[٣]

وقيل: إنه أنواع العذاب الشديد، قاله مقاتل. وقد جاء أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله يحبُّ النَّكَل على النَّكل» بالتحريك، قاله الجوهريُّ[٤]. قيل: وما النَّكَل؟ قال: «الرجل القويُّ المجرَّب، على الفرس القويِّ المجرَّب» ذكره الماورديُّ[٥]، قال: ومن ذلك سمي القيد نِكْلاً؛ لقوته، وكذلك الغُلُّ، وكل عذاب قوي فاشتد. والجحيم: النار المؤجَّجة.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي: غير سائغ، يأخذ بالحَلْق، لا هو نازل ولاهو خارج، وهو الغِسلِين والزَّقُّوم والضَّريع، قاله ابن عباس. وعنه أيضاً: أنه شوك يدخل الحَلْق، فلا ينزل ولايخرج[٦].

وقال الزجاج[٧]: أي: طعامهم الضَّريع، كما قال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]، وهو شوك كالعَوْسَج. وقال مجاهد: هو الزَّقُّوم[٨]، كما قال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ . طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٤]. والمعنى واحد.

---

(١) ينظر الصحاح (نكل).

(٢) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٧ مختصراً.

(٣) ديوان الخنساء ص٩٢ ، وروايته فيه: فهتكت أغلاله، بدل: فقطعت أنكاله.

(٤) في الصحاح (نكل)، وذكره أيضاً الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٤٥ بنحوه.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٣٠ ، والكلام منه.

(٦) المصدر السابق، وأخرجه الطبري٢٣/ ٢٨٤ .

(٧) في معاني القرآن ٥/ ٢٤٢ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٣٠ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٨٤ .

وقال حُمْران بن أَعْيَن: قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فصعق[١].

وقال خُلَيد بن حسان: أمسى الحسنُ عندنا صائماً، فأتيته بطعام، فعرضَتْ له هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا﴾ فقال: ارفع طعامَك. فلمَّا كانت الثانية أتيته بطعام، فعرضَتْ له هذه الآيةُ، فقال: ارفعوه. ومثله في الثالثة، فانطلق ابنه إلى ثابت البُنَاني ويزيدَ الضَّبِّيّ ويحيى البكَّاء، فحدَّثهم، فجاؤوه، فلم يزالوا به حتى شرب شَرْبة من سَوِيق[٢].

والغُصَّة: الشَّجا ـ وهو ماينْشَب في الحلق من عَظْم أو غيره ـ وجمعها: غُصَص. والغَصَصُ بالفتح مصدر قولك: غَصِصْتَ يا رجل تَغَصُّ، فأنت غاصٌّ بالطعام وغصَّان، وأغصصته أنا، والمنزل غاصٌّ بالقوم، أي: ممتلئ بهم[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تتحرَّك وتضطرب بمن عليها.

وانتصب «يوم» على الظرف، أي: يُنَكِّل بهم ويعذِّبون «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ». وقيل: بنزع الحافض، يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض والجبال. وقيل: العامل «ذَرني» أي: وذرني والمكذبين يومَ ترجُف الأرض والجبال.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: وتكون، والكثيب: الرملُ المجتمع قال حسان:

عَرَفْتُ دِيار زَيْنَبَ بالْكَثِيبِ كَخَطِّ الْوَحْي في الْوَرَقِ الْقَشِيبِ[٤]

والمَهِيل: الذي يمرُّ تحتَ الأرجل. قال الضحاك والكلبيُّ: المَهِيل: هو الذي

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص٦٤، وهناد في الزهد(٢٦٧)، والطبري ٢٣/ ٣٨٥ عن حُمران مرسلاً، والذي عند أبي عبيد: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ... فصعق رسول الله ﷺ وحمران ابن أَعْين ضعيف رمي بالرفض، كما ذكر ابن حجر في التقريب.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٧، وأخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٧٦ مطولاً.

(٣) الصحاح(غصص)، وينظر القاموس المحيط (شجي).

(٤) ديوان حسان ص١٢، وسلف ٩/ ٤٦٣.

إذا وطئتَه بالقدم زلَّ من تحتها، وإذا أخذتَ أسفله انهال. وقال ابن عباس: «مَهِيلاً» أي: رملاً سائلاً[١] متناثراً. وأصله: مهْيول[٢]، وهو مَفْعول؛ من قولك: هِلْت عليه التراب أهِيله هيلاً: إذا صببتَه. يقال: مَهِيل ومَهْيول، ومَكِيل ومَكْيول، ومَدِين ومَدْيون[٣]، ومَعِين ومَعْيون، قال الشاعر:

قَد كان قَوْمُك يَحْسَبونَكَ سَيِّداً وإِخَالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ[٤]

وفي حديث النبيِّ ﷺ أنهم شَكَوْا إليه الجُدُوبةَ، فقال: «أتكِيلون أم تَهِيلون» قالوا: نَهِيل. قال: «كِيلوا طعامَكم يُبارَكْ لكم فيه»[٥]. وأَهَلْت الدقيق لغة في هِلتْ، فهو مُهال ومَهِيل[٦]. وإنما حذفت الواو، لأن الياء تثقل فيها الضمة، فحذفت فسكنت هي والواو، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يريد النبيَّ ﷺ؛ أرسله إلى قريش ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٣٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩.

(٣) زاد المسير ٨/ ٣٩٣، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٨٢.

(٤) سلف ١٨/ ٢٥٥.

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ٤١٦، وابن الأثير في النهاية (هيل)، ولفظه: أن قوماً شكوا إليه سرعة فناء طعامهم، فقال: «أتكيلون أم تهيلون»؟ قالوا: نهيل. قال «فكيلوا ولا تهيلوا». وقوله: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» أخرجه الإمام أحمد (١٧١٧٧)، والبخاري(٢١٢٨) من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ، وأخرجه ـ أيضاً ـ الإمام أحمد (٢٣٥٠٨)، وابن ماجه (٢٢٣٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

(٦) الصحاح(هيل).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٢.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: كذَّب به ولم يؤمن. قال مقاتل: ذكَر موسى وفرعون، لأن أهل مكة ازدرَوا محمداً ﷺ واستخفوا به، لأنه وُلِد فيهم، كما أن فرعون ازدرى موسى، لأنَّه ربَّاه ونشأ فيما بينهم، كما قال تعالى إخباراً عنه[1]: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾[2] [الشعراء: ١٨]. قال المهدويُّ: ودخلت الألف واللام في الرسول لتقدُّم ذكره[3]، ولذلك اختير في أوّل الكتب: سلام عليكم، وفي آخرها: السلام عليكم[4].

﴿وَبِيلٗا﴾ أي: ثقيلاً شديداً. وضَرْبٌ وبيل وعذاب وبيل، أي: شديد، قاله ابن عباس ومجاهد[5]. ومنه مطر وابل، أي: شديد، قاله الأخفش[6]. وقال الزجاج[7]: أي: ثقيلاً غليظاً. ومنه قيل للمطر: وابل. وقيل: مُهلكاً قال:

أكَلْتِ بَنِيكِ أَكْلَ الضَّبِّ حتى وجَدْتِ مَرارة الكَلَأ الوَبِيلِ[8]

واستوبل فلان كذا، أي: لم يَحمَد عاقبته. وماء وبيل، أي: وخيم غير مريء، وكَلأٌ مستَوْبَل وطعام وبيل ومُستَوبَلٌ: إذا لم يُمْرِئ ولم يُسْتَمْرأ[9]، قال زهير:

فَقَضَّوْا منايا بَيْنَهُمْ ثم أَصْدَرُوا إلَى كَلأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ[10]

وقالت الخنساء:

---

(١) قوله: إخباراً عنه، من(ظ).
(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٨٦، والرازي ٣٠/ ١٨٣ دون نسبة.
(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩ بنحوه دون نسبة.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٠.
(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٠، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٨٧.
(٦) الصحاح (وبل).
(٧) في معاني القرآن له ٥/ ٢٤٢، ونقله عنه الماوردي في النكت ٦/ ١٣٠.
(٨) النكت والعيون ٦/ ١٣٠.
(٩) الكلام بنحوه في تفسير للطبري ٢٣/ ٣٨٦، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٦.
(١٠) شرح ديوان زهيرص٢٤-٢٥، قال شارحه: فقضَّوا مناياهم، أي: أنفذوها، أي: قَتلوا من قتلوا ثم أصدروا بعد صلحهم، فصار آخر أمرهم إلى وخامةٍ وفساد.

لَقَدْ أَكَلَتْ بَجِيلَةُ يومَ لاقَتْ فَوَارِسَ مَالِك أَكْلاً وبِيلاً[١]

والوبيل أيضاً: العصا الضخمةُ، قال:

لَو اصْبَحَ في يُمْنى يَدَيَّ زِمامُها وفي كَفِّيَ الأخرى وَبيلٌ تُحاذِرُهْ

وكذلك المَوْبِل بكسر الباء، والمَوْبل[٢] أيضاً: الحُزْمة من الحطب، وكذلك الوَبيل، قال طَرفة:

عَقِيلَةُ شَيْخٍ كالوبِيل يَلَنْدَدِ[٣]

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ هو توبيخ وتقريع، أي: كيف تتقونَ العذاب إن كفرتم. وفيه تقديم وتأخير، أي: كيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم[٤]. وكذا قراءة عبد الله[٥] وعطية. قال الحسن: أي: بأيِّ صلاة تتقون العذاب؟ بأيِّ صوم تتقون العذاب؟ وفيه إضمار، أي: كيف تتقون عذاب يومٍ.

وقال قتادة: واللهِ ما يتقي مَن كفَر بالله ذلك اليوم بشيءٍ[٦]. و«يَوْماً» مفعول بـ«تَتَّقُونَ» على هذه القراءة وليس بظرف، وإن قدِّر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول «كَفَرْتُمْ»[٧]. وقال بعض المفسرين: وقف التمام على قوله: «كَفَرْتُمْ»، والابتداء «يَوْماً»، يذهب إلى أن اليوم مفعول «يجعل» والفعل لله عزَّ و جلَّ، وكأنه

---

(١) ذكره ابن عادل الحنبلي في اللباب ١٩/ ٤٧٤-٤٧٥ .

(٢) في(د) و(م): الموبلة. والمثبت من (خ) و(ي) وهو الموافق لما في الصحاح (وبل) وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٧ .

(٣) ديوان طرفة ص٣٨ ،وصدره: فمرت كهاةٌ ذاتُ خَيفٍ جُلالةٌ وسلف ٨/ ٢٠٧ ، والكلام في الصحاح (وبل)، وفيه: أَلَنْدَدِ، بدل: يَلَنْدَدِ، وهوموافق لنسخة (د) .

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣/ ١٨٣ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٨ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٥ ، والطبري ٢٣/ ٣٨٨ .

(٧) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩ .

قال: يجعل الله الولدان شيباً في يوم. قال ابن الأنباري[١]: وهذا لا يصلح، لأن اليوم هو الذي يفعل هذا من شدَّة هوله.

المهدويُّ: والضمير في «يجعل» يجوز أن يكون لله عزَّ وجلَّ ويجوز أن يكون لليوم، وإذا كان لليوم صلح أن يكون صفة له، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عزَّ وجلَّ إلا مع تقدير حذف، كأنه قال: يوماً يجعل الله الوالدان فيه شيباً[٢]. ابن الأنباري[٣]: ومنهم من نصب اليوم بـ «كفرتم» وهذا قبيح، لأن اليوم إذا عُلِّق بـ«كفرتم» احتاج إلى صفة «كفرتم» لـ «يوم»[٤]. فإن احتجَّ محتج بأن الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها، احتججنا عليه بقراءة عبد الله: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ يَوْمَاً».

قلت: هذه القراءة ليست متواترة، وإنما جاءت على وجه التفسير. وإذا كان الكفر بمعنى الجحود فـ«يوماً» مفعول صريح من غير صفة ولاحذفها، أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يومَ القيامة والجزاء.

وقرأ أبو السَّمَّال قَعْنَب: «فكيف تتقونِ» بكسر النون على الإضافة[٥]. و«الْوِلْدَانَ»: الصبيانُ. وقال السُّديُّ: هم أولاد الزنا. وقيل: أولاد المشركين. والعموم أصحُّ، أي: يشيب فيه الصغير من غير كِبَر. وذلك حين يقال لآدم: «يا آدم قم فابعث بَعْث النار». على ما تقدَّم في أول سورة الحج[٦].

قال القُشيريُّ: ثم إن أهل الجنة يغيِّر اللهُ أحوالهم و أوصافهم على ما يريد. وقيل: هذا ضربُ مَثَل لشدَّة ذلك اليوم، وهو مجاز، لأن يوم القيامة لا يكون فيه

---

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٣، وما قبله منه.

(٢) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦١.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٣-٩٥٤.

(٤) جاءت العبارة في (م): احتاج إلى صفة، أي كفرتم بيوم. والمثبت من (د)و(ي)، وهو الموافق لما في إيضاح الوقف والابتداء، والكلام منه.

(٥) ذكرها عنه ابن عادل الحنبلي في اللباب ١٩/ ٤٧٨.

(٦) ١٤/ ٣٠٩ من حديث أنس ﷺ.

وِلدان، ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحالٍ لو كان فيه هناك صبي لَشابَ رأسُه من الهيبة. ويقال: هذا وقت الفزع، وقبل أن يُنْفَخ في الصور نفخة الصعْق، فالله أعلم.

الزمخشريّ[١]: وقد مرَّ بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحِمَ الشعر كحنك الغراب، فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثَّغامة[٢]، فقال: أرِيت القيامة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمِن هول ذلك أصبحتُ كما ترون. ويجوز أن يوصف اليوم بالطُّول، وأن الأطفال يبلغون فيه أوانَ الشيخوخة والشيَّب.

قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾أي: متشقِّقة لشدَّته. ومعنى«بِهِ»، أي: فيه، أي: في ذلك اليوم لهوله. هذا أحسن ما قيل فيه. ويقال: مُثْقَلة به إثقالاً يؤدِّي إلى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه، كقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] [الأعراف: ١٨٧].

وقيل: «بِهِ» أي: له، أي: لذلك اليوم[٤]، يقال: فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك، والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] أي: في يوم القيامة. وقيل: «بِهِ» أي: بالأمر، أي: السماء مُنْفطر بما يجعل الولدان شيباً.

وقيل: منفطر بالله، أي: بأمره. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل: منفطرة، لأن مجازها السقف، تقول: هذا سماء البيت[٥]، قال الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إلَيْهِ قوماً لَحِقْنا بالسَّماءِ وبالسَّحابِ[٦]

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٧٨ .

(٢) في (د) و(ظ): كالنعامة. وفي القاموس (ثغم): أثغم الرأس، أي: صار كالثَّغامة بياضاً. والثغامة: نبت.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠ بنحوه.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٨٤ ، والكلام بنحوه في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٤ .

(٦) البيت للفرزدق، وروايته في ديوانه ص٣٣ : ولو رفع الإله، بدل: فلو رفع السماء.

وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال الفراء: السماء يذكر ويؤنث[١]. وقال أبو علي: هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر، و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]. وقال أبو عليٍّ أيضاً: أي: السماء ذات انفطار، كقولهم: امرأة مرضع، أي: ذات إرضاع، فجرى على طريق النسب[٢]. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ أي: بالقيامة والحساب والجزاء ﴿مَفْعُولًا﴾: كائناً لاشك فيه ولا خُلْف. وقال مقاتل: كان وعده بأن يظهر دينه على الدِّين كلِّه[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يريد هذه السورة ـ أو الآيات ـ عِظَة. وقيل: آيات القرآن، إذ هو كالسورة الواحدة[٤]. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه ﴿سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى رضاه ورحمته فليرغب[٥]، فقد أمكن له، لأنه أظهر له الحجج والدلائل. ثم قيل: نسخت بآية السيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٢] قال الثعلبيُّ: والأشبه أنه غير منسوخ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٩ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٨٥ دون نسبة، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٣ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤١٨ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣١ .

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٠ .

(٥) الكلام بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٩ .

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ كما تقدَّم[١]، وهي الناسخة لفرضية قيام الليل كما تقدَّم[٢].

«تَقُومُ» معناه: تصلِّي و﴿أَدْنَىٰ﴾ أي: أقلّ[٣].

وقرأ ابن السَّمَيْفَع وأبو حَيْوة وهشام عن أهل الشام: «ثُلْثَي» بإسكان اللام. « ونصفِه وثلثِه» بالخفض قراءة العامة عطفاً على ﴿ثُلُثَيِ﴾، المعنى: تقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ فكيف يقومون نصفه أو ثلثه وهم لا يحصونهُ؟[٤]. وقرأ ابن كثير والكوفيون: «وَنِصْفَهُ وَثُلُثَه» بالنصب عطفاً على «أَدْنَى»[٥] التقدير: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفَه وثلثَه[٦]. قال الفراء[٧]: وهو أشبه بالصواب، لأنه قال أقلَّ من الثلثين، ثم ذكر نفس القِلَّةِ لا أقلَّ من القلة. قال القُشَيْري: وعلى هذه القراءة يَحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف، لخفة القيام عليهم بذلك القدر، وكانوا يزيدون، وفي الزيادة إصابة المقصود، فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه، وينقصون منه. ويحتمل أنهم أُمروا بقيام نصف الليل، ورُخِّص لهم في الزيادة والنقصان، فكانوا ينتهون في الزيادة إلى قريب من الثلثين، وفي النصف إلى الثلث. ويحتمل أنهم قدِّر لهم النصف وأنقص إلى الثلث، والزيادة إلى الثلثين، وكان فيهم من يفي بذلك، وفيهم من يترك ذلك إلى أن نُسخ عنهم.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٦٨.

(٢) ص٣٢٠ من هذا الجزء.

(٣) الوسيط ٤/٣٧٧.

(٤) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٢.

(٥) السبعة ص٦٥٨، والتيسير ص٢١٦.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٤٥.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ١٩٩.

وقال قوم: إنما افترض اللهُ عليهم الربع، وكانوا ينقصون من الربع. وهذا القول تحكُّم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، وأنتم تعلمون بالتَّحرِّي والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ.﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي: لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيامَ به. وقيل: لن تطيقوا قيام الليل[1]. والأوَّل أصح، فإنَّ قيام الليل ما فُرض كلُّه قطُّ. قال مقاتل وغيره: لمَّانزلت: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ شقَّ ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافةَ أن يخطئ، فانتفخت أقدامُهم، وانْتُقِعت ألوانهم، فرحمهم اللهُ وخفَّف عنهم، فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾[2] و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، أي: علم أنكم لن تحصوه، لأنكم إن زدتم ثقُل عليكم، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضاً، وإن نقصتم شقَّ ذلك عليكم.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ أي: فعاد عليكم بالعفو[3]، وهذا يدلُّ على أنه كان فيهم من[4] ترك بعض ما أمر به. وقيل: أي: فتاب عليكم من فرض القيام إذْ عجزتم. وأصل التوبة الرجوع كما تقدَّم[5]، فالمعنى: رجع لكم من تثقيلٍ إلى تخفيف، ومن عُسْرٍ إلى يُسْر.

وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحرِّي، فخفَّف عنهم ذلك التحري.

وقيل: معنى﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ يخلقهما مقدَّرين، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٣٢ من قول الحسن.

(٢) ذكره عنه البغوي ٤/ ٤١١، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٧٧ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٩٧ عن قتادة.

(٣) البغوي ٤/ ٤١١، والوسيط ٤/ ٣٧٧.

(٤) في (م): في.

(٥) ١/ ٤٨٢.

كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ابن العربي[١]: تقدير الخلقة لا يتعلَّق به حكم، وإنما يربط اللهُ به ما يشاء من وظائف التكليف.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المراد نفس القراءة[٢]، أي: فاقرؤوا فيما تصلُّونه بالليل ما خفَّ عليكم. قال السُّديُّ: مئة آية.

الحسن: من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجّه القرآن. وقال كعب: من قرأ في ليلة مئة آية كُتب من القانتين. وقال سعيد: خمسون آية[٣].

قلت: قول كعب أصحّ، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المُقَنْطِرين» خرَّجه أبو داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو. وقد ذكرناه في مقدِّمة الكتاب[٤] والحمد لله.

القول الثاني: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: فصلُّوا ما تيسَّر عليكم[٥]، والصلاة تسمى قرآناً؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: صلاة الفجر. ابن العربي[٦]: وهو الأصح؛ لأنه عن الصلاة أخبر، وإليها يرجع القول.

قلت: الأوّل أصحُّ حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ، والقول الثاني مجاز؛ فإنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله.

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٩ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ٢٣/ ٣٩٦ .

(٤) ١/ ١٨ ، والحديث لم نقف عليه في مسند أبي داود الطيالسي، و إنما هو في سنن أبي داود السجستاني (١٣٩٨).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٢ .

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٦٩ وما قبله منه.

الخامسة: قال بعض العلماء: قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ نَسخَ قيامَ الليل ونصفه، والنقصانَ من النصف والزيادة عليه. ثم احتمل قول الله عز وجل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ معنيين: أحدهما: أن يكون فرضاً ثابتاً(١)؛ لأنه أزيل به فرضٌ غيره. والآخر أن يكون فرضاً منسوخاً أزيل بغيره كما أزيل به غيره؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فاحتمل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ أن(٢) يتهجد بغير الذي فُرض عليه مما تيسَّر منه. قال الشافعيُّ(٣): فكان الواجب طلب الاستدلال بالسُّنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنةَ رسول الله ﷺ تدلُّ على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس.

السادسة: قال القُشيريُّ أبو نصر: والمشهورُ أن نسخ قيام الليل كان في حقِّ الأمة، وبقيت الفريضة في حقِّ النبيِّ ﷺ. وقيل: نسخ التقدير بمقدار، وبقي أصل الوجوب؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فالهَدْيُ لابدَّ منه، كذلك لم يكن بُدٌّ من صلاة الليل، ولكن فُوِّض قدره إلى اختيار المصلّي، وعلى هذا فقد قال قوم: فَرْضُ قيامِ الليل بالقليل باقٍ؛ وهو مذهب الحسن(٤). وقال قوم: نسخ بالكلية، فلا تجب صلاة الليل أصلاً؛ وهو مذهب الشافعي. ولعل الفريضة التي بقيت في حقِّ النبيِّ ﷺ هي هذا، وهو قيامه، ومقداره مفوَّض إلى خِيرتِه.

وإذا ثبت أن القيام ليس فرضاً فقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ معناه: اقرؤوا إن تيسَّر عليكم ذلك، وصلُّوا إن شئتم. وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرَّر في حقِّ النبيِّ ﷺ أيضاً، فما كانت صلاة الليل واجبة عليه. وقوله: «نَافِلَةً لَكَ» محمول على

---

(١) في (د) و(خ) و(ي) و(م): ثانياً. والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في أحكام القرآن للشافعي ١/ ٥٥، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٠، والكلام منهما.

(٢) في النسخ: أي والمثبت من أحكام القرآن والناسخ.

(٣) في أحكام القرآن ١/ ٥٦، وهو في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٠.

(٤) سلف قوله ص٣٢١ من هذا الجزء.

حقيقة النفل. ومن قال: نسخ المقدار وبقي أصل وجوب قيام الليل ثم نسخ، فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة؛ كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء:٧٨]، وقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]، وما في الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوّع(١).

وقيل: وقع النسخ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، والخطاب للنبيِّ ﷺ وللأمة، كما أنَّ فرضية الصلاة وإن خوطب بها النبيُّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ كانت عامة له ولغيره.

وقد قيل: إن فريضة الله امتدت إلى ما بعد الهجرة، ونسخت بالمدينة؛ لقوله تعالى ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وإنما فرض القتال بالمدينة؛ فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة، فقيام الليل نُسخ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]. وقال ابن عباس: لمَّا قدم رسول الله ﷺ نَسَخَ قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ وجوبَ صلاة الليل(٢).

السابعة: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ الآية؛ بيَّن سبحانه علةَ تخفيف قيام الليل، فإن الخَلْق منهم المريض، ويشقُّ عليهم قيام الليل، ويشقُّ عليهم أن تفوتهم الصلاة، والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل، والمجاهد كذلك، فخفَّف الله عن الكل لأجل هؤلاء(٣).

---

(١) أخرج البخاري (١٨٩١)، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض اللهُ عليَّ من الصلاة، فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تَطَّوَّع شيئاً».

(٢) أخرجه أبو عبيد الهروي في الناسخ والمنسوخ (٤٦٧)، والنحاس في ناسخه (٩٠٨) عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس كما في مراسيل ابن أبي حاتم ص١٣٠.

وأخرجه أبو داود (١٣٠٤)، والبيهقي ٢/ ٥٠٠ بنحوه. وسلف نحوه ص٣٢٠ من هذا الجزء.

(٣) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٠ .

و«أنْ» في «أَنْ سَيَكُونُ» مخففة من الثقيلة، أي: علم أنه سيكون[١].

الثامنة: سَوَّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المالَ الحلال[٢] للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله[٣].

وروى إبراهيمُ عن علقمة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من جالبٍ يجلب طعاماً من بلد إلى بلد، فيبيعه بسعر يومه، إلا كانت منزلته عند الله منزلةَ الشهداء» ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وقال ابن مسعود: أيُّما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً، فباعه بسعرِ يومه كان له عند الله منزلة الشهداء، وقرأ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٥].

وقال ابن عمر: ما خلق اللهُ موتةً أموتُها بعد الموت في سبيل الله أحبَّ إليَّ من الموت بين شعبتي رَحْلي، أبتغي من فضل الله ضارباً في الأرض[٦].

وقال طاوس: السَّاعي على الأَرْمَلةِ والمسْكين كالمجاهِدِ في سبيل الله[٧].

وعن بعض السلف أنه كان بواسط، فجهّز سفينَة حِنطة إلى البصرة، وكتب إلى

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩١.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٩.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٩.

(٤) أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود ﷺ كما في الدر المنثور ٦/ ٢٨٠، وهو مرسل.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١١-٤١٢، والكشاف ٤/ ١٧٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٢٥٠)، وفي إسناده فرقد السبخي، وهو ضعيف.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩١، والكشاف ٤/ ١٧٩. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٧٩: رواه الثعلبي من رواية القاسم بن عبد الله عن أبيه عن نافع، عن ابن عمر به، وإسناده ضعيف.

(٧) لم نقف عليه من قول طاوس، وأخرجه الإمام أحمد (٨٧٣٢)، والبخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. وتمامه: «كالمجاهد في سبيل الله، أوكالذي يقوم الليل ويصوم النهار».

وَكيله: بعِ الطعامَ يوم تدخل البصرة، ولا تؤخره إلى غدٍ؛ فوافق سعةً في السعر، فقال التجار للوكيل: إن أخَّرته جمعةً ربحت فيه أضعافَه، فأخره جمعة، فربح فيه أمثاله، فكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحبُ الطعام: يا هذا، إنا كنَّا قنعنا بربح يسيرٍ مع سلامة ديننا، وقد جنيتَ علينا جِناية، فإذا أتاك كتابي هذا؛ فخذ المالَ وتصدَّق به على فقراء البصرة، ولَيتني أنجو من الاحتكار كَفافاً؛ لا عليَّ ولا لي.

ويروى أن غلاماً من أهل مكة كان ملازماً للمسجد، فافتقده ابن عمر، فمشى إلى بيته، فقالت أمه: هو على طعام له يبيعه؛ فلقيه فقال له: يا بنيَّ، مالك وللطعام؟ فهلَّا إبلاً، فهلَّا بقراً، فهلَّا غنماً! إن صاحب الطعام يحب المَحْل، وصاحبَ الماشية يحب الغيث.

التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: صلُّوا ما أمكن؛ فأوجب اللهُ من صلاة الليل ما تيسر، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدَّم[١]. قال ابن العربي[٢]: وقد قال قوم: إن فرض قيام الليل سُنَّ في ركعتين من هذه الآية؛ قاله البخاريُّ وغيره، وعقد باباً ذكر فيه حديث: «يَعقِد الشيطانُ على قافية رأس أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب على كل عُقْدة مكانها: عليك ليلٌ طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر اللهَ انحلت عُقْدة، فإن توضأ انحلت عُقْدة، فإن صلَّى انحلت عُقَده كلُّها، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النفس، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان»[٣] وذكر حديثَ سَمُرة ابن جُنْدُب عن النبيِّ ﷺ في الرؤيا قال: «أما الذي يُثْلَغ رأسُه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفُضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»[٤]، وحديثَ عبد الله بن مسعود قال: ذُكر عند

---

(١) ص٣٢٠-٣٢١ من هذا الجزء.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٠.

(٣) صحيح البخاري (١١٤٢)، وهو عند الإمام أحمد (٧٣٠٨)، ومسلم (٧٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ٢/ ٢٤٣ .

(٤) صحيح البخاري (١١٤٣)، وأخرجه الإمام أحمد (٢٠٠٩٤) مطولاً، ومسلم (٢٢٧٥) مختصراً. قوله في الحديث: «يثلغ رأسه، الثلغ: الشدخ، وقيل: هو ضربك الشيء الرطبَ بالشيء اليابس حتى ينشدخ. النهاية: (ثلغ).

النبيِّ ﷺ رجلٌ ينام الليل كلَّه، فقال: «ذلكَ رَجُلٌ بالَ الشيطانُ في أذنيه»[(١)] فقال ابن العربيّ[(٢)]: فهذه أحاديث مقتضية حمل مطلقِ الصلاة على المكتوبة؛ فيحمل المطلق على المقيَّد لاحتماله له، وتسقط الدعوى ممَّن عيَّنه لقيام الليل.

وفي الصحيح واللفظُ للبخاري[(٣)]: قال عبد الله بن عمرو: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الله، لا تكنْ مثلَ فلان، كان يقوم الليلَ، فترك قيام الليلِ». ولو كان فرضاً ما أقرَّه النبيُّ ﷺ عليه، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه، بل كان يذمه غاية الذمِّ.

وفي الصحيح[(٤)] عن عبد الله بن عمر قال: كان الرجل في حياة النبيِّ ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبيِّ ﷺ، وكنت غلاماً شاباً عَزَباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملَكين أخذاني فذهبَا بي إلى النار، فإذا هي مطويّة كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: ولقيَنا مَلَكٌ آخر، فقال لي: لم تُرَعْ. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ، فقال: «نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلّي من الليل»، فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً؛ فلو كان تَرْك القيام معصية لمَا قال له المَلك: لم تُرَعْ. والله أعلم.

العاشرة: إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرضٍ، وأن قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ محمولٌ على ظاهره من القراءة في الصلاة، فاختلف العلماء في قدْرِ ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة؛ فقال مالكٌ والشافعيُّ: فاتحة الكتاب، لا يجزئ العدول عنها، ولا الاقتصار على بعضها، وقدَّره أبو حنيفة بآية واحدة، من أيِّ القرآن كانت. وعنه ثلاث آيات، لأنها أقلُّ سورة. ذكر القول الأوَّلَ الماورديُّ[(٥)]

(١) صحيح البخاري (٣٢٧٠)، وهو عند الإمام أحمد (٣٥٥٧)، ومسلم (٧٧٤).

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٠-١٨٧١ .

(٣) صحيح البخاري (١١٥٢)، وصحيح مسلم (١١٥٩) (١٨٥).

(٤) صحيح لبخاري (١١٢١)، وصحيح مسلم (٢٤٧٩)، وهو عند الإمام أحمد(٦٣٣٠).

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٣٣ .

والثاني ابنُ العربيّ[(١)]. والصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعيُّ، على ما بيَّناه في سورة الفاتحة[(٢)] أوَّلَ الكتاب والحمد لله.

وقيل: إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة، قال الماوردي[(٣)]: فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولاً على الوجوب، أو على الاستحباب دون الوجوب. وهذا قول الأكثرين، لأنه لو وجب عليه أن يقرأه[(٤)] لوجب عليه أن يحفظه.

الثاني: أنه محمول على الوجوب، ليقف بقراءته على إعجازه، وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائلَ التوحيد منه أن يحفظه، لأن حِفظ القرآن من القُرب المستحبة دون الواجبة.

وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال:

أحدها: جميع القرآن، لأن الله تعالى يسَّره على عبادِه، قاله الضحاك.

الثاني: ثلث القرآن، حكاه جويبر.

الثالث: مئتا آية، قاله السدّيُّ.

الرابع: مئة آية، قاله ابن عباس.

الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة - وهي الخمس - لوقتها.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة في أموالكم، قاله عكرمة وقتادة. وقال الحارث العُكْلي: صدقة الفطر؛ لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك. وقيل: صدقة التطوع. وقيل: كل أفعال الخير. وقال ابن عباس: طاعة الله والإخلاص له[(٥)].

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧١ .

(٢) ١/ ١٩٠-١٩١ .

(٣) في النكت والعيون ٦/ ١٣٣ ، والقول الذي قبله منه.

(٤) في (م) يقرأ.

(٥) المصدر السابق بنحوه.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ القَرْضُ الحسن: ما قُصد به وجهُ الله تعالى خالصاً من المال الطَّيِّب. وقد مضى في سورة الحديد[١] بيانه. وقال زيد بن أسلم: القرض الحسن: النفقةُ على الأهل. وقال عمر بن الخطاب: هو النفقة في سبيل الله[٢].

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ تقدَّم في سورة البقرة[٣].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حَيْساً ـ يعني تمراً بلبن ـ فجاءه مسكين، فأخذه ودفعه إليه. فقال بعضهم: ما يدري هذا المسكين ما هذا؟ فقال عمر: لكن ربُّ المسكين، يدري ما هو. فكأنه تأوّلَ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾[٤] أي: مما تركتم وخلَّفتم، ومن الشحِّ والتقصير.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ قال أبو هريرة: الجنة[٥]، ويحتمل أن يكون أعظم أجراً، لإعطائه بالحسنة عشراً. ونصب ﴿خَيْرًا وَأَعْظَمَ﴾ على المفعول الثاني لـ «تَجدوه» و«هو»: فصلٌ عند البصريين، وعمادٌ في قول الكوفيين، لا محل له من الإعراب[٦]. و«أَجْراً» تمييز.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي: سلوه المغفرةَ لذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما كان قبْلَ التوبة ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم[٧] بعدها، قاله سعيد بن جبير.

ختمت السورة.

---

(١) عند تفسير الآية ١٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٣٤ .

(٣) ٢/ ٣١٦ وما بعد.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٤ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٢ .

(٧) في النسخ: لكم. والمثبت من النكت والعيون ١٦/ ١٣٤ ، والكلام منه.

سورة المُدَّثِّر

مكِّيَّةٌ في قول الجميع. وهي ستٌّ وخمسون آية[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي: ياذا الذي قد تَدَثَّرَ بثيابه، أي: تغشَّى بها ونام، وأصلهُ: المتدثر، فأُدغمت التاء في الدَّال لتجانُسهما[٢]. وقرأ أُبيّ: «الْمُتدثِّر»على الأصل[٣].

ونزل[٤] معظمُ هذه السورة في الوليد بن المغيرة. وفي صحيح مسلم[٥] عن جابر ابن عبدالله ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يُحدِّث ـ قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فَترة الوحي؛ قال في حديثه: «فبينا[٦] أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي، فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراءٍ جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض». قال رسول الله ﷺ: «فجُئِثْتُ[٧] منه فَرَقاً، فرجعتُ فقلت: زمِّلوني زمِّلوني، فدثَّروني، فأنزلَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٢، وزاد المسير ٨/ ٣٩٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس٥/ ٦٥ ، وتفسير الرازي٣٠/ ١٨٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٩٩ .

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): وقال، وفي(م): وقال مقاتل، والمثبت من (خ)

(٥) برقم (١٦١): (٢٥٥)، وهو عند البخاري (٤)، (٤٩٥٤) .

(٦) في(م): فبينما.

(٧) أي: ذعرت وخفت. النهاية (جأث).

. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ ـ في روايةٍ: قبل أنْ تُفرض الصلاة[١] ـ وهي الأوثان. قال: «ثم تتابع الوحي». خرجه الترمذيُّ أيضاً وقال: حديث حسن صحيح[٢].

قال مسلم: وحدّثنا زهيرُ بن حرب قال: حدَّثنا الوليدُ بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعيُّ قال: سمعتُ يحيى يقول: سألتُ أبا سلمة: أيُّ القرآن أُنزِل قبلُ؟ قال: «ياأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ». فقلتُ: أو«اقرأ». فقال: سألتُ جابرَ بن عبدالله: أيُّ القرآن أُنزِل قبلُ؟ قال: «يا أَيُّهَا الْمُدثِّرُ» فقلتُ: أو«اقرأ»؟ فقال جابر: أُحَدِّثكم ما حَدَّثنا رسولُ الله ﷺ، قال: «جاورتُ بِحِراءٍ شهراً، فلما قضيتُ جواري نَزَلْتُ، فاستبطنتُ بطن الوادي، فنوديتُ، فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أَرَ أحداً، ثمَّ نُوديتُ، فنظرتُ، فلم أرَ أحداً، ثمَّ نُوديتُ، فرفعتُ رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء ـ يعني جبريل ﷺ ـ فأخذتني رَجْفة شديدةٌ، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ: دثِّروني، فدثروني، فَصَبُّو عليَّ ماءً، فأنزلَ الله عزَّوجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣] خَرَّجه البخاريُّ، وقال فيه: «فأتيتُ خديجةَ فقلتُ: دثِّروني، وَصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فدثَّروني وصَبُّوا عليَّ ماءً بارداً، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٤].

ابن العربيّ: وقد قال بعض المفسرين: إنَّه جرى على النبيّ ﷺ من عُقْبة [بن ربيعة] أمرٌ، فرجعَ إلى منزله مغموماً، فقَلِق واضطجع، فنزلت: «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ». وهذا باطل[٥].

(١) هي في صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٦)، وصحيح البخاري(٤٩٢٥)، ومسند أحمد (١٥٠٣٥).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٢٥).

(٣) صحيح مسلم (١٦١): (٢٥٧)

(٤) صحيح البخاري(٤٩٢٢)، وهو عند أحمد (١٤٢٨٧) .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي٤/ ١٨٧٣ . وما سلف بين حاصرتين منه.

وقال القشيريُّ أبو نصر: وقيل: بلغَه قولُ كفار مكَّة: أنت ساحر. فوجَدَ من ذلك غمًّا وحُمَّ، فتدثَّر بثيابه، فقال الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: لاتفكَّر في قولهم، وبلِّغهم الرسالة.

وقيل: اجتمع أبو لهب، وأبو سفيان، والوليدُ بن المغيرة، والنَّضْر بن الحارث، وأميَّةُ بن خَلَف، والعاص بنُ وائل، ومُطعِم بن عديّ، وقالوا: قد اجتمعت وفودُ العرب في أيَّام الحجّ، وهم يتساءلون عن أمر محمد، وقد اختلفتُم في الإخبار عنه، فمِنْ قائلٍ يقول: مجنون، وآخرَ يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر[١]، وتَعلمُ العرب أنَّ هذا كلَّه لايجتمعُ في رجلٍ واحد، فسمُّوا محمداً باسمٍ واحدٍ تجتمعون[٢] عليه، وتُسمِّيه العربُ به، فقام منهم رجلٌ فقال: شاعر، فقال الوليد: سمعتُ كلامَ ابن الأبرص، وأميةَ بن أبي الصَّلْت، وما يشبهُ كلامُ محمدٍ كلامَ واحدٍ منهما، فقالوا: كاهن. فقال: الكاهنُ يَصدُق ويكذب، وما كَذَب محمدٌ قطّ. فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: الجنون[٣] يَخنُق الناسَ، وما خُنِقَ محمدٌ قطّ. وانصرفَ الوليدُ إلى بيته، فقالوا: صبأ الوليدُ بن المغيرة، فدخلَ عليه أبو جهل وقال: مالكَ يا أبا عبد شمس! هذه قريشٌ تجمعُ لك شيئاً يعطونكَه، زعموا أنَّك قد احتجتَ وصبأت. فقال الوليد: مالي إلى ذلك حاجةٌ، ولكني فكَّرتُ في محمد، فقلت: ما يكون من الساحر؟ فقيل: يفرِّقُ بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلتُ: إنَّه ساحر. فشاعَ هذا في الناس وصاحوا يقولون: إنَّ محمداً ساحرٌ. ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته محزوناً، فتدثَّر بقطيفة، ونزلت: «يا أَيُّهَا الْمُدثِّرُ»[٤].

وقال عِكرمة: معنى «يَأَيُّهَا الْمُدثِّرُ» أي: المدَّثِّر بالنبوة وأثقالها[٥]. ابن

(١) بعدها في (ظ): وآخر يقول ساحر.
(٢) في النسخ عدا (خ): يجتمعون.
(٣) في (م): المجنون.
(٤) ذكر هذه الرواية بنحوها الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٩١.
(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٥، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٠٤.

العربيّ[١]: وهذا مجازٌ بعيد؛ لأنَّه لم يكن تَنَبَّأ بعد، على[٢] أنها أوّل القرآن، [و] لم يكن تمكَّن منها بعد إنْ كانت ثاني مانزل.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: ملاطفةٌ في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذْ ناداه بحاله، وعبَّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللِّين والملاطفةَ من ربِّه كما تقدَّم في سورة المزمل[٣]. ومثلُه قولُ النبيِّ ﷺ لعليٍّ إذْ نام في المسجد: ـ «قم أبا تراب» ـ وكان خرجَ مغاضِباً لفاطمة رضي الله عنها، فسقطَ رداؤه، وأصابه ترابه؛ خرَّجه مسلم[٤]. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفةَ ليلة الخندق: ـ «قُمْ يانَوْمان» ـ وقد تقدَّم[٥].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: خوِّف أهلَ مكَّة، وحذِّرهم العذابَ إنْ لم يُسلِموا. وقيل: الإنذارُ هنا إعلامُهم بنبوَّته؛ لأنَّه مقدمةُ الرسالة. وقيل: هو دعاؤُهم إلى التوحيد؛ لأنَّه المقصود بها[٦].

وقال الفرَّاء[٧]: قم فصلِّ، وأْمُرْ بالصلاة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: سيِّدَكَ ومالكَكَ ومصلحَ أمرِك فعظِّم، وَصِفْهُ بأنَّه أكبرُ من أنْ يكونَ له صاحبةٌ أو ولد.

وفي حديث أنَّهم قالوا: بِم تُفتتح الصَّلاة؟ فنزلت: «وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ»[٨]. أي: صِفْهُ بأنَّه أكبر.

---

(١) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٣ .

(٢) في النسخ: وعلى. والمثبت من أحكام القرآن، وما سيأتي بين حاصرتين منه .

(٣) ص٣١٦ من هذا الجزء.

(٤) برقم(٢٤٠٩)، وأخرجه أيضاً البخاري(٤٤١). وسلف ص٣١٦ من هذا الجزء .

(٥) ١٧/ ٨٢ و ص٣١٦ من هذا الجزء. والكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٣ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٣٥ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٢٠٠ .

(٨) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز٥/ ٣٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨١ عن أبي هريرة ﷺ، ونسبه لابن مردويه، ولم نقف على إسناده.

قال ابن العربيّ: وهذا القولُ وإنْ كان يقتضي بعمومه تكبيرَ الصلاة، فإنَّه مرادٌ فيه تكبير التقديس[(١)] والتنزيه؛ بخلع[(٢)] الأنداد والأصنام دونه، ولا تتخذ وليًّا غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلَّا له، ولانعمةً إلَّا منه.

وقد روي أنَّ أبا سفيان قال يومَ أُحُد: أُعْلُ هُبَل؛ فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا: اللهُ أعلى وأجلّ»[(٣)]. وقد صار هذا اللفظُ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلِّها أذاناً وصلاةً وذكراً بقوله: «الله أكبر»، وحُمِل عليه لفظُ النبيِّ ﷺ الواردُ على الإطلاق في مواردها[(٤)]، منها قوله: «تحريمُها التكبير، وتحليلُها التسليم»[(٥)]، والشرعُ يقتضي بعرفه ما يَقْتضي بعمومه، ومن موارده أوقاتُ الإهلال بالذبائح لله تخليصاً له من الشِّرك، وإعلاناً[(٦)] باسمه في النُّسُك، وإفراداً لِمَا شرع[(٧)] لأمره بالسَّفْك[(٨)].

قلت: قد تقدَّم في أوّل سورة البقرة[(٩)] أنَّ هذا اللفظَ: ـ «اللهُ أكبر» ـ هو المتعبَّدُ به في الصلاة، المنقولُ عن النبيِّ ﷺ.

وفي التفسير: أنَّه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قام رسولُ الله ﷺ وقال: «اللهُ أكبر»، فكبَّرت خديجة، وعلمتْ أنَّه الوحي من الله تعالى؛ ذكره القشيريّ[(١٠)].

---

(١) في (م)، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٤ : التكبير والتقديس، والمثبت من النسخ الخطية وهو موافق لنسخة من أحكام القرآن كما ذُكر في حواشيه.

(٢) في النسخ عدا (ظ): لخلع، والمثبت موافق لأحكام القرآن.

(٣) قطعة من حديث البراء بن عازب ﷺ؛ أخرجه أحمد (١٨٥٩٣) والبخاري (٤٠٤٣)، وسلف ٥/ ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٤) في (م): موارد.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٠٦)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥) عن علي بن أبي طالب ﷺ، وسلف ١/ ٢٦٩ .

(٦) في (د): وإعلاماً.

(٧) بعدها في (م) و(ي): منه.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٤ .

(٩) ١/ ٢٦٩ .

(١٠) وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٠ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٩١ .

الخامسة: الفاء في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ دخلت على معنى جواب الجزاء، كما دخلت في «فَأَنْذِرْ» أي: قم فأنذر، وقم فكبِّر ربَّك؛ قاله الزَّجَّاج(١). وقال ابن جني: هو كقولك زيداً فاضربْ، أي: زيداً اضربْ، فالفاء زائدة(٢).

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: أنَّ المرادَ بالثياب العمل. الثاني: القلب. الثالث: النفس. الرابع: الجسم. الخامس: الأهل. السادس: الخُلُق. السابع: الدين. الثامن: الثيابُ الملبوسات على الظاهر.

فمن ذهب إلى القول الأوّل قال: تأويل الآية: وعملَك فأصلح؛ قاله مجاهد وابن زيد(٣).

وروى منصورٌ عن أبي رَزِين قال: يقول: وعملَك فأصلح؛ قال: وإذا كان الرجلُ خبيثَ العمل؛ قالوا: إنَّ فلاناً خبيثُ الثياب، وإذا كان حسنَ العمل؛ قالوا: إنَّ فلاناً طاهرُ الثياب(٤)؛ ونحوه عن السُّدِّيّ(٥).

ومنه قول الشاعر:

لا هُمَّ إنَّ عامرَ بنَ جَهْمِ أَوْذَمَ حَجّاً في ثِيابٍ دُسْمِ(٦)

ومنه ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يُحشَرُ المرءُ في ثوبيه اللَّذين ماتَ فيهما(٧)».

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٤٥ .

(٢) ينظر سرُّ صناعة الإعراب لابن جني ١/ ٢٦٠ .

(٣) أخرج قول مجاهد الطبري ٢٣/ ٦٣ .

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٠٩ .

(٥) ذكره الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٤١٣ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٨٠ .

(٦) ذكره ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ١/ ٤٨١ وابن منظور في اللسان (دسم) دون نسبة، وقال: يعني أنه حجَّ، وهو متدنِّسٌ بالذنوب، وأوذم الحج: أوجبه، وتدسيم الشيء: جعل الدسم عليه، وثياب دُسْمٌ: وسخة.

(٧) في (م): عليهما.

يعني عمله الصالح والطالح؛ ذكره الماورديّ[١]. ومن ذهب إلى القول الثاني قال: إنَّ تأويلَ الآية: وقلبَكَ فطهِّر؛ قاله ابنُ عباس وسعيد بن جُبير[٢]؛ دليله قول امرئ القيس:

فَسُلِّي ثيابي من ثيابك تَنْسُلِ[٣]

أي قلبي من قلبك. قال الماوردي[٤]: ولهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما: معناه: وقلبَك فطهِّر مِن الإثم والمعاصي؛ قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: وقلبَك فطهِّر من الغدر، أي: لا تغدر فتكونَ دنس الثياب. وهذا مرويٌّ عن ابن عباس، واستشهدَ بقول غيلانَ بن سلمة الثقفيّ:

فإني بحمد الله لا ثوبَ فاجِرٍ لبِستُ ولا من غَدْرَةٍ أتقنَّعُ[٥]

ومن ذهب إلى القول الثالث قال: تأويل الآية: ونفسَك فطهِّر، أي: من الذنوب.

والعربُ تَكني عن النفس بالثياب؛ قاله ابن عباس[٦]. ومنه قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمح الطَّويلِ ثيابَهُ ليس الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ[٧]

وقال امرؤ القيس:

فَسُلِّي ثيابِي من ثيابِك تَنْسُلِ[٨]

وقال:

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٣٦، وأخرج نحوه أبو داود (٣١١٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٦) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

(٢) قول ابن عباس في النكت والعيون ٦/ ١٣٦، وقول سعيد بن جبير في زاد المسير ٨/ ٤٠١.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٣، وسلف ٣/ ٣٨٦

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٣٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٠٥، والبيت نسبه صاحب الأغاني ١٦/ ٢٣٥-٢٣٦ لبرذع بن عديّ في قصيدة له. وسلف١/ ٤٤.

(٦) أخرجه الطبري٢٣/ ٤٠٦ بنحوه.

(٧) ديوان عنترة ص٢٦، وفيه: الأصم. بدل: الطويل.

(٨) من قوله: وقال امرؤ القيس إلى قوله: تنسل. ساقط من (ظ). وسلف قريباً.

ثِـيـابُ بَـنـي عـوفٍ طَـهـارَى نَـقِـيَّـةٌ وأَوْجُـهُـهُـمْ عند الـمشاهد[١] غُرَّانُ[٢]

أي: أنفس بني عوف.

ومن ذهب إلى القول الرابع قال: تأويلُ الآية: وجسمَك فطهِّر؛ أي: عن المعاصي الظَّاهرة. وممَّا جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قولُ ليلى وذَكَرت إبلًا:

رمـوهـا بـأَثْـيـابٍ خِـفـافٍ فـلا تَـرَى لـهـا شَـبَـهًـا إلَّا الـنَّـعـامَ الـمـنُـفَّـرا

أي: ركبوها فرمَوها بأنفسهم[٣]

ومن ذهب إلى القول الخامس قال: تأويلُ الآية: وأَهلكَ فطهِّرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب؛ والعربُ تُسمِّي الأهلَ ثوباً ولباساً وإزاراً، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الماورديُّ[٤]: ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناهُ: ونساءك فطهِّر، باختيار المؤمنات العفائف.

الثاني: الاستمتاعُ بهنَّ في القُبُل دون الدُّبر، في الطهر لا في الحيض. حكاه[٥] ابن بحر.

ومن ذهب إلى القول السادس قال: تأويل الآية: وخُلُقَك فحسِّن. قاله الحسنُ والقُرَظيّ[٦]؛ لأنَّ خُلُق الإنسان مشتملٌ على أحواله، اشتمالَ ثيابه على نفسه. وقال الشاعر:

---

(١) في (م): بيض المسافر.

(٢) ديون امرئ القيس ص٨٣، وسلف الشطر الأول منه ١٥/ ٣٤٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص١٠٧، ولفظ البيت فيه: رموها بأثواب. بدل: رموها بأثياب.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٣٧.

(٥) في النكت والعيون: حكاهما.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٣

وَيَــحْـيَــى لا يُـلامُ بِـسُــوءِ خُـلْــقٍ ... وَيَــحْـيَــى طَـاهِـرُ الأثْـوابِ حُــرُّ

أي: حسن الأخلاق.

ومن ذهب إلى القول السابع قال: تأويلُ الآية: ودينَك فطهِّر.

وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام قال: «ورأيتُ الناس وعليهم ثياب، منها مايبلغ الثُّدِيّ، ومنها ما دون ذلك، ورأيتُ عمر بن الخطاب وعليه إزار يجرُّه». قالوا: يا رسول الله، فما أوَّلتَ ذلك؟ قال: «الدِّين»[١].

وروى ابنُ وهبٍ عن مالك أنَّه قال: ما يعجبني أنْ أقرأ القرآن إلَّا في الصلاة والمساجد لا في الطريق، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، يريد مالك أنَّه كَنَى عن الدين بالثياب[٢]. وقد رَوى عبدُ الله بن نافع عن أبي بكر بنِ عبد العزيز بنِ عبد الله بن عمرَ بن الخطاب، عن مالك بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لا تَلْبسها على غَدْرة، ومنه قول أبي كَبشة[٣]:

ثِـيـابُ بـنـي عَـوْفٍ طَـهـارَى نَـقِـيَّـةٌ ... وَأَوْجُـهُـهُـمْ عـنـدَ الْـمَـشَـاهـد[٤] غُـرَّانُ

يعني بطهارة ثيابهم: سلامَتَهم من الدناءات، ويعني بغرة وجوههم: تنزيهَهم عن المحرَّمات، أو جمالهم في الخِلْقة، أو كليهما؛ قاله ابن العربي[٥].

وقال سفيانُ بن عيينة: لا تلبس ثيابَك على كذبٍ ولا جَوْرٍ، ولا غَدْرٍ، ولا إثمٍ[٦]، وقاله عِكرمة[٧]. ومنه قولُ الشاعر:

---

(١) صحيح البخاري (٢٣)، وصحيح مسلم (٢٣٩٠)، ومسند أحمد (١١٨١٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) في النسخ: عن الثياب بالدين، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي٤/ ١٨٧٥ . والكلام منه.

(٣) سلف البيت منسوباً لامرئ القيس قريباً. ونسبه المصنف هنا لأبي كبشة تبعاً لابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥ .

(٤) في (م) بيضُ المسافر، وفي أحكام القرآن: عند المشاعر. والمثبت من النسخ الخطية.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٥ .

(٧) أخرجه بنحوه الطبريُّ ٢٣/ ٤٠٥-٤٠٦ .

أَوْذَمَ حَـجّـاً فـي ثـيـابٍ دُسْـمِ[١]

أي: قد دنَّسها بالمعاصي.

وقال النابغة:

رِقَـاقُ الـنِّـعـالِ طـيِّـبٌ حُـجُـزاتُـهُـمْ يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسِبِ[٢]

ومن ذهب إلى القول الثامن قال: إنَّ المرادَ بها الثيابُ الملبوسات، فلهم في تأويله أربعة أوجه:

أحدهما: معناه: وثيابَك فأنْقِ؛ ومنه قول امرئ القيس:

ثـيـابُ بـنـي عَـوْفٍ طَـهَـارَى نَـقِـيَّـةٌ[٣]

الثاني: وثيابَك فشمِّرْ وقصِّرْ، فإنَّ تقصيرَ الثياب أبعدُ من النجاسة، فإذا انجرَّت على الأرض لم يُؤْمَن أنْ يصيبَها ما يُنجِّسها؛ قاله الزَّجَّاج وطاوس[٤].

الثالث: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» من النجاسة بالماء؛ قاله محمدُ بن سيرين وابن زيد والفقهاء.

الرابع: لا تلبس ثيابك إلَّا من كسبٍ حلال لتكون مطهرةً من الحرام[٥]. وعن ابن عباس: لا تكن ثيابك التي تَلبس من مكسبٍ غير طاهر.

ابنُ العربي[٦] ـ وذكر بعض ما ذكرناه ـ: ليس بممتنعٍ أنْ تُحمَل الآيةُ على عموم

---

(١) سلف ص٣٥٩ من هذا الجزء.

(٢) ديوان النابغة ص١٢، قال البغدادي في الخزانة ٩/ ٤٩٠: أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم، إنما يخصفها من يمشي، والحُجْزة: الوسط. أراد أنهم يشدون أُزُرَهُم على عفَّة، والسباسب: يوم الشعانين. اهـ. وقال ابن الأثير في النهاية (نعل): العرب تمدح برقة النِّعال، وتجعلها من لباس الملوك.

(٣) ديون امرئ القيس ص٨٣، وسلف قريباً.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٥، وقول طاوس في النكت والعيون ٦/ ١٣٧.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٧.

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٥.

المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة[(١)]؛ فهي تتناولُ معنيين:

أحدُهما: تقصيرُ الأذيال؛ فإنَّها[(٢)] إذا أُرسلت تدنَّست، ولهذا قال عمرُ بن الخطاب ﷺ لغلامٍ من الأنصار ـ وقد رأى ذيلَه مُسترخياً ـ: ارفعْ إزارك، فإنَّه أتقى وأنقى وأبقى[(٣)].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «إزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصاف ساقيه، لا جُناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفلَ من ذلك ففي النَّار»[(٤)]. فقد جعل النبيُّ ﷺ الغايةَ في لباس الإزار الكعبَ، وتوعَّد ما تحتَه بالنَّار، فما بال رجالٍ يُرسلون أذيالهم، ويُطيلون ثيابَهم، ثمَّ يتكلَّفون رفعها بأيديهم، وهذه حالةُ الكِبْر، وقائدةُ العُجْب، [وأشدُ ما في الأمر أنَّهم يَعصُون ويحتجُّون، ويُلْحِقون أنفسَهم] بمن لم يجعل الله معه غيره، ولا أَلحق به سواه. قال النبيُّ ﷺ: «لا يَنْظر اللهُ إلى من جرَّ ثوبه خُيَلاء»[(٥)]، ولفظُ الصحيح: «من جرَّ إزارَه خُيَلاءَ، لم ينظر اللهُ إليه يومَ القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله! إنَّ أحدَ شِقَّيْ إزاري يسترخي إلَّا أنْ أتعاهدَ ذلك منه؟ قال رسول الله ﷺ: «لستَ ممن يصنعُه خُيَلاءَ»[(٦)]. فعمَّ رسول الله ﷺ بالنهي. واستثنى الصدِّيق، فأرادَ الأدنياءُ إلحاق أنفسهم بالرفعاء[(٧)]، و ليس ذلك لهم.

والمعنى الثاني: غسلُها من النجاسة، وهو ظاهرٌ منها، صحيحٌ فيها[(٨)].

---

(١) في (د) و(م) و(ي): الظاهرة.

(٢) في (د) و(م): لأنها.

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٣٨٧-٣٨٨ .

(٤) أخرجه أحمد (١١٠١٠)، (١١٠٢٨)، وأبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في الكبرى (٩٦٣٢)، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، وهو عند أحمد (٥٣٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) في أحكام القرآن لابن العربي: بالأقصياء.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٥-١٨٧٦ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

المهدويُّ: وبه استدلَّ بعضُ العلماء على وجوب طهارة الثوب. قال ابنُ سيرين وابن زيد: لا تصلِّ إلَّا في ثوبٍ طاهر(١). واحتجَّ بها الشافعيُّ على وجوب طهارة الثوب. وليست عند مالكٍ وأهلِ المدينة بفرض، وكذلك طهارةُ البدن، ويدلُّ على ذلك الإجماع على جوازِ الصلاة بالاستجمار من غير غسل. وقد مضى هذا القول في سورة براءة مستوفىً(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قال مجاهدٌ وعكرمة: يعني الأوثان؛ دليلُه قولُهُ تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقاله ابنُ عباس وابنُ زيد. وعن ابن عباس أيضاً: والمأثم فاهجر، أي: فاترك. وكذا رَوى مُغيرةُ عن إبراهيم النَّخَعيِّ قال: الرُّجز: الإثم. وقال قتادة: الرُّجز: إسافٌ ونائلة، صنمان كانا عند البيت(٣). وقيل: الرُّجزُ: العذاب، على تقدير حذف المضاف؛ المعنى: وعَمَلَ الرجز فاهجر، أو العمل المؤدِّي إلى العذاب، وأصلُ الرِّجز العذاب، قال الله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ١٦٢] فسُمِّيت الأوثانُ رِجزاً؛ لأنَّها تؤدِّي إلى العذاب(٤).

وقراءةُ العامة: «الرِّجْزَ» بكسر الراء. وقرأ الحسنُ، وعكرمةُ، ومجاهد، وابن محيصن، وحفص عن عاصم: «والرُّجْزَ» بضمِّ الراء(٥).

---

(١) أخرج قولهما بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٠٩ .

(٢) ١٠/ ٣٨٢-٣٨٣ .

(٣) أخرج الأقوال السابقة الطبري ٢٣/ ٤١١-٤١٢ ، عدا قول ابن عباس الثاني فذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٣ .

(٤) الكلام بنحوه في تأويل مشكل القرآن ص٣٦١ ، والكشاف ٤/ ١٨١ .

(٥) رواية حفص عن عاصم في السبعة ص٦٥٩ ، والتيسير ص٢١٦ ، وهي عن الحسن ومجاهد وابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩ ، وزاد المسير ٨/ ٤٠١ .

وهما لغتان مثل الذِّكر والذُّكر. وقال أبو العالية والربيع والكسائيّ: الرُّجز بالضم: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية(١). وقال الكسائيُّ أيضاً: بالضمِّ: الوثن، وبالكسر: العذاب(٢). وقال السّديّ: الرَّجْز بنصب الراء: الوعيد(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فيه أحد عشر تأويلاً(٤)؛

الأوّل: لا تمنن على ربِّك بما تتحمَّلُه من أثقال النبوَّة، كالذي يستكثرُ ما يتحمَّله بسبب الغير.

الثاني: لا تعطِ عطيةً تلتمسُ بها أفضلَ منها؛ قاله ابنُ عباس وعِكرمة وقتادة. قال الضَّحَّاك: هذا حرَّمه الله على رسول الله ﷺ؛ لأنَّه مأمورٌ بأشرف الآداب، وأجلِّ الأخلاق، وأباحَه لأمَّته؛ وقاله مجاهد(٥).

الثالثُ؛ عن مجاهدٍ أيضاً: لا تَضْعُفْ أنْ تستكثرَ من الخير؛ من قولك: حبلٌ منين إذا كان ضعيفاً؛ ودليلُه قراءة ابن مسعود: «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر مِنَ الْخَيْرِ»(٦).

الرابع: عن مجاهد أيضاً والربيع: لا يعظم(٧) عملك في عينك أنْ تستَكثرَ من الخير، فإنَّه ممَّا أنعمَ الله عليك(٨). قال ابنُ كَيْسان: لا تستكثر عملَك فتراه من

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٣ عن أبي العالية والربيع.

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ١٠٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣٧ .

(٤) في النسخ الخطية: عشر تأويلات، والمثبت من (م).

(٥) النكت والعيون ٧/ ١٣٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٦٧ ، وينظر الكشاف ٤/ ١٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ٤٠٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤ ، ولفظ قراءة ابن مسعود فيه: ولا تمنن أن تستكثر من الخير. وسيذكرها المصنف عنه بلفظ: ولا تمنن أن تستكثر.

(٧) في (د) و(ظ) و(م): لا تعظم.

(٨) أخرجه الطبري عن الربيع ٢٣/ ٤١٥-٤١٦ .

نفسك، إنَّما عملُك مِنَّةٌ من الله عليك؛ إذْ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته.

الخامس: قال الحسن: لا تمننْ على الله بعملك؛ فتستكثره[١].

السادس: لا تمنن بالنبوَّةِ والقرآن على الناس؛ فتأخذَ منهم أجراً تستكثرُ به.

السابع: قال القُرَظيّ: لا تعطِ مالَك مصانعةً.

الثامن[٢]: قال زيدُ بن أسلم: إذا أعطيتَ عطيةً فأعطها لربِّك.

التاسع: لا تقلْ: دعوت فلم يُستَجب لي.

العاشر: لا تعملْ طاعةً وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكونَ الله هو الذي يثيبُك عليها.

الحادي عشر: لا تفعلْ الخيرَ لترائي به النَّاس[٣].

الثانية: هذه الأقوالُ وإنْ كانت مرادةً فأظهرُها قولُ ابن عباس: لا تعطِ لتأخذَ أكثرَ ممَّا أُعطيتَ من المال؛ يقال: مننتُ فلاناً كذا، أي: أعطيتُه. ويقال للعطية المِنّة؛ فكأنَّه أمر بأنْ تكون عطاياه لله، لا لارتقاب ثوابٍ من الخلق عليها؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام ما كان يجمع الدنيا؛ ولهذا قال: «مالي ممَّا أفاءَ الله عليكم إلَّا الخُمس، والخُمس مردودٌ عليكم»[٤]. وكان ما يَفْضُل من نفقة عياله مصروفاً إلى مصالح المسلمين؛ ولهذا لم يورث؛ لأنَّه كان لا يملكُ لنفسه الادِّخار والاقتناء، وقد عصمَه اللهُ تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا؛ ولهذا[٥] حرمت عليه الصدقةُ، وأُبيحت له الهديَّة، فكان يقبلُها، ويثيبُ عليها. وقال: «لو دعيت إلى كُرَاع[٦]

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤١٥ .

(٢) لفظة: الثامن. من (م) .

(٣) القول الأخير في النكت والعيون ٦/ ١٣٨ .

(٤) أخرجه أحمد (٦٧٢٩) مطولاً، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وسلف ٩/ ٤٤٤ .

(٥) في (م): ولذلك.

(٦) في (ظ) و(ي): ذراع.

لأجبت، ولو أُهدي إليَّ كُراع[١] لقبلت»[٢].

ابن العربيّ: وكانَ يَقبلُها سُنةً ولا يستكثرها شِرعة، وإذا كان لا يُعطي عطيةً يستكثر بها، فالأغنياءُ أولى بالاجتناب؛ لأنَّها بابٌ من أبواب المذلَّة، وذلك[٣] قول من قال: إنَّ معناه[٤]: لا تعطِ[٥] عطيةً تنتظرُ ثوابَها، فإنَّ الانتظار تعلُّق بالأطماع، وذلك في حيِّزه بحكم الامتناع، وقد قال الله تعالى[٦]: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] وذلك جائزٌ لسائر الخلق؛ لأنَّه من متاع الدنيا، وطلب الكسب [فيها]، والتكاثر بها. وأمَّا من قال: أراد به العمل، أي: لا تمننْ بعملك على الله فتستكثرَه؛ فهو صحيح؛ فإنَّ ابنَ آدم لو أطاعَ الله عمرَه من غير فتور، لَمَا بلغَ لنعم الله بعضَ الشكر[٧].

الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَمْنُنْ» قراءةُ العامَّة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السَّمَّال العدوي، وأشهب العُقيليّ، والحسن: «وَلَا تَمُنَّ»؛ مدغمةً مفتوحة[٨].

«تَسْتَكْثِرُ»: قراءةُ العامة بالرفع، وهو[٩] في معنى الحال، تقول: جاء زيدٌ يركض، أي: راكضاً، أي: لا تعطِ شيئاً مقدِّراً أنْ تأخذ بدلَه ما هو أكثرُ منه[١٠].

---

(١) في (م): ذراع.

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٨٥)، و(١٠٦٥١)، والبخاري (٥١٧٨) عن أبي هريرة ﵁.

(٣) في (م): وكذلك.

(٤) في (د) و(م): معناها. والمثبت من (ز) و(ظ) و(ي) وهو الموافق لأحكام القرآن لابن العربي.

(٥) في النسخ: لا تعطي. والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) بعدها في (م): له.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٧ . وما بين حاصرتين منه.

(٨) قراءة أبي السَّمَّال والحسن في القراءات الشاذة ص١٦٤ . وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٧١-٣٧٢ .

(٩) بعدها في (ظ): صحيح.

(١٠) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧١ .

وقرأ الحسنُ[١] بالجزم على جواب النهي، وهو رديء؛ لأنَّه ليس بجواب. ويجوز أنْ يكونَ بدلاً من «تَمْنُنْ» كأنَّه قال: لا تستكثر. وأنكره أبو حاتم وقال: لأنَّ المنَّ ليس بالاستكثَار فيُبْدَل منه. ويَحتملُ أنْ يكونَ سُكِّن تخفيفاً كعَضْد[٢]. أو أنْ يعتبر حال الوقف.

وقرأ الأعمشُ ويحيى: «تَسْتَكْثِرَ» بالنصب[٣]، تَوَهَّمَ لام كي، كأنَّه قال: ولا تَمننْ لتستكثر. وقيل: هو بإضمار «أنْ» كقوله:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِري أَحْضُرَ الوَغَى[٤]

ويُؤيِّده قراءةُ ابن مسعود: «ولَا تَمْنُنْ أَن تَسْتَكْثِر»[٥]. قال الكسائيّ: فإذا حذف «أنْ» رفع، وكان المعنى واحداً.

وقد يكون المَنُّ بمعنى التعداد على المُنْعَم عليه بالنِّعم، فيرجع إلى القول [الثاني][٦]، ويَعضُده قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقد يكون مراداً في هذه الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: ولسيِّدك ومالكك فاصبرْ على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد: على ما أُوذيت. وقال ابنُ زيد: حُمِّلت أمراً عظيماً؛ محاربةَ العرب والعجم، فاصبر عليه لله[٧]. وقيل: فاصبر تحتَ موارد القضاء لأجل

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٤، والمحتسب ٢/ ٣٣٧.

(٢) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٧، والكشاف ٤/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣.

(٤) هو لطَرَفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٢٣، وسلف ٢/ ٢٢٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠١، وتفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧، والقراءات الشاذة ص١٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٣، والكشاف ٤/ ١٨١.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، وهو موافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٧.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٤١٧.

الله تعالى[١]. وقيل: فاصبر على البلوى؛ لأنَّه يمتحن أولياءه وأصفياءه. وقيل: على أوامره ونواهيه. وقيل: على فراق الأهل والأوطان.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: إذا نُفِخ في الصور. والناقور: فاعول من النقر؛ كأنَّه الذي من شأنه أنْ يُنقَر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب: الصوت؛ ومنه قول امرئ القيس:

أُخَفِّضُه بالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ... وَيَرْفَعُ طَرْفاً غَيْرَ جَافٍ[٢] غَضِيضِ[٣]

وهم يقولون: نَقَّر باسم الرجل: إذا دَعاه مختصّاً له بدعائه. قال مجاهدٌ وغيره: هو كهيئة البُوق[٤]. ويعني به: النفخة الثانية. وقيل: الأولى؛ لأنَّها أوَّلُ الشدَّةِ الهائلة العامَّة. وقد مضى الكلام في هذا مستوفىً في «النمل» و«الأنعام»[٥]، وفي كتاب «التذكرة»[٦]، والحمد لله.

وعن أبي جَنَاب[٧] قال: أَمَّنَا زُرَارةُ بن أوفى، فلما بلغ: «فَإِذَا نُقِرَ في النَّاقُورِ»، خَرَّ ميتاً[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤.

(٢) في (م): خافٍ.

(٣) ديوان امرئ القيس ص٧٥. قال شارحه: يقول: لما نزلت إليه فركبته أبدى شدَّة الحركة والنشاط، فجعلت أُخفِّضه بالنقر، أي: أسكّنه، والنقر: صوت يسكَّن به الفرس. وقوله: ويرفع طرفاً غير جافٍ غضيض، أي: لا يجفو نظره عن شخص، ولا يغضه عنه.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤١٩.

(٥) عند تفسير الآية ٨٧ من سورة النمل، و٨/ ٤٣٠-٤٣٢.

(٦) ص١٧٧-١٧٨.

(٧) في (د) و(ظ): أبي خباب، وفي (ز) و(ي): أبي حباب، وفي (م): أبي حبان، والصواب ما أثبتناه. وهو أبو جناب القصاب، واسمه عون بن ذكوان، وهو بالكنية أعرف. قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٥: وُثِّق، وقال ابن طاهر المقدسي: قال الدارقطني: متروك.

(٨) الثقات لابن حبان ٤/ ٢٦٦، وحلية الأولياء ٢/ ٢٥٨، وتهذيب الكمال ٩/ ٣٤١.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: فذلك اليومُ يومٌ شديد ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: على من كفر بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: غير سهل ولا هيِّن؛ وذلك أنَّ عُقَدَهم لا تَنحلُّ إلَّا إلى عُقدةٍ أشدَّ منها، بخلاف المؤمنين الموحِّدين المذنبين، فإنَّها تنحلُّ إلى ما هو أخفُّ منها حتى يدخلوا الجنَّة برحمة الله تعالى.

و«يَوْمَئِذٍ» نصب على تقدير: فذلك يومٌ عسيرٌ يومئذ. وقيل: بتقدير جر، مجازه[١]: فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أنْ يكون رفعاً، إلَّا أنَّه بُني على الفتح لإضافته إلى غير متمكِّن[٢].

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ «ذَرْنِي» أي: دعني؛ وهي كلمةُ وعيدٍ وتهديد. «وَمَنْ خَلَقْتُ» أي: دعني والذي خلقتُه وحيداً[٣]؛ فـ «وحيداً» على هذا حالٌ من ضمير المفعول المحذوف، أي: خلقتُه وحدَه، لا مالَ له ولا ولد، ثمَّ أعطيتُه بعد ذلك ما أعطيته.

والمفسرون على أنَّه الوليدُ بن المغيرة المخزوميّ، وإنْ كان الناسُ خُلِقُوا مثلَ خَلْقه، وإنما خُصَّ بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاءِ الرسول عليه الصلاة والسلام[٤]، وكان يسمَّى الوحيد في قومه.

قال ابنُ عباس: كان الوليدُ يقول: أنا الوحيدُ بن الوحيد، ليس لي في العرب

---

(١) في (م): وقيل: جُرَّ بتقدير حرف جر، مجازه، وفي (ي): وقيل: جر بتقدير مجازه، وفي (ظ): وقيل بتقدير في مجازه. والمثبت من (د) و(ز).

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٦.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج٥/ ٢٤٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٣٩.

نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ» بزعمه «وَحِيداً» لا أنَّ الله تعالى صدَّقه بأنَّه وحيد[١]. وقال قوم: إنَّ قوله تعالى: «وَحِيْداً» يرجعُ إلى الرَّب تعالى على معنيين:

أحدُهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كلِّ منتقم.

والثاني: أنِّي انفردتُ بخلقه ولم يشركني فيه أحدٌ[٢]، فأنا أُهلِكه، ولا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكه؛ فـ «وحِيداً» على هذا حالٌ من ضمير الفاعل، وهو[٣] التاء في «خَلَقْتُ»، والأوَّل قولُ مجاهد[٤]، أي: خلقته وحيداً في بطن أمِّه؛ لا مالَ له ولا ولد، فأنعمتُ عليه فكفر؛ فقوله: «وحِيداً» على هذا يرجع إلى الوليد، أي: لم يكن له شيءٌ فملَّكْته.

وقيل: أرادَ بذلك ليدلَّه على أنَّه يُبعَثُ وحيداً كما خُلق وحيداً[٥].

وقيل: الوحيدُ الذي لا يُعرَف أبوه، وكان الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيٌّ؛ كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣]؛ وهو في صفة الوليد أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي: خَوَّلتُه وأعطيتُه مالاً ممدوداً، وهو ما كان للوليد بين مكَّة والطائف من الإبل والحُجُور[٦]، والنَّعَم والجِنان، والعبيد والجواري، كذا كان ابنُ عباس يقول[٧]. وقال مجاهد: غلَّة ألف دينار؛ قاله سعيد بنُ

(١) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٩٨ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨١ .

(٣) في النسخ الخطية: وهي.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢١ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٣٩ .

(٦) جمع حِجْر؛ وهي الفرس الأنثى، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لايشركها فيه المذكر. اللسان (حجر).

(٧) ذكره بنحوه البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٤ .

جبير وابنُ عباس أيضاً[١]. وقال قتادة: ستة آلاف دينار[٢]. وقال سفيانُ الثوري وقتادة: أربعةُ آلاف دينار[٣]. الثوريُّ أيضاً: ألف ألف دينار. مقاتل: كان له بستانٌ لا ينقطعُ خيره شتاءً ولا صيفاً[٤]. وقال عمر ﷺ: «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً»: غلَّة شهرٍ بشهر. النعمانُ بن سالم: أرضاً يزرع فيها[٥]. القشيري: والأظهرُ أنَّه إشارةٌ إلى مالا ينقطع رزقُه، بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة.

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً لا يغيبون عنه في تصرُّف. قال مجاهد وقتادة: كانوا عشرة[٦]. وقيل: اثنا عشر؛ قاله السديّ[٧] والضَّحّاك. قال الضحّاك: سبعةٌ ولدوا بمكَّة، وخمسةٌ ولدوا بالطَّائف[٨]. وقال سعيدُ بن جبير: كانوا ثلاثةَ عشر ولدًا[٩].

مقاتل: كانوا سبعةً كلُّهم رجال، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام والوليد بن الوليد[١٠]. قال: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نُقصانٍ من ماله وولده حتى هلك.

---

(١) أخرجه عن مجاهد وسعيد بن جبير الطبريُّ ٢٣/ ٤٢٢، وذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٤.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٣٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٢٣.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤.

(٧) زاد المسير ٨/ ٤٠٥.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٤٠.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٤.

(١٠) تفسير البغوي ٤/ ٤١٤، وفيه: عُمارة. بدل: الوليد. وذكر الخبر أيضاً الحافظ ابن حجر في الإصابة في القسم الرابع ٨/ ٢٤، في ترجمة عمارة بن الوليد، ثم قال: والصواب: خالدٌ، وهشام، والوليد، فأمَّا عمارة فإنَّه مات كافراً.

وقيل: شهوداً، أي: إذا ذُكر ذُكروا معه؛ قاله ابنُ عباس. وقيل: شهوداً، أي: قد صاروا مِثله في شهود ما كان يَشهده، والقيامِ بما كان يباشره. والأوَّل قولُ السُّدِّيّ[(١)]، أي: حاضرين مكَّة لا يظعنون عنه في تجارةٍ ولا يغيبون.

قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ أي: بسطتُ له في العيش بسطاً، حتى أقامَ ببلدته مطمئناً مترفهاً يُرجَع إلى رأيه. والتمهيدُ عند العرب: التوطِئة والتهيئة؛ ومنه مَهْدُ الصبيّ.

وقال ابن عباس: «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً» أي: وسَّعتُ له بين اليمن والشام؛ وقاله مجاهد[(٢)].

وعن مجاهدٍ أيضاً في«وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً»: أنَّه المالُ بعضُه فوقَ بعض كما يُمهَّد الفراش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ أي: ثم إنَّ الوليدَ يطمعُ بعد هذا كلِّه أنْ أزيده في المال والولد.

﴿كَلَّآۖ﴾ أي: ليس يكونُ ذلك مع كفره بالنعم. وقال الحسن وغيره: أي: ثم يطمعُ أنْ أُدخِله الجنَّة[(٣)] وكان الوليدُ يقول: إنْ كان محمدٌ صادقاً، فما خُلِقت الجنَّة إلا لي؛ فقال الله تعالى ردًّا عليه وتكذيباً له: «كَلَّا» أي: لستُ أزيدهُ، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك[(٤)].

و«ثُمَّ» في قوله تعالى: «ثُمَّ يَطْمَعُ» ليست بثم التي للنَّسق، ولكنَّها تعجيب؛ وهي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وذلك كما تقول: أعطيتُك ثمَّ أنت تجفوني؛ كالمتعجِّب من ذلك[(٥)]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٠ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤١٤ عن الكلبي.

(٣) زاد المسير ٨/ ٤٠٥ .

(٤) الكلام بنحوه في الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٢ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٩٩ .

وقيل: يطمعُ أنْ أترك ذلك في عقبه؛ وذلك أنَّه كان يقول: إنَّ محمداً مبتور، أي: أبتر؛ وينقطعُ ذِكره بموته، وكان يظنُّ أنَّ ما رُزِق لا ينقطع بموته. وقيل: أي: ثمَّ يَطمع أنْ أنصرَه على كفره.

و«كَلَّا» قطعٌ للرجاء عما كان يطمعُ فيه من الزيادة؛ فيكونُ متصلاً بالكلام الأوّل.

وقيل: «كَلَّا» بمعنى حقًّا؛ ويكون ابتداءً. ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني الوليد ﴿كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ أي: معانداً للنبيِّ ﷺ وما جاء به ـ يقال: عَاند فهو عنِيد، مثل: جالِس فهو جلِيس ـ قاله مجاهد[1]. وعَنَدَ يَعْنِد بالكسر، أي: خالف وردَّ الحقَّ وهو يعرفه، فهو عنِيد وعانِد. والعانِد: البعير الذي يجورُ عن الطريق، ويَعدِل عن القصد، والجمع عُنَّدٌ، مثل: راكِع ورُكَّع، وأنشد أبو عبيدة قول الحارثيّ[2]:

إذا رَكِبتُ فاجْعَلاني وَسَطا   إنِّي كَبيرٌ لاأطيقُ الْعُنَّدا[3]

وقال أبو صالح: «عَنِيداً» معناه: مُباعداً؛ قال الشاعر:

أَرَانا على حالٍ تُفرِّقُ بَيْنَنَا   نَوىً غَرْبَةٌ[4] إنَّ الفِراقَ عَنُودُ

قتادة: جاحداً. مقاتل: معرضاً[5]. ابن عباس: جَحوداً[6]. وقيل: إنَّه المُجَاهر بعدوانه[7].

وعن مجاهد أيضاً قال: مجانباً للحقِّ، معانداً له معرضاً عنه[8]. والمعنى كلُّه متقارب. والعرب تقول: عَنَد الرجل: إذا عَتا وجاوز قدره. والعَنُود من الإبل: الذي

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦ بنحوه.

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥، وفيه: الحادي. بدل: الحارثي.

(٣) الصحاح (عند)، والرجز سلف ١١/ ١٤٧، ١٢/ ١١٨.

(٤) نوىً غربة، أي: بعيدة. الصحاح (غرب).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٥.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤١.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦.

لا يخالطُ الإبل، إنَّما هو في ناحية [أبداً] . ورجلٌ عَنُود: إذا كان يَحُلُّ وحده لا يخالط الناس. والعنيد من التَجبُّر. وعِرق عاند: إذا لم يَرقأ دمه، كل هذا قياس واحد. وقد مضى في سورة إبراهيم[١]. وجمع العنيد عُنُد، مثل: رَغِيف ورُغُفُ[٢].

قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾ أي: سأكلِّفه. وكان ابنُ عباس يقول: سأُلجِئُه؛ والإرهاق في كلام العرب: أنْ يُحمل الإنسانُ على الشيء.

﴿صَعُودًا﴾ «الصَّعُودُ: جبلٌ من نار يتصعَّد فيه [الكافر] سَبْعين خَريفاً، ثمَّ يَهْوي كذلك فيه أبداً». رواه أبو سعيد الخدريّ عن النبيّ ﷺ، خَرَّجه الترمذيُّ وقال فيه: حديثٌ غريب[٣].

ورَوى عطيةُ عن أبي سعيد قال: صخرةٌ في جهنم إذا وَضعوا عليها أيديهم ذابت، فإذا رفعوها عادت[٤].

قال: فيبلُغ أعلاها في أربعين سنةً؛ يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضْرب من خلفه بمقامع، حتى إذا بَلغ أعلاها، رُمي به إلى أسفلها، فذلك دأبُه أبداً. وقد مضى هذا المعنى في سورة «قُلْ أوحِيَ»[٥]

وفي التفسير: أنّه صخرةٌ ملساء يكلّف صعودَها، فإذا صار في أعلاها حُدِر في جهنم، فيقوم يهوِي ألف عام من قبل أنْ يبلُغ قرار جهنَّمِ، يحترقُ في كل يومٍ سبعينَ مرَّةً، ثُمَّ يُعاد خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: المعنى: سأكلِّفه مشقّةً من العذاب لا راحةَ له فيه. ونحوه عن

---

(١) ١١٨/١٢ ، وينظر تهذيب اللغة ٢/ ٢٢٢ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) الصحاح (عند).

(٣) سنن الترمذي (٢٥٧٦)، (٣٣٢٦)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (١١٧١٢).

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٢٦-٤٢٧ .

(٥) هو قول الكلبي كما سلف ص٢٩٧ من هذا الجزء، والذي ينزل به هذا العذاب هو المغيرة. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٥ .

الحسن وقتادة[١]. وقيل: إنَّه تصاعدُ نفسه للنَّزع وإنْ لم يتعقبه موتٌ؛ ليُعذَّب من داخل جسده كما يعذَّبُ من خارجه[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ يعني الوليدَ؛ فكَّر في شأنِ النبيِّ ﷺ والقرآن، و«قَدَّرَ» أي: هيَّأَ الكلام في نفسه، والعربُ تقول: قدَّرتُ الشيءَ: إذا هيأته، وذلك أنَّه لما نزل: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣] سمعَه الوليدُ يقرؤها فقال: والله لقد سمعتُ منه كلاماً ما هو من كلامِ الإنس، ولا من كلام الجنِّ، وإنَّ له لَحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمُثمِر، وإنَّ أسفلَه لمُغدق، وإنَّه لَيعلو ولا يُعْلَى عليه، وما يقولُ هذا بشر. فقالت قريش: صَبأَ الوليدُ لَتَصْبوَنَّ قريشٌ كلُّها. وكان يقال للوليد: ريحانةَ قريش؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكُموه. فانطلق[٣] إليه حزيناً؟ فقال له: مالي أراكَ حزيناً. فقال له: ومالي لا أحزن وهذه قريش يَجمعونَ لك نفقةً، يعينونك بها على كِبَر سنِّك، ويزعُمون أنَّك زَيَّنْتَ كلام محمد، وتدخلُ على ابن أبي كبشة، وابن أبي قُحافة، لتنال من فضل طعامهما؛ فغضب الوليدُ وتكبَّر، وقال: أنا أحتاجُ إلى كِسَر محمدٍ وصاحبه! فأنتم تعرفون قدر مالي، واللَّاتِ والعُزَّى مابي حاجةٌ إلى ذلك، وإنَّما أنتم تزعمون أنَّ محمداً مجنون، فهل رأيتموه قطُّ يُخْنَقُ؟ قالوا: لا واللهِ. قال: فتزعُمون أنَّه كاهنٌ، فهل رأيتموه تكهَّن قطُّ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً وتخالُجاً، فهل رأيتموه كذلك؟ قالوا: لا والله. قال: فتزعمون أنَّه شاعرٌ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟ قالوا: لا. قال: فتزعمون أنَّه

---

(١) أخرجه عن قتادة الطبريُّ ١٩/ ٤٢٧، وذكره عن الحسن الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٤١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤١.

(٣) في (م): فمضى.

كذَّاب، فهل جرَّبتُم عليهِ كذباً قط؟ قالوا: لا[١] ـ وكان النبيُّ ﷺ يُسَمَّى الصادقَ الأمين من كثرة صدقه ـ فقالت قريشٌ للوليد: فما هو؟ ففكَّر في نفسه، ثم نظر، ثم عبس، فقال: ما هو إلَّا ساحر! أمَا رأيتموه يفرِّقُ بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟! فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي: في أمرِ محمدٍ والقرآن، «وَقَدَّرَ» في نفسه ماذا يمكنُه أنْ يقولَ فيهما. ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لُعِن[٢].

وكان بعضُ أهل التاويل يقول: معناها: فقُهِر وغُلِب، وكلُّ مُذَلَّلٍ مُقتَّل؛ قال الشاعر:

وَمَا ذَرَفَتْ عيناكِ إلَّا لِتَقْدَحِي ... بِسَهْمَيْكِ في أَعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[٣]

وقال الزهريّ: عُذِّب؛ وهو من باب الدعاء[٤].

﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قال ناسٌ: «كَيْفَ» تعجيب؛ كما يقال للرجل تتعجَّبُ من صنيعه: كيف فعلت هذا؟ وذلك كقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أي: لُعن لعناً بعد لعن. وقيل: فقُتِل بضربٍ من العقوبة، ثمَّ قُتِلَ بضربٍ آخر من العقوبة﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: على أيِّ حالٍ قَدَّر.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ بأي شيءٍ يردُّ الحقَّ ويدفعه. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قَطَّب بين عينيه في وجوه المؤمنين؛ وذلك أنَّه لمَّا حَمَل قريشاً على ما حَمَلَهم عليه من القول في محمد ﷺ بأنَّه ساحر، مرَّ على جماعةٍ من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم. وقيل: عَبَسَ وبَسَر على النبيِّ ﷺ حين دعاه[٥].

---

(١) في (م): لا والله في الموضعين الأخيرين. ووقع في النسخ تقديم وتأخير بين العبارات.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٣ . قال شارحه: وأراد بالسهمين: العينين. والأعشار: القطع والكسور، يقول: ما بكيتِ إلَّا لتجرحي قلباً معشَّراً، أي: مكسّراً، ولم تبكي لأنك مظلومة.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤٢ .

والعَبْسُ مخفَّفاً: مصدرُ عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعُبُوساً: إذا قطَّبَ. والعَبَسُ: ما يتعلَّق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها؛ وقال أبو النَّجْم:

كأنَّ في أذنابِهِنَّ الشُّوَّلِ ... من عَبَسِ الصَّيفِ قُرونَ الأُيَّلِ[(١)]

﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كَلَحَ وجهُه، وتغيَّر لونُه؛ قاله قتادةُ والسُّدِّيّ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم:

صَبَحْنا تَميماً غَداةَ الجِفَارِ ... بِشَهْبَاءَ مَلْمُومَةٍ باسِرَهْ[(٢)]

وقال آخر[(٣)]:

وقَدْ رَابَني مِنْها صُدودٌ رَأَيْتُهُ ... وإعْراضُها عَنْ حاجتي وبُسُورُها

وقيل: إنَّ ظهورَ العُبوسِ في الوجه [يكون] بعد المحاورة، وظهورَ البُسورِ في الوجه قبل المحاورة[(٤)].

وقال قوم: «بَسَرَ»: وَقَفَ لا يتقدَّمُ ولا يتأخر، قالوا: وكذلك يقولُ أهلُ اليمن إذا وقف المركب فلم يجيء ولم يذهب: قد بَسَر المركبُ وأَبْسَر، أي: وقف، وقد أبسرنا. والعربُ تقول: وجهٌ باسرٌ بيِّن البُسُور: إذا تغيَّر واسوَدَّ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: ولَّى وأعرضَ ذاهباً إلى أهله. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: تعظَّم عن أنْ يؤمن. وقيل: أدبر عن الإيمان، واستكبرَ حين دُعيَ إليه[(٥)].

---

(١) ديوان أبي النجم العجلي ص١٩١ . شالت الناقة بذنبها تشوله شولاً، أي: رفعته. والأُيَّل: الذكر من الأوعال، وكذلك الإيَّل، بكسر الهمزة. اللسان (شول)، (أول) والكلام في إصلاح المنطق ص٩٥-٩٦.

(٢) جاء في حواشي بعض النسخ كما في (م) ما نصه: قوله: بشهباء، أراد بكتيبةٍ شهباء؛ ومنه قول عنترة [في ديوانه ص٧٤]:

وكتيبةٍ لَبَّستُها بكتيبةٍ ... شهباءَ باسلةٍ يُخافُ رَدَاها

ويقال: كتيبة ململمة وململومة أيضاً، أي: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. وصخرة ململومة وململمة، أي: مستديرة صلبة؛ قاله الجوهري [الصحاح (لمم)].

(٣) هو توبة بن الحُمَير. والبيت في ديوانه ص٣٤ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٤٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا الذي أتى به محمدٌ ﷺ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يأثُره عن غيره.

والسِّحر: الخديعة. وقد تقدَّم بيانُه في سورة البقرة[1]. وقال قوم: السحر: إظهارُ الباطل في صورة الحق.

والأثرُ[2]: مصدرُ قولك: أثرت الحديثَ آثُرهُ: إذا ذكرتَه عن غيرك؛ ومنه قيل: حديثٌ مأثور، أي: ينقله خلفٌ عن سلف[3]؛ قال امرؤ القيس:

ولو عَنْ نَثَا غَيرِهِ جاءَنِي وجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليدِ
لَقُلْتُ مِن القولِ ما لا يزا لُ يُؤثَرُ عنِّي يَدَ الْمُسْنَدِ[4]

يريد: آخر الدهر.

وقال الأعشى[5]

إنَّ الذي فيه تمارَيْتُمَا بُيِّنَ للسَّامِعِ والآثِرِ

ويروي: بَيَّنَ[6].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا إلَّا كلام المخلوقين، يَختدع به القلوبَ كما تُختدع بالسحر. قال السُّدِّيّ: يعنون أنَّه من قول سيارٍ[7] عبدٍ لبني الحضرميّ، كان

---

(١) ٢/ ٢٧٢-٢٧٣ .

(٢) في (م): والأثره.

(٣) الصحاح (أثر).

(٤) ديوان امرئ القيس ص١٨٥-١٨٦ . والنَّثا: ما أخبرتَ به عن الرجل من حسن أو سيئ. والمسند: الدهر. القاموس (نثا، سند).

(٥) ديوانه ص١٩١ ، بلفظ: والناظر. بدل: والآثر، وسلف ١٩/ ١٨١ .

(٦) الصحاح (أثر).

(٧) في (د): بشار، وفي (ظ): يسار، وفي النكت والعيون: أبي اليسر، وفي نسخة كما في حاشية (م): أبي اليسر سيار.

يجالسُ النبيَّ ﷺ، فنسبوه إلى أنَّه تعلم منه ذلك[١]. وقيل: أراد أنَّه تلقَّنه من أهل بابل. وقيل: عن مُسَيلِمة[٢]. وقيل: عن عديّ الحضرميّ الكاهن. وقيل: إنَّما تلقَّنه ممن ادَّعى النبوةَ من قبل، فنسجَ على منوالهم. قال أبو سعيد الضرير: إنْ هذا إلا أمرُ سحرٍ يؤثر، أي: يورث.

قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سأدخلُه سقر كي يَصْلَى حرَّها. وإنَّما سُمِّيت سقر؛ من سَقَرَتْه الشمسُ: إذا أذابته ولوَّحته، وأحرقتْ جِلْدَة وجهه. ولا ينصرفُ للتعريف والتأنيث. قال ابن عباس: هي الطبق السادسُ من جهنم[٣]. ورَوى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سألَ موسى ربَّه فقال: أيْ ربِّ، أيُّ عِبادك أفقر؟ قال صاحبُ سَقَر». ذكره الثعلبيّ[٤].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ هذه مبالغة في وصفها، أي: وما أعلمَك أيُّ شيءٍ هي؟ وهي كلمة تعظيم، ثمَّ فسَّر حالَها فقال: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تتركُ لهم عظماً ولا لحماً ولا دماً إلَّا أحرقته. وكَرَّر اللفظَ تأكيداً. وقيل: لا تُبقي منهم شيئاً، ثمَّ يعادون خلقاً جديداً، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبداً[٥]. وقال مجاهد: لا تُبْقي مَنْ فيها حيًّا، ولا تَذَره ميتاً، تُحرقُهم كلما جُدِّدُوا. وقال السُّدِّيّ: لا تُبقي لهم لحماً ولا تَذَرُ لهم عظماً[٦]

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٢.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٠٢.

(٤) وأخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٣٥-١٣٦ مطولاً، وأخرجه ابن حبان أيضاً في صحيحه (٦٢١٧) بإسناد ابن عساكر، ولفظه عنده: صاحب منقوص بدل: صاحب سقر. ولعلَّ لفظة سقر مُحرَّفة عن لفظة منقوص. والله أعلم. وفي إسناده دراج؛ أبو السمح المصري قال أحمد: أحاديثه مناكير، وليَّنه، وقال أبو حاتم: ضعيف. ميزان الاعتدال ٢/ ٢٤.

(٥) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٤، وزاد المسير ٨/ ٤٠٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي: مُغَيِّرة، من لاحه: إذا غيَّره[١].

وقراءةُ العامَّة: «لَوَّاحَةٌ» بالرفع نعتٌ لـ «سَقَرَ» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾. وقرأ عطيةُ العوفيّ ونصرُ بن عاصم وعيسى بن عمر: «لَوَّاحَةً» بالنصب على الاختصاص، للتهويل[٢]. وقال أبو رَزِين: تلفحُ وجوهَهم لَفْحةً؛ تدعُها أشدَّ سواداً من الليل[٣]؛ وقاله مجاهد[٤].

والعربُ تقول: لاحَه البردُ والحرُّ، والسُّقم والحُزْن: إذا غيَّره؛ ومنه قول الشاعر:

تَـقُـولُ مـالَاحَـكَ يـا مُـسـافِـرُ يَـا ابْـنَـةَ عَـمِّـي لاحَـنِـي الـهَـواجِـرُ[٥]

وقال آخر:

وتَـعـجَـبُ هِـنْـدٌ أنْ رَأَتْـنِـي شـاحِـبـاً تـقـولُ لِـشَـيْءٍ لَـوَّحَـتْـه الـسَّـمـائـمُ[٦]

وقال رُؤبةُ بن العجَّاج:

لـوَّحَ مـنـه بـعـدَ بُـدْنٍ وسَـنَـقْ تَـلْـويـحَـكَ الـضَّـامِـرَ يُـطْـوَى لـلـسَّـبَـقْ[٧]

وقيل: إنَّ اللوح شدَّةُ العطش؛ يقال: لاحَهُ العطشُ ولوَّحه، أي: غيَّره. والمعنى: أنَّها معطِّشةٌ للبشر، أي: لأهلها؛ قاله الأخفش، وأنشد:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٦ .

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٤ ، وقال: حكاه أبو معاذ. ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٧ لابن مسعود وابن السميفع وابن أبي عبلة، ونسبها أبو حيان في البحر ٨/ ٣٧٥ للعوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبلة. وينظر الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٤٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦ .

(٥) الرجز في الكشاف ٤/ ١٨٣ ، وذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥ البيت الثاني منه.

(٦) لم نقف عليه .

(٧) ديوان رؤبة ص١٠٤ ، قوله: لوح منه: يقال: لاحه السفر ولوَّحه: غيره وأضمره، والسَّنَق؛ بفتحتين: البشم، يقال: شرب الفصيل حتى سَنِق يسنَق، وهو كالتخمة، قال الأصمعي: والسنق: كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه، وقوله: يُطوى: أي: يجوَّع ويُضمَّر. خزانة الأدب ١/ ٨٧ .

سَقتني على لَوْحٍ منَ الماء شَرْبَةً سقاها بها اللهُ الرِّهامَ الغواديا

يعني باللَّوح شدَّةَ العطش[١] والْتاحَ أي: عَطِش[٢]. والرِّهامَ جمع رِهمة؛ بالكسر وهي: المطرةُ الضعيفةُ [الدائمة]، وأرهمت السحابة: أتت بالرِّهام[٣].

وقال ابنُ عباس: «لَوَّاحَةٌ» أي: تلوح للبشر من مسيرة خمس مئة عام.

الحسنُ وابنُ كيسان: تَلوحُ لهم جهنَّم حتى يروها عِياناً. نظيره: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٤] [الشعراء: ٩١].

وفي البَشَر وجهان:

أحدُهما: أنَّه الإنس من أهل النار؛ قالَه الأخفشُ والأكثرون.

الثاني: أنَّه جمعُ بَشرة، وهي جلدةُ الإنسان الظاهرة؛ قاله مجاهد وقتادة[٥].

وجمع البشَر أبشار، وهذا على التفسير الأوَّل، وأمَّا على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلَّا الناس لا الجلود؛ لأنَّه من لاح الشيءُ يَلُوح: إذا لمع.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: على سَقَر تسعةَ عشر من الملائكة يَلْقَون فيها

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

(٢) الصحاح (لوح).

(٣) الصحاح (رهم).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤٣.

أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعةَ عشر من الملائكة هم خَزَنتها؛ مالكٌ وثمانيةَ عشَر ملَكاً[(١)].

ويَحتمل أنْ تكون التسعة عشر نقيباً، ويَحتمل أنْ يكون تسعةَ عشر ملَكاً بأعيانهم وعلى هذا أكثرُ المفسرين.

الثعلبيّ: ولا يُنكَر هذا، فإذا كان مَلَكٌ واحدٌ يَقبِض أرواح جميع الخلائق؛ كان أحرى أنْ يكونَ تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق.

وقال ابنُ جريج: نعتَ النبيُّ ﷺ خَزَنة جهنَّم فقال: «كأنَّ أعينَهم البَرْق، وكأنَّ أفواههم الصياصي، يجرُّون أشعارَهم، لأحدهم من القوَّة مثلُ قوةِ الثقلين، يسوقُ أحدهم الأُمَّةَ وعلى رقبته جبل، فيرميهم في النار، ويرمي فوقهم الجبل»[(٢)].

قلت: وذكر ابنُ المبارك قال: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن رجلٍ من بني تميم قال: كنَّا عندَ أبي العوَّام، فقرأ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ . عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾. فقال: ما تسعةَ عَشَر؟ تسعةَ عشرَ ألفِ مَلَك، أو تسعةَ عشر مَلَكاً؟ قال: قلت: لا، بل تسعة عَشَرَ مَلَكاً. قال: وأنَّى تعلمُ ذلك؟ فقلت: لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: صدقتَ، هم تسعة عشر مَلَكاً، بِيَدِ كلِّ مَلَكٍ منهم مِرْزَبَةٌ لها شُعْبتان، فيضربُ الضربةَ فيُهوى بها في النار سبعين ألفاً[(٣)].

وعن عمرو بن دينار: كلُّ واحدٍ منهم يدفع بالدَّفعة الواحدة في جهنم أكثرَ من ربيعة ومُضَر[(٤)].

---

(١) ينظر تفسير البغوي٤/ ٤١٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٦، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور٦/ ٢٨٥ وعزاه لابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص١٨٠: لم أجده.

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٤٠- زوائد نعيم). وسلفت قطعة منه ١٤/ ٣٤٤. و المرزبة: هي المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد. النهاية (رزب).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧، والكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤.

وخرَّج الترمذيُّ عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: قال ناسٌ من اليهود لأُناسٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ: هل يعلم نبيُّكم عددَ خَزَنة جهنَّم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا[(٢)]. فجاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمد غُلِب أصحابُك اليوم؛ فقال: «وماذا[(٣)] غُلِبوا»؟ قال: سألَهم يهود: هل يعلمُ نبيُّكم عددَ خَزَنَة جهنم؟ قال: «فماذا قالوا»؟ قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبيَّنا. قال: «أفغُلِب[(٤)] قومٌ سُئِلوا عمَّا لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبيَّنا؟ لكنهم قد سألوا نبيَّهم، فقالوا: أرنا الله جَهْرةً! عليَّ بأعداء الله؛ إني سائِلهم عن تُرْبة الجنَّة وهي الدَّرْمَك». فلمَّا جاؤوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خَزَنة جهنَّم؟ قال: «هكذا وهكذا». في مرةٍ عشرة، وفي مرة تسع[(٥)]. قالوا: نعم. قال لهم النبيُّ ﷺ: «ما تُرْبَةُ الجنَّة» قال: فسكتوا هنيهةً، ثمَّ قالوا: أَخُبْزَةٌ يا أبا القاسم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «الخبزُ من الدَّرْمَك».

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريب، إنَّما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد، عن الشَّعْبيّ، عن جابر[(٦)].

وذكر ابنُ وهب قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنَّم: «مابين مَنكِبَيْ أحدِهم، كما بين المشرق والمغرب»[(٧)].

وقال ابنُ عباس: مابين مَنكِبي الواحد منهم مسيرةُ سنة، وقوةُ الواحد منهم أنْ يضربَ بالمِقْمَع فيدفع بتلك الضربة سبعينَ ألفَ إنسانٍ في قعر جهنَّم[(٨)].

---

(١) في النسخ الخطية: عن عبد الله. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٢) في النسخ الخطية: نسأله.

(٣) في (ظ) و(ي): وبماذا، وفي نسخة كما في حاشية (م) وسنن الترمذي: وبم.

(٤) في سنن الترمذي: أيغلب.

(٥). في(د) و(م) و(ي): تسعة.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٢٧)، وهو عند أحمد مختصرا (١٤٨٨٣). قال السندي ـ كما في حاشيته على المسند ـ: الدرمك: هو الدقيق الخالص، والخبزة: هي العجين.

(٧) سلف ص٩٥ من هذا الجزء.

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣١٣ ، وسلف ص٩٥ من هذا الجزء.

قلت: والصحيح إنْ شاء الله أنَّ هؤلاءِ التسعةَ عَشَرَ، هم الرؤساء والنقباء، وأمَّا جملتُهم فالعبارة[(١)] عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زِمام، مع كل زِمام سبعون ألفَ مَلَك يجرُّونها»[(٢)]. وقال ابنُ عباس وقتادة والضَّحَّاك: لما نزل: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهلٍ لقريش: ثَكِلتكُم أمهاتُكم! أسْمعُ ابن أبي كبشة يخبركم أنَّ خَزَنَةَ جهنَّم تسعةَ عشر، وأنتم الدَّهْم[(٣)] ـ أي: العَدد ـ والشجعان، فيعجز كل عشرة منكم أنْ يبطشوا بواحد منهم![(٤)] قال السُّدِّيّ: فقال أبو الأشد[(٥)] بن كَلَدة الجُمحيّ: لايهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة، ثم تمرون إلى الجنَّة. يقولها مستهزئاً.

في رواية: أنَّ الحارث بن كَلَدة قال: أنا أكفيكُم سبعةَ عشر، واكفوني أنتم اثنين[(٦)].

وقيل: إنَّ أبا جهل قال: أفيعجز كلُّ مئةٍ منكم أنْ يبطشوا بواحدٍ منهم، ثمَّ

---

(١) بعدها في (م): تعجز.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٤٢).

(٣) في النسخ الخطية: الدهماء، والمثبت من (م).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧ ، وأخرجه عن ابن عباس وقتادة الطبريُّ ٢٣/ ٤٣٦ .

(٥) في النسخ ما عدا (ي): الأسود. والمثبت من (ي)، وهو موافق للنكت والعيون ٦/ ١٤٥ ـ وعنه نقل المصنف ـ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٧ . وذكر الخبر الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٤ ووقع فيه: أبو الأشدين، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٠٨ وقال: قال مقاتل اسمه: أسيد بن كلدة، وقال غيره: كلدة بن خلف الجمحي.

(٦) لم نقف عليها من قول الحارث بن كلدة، والرواية في تفسير البغوي ٤/ ٤١٧ ، والقائل فيه: أبو الأشد أسيد بن كلدة، وذكر الرواية الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٤ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٠٤ ، وعندهما: أبو الأشد ابن أسيد بن كلدة الجمحي، وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠٣-٢٠٤ أن القائل رجل من بني جمح. كان يكنى: أبا الأشدين.

تخرجون من النار[١]؟ فنزل قولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكةً؛ لأنَّهم خلافُ جنس المعذَّبين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذُ المجانِس من الرأفة والرقَّة، ولا يستروِحون إليهم، ولأنَّهم أقوم خلق الله بحقِّ الله وبالغضب له، فتُؤمَن هوادتهم، ولأنَّهم أشدُّ خلق الله بأساً، وأقواهم بطشاً[٢].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: بليَّة. ورُوي عن ابن عباس من غير وجه قال: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلَّا عذاباً، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات:١٣-١٤]. أي: جعلنا ذلك سببَ كفرهم، وسببَ العذاب.

وفي «تِسْعَةَ عَشَرْ» سبعُ قراءات: قراءة العامة: «تِسْعَةَ عَشَرَ». وقرأ أبو جعفر بن القَعْقاع وطلحة بن سليمان: «تِسْعَةَ عْشَرَ» بإسكان العين. وعن ابن عباس: «تِسْعَةُ عَشَر» بضم الهاء[٣]. وعن أنس بن مالك: «تِسْعَةُ وعَشَرْ»[٤]. وعنه أيضاً: «تِسْعَةُ وعْشُر». وعنه أيضاً: «تِسْعَةَ أعْشَرَ»[٥]. ذكرها المهدويُّ وقال: من قرأ: «تِسْعَةَ عْشَر» أسكنَ العين لتوالي الحركات. ومن قرأ: «تِسْعَةُ وعَشَرْ» جاء به على الأصل قبل التركيب، وعطفَ عشراً على تسعة، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال، وأسكنَ الراء من عشر على نيَّة السكوت عليها.

ومن قرأ: «تِسْعَةُ عَشَر» فكأنَّه من التداخل؛ كأنَّه أراد العطفَ، وترك التركيب، فرفع هاءَ التأنيث، ثمَّ راجعَ البناء وأسكن.

وأما «تِسعةُ أَعْشُر»: فغير معروف، وقد أنكرها أبو حاتم. وكذلك «تِسْعَةُ وَعْشُر»

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٨٤ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٣٦ عن ابن عباس، وفيه: أفيعجز كل عشرة.

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤ .

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٩ ، وقراءة أبي جعفر ـ وهي من العشرة ـ في النشر ٢/ ٢٧٩ .

(٤) ذكرها السمين في الدر المصون ١٠/ ٥٤٨ نقلاً عن المهدوي دون نسبة، وذكر ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٩ عن أنس أنه روي عنه: «تسعةُ وَعْشَرَ»، برفع الهاء، وبعدها واو مفتوحة، وعين مجزومة.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٣٨-٣٣٩ .

لأنَّها محمولةٌ على «تِسعَةُ أَعْشُر»، والواو بدلٌ من الهمزة، وليس لذلك وجه عند النحويين[(١)].

الزمخشريّ: وقرِئ: «تِسْعَةُ أَعْشُر» جمع عَشِير، مثْل يَمين وأَيْمُن[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ليوقن الذين أُعطوا التوارةَ والإنجيل أنَّ عِدَّة[(٣)] خَزَنة جهنم موافقة لما عندهم؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم[(٤)].

ثم يَحتمل أنَّه يريدُ الذين آمنوا منهم، كعبدالله بن سلَام. ويَحتمل أنَّه يريد الكلّ.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بذلك؛ لأنَّهم كلَّما صدَّقوا بما في كتاب الله آمنوا، ثم ازدادوا إيماناً لتصديقهم بعدد خَزَنة جهنَّم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: ولا يشكّ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾أي: أُعطوا الكتاب ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: المصدِّقون من أصحاب محمدٍ ﷺ في أنَّ عدد[(٥)] خزنة جهنَّم تسعةَ عشر.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾أي: في صدورهم شكٌّ ونفاق من منافقي أهلِ المدينة، الذين ينجُمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة، ولم يكنْ بمكَّة نفاقٌ، وإنَّما نَجم بالمدينة.

وقيل: المعنى، أي: وليقولَ المنافقون الذين يَنْجُمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة[(٦)]. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: اليهود والنصارى[(٧)].

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يعني بعدد خزنة جهنَّم.

---

(١) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٣٩.

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٤، وينظر الدر المصون ١٠/ ٥٤٨.

(٣) في النسخ الخطية: عدد.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٤٣٨-٤٣٩.

(٥) في (م): عدة.

(٦) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٥.

(٧) زاد المسير ٨/ ٤٠٩.

وقال الحسين بن الفضل: السورةُ مكِّيَّةٌ، ولم يكن بمكَّة نفاق؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف، و«الكَافِرُونَ» أي: مشركو العرب. وعلى القول الأوَّل أكثر المفسرين.

ويجوز أنْ يُراد بالمرض: الشكُّ والارتياب؛ لأنَّ أهل مكَّةَ كان أكثرهم شاكِّين، وبعضُهم قاطعين بالكذب[1].

وقوله تعالى إخباراً عنهم: «مَاذَا أَرَادَ اللهُ» أي: ما أراد «بِهَذَا» العدد الذي ذكره حديثاً، أي ما هذا من الحديث[2]. قال الليث: المَثَل الحديث؛ ومنه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي: حديثُها والخبر عنها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كإضلال الله أبا جهلٍ وأصحابَه المنكرين لخَزَنة جهنم؛ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي: يخزي ويعمي من يَشَاءُ ﴿وَيَهْدِي﴾ أي: ويُرْشِد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ كإرشادِ أصحاب محمدٍ ﷺ.

وقيل: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ عن الجنَّة من يَشَاءُ، ويَهْدي إليها من يَشَاء.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: وما يدري عددَ ملائكة ربِّك الذين خلقَهم لتعذيب أهل النار «إِلَّا هُوَ»، أي: إلَّا الله جلَّ ثناؤه. وهذا جوابٌ لأبي جهلٍ حين قال: أمَا لمحمدٍ من الجنود إلَّا تسعةَ عشر[3]!

وعن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَقْسِم غنائم حُنين، فأتاه جبريلُ فجلس عنده، فأتى مَلَكٌ فقال: إنَّ ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشيَ النبيُّ ﷺ أنْ يكون شيطاناً، فقال: «يا جبريل أتعرفه»؟ فقال: هو مَلَك، وما كلُّ ملائكةِ ربِّك أعرف[4].

وقال الأوزاعيُّ: قال موسى: يا ربِّ! من في السماء؟ قال: ملائكتي. قال: كم

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٥ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٠٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤١٧ . ونسبه لمقاتل.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٣٣٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨٩ : وفيه حسين بن الحسن الأشقر، وهو منكر الحديث، ورمي بالكذب، ووثقه ابن حبان . اهـ. وقال ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٢ : وهذا حديث منكر بهذا الإسناد، وما أعلم رواه غير حسين الأشقر، عن حسين أبو محذورة الوراق. والبلاء عندي من الحسين الأشقر؛ لأن أبا محذورة لا بأس به.

عدَّتهم يا ربّ؟ قال: اثنا[1] عشر سِبْطاً. قال: كم عدَّةُ كلِّ سِبط؟ قال: عدد التراب[2]. ذكرهما الثعلبيّ.

وفي الترمذيّ عن النبيّ ﷺ: «أَطَّت السماءُ وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربع أصابع إلَّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه لله ساجداً»[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ يعني الدلائلَ والحججَ والقرآن. وقيل: «وَمَا هِيَ» أي: وما هذه النارُ التي هي سقر «إِلَّا ذِكْرَى» أي: عِظَةٌ «لِلْبَشَرِ» أي: للخلق[4].

وقيل: نارُ الدنيا تذكرةٌ لنار الآخرة. قاله الزجاج[5].

وقيل: أي: ما هذه العِدَّةُ «إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ»، أي: ليتذكَّروا ويعلموا كمالَ قدرة الله تعالى، وأنَّه لا يحتاجُ إلى أعوانٍ وأنصارٍ؛ فالكنايةُ على هذا في قوله تعالى: «وَمَا هِيَ» ترجعُ إلى الجنودِ؛ لأنَّه أقربُ مذكور.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ قال الفرَّاء: «كَلَّا» صلةٌ للقسم، التقدير: إي والقمر.

---

(١) في (خ) و(د) و(م): اثني.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٢٥)، وذكره الآلوسي في روح المعاني ١٢٨/٢٩، واللفظ فيهما: «يا رب: من معك في السماء». قال الآلوسي: وفي صحة هذا نظر، وإن صح فصدره من المتشابه.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، وسلف بتمامه ٤٢٨/٥-٤٢٩.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٤٢٣/٣.

(٥) في معاني القرآن ٢٤٨/٥.

وقيل: المعنى حقّاً والقمر فلا يوقَفُ على هذين التقديرين على «كَلَّا»، وأجاز الطَّبريُّ الوقف عليها، وجعلها ردًّا للذين زَعموا أنَّهم يُقاومون خَزَنة جهنم، أي: ليس الأمرُ كما يقول من زعم أنَّه يُقاوم خزنَة النَّار. ثم أقسمَ على ذلك جلَّ وعزَّ بالقمر وبما بعده، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ أي: وَلَّى[1]، و كذلك «دَبَرَ».

وقرأ نافعٌ وحمزةُ وحفص: «إِذْ أَدْبَرَ»، الباقون: «إِذَا» بألف، و«دَبَرَ» بغير ألف[2]، وهما لغتان بمعنىً؛ يقال: دَبَرَ وأدبر، وكذلك قَبِل الليل وأقبل. وقد قالوا: أمسِ الدابرِ والمدبرِ؛ قال صخر بن عمرو بن الشَّريد السُّلَميّ:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ[3] ثُنَاءَ وَمَوْحَداً وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

ويُروَى: المدبِر[4]. وهذا قولُ الفرَّاء والأخفش[5].

وقال بعض أهل اللغة: دَبَر الليل: إذا مضى، وأدبر: أخذ في الإدبار.

وقال مجاهد: سألتُ ابنَ عباس عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا دَبَرَ﴾ فسكت حتى إذا دَبَرَ قال: يا مجاهد، هذا حينُ دبر الليل[6].

وقرأ محمد بن السميفع: «وَالْلَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ» بألفين، وكذلك في مصحف عبد الله وَأُبَيّ بألفين[7].

وقال قُطرب: من قرأ: «دَبَرَ»، فيعني: أَقْبَلَ، من قول العرب: دَبَرَ فلانٌ: إذا جاء

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤١-٤٤٢ ، وينظر ما سلف حول الوقوف على كلا عند تفسير قوله تعالى ﴿كلَّا سنكتب ما يقول...﴾ [مريم: ٧٩] ١٣/ ٥٠٨.

(٢) السبعة ص٦٥٩ ، والتيسير ص٢١٦ .

(٣) في (ظ) و(م): قتلناكم، وفي (ز) قبلتكم، والمثبت من (خ) و(د) و(ي). وهو الموافق للمصادر.

(٤) الصحاح (دبر)، والبيت في أدب الكاتب ص٥٦٧ بلفظ الدابر، وفي الأغاني ٥/ ١٠٠ ، وخزانة الأدب ٥/ ٤٤٨ بلفظ: المدبر .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٧١٩ .

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٣ . وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ .

(٧) قراءة ابن مسعود وأُبيّ في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٧ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٤ .

من خلفي. قال أبو عمرو: وهي لغةُ قريش[(١)].

وقال ابنُ عباس في روايةٍ عنه: الصواب: «أَدْبَرَ»، إنَّما يَدْبَرُ ظهر البعير[(٢)]. واختار أبو عُبيد: «إِذَا دَبَرَ[(٣)]»، قال: لأنَّها أكثرُ موافقةً للحروف التي تليه؛ أَلَا تراه يقول: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾، فكيف يكون أحدهما: «إذ»، والآخر: «إذا»، وليس في القرآن قَسَمٌ تعقبُه «إذ»، وإنَّما يتعقبه «إذا»[(٤)].

ومعنى «أَسْفَرَ»: ضاء. وقراءةُ العامَّة: «أَسْفَرَ» بالألف. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «سَفَرَ»[(٥)]. وهما لغتان. يقال: سَفَر وجهُ فلان وأسفر: إذا أضاء. وفي الحديث: «أَسْفِرُوا بالفجر، فإنه أعظمُ للأجر»[(٦)] أي: صَلُّوا صلاةَ الصبح مُسْفِرين، ويقال: طَوِّلُوها إلى الإسفار، والإسفارُ: الإنارة، وأسفر وجهُه حسناً، أي: أشرق، وَسَفَرَتِ المرأةُ: كشفتْ عن وجهها، فهي سافِر. ويجوز أنْ يكون: سَفَر الظلامَ، أي: كنسَه، كما يُسفَر البيت؛ أي: يُكنَس، ومنه السَّفير: لِمَا سقطَ من ورق الشجر وتَحاتَّ؛ يقال: إنَّما سُمِّي سفيراً؛ لأنَّ الريح تَسفِره، أي: تكنُسه. والمِسْفَرَةُ: المِكْنَسة[(٧)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جوابُ القسم، أي: إنَّ هذه النار «لَإِحْدَى الكُبَرِ»، أي: لإحدى الدواهي.

وفي تفسير مقاتل: «الكُبَر»: اسمٌ من أسماء النار.

---

(١) تفسير البغوي ٤/٤١٨ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٤٤٢ .

(٢) ذكرها الرازي في تفسيره ٣٠/٢٠٨ . ودَبِرَ البعيرُ يَدْبَرُ (كفرح): جُرِحَ وتقرَّح ظهرُه. معجم متن اللغة (دبر).

(٣) في (ظ) و(م): أدبر. وهو خطأ.

(٤) ذكر نحو قول أبي عبيد النحاسُ في إعراب القرآن ٥/ ٧١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٩٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٧٧ .

(٦) أخرجه الترمذي (١٥٤)، والنسائي في المجتبى ١/ ٢٧٢ عن رافع بن خَديج، وهو بنحوه عند أحمد برقم (١٥٨١٩).

(٧) الصحاح (سفر).

وروي عن ابن عباس: «إِنَّهَا» أي: إنَّ تكذيبَهم بمحمدٍ ﷺ «لَإِحْدَى الكُبَرِ»، أي: لَكبيرةٌ من الكبائر.

وقيل: أي: إنَّ قيامَ الساعة لإحدى الكُبَر. والكُبَر: هي العظائمُ من العقوبات؛ قال الراجز:

يـاابنَ الـمُـعَـلَّـى نَـزلـتْ إحدى الـكُـبَـرْ داهـيـةُ الـدهْـر وصَـمَّـاءُ الـغَـبَـرْ[١]

وواحدة «الكُبَر»: كُبرى، مثل: الصُّغْرَى والصُّغَر، والعُظْمى والعُظَم[٢].

وقرأ العامة «لَإِحْدَى»، وهو اسمٌ بني ابتداءً للتأنيث، وليس مبنياً على المذكَّر؛ نحو: عُقْبَى وأخرى، وألفُه ألفُ قطع، لا تذهب في الوصل.

ورَوى جرير بن حازم عن ابن كثير: «إِنَّهَا لَحْدى الكُبَر» بحذف الهمزة[٣].

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ يريد النَّار، أي: إنَّ هذه النار الموصوفة «نَذِيْراً لِلْبَشَرِ»، فهو نصبٌ على الحال من المضمر في «إِنَّهَا» قاله الزَّجَّاج[٤]. وذُكِّر؛ لأنَّ معناه معنى العذاب، أو أراد: ذاتَ إنذارٍ؛ على معنى النَّسب؛ كقولهم: امرأةٌ طالقٌ وطاهر.

وقال الخليل: النذير: مصدرٌ كالنكير، ولذلك يُوصف به المؤنث[٥].

وقال الحسن: والله ما أُنذر الخلائق بشيءٍ أدهى منها. وقيل: المرادُ بالنذير

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٥-١٤٦ ، ووقع في (خ) و(د) و(ز) و(ي): العبر، وفي (ظ): العرب، وفي (م) والنكت والعيون: الغير. والمثبت من المصادر الآتية. والرجز لعبد الله بن الأعور الكذاب الحرمازي كما في كتاب الحيوان للجاحظ ٤/١٤٦ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٦٧١ ، والمستقصى للزمخشري ١/ ٤٢١ . وداهية الدهر: الحية لأنها ربما سكنت بقرب ماء، فتحمي ذلك الموضع، وربما غبر [أي: بقي] ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حمته، وفي القاموس (غبر): داهية الغَبَر: داهية لا يُهتدى لمثلها .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٩٧ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٥ .

(٤) في معاني القرآن له ٥/ ٢٤٩ ، وما بعده منه.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

محمدٌ ﷺ[١]، أي: قم نذيراً للبشر، أي: مُخَوِّفاً لهم، فـ «نَذيراً» حالٌ من «قُمْ» في أوّل السورة حين قال: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ قاله[٢] أبو علي الفارسيّ وابنُ زيد[٣]، ورُوي عن ابن عباس[٤] وأنكره الفرَّاء[٥].

ابن الأنباري: وقال بعضُ المفسرين: معناه: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر، قُمْ نَذِيراً لِلْبَشَر. وهذا قبيح؛ لأنَّ الكلامَ قد طال فيما بينهما[٦].

وقيل: هو من صفة الله تعالى. رَوى أبو معاوية الضرير: حدَّثنا إسماعيلُ بن سميع، عن أبي رَزين: «نَذِيراً لِلْبَشَرِ» قال: يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنا لكم منها نذيرٌ فاتقوها[٧]. و«نَذِيراً» على هذا نصب على الحال، أي: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ﴾ مُنْذِراً بذلك البشر[٨].

وقيل: هو حالٌ من «هو» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾. وقيل: هو في موضع المصدر، كأنَّه قال: إنذاراً للبشر[٩]. قال الفرَّاء: يجوزُ أنْ يكون النذير بمعنى الإنذار، أي: أنذر إنذاراً، فهو كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [تبارك: ١٧] أي: إنذاري[١٠]. فعلى هذا يكون راجعاً إلى أوّل السورة، أي: «قُمْ فَأَنْذِرْ»، أي: إنذاراً.

وقيل: هو منصوبٌ بإضمار فعل[١١]. وقرأ ابن أبي عبْلة: «نَذِيرٌ» بالرفع، على

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٤٧ .

(٢) في (م): قال.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٤٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٦ .

(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢٠٥ .

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٥ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤٦ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

(٩) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٤ .

(١٠) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥ .

(١١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٥ .

إضمار هو[١] وقيل: أي: إنَّ القرآنَ نذيرٌ للبشر، لِمَا تضمَّنه من الوعد والوعيد[٢].

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ اللام متعلقةٌ بـ «نذيراً»، أي: نذيراً لمن شاءَ منكم أنْ يتقدَّم إلى الخير والطاعة، أو يتأخَّر إلى الشرِّ والمعصية؛ نظيره: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾، أي: في الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ عنه.

قال الحسن: هذا وعيدٌ وتهديدٌ وإنْ خرج مخرجَ الخبر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] [الكهف: ٢٩].

وقال بعضُ أهل التأويل: معناه لمنْ شاء اللهُ أنْ يتقدَّم أو يتأخَّر؛ فالمشيئةُ متَّصلةٌ بالله جلَّ ثناؤه، والتقديمُ الإيمان، والتأخير الكفر.

وكان ابنُ عباس يقول: هذا تهديدٌ وإعلامٌ أنَّ من تقدَّم إلى الطاعة والإيمان بمحمدٍ ﷺ؛ جُوزيَ بثوابٍ لا ينقطع، ومن تأخَّر عن الطاعة وكذَّب محمداً ﷺ؛ عُوقِب عقاباً لا ينقطع.

وقال السُّديُّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى النَّار المتقدِّم ذكرها، «أَوْ يَتَأَخَّرَ» عنْها إلى الجنة[٤].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: مرتهنةٌ بكسبها، مأخوذةٌ بعملها، إمَّا خلَّصها، وإمَّا أَوْبَقَها. وليست «رَهِيْنَةٌ» تأنيثَ رهين في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] لتأنيث النفس؛ لأنَّه لو قُصدت الصِّفةُ لقيل: رهين؛ لأنَّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكَّر والمؤنث. وإنَّما هو اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنَّه قيل: كلُّ نفسٍ بما كسبت رهن[٥]؛ ومنه بيتُ الحماسة:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨، ونسبها الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠٥، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٦ لأُبيّ.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٧.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٤٧، وزاد المسير ٨/ ٤١٠.

(٥) في (ز) و(ظ) و(ي): رهين، وسقطت العبارة من (د)، والمثبت من (خ) والكشاف ٤/ ١٨٦ والكلام منه.

أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبِ رهِينَةُ رَمْسٍ ذِي تُرابٍ وجَنْدَلِ[١]

كأنَّه قال: رَهْن رَمْسٍ. والمعنى: كلُّ نفسٍ رهنٌ بكسبها عند الله غير مفكوك[٢] ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنَّهم لا يُرْتَهنون بذنوبهم. واختُلِفَ في تعيينهم؛ فقال ابن عباس: الملائكة[٣].

علي بن أبي طالب: أولادُ المسلمين لم يكتسبوا فيُرتهنوا بكسبهم[٤].

الضَّحَّاك: الذين سبقت لهم من الله الحسنى[٥]، ونحوه عن ابن جريج؛ قال: كلُّ نفسٍ بعملِها محاسبة إلَّا أصحابَ اليمين؛ وهم أهلُ الجنة، فإنَّهم لا يحاسبون[٦]. وكذا قال مقاتلٌ أيضاً: هم أصحابُ الجنَّة الذين كانوا عن يمين آدمَ يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنَّة ولا أُبالي[٧].

وقال الحسن وابنُ كَيْسان: هم المسلمونَ المخلصون ليسوا بمرتَهنين[٨]؛ لأنَّهم أدَّوا ما كان عليهم.

وعن أبي ظَبْيان عن ابن عباس قال: هم المسلمون[٩].

وقيل: إلَّا أصحاب الحقِّ وأهل الإيمان. وقيل: هم الذين يُعطَون كتبهم بأيمانِهم.

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن زيد العدوي، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٢١٧، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥٨، والأغاني ٥/ ١٠٤ والنَّعْفُ: ما انحدر من حزونة الجبل، وارتفع من منحدر الوادي. القاموس (نعف). والرَّمْس: القبر، والجندل: الحجارة.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤٩-٤٥٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٤٨.

(٧) تفسيرالبغوي ٤/ ٤١٨.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٨.

(٩) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٥ وعزاه لابن المنذر.

وقال أبو جعفر الباقر: نحن وشيعتُنا أصحابُ اليمين، وكلُّ من أبغَضنا أهلَ البيت، فهم المرتهنون[١].

وقال الحكم: هم الذين اختارَهم الله لخدمته، فلم يَدخلوا في الرهن، لأنَّهم خُدَّام الله وصفوتُه، وكسبُهم لم يضرَّهم.

وقال القاسم: كلُّ نفسٍ مأخوذةٌ بكسبِها من خيرٍ أو شر، إلَّا من اعتمدَ على الفضل والرحمة، دون الكسب والخدمة، فكلُّ من اعتمدَ على الكسب؛ فهو مرهونٌ، وكلُّ من اعتمدَ على الفضل، فهو غيرُ مأخوذٍ به[٢].

﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: في بساتين ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يسألون ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أي: أدخَلكم ﴿فِي سَقَرَ﴾ كما تقول: سلكتُ الخيط في كذا، أي: أدخلته فيه.

قال الكلبي: فيَسألُ الرجلُ مِنْ أهل الجنَّة الرجلَ مِنْ أهل النَّار باسمه، فيقول له: يا فلان.

وفي قراءة عبد الله بن الزُّبير: «يا فلانُ ما سَلَكَك في سَقَرَ»؟ وعنه قال: قرأ عمرُ ابن الخطاب: «يا فلانُ ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ»[٣]، وهي قراءةٌ على التفسير، لا أنَّها قرآنٌ كما زعم من طعن في القرآن؛ قاله أبو بكر بن الأنباري.

وقيل: إنَّ المؤمنين يَسألون الملائكةَ عن أقربائهم، فتسألُ الملائكةُ المشركين فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾. قال الفرَّاء: في هذا ما يُقوِّي أنّ أصحاب اليمِينِ

(١) ذكره مختصراً الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ١١٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٨ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣١ ، وفيه أن قراءة ابن الزبير ﷺ: «يا فلان ما سلككم في سقر»، بالجمع كقراءة عمر ﷺ، وكذا في الدر المنثور ٦/ ٢٨٥ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٥ بالإفراد عن الصحابيين رضي الله عنهما. وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧٣ عن الزبير فقط بالإفراد.

الوِلدان؛ لأنَّهم لا يعرفون الذنوب[١].

﴿قَالُوا۟﴾ يعني أهلَ النار: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يُصلُّون. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ أي: لم نكُ نتصدَّق.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾أي: كنَّا نخالطُ أهلَ الباطل في باطلهم. وقال ابنُ زيد: نخوضُ مع الخائضين في أمر محمد ﷺ، وهو قولهم ـ لعنَهم الله ـ كاهنٌ، مجنونٌ، شاعرٌ، ساحر.

وقال السُّدِّيُّ: أي: وكنَّا نُكَذب مع المكذّبين. وقال قتادة: كلما غَوَى غاوٍ غَوَينا معه. وقيل معناه: وكنَّا أتباعاً ولم نكنْ متبوعين[٢].

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: لم نك نصدّق بيوم القيامة، يوم الجزاء والحكم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ أي: جاءَنا وَنَزَل بنا الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ هذا دليلٌ على صحَّة الشفاعة للمذنبين؛ وذلك أنَّ قوماً من أهل التوحيد عُذِّبوا بذنوبهم، ثم شُفِعَ فيهم، فرحمَهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأُخرجوا من النَّار[٣]، وليس للكفار شفيعٌ يَشفع فيهم.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: يشفعُ نبيُّكمُ ﷺ رابعَ أربعة: جبريل، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسى أو عيسى، ثمَّ نبيُّكم ﷺ، ثمَّ الملائكة، ثمّ النبيُّون، ثمَّ الصدِّيقون، ثمَّ الشهداء، ويبقى قومٌ في جهنم، فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ قال عبدُ الله بن مسعود: فهؤلاء هم الذين يبقَون في جهنم. وقد ذكرنا إسنادَه في كتاب «التذكرة»[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٥ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٤٨ .

(٣) ينظر حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) ص٣٤٣ ، والحديث أخرجه مطولاً الطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦١)، والحاكم في المستدرك =

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما لأهل مكّة قد أعرضوا، وولّوا عما جئتهم به[١]. وفي تفسير مقاتل: الإعراضُ عن القرآن من وجهين: أحدُهما: الجحودُ والإنكار، والوجه الآخر: ترك العمل بما فيه.

و«مُعْرِضِينَ» نصب على الحال من الهاء والميم في «لَهُمْ»، وفي اللام معنى الفعل؛ فانتصابُ الحال على معنى الفعل[٢].

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: كأنَّ هؤلاء الكفار في فرارهم من محمدٍ ﷺ ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية[٣].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر بفتح الفاء[٤]، أي: مُنَفَّرةٌ مذعورة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. الباقون بالكسر، أي: نافرة. يقال: نَفَرت واسْتَنفرت بمعنىً؛ مثل عَجِبت واسْتَعجبت، وسَخِرت واسْتَسخرت[٥]، وأنشد الفرَّاء:

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ[٦]

= ٤/٤٩٨ ، ٦٠٠ . وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: ما احتجا بأبي الزعراء. اهـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٠ : وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح، وقول النبي ﷺ: أنا أول شافع.

(١) في (د) و(م) : جئتم به.

(٢) قال الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ١٦٦ : والتقدير: أيُّ شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة.

(٣) ذكره بنحوه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٨٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٧ .

(٤) السبعة ص٦٦١ ، والتيسير ص٢١٦ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦ ، وهو أيضاً في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٧٩٣ ونسبه لنافع بن لقيط الفقعسي. وفيه: اربط بدل: أمسك قال ابن قتيبة: يروى: أزجر حمارك. اهـ. وغرَّب: اسم جبل دون الشام في ديار بين كلب. معجم البلدان ٤/ ١٩٢ .

قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ﴾ أي: نفرتْ وهربت ﴿مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من رُماة يرمونها. وقال بعض أهل اللغة: إنَّ القَسْوَرَ الرامي، وجمعه القَسْوَرَة[1]. وكذا قال سعيدُ بن جبير وعكرمة ومجاهدٌ وقتادة والضَّحَّاك وابنُ كَيْسان: القَسْوَرة: هم الرُّماةُ والصيَّادون[2]، ورواه عطاءٌ عن ابن عباس وأبو ظَبيان[3] عن أبي موسى الأشعري.

وقيل: إنَّه الأسد؛ قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً[4].

ابن عرفة: من القَسْر[5]؛ بمعنى: القَهْر، أي: إنه يَقْهَرُ السِّباع، والحُمُر الوحشيَّة تهربُ من السباع.

وروى أبو حمزة[6] عن ابن عباس قال: ما أعلم القسورةَ الأسَد في لغة أحدٍ من العرب، ولكنها عُصَب الرجال: قال: فالقسورةُ جمعُ الرجال، وأنشد:

يا بنتُ كُوني خَيْرةً لِخيِّرهْ أخوالُها الجنُّ وأهلُ القَسْوَرَهْ

وعنه: رِكْزُ الناس، أي: حِسُّهم وأصواتهم[7].

وعنه أيضاً: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من حبال الصيادين[8].

وعنه أيضاً: القسورةُ بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرماة[9]، وبلسان

---

(١) في النسخ: القسورة الرامي، وجمعه: قسورة. وفي اللباب لابن عادل ٩/ ٥٣٧ : القسورة الرامي، وجمعه قساوره. والمثبت من فتح القدير ٥/ ٣٣٣، وهو قول الليث كما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٨/ ٣٩٨ وخطَّأه، وينظر تاج العروس (قسر).

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٧-٤٥٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤١٩ ، وزاد المسير ٨/ ٤١٣ .

(٣) في (د) و(ظ): حبان، وفي (خ) و(ز) و(ي): هبان. والمثبت من تفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٥ . وقولهما مخرج فيه.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٤٥٩-٤٦٠ .

(٥) تاج العروس (قسر).

(٦) في (م) و(ي): جمرة، والمثبت من (خ) و(د) و(ز) و(ظ)، وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/ ٤٥٨ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٥٨-٤٥٩ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٤١٩ .

(٩) في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٠ : بلسان الحبشة: القسورة. وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٦ مختصراً وعزاه لابن أبي حاتم.

فارس: شير، وبلسان النَّبَط: أريا.

وقال ابن الأعرابي: القَسْوَرَةُ: أوَّلُ الليل، أي: فرَّتْ من ظُلمة الليل(١). وقاله عِكرمةُ أيضاً. وقيل: هو أوَّلُ سواد الليل، ولا يُقال لآخر سواد الليل: قَسْورة.

وقال زيد بن أسلم: مِنْ رجالٍ أقوياء، وكلُّ شديدٍ عند العرب فهو قَسْوَرَة وقَسْوَر(٢). وقال لبيد بن ربيعة(٣):

إذا ما هَتَفْنا هَتفةً في نَدِيِّنا أتانا الرجالُ العابدونَ(٤) القَسَاوِرُ

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: يُعطى كُتباً مفتوحة؛ وذلك أنَّ أبا جهل وجماعةً من قريش قالوا: يا محمد! ايتنا بكتبٍ من ربِّ العالمين مكتوبٍ فيها: إنِّي قد أرسلتُ إليكم محمداً، ﷺ. نظيره: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال ابن عباس: كانوا يقولونَ: إنْ كان محمدٌ صادقاً فليصبحْ عند كلِّ رجلٍ منَّا صحيفةٌ فيها براءته وأمنهُ من النار(٥).

قال مطر الورَّاق: أرادوا أنْ يُعطَوا بغير عمل.

وقال الكلبيّ: قال المشركون: بلغنا أنَّ الرجلَ من بني إسرائيل كان يُصبِح عند رأسه مكتوباً ذنبُه وكفارتُه، فأْتِنا بمثل ذلك(٦).

---

(١) ذكره بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٨/ ٣٩٩ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤١٩ .

(٣) ديوانه ص٣٥١ .

(٤) في (م): العائدون، وكذا في تفسير ابن عادل ١٩/ ٥٣٧ ، ووقع في الديوان بلفظ: الصائدون، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٩ ، والدر المصون ١٠/ ٥٥٨ : العاندون، والمثبت من النسخ الخطية وفتح القدير ٥/ ٣٣٣ .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٨ دون نسبة.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠ . وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٨ دون نسبة، وقال: وهذا من الصحف المنشَّرة بمعزل، إلَّا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة.

وقال مجاهد: أرادوا أن يَنزل على كلٍّ واحدٍ منهم كتاب فيه: من الله عزَّ وجلَّ إلى فلان ابن فلان[١].

وقيل: المعنى أنْ يُذكرَ بِذكرٍ جميل، فجُعِلَت الصحف موضعَ الذكرِ مجازاً. وقالوا: إذا كانت ذنوبُ الإنسان تكتبُ عليه، فما بالُنا لا نرى ذلك؟

﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس يكون ذلك. وقيل: حقًّا. والأوَّل أجود؛ لأنَّه ردٌّ لقولهم.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: لا أُعطِيهم ما يتمنَّون؛ لأنَّهم لا يخافون الآخرة، اغتراراً بالدنيا.

وقرأ سعيدُ بن جبير: «صُحْفاً مُنْشَرَةً» بسكون الحاء والنون[٢]، فأمَّا تسكين الحاء فتخفيفٌ، وأمَّا تسكينُ[٣] النون فشاذ. إنما يُقَال: نشرتُ الثوبَ وشبهه، ولا يقال أنشَرت. ويجوزُ أنْ يكون شبَّه الصحيفةَ بالميت، كأنَّها ميتةٌ بطيِّها، فإذا نُشِرت حَييت، فجاء على أَنشر اللهُ الميت؛ كما شبَّه إِحياء الميت بنشر الثوب، فقيل فيه: نشر الله الميت. فهي لغةٌ فيه[٤].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: حقًّا إنَّ القرآنَ عظةٌ. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: اِتَّعَظَ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: وما يتَّعِظون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكُّر إلَّا بمشيئةِ اللهِ ذلك لهم.

وقراءة العامة: «يَذْكُرُونَ» بالياء، واختاره أبو عبيد؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ بَل لَّا

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٦١ مختصراً.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٥، والمحتسب ٢/ ٣٤٠.

(٣) لفظة: تسكين. ليست في (م)

(٤) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٤٠.

﴿يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾. وقرأ نافعٌ ويعقوب بالتاء[١]، واختارَه أبو حاتم لأنَّه أعمّ، واتَّفقوا على تخفيفها.

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ في الترمذيّ وسنن ابن ماجه عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنَّه قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أهلٌ أنْ أُتَّقى، فمن اتقاني[٢] فلم يجعلْ معي إلهًا؛ فأنا أهلٌ أنْ أغفر له». لفظُ الترمذيّ، وقال فيه: حديثٌ حسنٌ غريب[٣].

وفي بعض التفسير: هو أهلُ المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهلُ المغفرة أيضًا للذنوب الصغار، باجتنابِ الذنوب الكبار. وقال محمدُ بن نصر: أنا أهلٌ أنْ يتَّقيَني عبدي، فإنْ لم يفعلْ، كنتُ أهلاً أنْ أغفرَ له وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم[٤].

ختمت السورة والحمد لله وحده

---

(١) قراءة نافع في السبعة ص٦٦٠، والتيسير ص٢١٦، وقراءة يعقوب في تفسير البغوي ٤/ ٤٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٠، والبحر المحيط ٨/ ٣٨١، وهي غير القراءة المشهورة عنه.

(٢) في النسخ الخطية: اتقى. والمثبت من (م) وسنن الترمذي.

(٣) سنن الترمذي (٣٣٢٨)، دون لفظة حسن، والعبارة في تحفة الأشراف ١/ ١٣٩ موافقةٌ لعبارة المصنف. وتتمة كلام الترمذي: وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت. اهـ. وأخرجه ابن ماجه (٤٢٩٩)، وهو أيضاً عند أحمد (١٢٤٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٥٦٦).

(٤) قوله: وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم، من (م).

سورة القيامة

مَكِّيَّةٌ، وهي تسع وثلاثون آية[(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: إن «لا» صلة، وجاز وقوعها في أوَّل السورة؛ لأن القرآن متصلٌ بعضُه ببعض، فهو في حكم كلام واحد، ولهذا قد يُذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابُه في سورة أخرى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[(٢)] [القلم: ٢]. ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة. قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة[(٣)]. ومثلُه قول الشاعر:

تـذكَّـرتُ ليـلَـى فـاعـتـرتـنـي صَـبـابـةٌ　　　فـكـاد صـمـيـمُ الـقـلـبِ لا يَـتـقَـطَّـعُ[(٤)]

وحكى أبو الليث السَّمرقنديُّ[(٥)]: أجمع المفسرون أن معنى «لَا أُقْسِمُ»: أقسم. واختلفوا في تفسير «لا» قال بعضهم: «لا» زيادة في الكلام للزينة، ويجري في كلام

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٩ ، وذكر غيره أنها أربعون آية.

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧ ، وأخرج قول ابن جبير الطبري ٢٣/ ٤٦٦ ، وأورد قول ابن عباس الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٠ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٥٠ ، وفيه: ضمير، بدل: صميم - وقوله: صبابة، أي: شوق. القاموس (صبب).

(٥) في تفسيره ٣/ ٤٢٥ .

العرب زيادةُ «لا»، كما قال في آية أخرى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني أن تسجد. وقال بعضهم: «لا» ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفرَّاء؛ قال الفرَّاء[١]: وكثير من النَحْويين يقولون: «لا» صِلة، ولا يجوز أن يُبدأ بجحد ثم يُجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يُعرف خبرٌ فيه جحدٌ مِن خبر لا جحدَ فيه، ولكنَّ القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردِّ عليهم، وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل، فـ «لا» ردٌّ لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحقٌّ، كأنك أكذبت قومًا أنكروه. وأنشد غير الفرَّاء لامرئ القيس:

فـلا وأبـيـكِ ابـنـةَ الـعـامِـريِّ لا يَـدَّعـي الـقـومُ أنِّـي أَفِـرّ[٢]

وقال غُوَيَّة بن سُلْميّ:

ألا نـادتْ أمـامـةُ بـاحـتـمـال لِـتَـحـزُنَـنـي فـلا بِـكِ مـا أبـالـي[٣]

وفائدتها توكيد القسم في الردّ. قال الفرّاء: وكانَ من لا يعرف هذه الجهة يقرأ: «لَأقسِمُ» بغير ألف، كأنها لامُ تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب؛ لأن العرب تقول: لَأقسم بالله[٤] وهي قراءة الحسن وابنِ كثير والزُّهريِّ وابن هُرْمز[٥].

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٧ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٥٤ .

(٣) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ١٠٠١ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٩ . ومعنى البيت كما في شرح ديوان الحماسة: يقول الشاعر: أظهرت هذه المرأة من نفسها ارتحالاً عني لتجلب عليَّ حزناً وغماً، ونادت بالفراق وكثرته على ألسنة الناس. ثم انصرف عن الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها فقال: لا بكِ ما أبالي. اهـ. وغُوَيَّة - ويقال: عُويَّة، بالعين - هو ابن سُلْميّ بن ربيعة بن ذَبَّان ابن عامر بن ثعلبة الضبي، من بني ثعلبة بن ذؤيب، جاهلي. معجم الشعراء للمرزباني ص ١٧٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٧ .

(٥) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٦٦١ ، والتيسير ص ٢١٦ ، وقراءة الحسن في المحتسب ٢/ ٣٤١ ، وقراءة ابن هرمز وهو الأعرج في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٧ .

﴿بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: بيوم يقوم الناس فيه لربِّهم، ولله عز وجل أن يُقسم بما شاء.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ لا خلاف في هذا بين القراء، وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيمًا لشأنه. وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يُقسم بالثانية. وقيل: «ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامةِ» ردٌّ آخرُ، وابتداءُ قسمٍ بالنفس اللوّامة، قال الثعلبيُّ: والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا[١].

ومعنى: «بالنَّفْسِ اللوَّامَةِ» أي: بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردتُ بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم. قال الحسن: هي والله نفسُ المؤمن، ما يُرَى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردتُ بكلامي؟ ما أردتُ بأكلي؟ ما أردتُ بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه[٢]. وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر: لِمَ فعلته؟ وعلى الخير: لِمَ لا تستكثر منه[٣]؟ وقيل: إنها ذاتُ اللَّوم. وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرَها؛ فعلى هذه الوجوه تكون اللَّوَّامة بمعنى اللائمة، وهو صفةُ مدح، وعلى هذا يجيء القسم بها سائغًا حسنًا[٤]. وفي بعض التفسير: إنه آدمُ عليه السلام لم يَزَل لائمًا لنفسه على معصيته التي أُخرج بها من الجنة[٥].

وقيل: اللَّوَّامة بمعنى المَلُومة المذمومة، عن ابن عباس أيضاً[٦]. فهي صفة ذمٍّ وهو قولُ مَن نفى أن يكون قسمًا، إذ ليس للعاصي خَطَرٌ يُقْسَم به، فهي كثيرةُ اللَّوم. وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه، ويتحسَّر في الآخرة على ما فرَّط في جنب

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ دون نسبة، واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٣/ ٤٦٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٧ لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥١ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٥١ ، وزاد المسير ٨/ ٤١٦ .

الله[١]. وقال الفراء[٢]: ليس مِن نفسٍ محسنةٍ أو مسيئةٍ إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسنُ يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانًا، والمسيءُ يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ فنعيدها خلقًا جديداً بعد أن صارت رُفاتًا؟[٣] قال الزجاج[٤]: أقسمَ بيوم القيامة وبالنفس اللَّوَّامة: لَيَجمعنَّ العظام للبعث، فهذا جواب القسم. وقال النحاس: جواب القسم محذوف، أي: لتُبْعثُنَّ، ودلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ لِلإحياء والبعث؟ والإنسانُ هنا الكافر المكذِّب بالبعث[٥].

والآيةُ نزلت في عديٍّ بن ربيعة قال للنبيِّ ﷺ: حدِّثْني عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرُها وحالُها؟ فأخبره النبيُّ ﷺ بذلك، فقال: لو عاينتُ ذلك اليوم لَمْ أُصَدِّقك يا محمدُ ولم أؤمن بك، أَوَيجمع الله العظام؟! ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللهمَّ اكفني جارَيِ السُّوءِ عديَّ بنَ ربيعة، والأخنسَ بنَ شَرِيق»[٦]. وقيل: نزلت في عدوِّ الله أبي جهلٍ حين أنكر البعث بعد الموت[٧]. وذَكَر العظام والمراد نفسُه كلُّها؛ لأن العظام قالَب الخَلْق[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١، والكشاف ٤/ ١٩٠.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥١.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٥١.

(٥) في (م): للبعث.

(٦) أسباب النزول ص ٤٧٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢١، والكشاف ٤/ ١٩٠، وأخرجه الثعلبي كما في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٠.

(٧) نسب هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٦، والرازي في تفسيره ٣٠/ ٢١٧ لابن عباس.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١.

﴿بَلَىٰ﴾ وقفٌ حَسَنٌ ثم تبتدئ: ﴿قَٰدِرِينَ﴾[(١)]. قال سيبويه: على معنى: [بلى] نجمعها قادرين[(٢)]، فـ«قادرين» حال من الفاعل المضمَر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير. وقيل: المعنى: بلى نقِدر قادرين. قال الفراء: «قادرين» نصب على الخروج من «نَجْمَع»، أي: نقِدر ونَقْوى «قادرين» على أكثرَ من ذلك[(٣)]. وقال أيضاً: يصلُح نصبه على التكرير، أي: «بَلَى» فَلْيحسبْنا قادرين[(٤)]. وقيل: المضمر (كنا)، أي: كنا قادرين في الابتداء، وقد اعترف به المشركون. وقرأ ابن أبي عَبْلة وابنُ السَّمَيْفَع: «بَلَى قَادِرُونَ»[(٥)] بتأويل: نحن قادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ البنان عند العرب: الأصابع، واحدُها بَنانة، قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطافةِ يُعْقَدُ[(٦)]

وقال عنترة:

وأنَّ الموتَ طَوْعُ يدي إذا ما ... وَصَلْتُ بَنانَها بِالْهِنْدُوانيْ[(٧)]

فنبَّه بالبنان على بقية الأعضاء. وأيضاً فإنها أصغرُ العظام، فخصَّها بالذكر لذلك. قال القتبيُّ والزجاج: وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدِر على جمع العظام، فقال الله تعالى: بلى قادرين على أن نعيد السُّلاميَّات على صغرها، ونؤلِّفَ بينها حتى تستوي، ومَن قَدَر على هذا، فهو على جمع الكبار أقدر[(٨)].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٧ .

(٢) الكتاب ١/ ٣٤٦ ، وما بين حاصرتين منه.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٨ .

(٤) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٧ ولم ينسبه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٨٥ .

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ ، والعَنَم: شجر لين الأغصان لطيفها، يشبه به البنان. اللسان (عنم).

(٧) ديوان عنترة ص٧٢ ، وسلف ٣/ ٩٢ .

(٨) تأويل مشكل القرآن للقتبي ص ٢٦٩ ، وذكر قول الزجاج الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٣٩١ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٢١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٨ ، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥١ .

وقال ابن عباس وعامة المفسرين: المعنى «عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ»، أي: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحداً كَخُفِّ البعير، أو كحافر الحمار، أو كظِلْف الخنزير، ولا يمكنه أن يعمل به شيئًا، ولكنَّا فرَّقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء(١).

وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع فأنت تَبْسُطهنَّ، وتَقْبِضُهن(٢)، ولو شاء الله لجمعهنَّ، فلم تَتَّقِ الأرض إلا بكفيك(٣).

وقيل: أي: نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان عليها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١].

قلت: والتأويل الأوَّل أشبه بمساق الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ قال ابن عباس: يعني الكافرَ يكذِّب بما أمامه من البعث والحساب. وقاله عبد الرحمن بن زيد(٤)؛ ودليله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يسأل متى يكون؟! على وجه الإنكار والتكذيب. فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب، ولكن يأثم(٥) لِمَا بين يديه. ومما يدلُّ على أن الفجور التكذيب ما ذكره القُتَبيُّ وغيرُه: أن أعرابيًّا قصد عمر بن الخطاب ﷺ وشكا إليه نَقْب إبله ودَبَرها(٦)، وسَأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله، فقال الأعرابيّ:

أَقْسَمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ... ما مَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغفِرْ له اللَّهُمَّ إن كان فَجَرْ

---

(١) أخرج قول ابن عباس عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٣٣، والطبري ٢٣/ ٤٧١، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٥٢، والوسيط ٤/ ٣٩١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢١، والكشاف ٤/ ١٩٠، وزاد المسير ٨/ ٤١٧.

(٢) في (ظ): وتقبض بهن، وفي (م): وتقبضهن بهن.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٧٢، وفيه: فأنقيت الأرض بفيك، بدل: فلم تتق الأرض إلا بكفيك.

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٤٧٧.

(٥) في (د): يأتمر.

(٦) النَّقْب: قرحةٌ تخرج في الجنب، والجربُ. والدَّبَر: قرحة الدابة. القاموس (نقب) و(دبر).

يعني إن كان كذَّبني فيما ذكرت[١]. وعن ابن عباس أيضًا: يعجِّل المعصية ويسوِّف التوبة[٢]. وفي بعض الحديث قال: يقول: سوف أتوب ولا يتوب، فهو قد أخلف فكذب. وهذا قول مجاهد والحسنِ وعِكرِمَة والسُّدِّيِّ وسعيدِ بن جبير، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيَه الموت على أشرِّ أحواله[٣]. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت[٤]. وقيل: أي يعزِم على المعصية أبدًا وإن كان لا يعيش إلا مدَّة قليلة. فالهاء على هذه الأقوال للإنسان.

وقيل: الهاء ليوم القيامة، والمعنى: بل يريد الإنسان ليكفر بالحقِّ بين يدي يوم القيامة[٥]. والفجورُ: أصلُه الميلُ عن الحقِّ.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: متى يومُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ نافع وأبان عن عاصم: «بَرَقَ» بفتح الراء[٦]، معناه: لَمَعَ بصره من شدَّة شخوصه، فتراه لا يَطْرِف. قال مجاهد وغيره: هذا عند الموت. وقال الحسن: هذا يوم القيامة[٧]. وقال: فيه معنى الجواب عما سأل عنه

(١) تأويل مشكل القرآن للقتبي ص ٢٧٠ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ١٥٢/٦ .

(٢) أخرجه الطبري ٤٧٧/٢٣ - ٤٧٨ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ - ٤٢٢ ، وأخرج قول سعيد بن جبير الفراء في معاني القرآن ٢٠٨/٣ ، والطبري ٤٧٦/٢٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٤٧٦/٢٣ .

(٥) تفسير الطبري ٢٧٧/٢٣ .

(٦) قراءة نافع في السبعة ص ٦٦١ ، والتيسير ص ٢١٦ ، ورواية أبان عن عاصم في السبعة. وقراءة عاصم المشهورة عنه: بَرِقَ، بكسر الراء.

(٧) أخرج قول مجاهد والحسن الطبري ٢٣/ ٤٨٠ .

الإنسان كأنه قال(١): يوم القيامة «إِذَا بَرَقَ البَصَرُ وخَسَفَ القَمَرُ».

والباقون بالكسر: «بَرِقَ»، ومعناه: تحيَّر فلم يَطرِف. قاله أبو عمرو والزجاج(٢) وغيرهما. قال ذو الرُّمَّة:

ولو أنَّ لُقْمَانَ الحكيمَ تَعَرَّضتْ لِعينيه مَيٌّ سافِرًا كاد يَبْرَقُ(٣)

الفرّاء والخليل: «بَرِقَ» بالكسر: فَزِع وبُهِت وتَحيَّر(٤). والعرب تقول للإنسان المتحيِّر المبهوت: قد بَرِق فهو بَرِقٌ، وأنشد الفرَّاء:

فنَفْسَكَ فانْعَ ولا تَنْعَني وداوِ الكُلُومَ ولا تَبْرقِ(٥)

أي: لا تَفزَع من كثرة الكُلُوم التي بك. وقيل: بَرِقَ يَبرَق بالفتح: شقَّ عينيه وفتَحهما. قاله أبو عبيدة(٦)، وأنشد قول الكلابيّ:

لمَّا أتاني ابنُ عُمَيرٍ راغِبًا أعطيتُه عِيسًا صِهابًا فبَرَقْ(٧)

أي: فتح عينيه. وقيل: إنَّ كَسْرَ الراء وفتحَها لغتان بمعنًى.

قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوؤه(٨). والخسوفُ في الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة، فإنه لا يعود ضوؤه. ويحتمل أن يكون بمعنى غاب؛ ومنه

(١) لفظة: قال، ليست في (م).

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٢، وأخرج قول أبي عمرو الطبري ٢٣/ ٤٧٨ - ٤٧٩ بلفظ: (بَرِق) بالكسر، بمعنى: حار.

(٣) ديوان ذي الرُّمَّة ١/ ٤٦١، وقوله: سافراً، قال شارح الديوان: يعني بارزة الوجه مسفرته.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩، وكتاب العين للخليل ٥/ ١٥٦.

(٥) البيت لطَرَفَة وهو في ديوانه ص ٧٠، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧.

(٧) أورده غير أبي عبيدة ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٥٢ ولم ينسبه، والطبري ٢٣/ ٤٧٩ ونسبه للكلابي. ووقع عند أبي عبيدة والطبري: ابن صبيح، بدل: ابن عمير. ووقع أيضاً عند ابن السكيت والطبري: عيساء منها، بدل: عيساً صهاباً. والعيس الصهاب: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. القاموس (عيس)، وينظر (صهب).

(٨) الوسيط ٤/ ٣٩١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٢.

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج: «وَخُسِفَ القَمَرُ» بضمِّ الخاء وكسر السين؛ يدل عليه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[١]. وقال أبو حاتم محمد بن إدريس: إذا ذهب بعضه فهو الكسوف، وإذا ذهب كلُّه فهو الخسوف.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي: جُمِع بينهما في ذهاب ضوئهما، فلا ضوءَ للشمس كما لا ضوءَ للقمر بعد خسوفه. قاله الفراء والزجاج[٢]. قال الفراء[٣]: ولم يقل: جُمِعتْ؛ لأن المعنى: جُمِع بينهما. وقال أبو عبيدة: هو على تغليب المذكر[٤]. وقال الكسائيُّ: هو محمول على المعنى، كأنه قال: الضوءان. المبرد: التأنيث غيرُ حقيقي[٥].

وقال ابن عباس وابن مسعود: جُمِع بينهما، أي: قُرِن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مُكوَّرين مظلِمين مُقْرَنَيْن، كأنهما ثوران عَقيران. وقد مضى الحديث بهذا المعنى في آخر سورة الأنعام[٦]. وفي قراءة عبد الله: «وجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ»[٧]. وقال عطاء بن يسار: يُجمَعُ بينهما يوم القيامة ثم يُقذفان في البحر، فيكونان نارَ الله الكبرى[٨].

وقال علي وابن عباس: يُجعلان في [نور] الحُجُب[٩].

---

(١) ذكر هذه القراءة الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩١ ولم ينسبها، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣ ونسبها لأبي حيوة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٢.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٩.

(٤) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٧.

(٥) ينظر قول الكسائي والمبرد في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٨١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٧-٧٧٨.

(٦) ٩/ ١٢٨ - ١٢٩.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩، والطبري ٢٣/ ٤٨١.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٨٢.

(٩) أورده أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٢٦ عن علي ﷺ وما بين حاصرتين منه.

وقد يُجمعان في نار جهنم[(١)]؛ لأنهما قد عُبِدا من دون الله، ولا تكون النار عذابًا لهما لأنهما جماد، وإنما يُفعَل ذلك بهما زيادةً في تبكيت الكافرين وحسرَتِهم. وفي مسند أبي داود الطيالسيِّ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر ثوران عَقيران في النار»[(٢)].

وقيل: هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان، ويُقرَّبان من الناس، فيلحقُهم العرق لشدَّة الحر؛ فكأن المعنى: يجمع حَرُّهما عليهم. وقيل: يُجمع الشمس والقمر، فلا يكون ثَمَّ تعاقُب ليل ولا نهار.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: يقول ابن آدم ـ ويقال: أبو جهل ـ أي: أين المهرب؟ قال الشاعر:

أيـن الـمـفـرُّ والـكِـبـاشُ تَـنـتـطِـحْ وأيُّ كَـبْـشٍ حـاد عـنـهـا يَـفْـتَـضِـحْ[(٣)]

الماورديُّ[(٤)]: ويحتمل وجهين: أحدهما: أَيْنَ المَفَرُّ من الله استحياءً منه. الثاني: أَيْنَ المَفَرُّ من جهنم حذرًا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصَّةً في عَرْصة[(٥)] القيامة دون المؤمن؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها.

وقراءة العامة: «المَفَرُّ» بفتح الفاء واختاره أبو عبيد[(٦)] وأبو حاتم؛ لأنه مصدر. وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم[(٧)]؛ قال الكسائي:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٢.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي (٢١٠٣) وقد رواه عن درست بن زياد، عن يزيد بن أبان الرقاشي، به. ودرست ويزيد ضعيفان، كما في تقريب التهذيب.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٣ وفيه: أفرّ، بدل: المفرّ.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٥٣.

(٥) في (خ) و(م): عرضة.

(٦) في (م): أبو عبيدة.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٦٥، وفيه أن الحسن هو ابن يزيد، والمحتسب ٢/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣.

هما لغتان؛ مثل: مَدَبّ ومَدِبّ، ومَصَحّ ومَصِحّ. وعن الزُّهريِّ بكسر الميم وفتح الفاء[١]؛ المهدويّ: مَن فتح الميم والفاء من «المفرّ»؛ فهو مصدر بمعنى الفِرار، ومَن فتح الميم وكسر الفاء، فهو الموضع الذي يفرُّ إليه، ومَن كسر الميم وفتح الفاء؛ فهو الإنسان الجيِّد الفرار؛ فالمعنى: أين الإنسان الجيِّد الفِرار؟! ولن ينجو مع ذلك.

قلت: ومنه قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا[٢]

يريد أنه حَسَن الكرِّ والفرِّ جَيِّدُه.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا مفرَّ، فـ «كَلَّا» ردٌّ، وهو من قول الله تعالى، ثم فسر هذا الردَّ فقال: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ من النار. وكان ابن مسعود يقول: لا حِصن. وكان الحسن يقول: لا جبل. وابن عباس يقول: لا ملجأ. وابن جُبير: لا محيصَ ولا منعة[٣]. والمعنى في ذلك كلِّه واحد. والوَزَر في اللغة: ما يُلجأ إليه من حِصن أو جبل أو غيرهما؛ قال الشاعر:

لَعَمْرِيَ ما لِلفتى مِن وَزَرْ ... مِنَ الموتِ يُدْرِكُه والكِبَرْ[٤]

قال السُّدِّيُّ: كانوا في الدنيا إذا فزِعوا، تحصَّنوا في الجبال، فقال الله لهم: لَا وَزَرَ يعصمكم يومئذ منِّي[٥]، قال طَرَفة:

وَلَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أَنَّنَا ... فاضِلُوا الرَّأْيِ وفي الرَّوْعِ وَزَرْ[٦]

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٤١، وجاء في القراءات الشاذة ص ١٦٥ أن الزهري قرأ: المَفِرّ، بكسر الفاء وفتح الميم.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٩، وهو صدر بيت، وعجزه: كجلمود صخر حطه السيل من علِ.

(٣) أخرج الأقوال السالفة عدا قول ابن جبير الطبري ٢٣/ ٤٨٤ - ٤٨٧، وقول ابن جبير في النكت والعيون ٦/ ١٥٤.

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٨٢، والسمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٥٧٠، والألوسي في روح المعاني ٢٩/ ١٤٠ ولم ينسبوه، وجاء فيها: لعمرك، بدل: لعمري.

(٥) أورده البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٢.

(٦) ديوان طرفة ص٥٦، وفيه: وُقُر، بدل: وَزَرْ.

أي: ملجأ للخائف. ويُروى: وُقُرٌ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المنتهى. قاله قتادة[١]. نظيره: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. وقال ابن مسعود: إلى ربك المصير والمرجع[٢]. وقيل: أي: المستقرُّ في الآخرة حيث يُقرُّه الله تعالى، إذ هو الحاكم بينهم. وقيل: إن «كَلَّا» مِن قول الإنسان لنفسه، إذا علم أنه ليس له مفرٌّ قال لنفسه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يُخبَر ابن آدم بَرًّا كان أو فاجرًا ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بما أسلف من عمل سَيِّئ أو صالح، أو أخَّر من سنَّة سيِّئة أو صالحة يُعْمَل بها بعده. قاله ابن عباس وابن مسعود[٣]. وروى منصور عن مجاهد قال: ينبَّأُ بأوَّل عمله وآخره. وقاله النَّخَعيّ. وقال ابن عباس أيضاً: أي: بما قدَّم من المعصية، وأخَّر من الطاعة[٤]. وهو قول قتادة[٥]. وقال ابن زيد: «بِمَا قَدَّمَ» من أمواله لنفسه، «وَأَخَّرَ»: خلَّف للورثة[٦]. وقال الضحاك: ينبَّأُ بما قدَّم من فرضٍ، وأخَّر من فرض[٧].

قال القشيريُّ: وهذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت.

قلت: والأوَّل أظهر؛ لما خرجه ابن ماجه في سننه[٨] من حديث الزُّهريِّ، حدثني أبو عبد الله الأغرّ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما يَلْحق

---

(١) أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٤٨٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٢ .

(٣) المصدر السابق، وأخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٤٨٩ .

(٤) أخرج الأقوال السالفة الطبري ٢٣/ ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٤ .

(٦) الوسيط ٤/ ٣٩٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠ ونسبوه لزيد بن أسلم.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٥٤ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠ .

(٨) برقم (٢٤٢).

المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونَشَره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته[١] تلحقه من بعد موته».

وخرَّجه أبو نُعيم الحافظ بمعناه[٢] من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري أجرُهنَّ للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علماً، أو أجرى[٣] نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو وَرَّثَ مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». فقوله: «بعد موته وهو في قبره» نصٌّ على أن ذلك لا يكون عند الموت، وإنما يُخبَر بجميع ذلك عند وزن عمله، وإن كان يُبشَّر بذلك في قبره. ودلَّ على هذا أيضاً قولُه الحقُّ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]، وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥] وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال. والله أعلم.

وفي الصحيح: «مَن سنَّ في الإسلام سنَّة حسنةً؛ كان له أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده مِن غير أن يَنقُص من أجورهم شيء. ومَن سنَّ في الإسلام سنة سيئةً؛ كان عليه وزرُها ووزرُ مَن عمل بها بعده، مِن غير أن يَنقُص من أوزارهم شيء»[٤].

قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال الأخفش: جَعَلَه هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حجَّةٌ على نفسك[٥]. وقال ابن عباس: «بصيرَةٌ» أي: شاهد، وهو شهودُ جوارحِه عليه: يداه بما بَطَش بهما، ورجلاه بما مشى عليهما، وعيناه بما أبصر

---

(١) لفظة: وحياته، من (م) وسنن ابن ماجه.

(٢) في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

(٣) في النسخ الخطية: أو أكرى، والمثبت من (م) وحلية الأولياء.

(٤) قطعة من حديث جرير بن عبد الله ﷺ أخرجه مسلم (١٠١٧): (٦٩)، وسلف ٢/ ٣٣٦.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢١.

بهما[١]. والبصيرة: الشاهد. وأنشد الفرَّاء:

كأنَّ على ذي العقلِ عَيْنًا بصيرةً بِمَقْعَدِهِ أو مَنْظَرٍ هو ناظِرُهْ
يُحاذِرُ حتى يَحسِبَ الناسَ كلَّهمْ من الخوفِ لا تَخْفَى عليهم سَرائِرُهْ[٢]

ودليلُ هذا التأويل من التنزيل قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان ها هنا الجوارحُ، لأنها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنه قال: بل الجوارحُ على نفس الإنسان بصيرة. قال معناه القتبيُّ[٣] وغيره. وناس يقولون: هذه الهاء في قوله: «بَصِيرَةٌ» هي التي يسمِّيها أهل الإعراب هاءَ المبالغة، كالهاء في قولهم: داهِية، وعلَّامة، وراوية. وهو قول أبي عُبيدة[٤].

وقيل: المراد بالبصيرة: الكاتبان اللَّذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شرٍّ، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ فيمن جعل المعاذير السُّتور. وهو قول السُّدِّيِّ والضحاك[٥].

وقال بعض أهل التفسير: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرةٌ، أي: شاهد، فحذف حرف الجر[٦].

ويجوز أن يكون «بصيرة» نعتًا لاسم مؤنث، فيكون تقديره: بل الإنسان على نفسه عينٌ بصيرة[٧]، وأنشد الفراء:

---

(١) أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٤٩١ - ٤٩٢ مختصراً.

(٢) البيتان للفرزدق وهما في ديوانه ص ٢٠٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١١، ووقع في الديوان: الطِّنْء، بدل العقل. وفي معاني القرآن: الظَّن. والطِّنْء هو الريبة. القاموس (طنأ).

(٣) في تأويل مشكل القرآن ص ١٤٨.

(٤) في (د) و(م) و(ي): أبي عبيد، والمثبت من (خ) و(ظ) والكلام في مجاز القرآن له ٢/ ٢٧٧.

(٥) الوسيط ٤/ ٣٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٣، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١١.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٣.

كأنَّ على ذِي العقل عينًا بصيرةً

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ أي: بصيرٌ بعيوب غيره، جاهلٌ بعيوب نفسه(١).

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي: ولو أَرْخَى سُتوره. والسِّتر بلغة أهل اليمن: مِعذار. قاله الضحاك. وقال الشاعر:

ولكنها ضَنَّتْ بِمَنزلِ ساعةٍ ... علينا وأَطَّتْ فَوْقَها بالمَعاذِرِ(٢)

قال الزَّجَّاج: المعاذِر: السُّتور، والواحد مِعذار(٣)، أي: وإن أرخى ستره يريد أن يخفيَ عمله، فنفسُه شاهدة عليه.

وقيل: أي: ولو اعتذر فقال: لم أفعل شيئاً، لكان عليه من نفسه مَن يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهدٌ يكذِّب عذره. قاله مجاهد، وقتادة، وسعيدُ بن جُبير، وعبدُ الرحمن بن زيد، وأبو العالية، وعطاء(٤)، والفرَّاء(٥) والسُّدِّيُّ أيضًا ومقاتل. قال مقاتل: أي: لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك. نظيرُه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وقولُه: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، فالمعاذيرُ على هذا مأخوذٌ من العذر، قال الشاعر:

وإيَّاكَ والأمرَ الذي إنْ تَوسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضاقتْ عليكَ المصادِرُ

فما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفسَهُ ... وليس له مِن سائِرِ الناسِ عاذرُ(٦)

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٦، وسلف الشعر قريباً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٥٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٣.

(٤) أخرج قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد الطبري ٢٣/ ٤٩٤ - ٤٩٦، وأورد قول عطاء البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٣.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢١١.

(٦) البيتان في شرح ديوان الحماسة ٣/ ٨٩، والبيت الأول في دُرَّة الغوَّاص ص٢٩.

واعتذر رجل إلى إبراهيمَ النَّخَعيِّ فقال له: قد عذرتك غير مُعتذِر، إن المعاذير يَشُوبها الكذب[١]. وقال ابن عباس: «وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» أي: لو تجرَّد من ثيابه. حكاه الماورديُّ[٢].

قلت: والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذارُ من الذَّنب، ومنه قول النابغة:

هـا إنَّ ذِي عِـذْرَةٌ إلَّا تـكُـنْ نَـفَـعـتْ ... فـإنَّ صـاحِـبَـهـا مُـشَـارِكُ الـنَّـكَـدِ[٣]

والدليل على هذا قولُه تعالى في الكفار: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقولُه تعالى في المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]. وفي الصحيح أنه يقول: «يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسولك، وصلَّيت وصمتُ وتصدَّقتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاع» الحديث، وقد تقدَّم في «حم السجدة» وغيرِها[٤]. والمعاذيرُ والمعاذِر: جمع مَعْذِرة، ويقال: عَذَرته فيما صنع أعذِره عُذْرًا وعُذُرًا، والاسم المَعْذِرة والعُذْرى، قال الشاعر:

إنِّـي حُـدِدْتُ ولا عُـذْرِي لِـمَـحْـدُودِ[٥]

---

(١) الصحاح (عذر)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٢٤ عن ابن عون.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٥٥، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٥.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٧.

(٤) هو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه مسلم (٢٩٦٨)، وسلف ٨/ ٣٤١، وليس في سورة حم السجدة.

(٥) الصحاح (عذر)، وأورده أيضاً أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٢١٠، دون نسبة، والبغدادي في الخزانة ١/ ٤٦٤ ونسبه للجموح الظَّفَري، ووقع عندهما: لولا، بدل: إني. قال ابن منظور في اللسان (عذر): وصواب إنشاده: لولا حددت، هو على إرادة أن تقديره: لولا أن حددت؛ لأن لولا التي معناها امتناع الشيء لوجود غيره هي مخصوصة بالأسماء، وقد تقع بعدها الأفعال على تقدير أنْ. اهـ. وهذا عجز البيت وصدره: لا درَّ درُّك إني قد رميتهمُ. وقوله: حُدِدت، أي: حرمت ومنعت، والمعنى؛ يقول: قد رميتُ واجتهدت في قتالهم، ولكني حرمت النصر عليهم، ولا يقبل عذر المحروم. خزانة الأدب.

وكذلك العِذْرة وهي مثلُ الرِّكْبة والجِلْسَة؛ قال النابغة:

هـا إنَّ تـا عِـذْرَةٌ إلَّا تَـكُـنْ نَـفَـعَـتْ فـإنّ صـاحِـبَـهـا قَـدْ تـاه فـي الْـبَـلَـدِ(١)

وتضمَّنت هذه الآيةُ خمسَ مسائل:

الأولى: قال القاضي أبو بكر بنُ العربيّ(٢): قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: فيها دليلٌ على قَبول إقرار المرء على نفسه؛ لأنها شهادةٌ(٣) منه عليها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]. ولا خلافَ فيه؛ لأنه إخبارٌ على وجهٍ تنتفي التُّهمة عنه؛ لأن العاقل لا يكذِب على نفسه، وهي المسألة:

الثانية: وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] وهو في الآثار كثير، قال النبيُّ ﷺ: «واغْدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»(٤).

فأمَّا إقرارُ الغير على الغير بوارث أو دَين فقال مالك: الأمرُ المجتمعُ عليه عندنا في الرجل يَهْلِك وله بنون، فيقول أحدهم: إن أبي قد أقرَّ أنَّ فلانًا ابنُه، أنَّ ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد، ولا يجوز إقرارُ الذي أقرَّ إلا على نفسه في

---

(١) الصحاح (عذر)، وأورده أيضاً ابن يعيش في شرح المفصل ٨/ ١١٣، والبغدادي في الخزانة ٥/ ٤٥٩ وفيهما: إن لم تكن، بدل: إلَّا تكن. وسلف قريباً بغير هذه الرواية.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٨.

(٣) في (م): بشهادة.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣١٤ - ٢٣١٥)، ومسلم (١٦٩٧ - ١٦٩٨) عن زيد بن خالد الجهني وأبي هريرة رضي الله عنهما، وسلف ٦/ ١٤٤، الكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٨.

حصته من مال أبيه، يعطي الذي شَهِد له قَدْرَ[١] الذي يصيبه من المال الذي في يده. قال مالك: وتفسيرُ ذلك: أن يَهْلِك الرجل ويترك ابنين ويترك ستَّ مئةِ دينار، [فيأخذُ كلُّ واحد منهما ثلاثَ مئةِ دينار]، ثم يشهدُ أحدهما بأنَّ أباه الهالكَ أقرَّ أن فلانًا ابنُه، فيكونُ على الذي شَهِد للذي استُلْحِق[٢] مئةُ دينار، وذلك نصفُ ميراث المستلحَق لو لَحِقَ، وإن أقرَّ له الآخر أخذ المئة الأخرى، فاستكمل حقَّه وثَبَتَ نسبُه[٣].

وهو أيضًا بمنزلة المرأة تُقِرُّ بالدَّين على أبيها أو على زوجها، وينكر ذلك الورثة، فعليها أن تدفع إلى الذي أقرَّت له قَدْرَ الذي يُصيبها من ذلك الدَّين لو ثبت على الورثة كلِّهم، إن كانت امرأةً فورِثت الثُّمن؛ دفعت إلى الغريم ثُمُن دَينه، وإن كانت ابنةً ورثت[٤] النصف؛ دفعت إلى الغريم نصف دَينه، على حسابِ هذا يدفع إليه مَن أقرَّ له من النساء.

الثالثة: لا يصح الإقرار إلا مِن مكلَّف، لكن بشرط ألا يكون محجورًا عليه؛ لأن الحجر يُسْقِط قولَه إن كان لحقِّ نفسه، فإن كان لحقِّ غيره، كالمريض، كان منه ساقط ومنه جائز. وبيانُه في مسائل الفقه[٥].

وللعبد حالتان في الإقرار: إحداهما في ابتدائه، ولا خلاف فيه على الوجه المتقدِّم. والثانية في انتهائه، وذلك مثلُ إبهام الإقرار، وله صورٌ كثيرة، وأمهاتُها ستٌّ:

الصورة الأولى: أن يقول: له عندي شيء، قال الشافعي: لو فَسَّره بتمرة أو كِسْرة قُبِل منه. والذي تقتضيه أصولُنا أنه لا يُقبَل إلا فيما له قَدْر، فإذا فسَّره به قُبِل منه وحَلَف عليه.

---

(١) بعدها في (د) و(م): الدَّين.

(٢) في (م): استحقَّ.

(٣) الاستذكار ٢٢/١٩٦ وما بين حاصرتين وما سيأتي إلى آخر المسألة منه.

(٤) في (ظ): فورثت.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٨ - ١٨٨٠، وما سيأتي إلى آخر المسألة منه.

الصورة الثانية: أن يفسِّر هذا بخمر أو خنزير، أو ما لا يكون مالًا في الشريعة، لم يُقْبل باتفاق ولو ساعده عليه المُقَرُّ له.

الصورة الثالثة: أن يفسِّره بمختلَف فيه مثل جلد الميتة أو سِرْقين[١] أو كلب، فإن الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه من ردٍّ وإمضاء، فإن ردَّه لم يَحكم عليه حاكم آخرُ غيره بشيء، لأن الحكم قد نفذ بإبطاله. وقال بعض أصحاب الشافعيّ: يلزم الخمر والخنزير، وهو قول باطل. وقال أبو حنيفة: إذا قال: له عليَّ شيءٌ، لم يُقبل تفسيره إلا بِمَكيل أو موزون، لأنه لا يَثْبُت في الذِّمة بنفسه إلا هما. وهذا ضعيف؛ فإنَّ غيرَهما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجماعًا.

الصورة الرابعة: إذا قال: له عندي مالٌ، قُبِل تفسيره بما يكون مالًا[٢] في العادة، كالدِّرهم والدِّرهمين، ما لم يَجِئ من قرينة الحال ما يحكم عليه بأكثر منه.

الصورة الخامسة: أن يقول: له عندي مالٌ كثير أو عظيم، فقال الشافعيُّ: يُقبل في الحبَّة. وقال أبو حنيفة: لا يُقبَل إلا في نصاب الزكاة. وقال علماؤنا في ذلك أقوالاً مختلفة، منها نصابُ السَّرقة والزكاة والدِّية، وأقلُّه عندي نصابُ السَّرقة، لأنه لا يُبَان عُضوُ المسلم إلا في مال عظيم، وبه قال أكثر الحنفية. ومَن تعجب فليتعجَّب[٣] لقول اللَّيث بن سعد: إنه لا يُقبل في أقلَّ من اثنين وسبعين درهمًا. فقيل له: ومن أين تقول ذلك؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ[٤]﴾ [التوبة: ٢٥]، وغزواتُه وسراياه كانت اثنتين وسبعين. وهذا لا يصحّ؛ لأنه أخرج حُنيناً منها، وكان حقُّه أن يقول: يُقبل في أَحَدٍ وسبعين، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾

---

(١) السِّرقين هو الزِّبل، معرب سَركين. القاموس (سرقن).

(٢) في النسخ: بما لا يكون مالاً. والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٩، والكلام منه، وينظر البناية في شرح الهداية ٧/ ٥٤١ ، وعقد الجواهر الثمينة ٢/ ٧٠١ ، والمجموع ١٨/ ٥٤٦ ، والمغني ٧/ ٣٠٥.

(٣) في النسخ عدا (ظ): ومن تعجب فيتعجب، والمثبت من (ظ).

(٤) بعدها في (د) و(م): ويوم حنين.

[النساء: ١١٤]، وقال: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

الصورة السادسة: إذا قال: له عندي عشرةٌ، أو مئةٌ، أو ألف، فإنه يُفَسِّرها بما شاء ويُقْبل منه، فإن قال: ألفُ درهم، أو مئةٌ وعبد، أو مئةٌ وخمسون درهمًا، فإنه يُفسِّر المبهَم ويُقبل منه، وبه قال الشافعيّ. وقال أبو حنيفة: إنْ عَطَفَ على العدد المبهم مكيلاً أو موزوناً، كان تفسيرًا؛ كقوله: مئةٌ وخمسون درهمًا؛ لأن الدِّرهم تفسيرٌ للخمسين، والخمسينَ تفسيرٌ للمئة. وقال ابن خَيران الإِصْطَخْري من أصحاب الشافعي[١]: الدرهم لا يكون تفسيرًا في المئة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويُفسِّر هو المئة بما شاء.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ومعناه: لو اعتذر بعد الإقرار لم يُقبل منه. وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقرَّ في الحدود التي هي خالصُ حقِّ الله، فقال أكثرهم منهم الشافعيُّ وأبو حنيفة: يُقبلُ رجوعه بعد الإقرار. وقال به مالك في أحد قوليه، وقال في القول الآخر: لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجهًا صحيحًا. والصحيحُ جوازُ الرجوع مطلقًا؛ لِمَا روى الأئمة منهم البخاريُّ ومسلمٌ أن النبيَّ ﷺ ردَّ المُقرَّ بالزنى مرارًا أربعاً كلَّ مرَّة يُعرِض عنه، ولَمَّا شهد على نفسه أربع مرات، دعاه النبيُّ ﷺ وقال: «أبكَ جنون؟». قال: لا. قال: «أُحْصِنْت؟». قال: نعم[٢].

وفي حديث البخاريِّ: «لعلَّكَ قَبَّلت، أو غمزت، أو نظرتَ»[٣].

وفي النَّسائيِّ وأبي داود[٤]: حتى قال له في الخامسة: «أنِكتَها؟»[٥]. قال: نعم. قال: «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟». قال: نعم. قال: «كما يغيب المِرود في

(١) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خَيْران، البغدادي الشافعي، شيخ الشافعية، توفي سنة عشرين وثلاث مئة. سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨.

(٢) صحيح البخاري (٦٨٢٠)، و(٦٨٢٥)، وصحيح مسلم (١٦٩١): (١٦) من حديث جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما. وأخرجه عنهما أيضاً أحمد (٩٨٤٥) و(١٤٤٦٢).

(٣) صحيح البخاري (٦٨٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند أحمد (٢٤٣٣).

(٤) النسائي في السنن الكبرى (٧١٢٦)، وسنن أبي داود واللفظ له (٤٤٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) في (م): أجامعتها، وفي سنن النسائي: أنكحتها.

المُكْحُلة والرِّشاء في البئر؟». قال: نعم. ثم قال: «هل تدري ما الزنى؟» قال: نعم، أتيت منها حرامًا مثلَ ما يأتي الرجل من أهله حلالًا. قال: «فما تريد مني بهذا القول؟[١]» قال: أريد أن تطهرني. قال: فأمر به فَرُجم.

قال الترمذيُّ وأبو داود: فلمَّا وجد مَسَّ الحجارة، فَرَّ يشتدُّ، فضربه رجل بلَحْي جَمَل، وضربه الناس حتى مات. فقال النبيُّ ﷺ: «هَلَّا تركتموه»[٢].

وقال أبو داود والنَّسائيُّ: ليتثبَّت رسول الله ﷺ، فأمَّا لترك حَدٍّ فلا[٣]. وهذا كلُّه طريقٌ للرجوع وتصريحٌ بقَبوله. وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «لعلك قَبَّلْتَ أو غمزتَ» إشارةٌ إلى قول مالك: إنه يُقبل رجوعه إذا ذكر وجهًا[٤].

الخامسة: وهذا في الحرِّ المالكِ لأمر نفسه، فأمَّا العبدُ، فإنَّ إقراره لا يخلو من أحد قسمين: إمَّا أن يُقِرَّ على بدنه، أو على ما في يده وذمته؛ فإن أقرَّ على بدنه[٥] فيما فيه عقوبةٌ من القتل فما دونه، نَفَذَ ذلك عليه. وقال محمد بن الحسن: لا يقبل ذلك منه؛ لأن بدنه مستغرَقٌ لحق السيد، وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بدنه، ودليلُنا قوله ﷺ: «مَن أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليستتر بستر الله، فإنَّ مَن يُبْد لنا صفحته، نُقِم عليه الحدّ»[٦]. المعنى: أن محلَّ العقوبة أصلُ الخِلقة، وهي الدُّمْية[٧] في الآدمية، ولا حقَّ للسيِّد فيها، وإنما حقُّه في الوصف والتَّبَع، وهي

---

(١) قوله: بهذا القول، ليست في (م)، وجاءت في (د) و(ظ): هذا القول.

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له (١٤٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أبو داود (٤٤١٩) من حديث نُعَيم بن هزَّال ﷺ. وقوله: فرَّ يشتد، أي: يسعى.

(٣) سنن أبي داود (٤٤٢٠)، والنسائي في الكبرى (٧١٦٩) واللفظ له من حديث جابر ﷺ.

(٤) المسألة بتمامها في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٠ - ١٨٨١ .

(٥) في (د) و(م): فإن أقر على ما في بدنه.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٢٥ عن زيد بن أسلم مرسلاً. وأخرجه الحاكم ٤/ ٢٤٤ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) في (د): الزينة، وفي (ظ) و(م) و(ي): الذِّمة، والمثبت من (ز) وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨١ - ١٨٨٢ والمسألة بتمامها منه.

المالية الطارئةُ عليه، ألا ترى أنه لو أقرَّ بمال لم يُقبل، حتى قال أبو حنيفة: إنه لو قال: سرقت هذه السلعة إنه[١] تقطع يده ويأخذها المُقرُّ له. وقال علماؤنا: السِّلْعة للسيِّد ويُتبَع العبدُ بقيمتها إذا عَتَق؛ لأن مال العبد للسيِّد إجماعًا، فلا يُقبل قولُه فيه ولا إقرارهُ عليه، لا سيما وأبو حنيفةَ يقول: إنَّ العبد لا مِلك له. ولا يصحُّ أن يَمْلِك ولا يُمَلَّك، ونحن وإن قلنا: إنه يصحُّ تملُّكه، ولكن جميع ما في يده لسيده بإجماع على القولين. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ في الترمذي: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرِّكُ به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: فكان يحرِّك به شفتيه. وحرَّك سفيان شفتيه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[٢].

ولفظ مسلم عن ابن جُبير عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ يعالج من التنزيل شدَّة، كان يحرِّك شفتيه، فقال لي ابن عباس: أنا أحرِّكهما كما كان رسول الله ﷺ يحرِّكهما، فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحرِّكهما، فحرَّك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جَمْعَهُ في صدرك ثم تقرؤه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاسْتَمِع له وأنصت. ثم إنَّ علينا أن نقرأه، قال: فكان رسول الله ﷺ[٣] إذا أتاه جبريلُ عليهما السلام استمع، وإذا انطلق

(١) بعدها في (د) و(م): لم. ينظر بدائع الصنائع ٩/٣٢٨ .

(٢) سنن الترمذي (٣٣٢٩) وسفيان هو ابن عيينة أحد رجال الإسناد، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩١٠)، والبخاري (٤٩٢٧) مختصراً.

(٣) بعدها في (م): بعد ذلك.

جبريل عليه السلام قرأه النبيُّ ﷺ كما أقرأه. خرَّجه البخاريُّ أيضًا(١).

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، وقد تقدَّم(٢).

وقال عامرٌ الشَّعْبي: إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حُبِّه له، وحلاوتِه في لسانه، فنُهي عن ذلك حتى يجتمع؛ لأن بعضه مرتبط ببعض(٣).

وقيل: كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي، حرَّك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه، فنزلت: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، ونزل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ونزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾. قاله ابن عباس(٤).

«وقرآنه» أي: وقراءتَه عليك. والقراءةُ والقرآن في قول الفراء(٥) مصدران. وقال قتادة: «فَاتَّبِعْ قُرْآنه» أي: فاتبع شرائعه وأحكامه(٦).

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: تفسيرَ ما فيه من الحدود والحلال والحرام. قاله قتادة(٧). وقيل: ثم إنَّ علينا بيانَ ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقَهما. وقيل: أي: إن علينا أن نبيِّنه بلسانك(٨).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال ابن عباس: أي: إنَّ أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه(٩). وقيل: أي: «كَلّا» لا يُصلُّون ولا يزكُّون، يريد كفَّارَ مكة.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٨): (١٤٨)، وصحيح البخاري (٥)، وهو عند أحمد أيضاً (٣١٩١).
(٢) ١٤/ ١٤٤ - ١٤٥.
(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥٥، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٨ مختصراً.
(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٩ مختصراً.
(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢١١.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٤، والطبري ٢٣/ ٥٠٣ بنحوه.
(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٤ بنحوه.
(٨) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٥٠٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٩) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٩٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٢ لعطاء.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ أي: بل تحبُّون يا كفارَ أهل مكة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدارَ الدنيا والحياةَ فيها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أي: تَدَعُون ﴿الْآخِرَةَ﴾ والعملَ لها. وفي بعض التفسير قال: الآخرة: الجنة.

وقرأ أهل المدينة والكوفيون: «بَلْ تُحِبُّونَ»، «وَتَذَرُونَ» بالتاء فيهما على الخطاب[1]، واختاره أبو عبيد، قال: ولولا الكراهةُ لِخِلاف هؤلاء القراء، لقرأتُها بالياء، لِذِكر الإنسان قبل ذلك. الباقون بالياء على الخبر، وهو اختيار أبي حاتم. فَمَن قرأ بالياء فردًّا على قوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ﴾ وهو بمعنى الناس. ومَن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتقريع؛ لأنَّ ذلك أبلغُ في المقصود؛ نظيره: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الأوَّلُ من النَّضْرة التي هي الحُسْن والنَّعمة، والثاني من النظر، أي: وجوهُ المؤمنين مشرقةٌ حسنة ناعمة، يقال: نَضَرهم اللهُ يَنضُرُهم نَضْرة ونَضَارة، وهو الإشراق والعيش والغنى، ومنه الحديث: «نَضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها»[2].

«إِلَى رَبِّهَا»: إلى خالقها ومالكها «نَاظِرَةٌ»، أي: تنظر إلى ربها، على هذا جمهور العلماء. وفي الباب حديث صُهَيب خرَّجه مسلم[3] وقد مضى في «يونس»[4] عند قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية: ٢٦]. وكان ابن عمر يقول: أكرمُ أهل

---

(١) السبعة ص ٦٦١، والتيسير ص ٢١٧.

(٢) سلف ٢/ ١٢٨.

(٣) برقم (١٨١) وهو قوله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟... إلى أن قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطُوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

(٤) ١٠/ ٤٨٣.

الجنة على الله مَن ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشية، ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١]. وروى يزيدُ النَّحْوي عن عِكْرمة قال: تنظر إلى ربها نظرًا[٢]. وكان الحسن يقول: نَضَرت وجوههم ونظروا إلى ربِّهم[٣].

وقيل: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب. ورُوي عن ابن عمر ومجاهد[٤]. وقال عكرمة: تنتظر أمر ربها. حكاه الماورديُّ عن ابن عمر وعِكرمة أيضًا[٥]. وليس معروفًا إلا عن مجاهد وحده. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. وهذا القول ضعيف جدًّا، خارجٌ عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار.

وفي الترمذيِّ[٦] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى جِنانه وأزواجه وخَدمه وسُرره مسيرةَ ألفِ سنة، وأكرمُهم على الله مَن ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشيَّة». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: هذا حديث غريب. وقد رُوِيَ عن ابن عمر ولم يرفعه.

وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ قال: «جنتانِ من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وجنتانِ من ذهب، آنيتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جلَّ وعزَّ إلا رِداءُ الكِبْرياء على وجهه في جَنَّة عدن»[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٣ ، والطبري ٢٣/ ٥٠٧ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٠٣).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٧ بنحوه.

(٤) أخرجه عن مجاهد الطبري ٢٣/ ٥٠٨ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٦ عن عكرمة فقط، وحكى عن ابن عمر ومجاهد: إلى ربها ناظرة: إلى ثواب ربها.

(٦) برقم (٣٣٣٠).

(٧) صحيح مسلم (١٨٠): (٢٩٦)، وهو عند أحمد (١٩٦٨٢)، والبخاري (٧٤٤٤)، وقوله: وما بين =

وروى جرير بن عبد الله قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ جلوسًا، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم عِيانًا كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُون في رؤيته؛ فإن استطعتم ألَّا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] متَّفق عليه. وخرَّجه أيضًا أبو داود والترمذيُّ وقال: حديث حسن صحيح[١].

وخرَّج أبو داود عن أبي رَزِين العُقَيليِّ قال: قلت: يا رسول الله، أكلُّنا يرى ربه[٢] مُخْلِيًا به يوم القيامة؟ قال: «نعم يا أبا رَزِين» قال: وما آيةُ ذلك في خَلْقه؟ قال «يا أبا رَزِين، أليس كلُّكم يَرَى القمر[٣] ليلة البدر مُخْلِيًا به؟». قلنا: بلى. قال: «فالله أعظم[٤]، إنما[٥] هو خلق من خلق الله، يعني القمر، فالله أجلُّ وأعظم[٦]».

وفي كتاب النَّسائيِّ[٧] عن صُهَيب قال: «فيكشِفُ الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبَّ إليهم من النظر، ولا أقرَّ لأعينهم».

وفي التفسير لأبي إسحاق الثَّعلبيِّ عن أبي الزُّبير[٨] عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلَّى ربُّنا عزَّ وجلَّ حتى ينظروا إلى وجهه، فيخرُّون له سُجَّدًا، فيقول: ارفعوا

= القوم وبين أن ينظروا... قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٣/ ١٦: قال العلماء: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه، ويقرب الكلام إلى أفهامهم، ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها، فعبر ﷺ عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء.

(١) صحيح البخاري (٥٥٤)، وصحيح مسلم (٦٣٣)، وسنن أبي داود (٤٧٢٩)، وسنن الترمذي (٢٥٥١)، وسلف ٤/ ١٨٠ .

(٢) بعدها في (م) وسنن أبي داود: قال ابن معاذ. قلنا: وهو عبيد الله بن معاذ أحد رجال الإسناد.

(٣) بعدها في (م) وسنن أبي داود: قال ابن معاذ.

(٤) بعدها في سنن أبي داود: قال ابن معاذ، قال.

(٥) في (م): فإنما.

(٦) سنن أبي داود (٤٧٣١)، وهو عند أحمد (١٦١٨٦)، وابن ماجه (١٨٠).

(٧) في السنن الكبرى (١١١٧٠)، وسلف ١٠/ ٤٨٣ .

(٨) في (م): عن الزبير.

رؤوسكم، فليس هذا بيوم عبادة»[(١)]. قال الثعلبيُّ: وقولُ مجاهد إنها بمعنى: تنتظر الثواب من ربِّها ولا يراه شيء من خَلقه، فتأويلٌ مدخول؛ لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار، قالوا: نَظْرتُه، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف:٦٦]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]، و﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس:٤٩]، وإذا أرادتْ به التفكُّر والتدبُّر قالوا: نظرتُ فيه. فأمَّا إذا كان النظر مقرونًا بذكر إلى، وذكرِ الوجه، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعِيان.

وقال الأزهريُّ: إنَّ قول مجاهد: تنتظر ثواب رَبِّها، خطأٌ؛ لأنه لا يقال: نظر إلى كذا، بمعنى الانتظار، وإنَّ قول القائل: نظرت إلى فلان، ليس إلا رؤيةَ عين، كذلك تقوله العرب؛ لأنهم يقولون: نظرت إليه: إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار، قالوا: نَظَرْتُه[(٢)]، قال:

فإنَّكما إنْ تَنْظُرانيَ ساعةً ... مِن الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ[(٣)]

لمَّا أراد الانتظار قال: تنظراني، ولم يقل: تنظران إليَّ، وإذا أرادوا نظر العين قالوا: نظرت إليه، قال:

نظرتُ إليها والنُّجُومُ كأنَّها ... مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ[(٤)]

وقال آخر:

نظرتُ إليها بالمُحصَّبِ مِنْ مِنًى ... ولِيْ نَظَرٌ[(٥)] لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية (٥٢) وفيه أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي، كذبه أبو حاتم وابن صاعد. وقال الدارقطني: ضعيف، وقال مرة: متروك. وقال ابن عدي: حدث عن الثقات بمناكير وكان ينسخ عجائب. ميزان الاعتدال ١/ ١٤٣ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ٣٧١ .

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٤١ ، وسلف ٢/ ٢٩٨ .

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣١ ، وقوله: تُشَبُّ، أي: توقد. والقُفَّال جمع قافل، وهو الراجع من السفر. ينظر اللسان (شبب) و(قفل).

(٥) في النسخ عدا (ظ): نظرة، وسقط هذا الموضع من (ظ)، والمثبت من ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٨٢ .

وقال آخر:

إنِّـي إلـيـكِ لِـمَـا وَعَـدتِ لـنَـاظـرٌ نَـظَرَ الـفـقـيـرِ إلى الـغـنـيِّ الـمُـوسِـرِ[١]

أي: إني أنظر إليك بِذُلٍّ، لأنَّ نظر الذُّلِّ والخضوع أرقُّ لقلب المسؤول.

فأمَّا ما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنما ذلك في الدنيا. وقد مضى القول فيه في موضعه مستوفًى[٢].

وقال عطية العَوْفي: ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، ونظرُه يحيط بهم[٣]، يدل عليه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[٤] [الأنعام: ١٠٣].

قال القشيريُّ أبو نصر: وقيل: «إلى» واحد الآلاء، أي: نِعَمهُ منتظرة، وهذا أيضاً باطل؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء: نِعَمُه الدُّفَّع، وهم في الجنة لا ينتظرون دفعَ نِعمة[٥] عنهم، والمنتظرُ للشيء مُتنغِّصُ العيش، فلا يوصف أهل الجنة بذلك.

وقيل: أضاف النظر إلى الوجه، لأن العين في الوجه[٦]، وهو كقوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] والماءُ يجري في النهر لا النهر. ثم قد يُذكر الوجه بمعنى العين، قال الله تعالى[٧]: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]، أي: على عينيه. ثم لا يبعد قلب العادة غدًا، حتى يخلق الرؤية والنظر في الوجه، وهو كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [الملك: ٢٢]، فقيل: يا رسول الله!

---

(١) البيت لجميل، وهو في ديوانه ص ١٠٩ ، وفيه: بما، بدل: لما. والمكثر، بدل: الموسر.

(٢) ٨/ ٤٨٢ وما بعدها.

(٣) في (م): بها.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٧ .

(٥) في (د) و(ز) و(م): نقمه، والمثبت من (ظ) و(ي).

(٦) قوله: لأن العين في الوجه، ليس في (د) و(م).

(٧) بعدها في (ظ): حكاية عن يوسف.

كيف يمشون في النار على وجوههم؟ قال: «الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على[(١)] أن يُمشيَهم على وجوههم»[(٢)].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي: وجوه الكفار يوم القيامة كالحةٌ كاسفةٌ عابسة. وفي الصحاح: وبَسَر الفحلُ الناقةَ وابتسرها: إذا ضربها من غير ضَبَعَة[(٣)]. وبَسَر الرجلُ وجهَه بُسورًا، أي: كَلَح، يقال: عَبَس وبَسَر[(٤)]. وقال السُّديّ: «بَاسِرَةٌ» أي: متغيرة[(٥)]، والمعنى واحد.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: تُوقن وتعلم، والفاقرة: الداهية والأمر العظيم؛ يقال: فَقَرَتْه الفاقرة، أي: كسرت فَقَار ظهره[(٦)]. قال معناه مجاهد وغيره. وقال قتادة: الفاقرة: الشَّرّ[(٧)]. السُّدّيّ: الهلاك[(٨)]. ابن عباس وابن زيد: دخول النار[(٩)]. والمعنى متقارب. وأصلُها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يَخْلص إلى العظم. قاله الأصمعي[(١٠)]. يقال: فَقَرتُ أنفَ البعير: إذا حززتَه بحديدة ثم جعلتَ على موضع الحزِّ الجَرِيرَ[(١١)]. وعليه وَترٌ مَلْويٌّ؛ لِتُذلِّلَه بذلك وتَرُوضَه، ومنه قولهم: قد عَمِل به الفاقرة[(١٢)]. وقال النابغة:

---

(١) لفظة: على، من (د) و(ظ).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٥٥)، والترمذي واللفظ له (٣١٤٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٧٠٨)، والبخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس ﷺ.

(٣) الضَّبَعَة: هو شدة شهوة الناقة للفحل. الصحاح (ضبع).

(٤) الصحاح (بسر).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٥٧ .

(٦) الصحاح (فقر).

(٧) أخرج قوله وقول مجاهد الطبري ٢٣/ ٥١١ - ٥١٢ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٥٧ .

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٢ عن ابن زيد .

(١٠) تهذيب اللغة ٩/ ١١٦ .

(١١) هو حبل من أَدَم يخطم به البعير. اللسان (جرر).

(١٢) الصحاح (فقر).

أَبَى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقابِلِي وضَرْبَةُ فَأْسٍ فوقَ رأسِيَ فَاقِرَهْ[1]

أي: كاسرة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ «كَلَّا» رَدْعٌ وزَجْر، أي: بعيدٌ أن يؤمن الكافر بيوم القيامة؛ ثم استأنف فقال: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي: بلغت النفس أو الروح التراقي، فأخبر عمَّا لم يجر له ذكر؛ لعلم المخاطب به[2]، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، وقد تقدَّم[3].

وقيل: «كَلَّا» معناه حقًّا[4]، أي: حقًّا أنَّ المَساق إلى الله إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، أي: إذا ارتقت النفس إلى التراقي. وكان ابن عباس يقول: إذا بلغت نفس الكافر التراقي. والتراقي جمعُ تَرْقُوة: وهي العظامُ المكتنفة لنُقْرة النَّحر، وهو مقدَّم الحَلْق من أعلى الصدر، موضعِ الحَشْرجة، قال دُرَيد بن الصِّمَّة:

ورُبَّ عَظِيمةٍ دافَعْتَ عَنْهُم وقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي[5]

وقد يُكْنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي[6]، والمقصودُ تذكيرُهم

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٠ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٠ .

(٣) ١٨/ ١٩٣ ، ٢٠/ ٢٢٩ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٢ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٧ .

(٥) كذا نسبه المصنف لدريد بن الصمَّة، ونسبه إليه أيضاً الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٣٠ ، ونسبه ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٤٥٤ ، وياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/ ٢٥٨ ، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٤/ ١٢ لعمرة بنت دريد بن الصمة؛ قالته في قصيدة لها ترثي بها أباها.

(٦) زاد المسير ٨/ ٤٢٤ .

شدَّةَ الحال عند نزول الموت.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ اختُلف فيه، فقيل: هو من الرُّقية؛ عن ابن عباس وعكرمةَ وغيرهما[١]. روى سِمَاك عن عكرمة قال: مَن راقٍ يَرْقي؟ أي: يَشْفي[٢]. وروى ميمون بن مِهران عن ابن عباس: أي: هل من طبيب يَشْفِيه. وقاله أبو قِلابة وقتادة[٣]. وقال الشاعر:

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ المَوْتِ مِنْ رَاق[٤]

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس، أي: مَن يَقدِر أن يَرْقي من الموت.

وعن ابن عباس أيضًا وأبي الجوزاء أنه من رَقِيَ يَرْقَى: إذا صَعِد، والمعنى: مَن يَرقَى بروحه إلى السماء؟ أملائكةُ الرَّحمة أم ملائكةُ العذاب[٥]؟

وقيل: إن مَلَك الموت يقول: مَن راقٍ؟ أي: مَن يَرْقَى بهذه النفس، وذلك أنَّ نفس الكافر تكره الملائكةُ قربها، فيقول مَلَك الموت: يا فلان اصعد بها[٦].

وأظهر عاصم وقومٌ النون في قوله تعالى: «مَنْ رَاقٍ»، واللَّامَ في قوله: «بَلْ رَانَ»[٧] لئلا يُشبِه مَرَّاق وهو بائع المَرَقة، وبَرَّان في تثنية البَرّ. والصحيحُ ترك الإظهار، وكسرةُ القاف في: «مَنْ رَاق»، وفتحةُ النون في: «بَلْ رَانَ» تكفي في زوال اللَّبس. وأمثل ممَّا ذُكِر: قصدَ الوقف على «مَنْ» و«بَلْ»، فأَظْهَرَهما. قاله القشيريّ[٨].

---

(١) أورده بنحوه عن ابن عباس الماورديُّ في النكت والعيون ٦/ ١٥٧، وعن عكرمة ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٤ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٣ .

(٣) أخرج قول أبي قلابة الطبري ٢٣/ ٥١٣ ، وأخرج قول قتادة عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٥ .

(٤) أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٣٠٨ ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٤ ، وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٩ ونسبوه ليزيد بن خَذَّاق.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٥١٤ بنحوه.

(٦) ينظر تفسير الرازي: ٣٠/ ٢٣١ .

(٧) السبعة ص٦٦١ ، ٦٧٥ ، والتيسير ص١٤٢ .

(٨) أورد الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٣١ نحو هذا القول عن الواحدي، قال: والوجه أن يقال: قَصدَ ـ يعني عاصماً ـ الوقف على (مَن) و(بل)، فأظهرهما ثم ابتدأ بما بعدهما.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن الإنسان ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي: فراقُ الدنيا والأهل والمال والولد، وذلك حين عاين الملائكة. وقال الشاعر:

فَـراقٌ لـيـس يُـشـبـهُـهُ فِـرَاقُ قـد انـقـطـع الـرجـاءُ عـن الـتَّـلَاقِ

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: فاتصلت الشدَّة بالشدَّة؛ شدَّةُ آخر الدنيا بشدة أوَّل الآخرة. قاله ابن عباس والحسن وغيرهما(١). وقال الشعبي وغيره: المعنى: التفَّت ساقا الإنسان عند الموت من شدَّة الكرب(٢). وقال قتادة: أمَا رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى(٣). وقال سعيد بن المسيِّب والحسن أيضاً: هما ساقا الإنسان إذا التفَّتا في الكفن(٤). وقال زيد بن أسلم: التفَّتْ ساق الكفن بساق الميت. وقال الحسن أيضاً: ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه، ولقد كان عليهما جوَّالاً(٥).

قال النحاس: القولُ الأوّل أحسنُها. وروى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال: آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، فتلتقي الشدَّة بالشدَّة إلَّا من رحمه الله(٦)، أي: شدَّةُ كرب الموت بشدَّة هول المَطْلع، والدليل على هذا قولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾. وقال مجاهد: بلاء ببلاء(٧). يقول: تتابعت عليه الشدائد(٨). وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناسُ يُجهِّزون جسده، والملائكة يُجهِّزون رُوحه(٩)، والعرب لا تذكر الساق إلا في المِحن

---

(١) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٥١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٩ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٢ .

(٤) المصدر السابق، وأخرج قول الحسن الطبري ٢٣/ ٥١٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٥٨ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٦ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢١ .

(٨) نسب هذا القول البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٤ لسعيد بن جبير.

(٩) أورده عن الضحاك البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٥ ، وعن ابن زيد الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٨ .

والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق. قال الشاعر:

وقامتِ الحربُ بنا على ساق[١]

وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة «ن وَالْقَلَم»[٢].

وقال قوم: الكافر تُعَذَّب روحه عند خروج نفسه، فهذه الساق الأولى، ثم يكون بعدها[٣] ساقُ البعث وشدائده. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى خالقك ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: المرجع. وفي بعض التفاسير قال: يسوقه مَلَكه الذي كان يحفظ عليه السيئات. والمَسَاق: المصدر مِن ساق يسوق، كالمَقالِ مِن قال يقول[٤].

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يصدِّق أبو جهل ولم يصلِّ[٥]. وقيل: يرجع هذا إلى الإنسان في أوَّل السورة، وهو اسم جنس[٦]. والأوَّل قولُ ابن عباس. أي: لم يصدِّق بالرسالة، «وَلَا صلَّى»: دعا لربِّه[٧]، وصلَّى على رسوله. وقال قتادة: فلا صدَّق بكتاب الله، ولا صلَّى لله[٨]. وقيل: ولا صدَّق بمال له ذُخرًا له عند

(١) سلف ١/ ٢٥٣ .

(٢) ص١٧٥ وما بعدها من هذا الجزء.

(٣) في النسخ: بعدهما.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٢ .

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦ .

(٦) ينظر الكشاف ٤/ ١٩٣ .

(٧) في (م): ودعا لربه.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٣ .

الله[١]، ولا صلَّى الصلواتِ التي أمره الله بها. وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه[٢].

قال الكسائي: «لَا» بمعنى لم، ولكنه يُقرن بغيره، تقول العرب: لا عبدُ الله خارج ولا فلان، ولا تقول: مررت برجل لا مُحْسِنٍ، حتى يقال: ولا مُجْمِلٍ، وقولُه تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، ليس من هذا القبيل؛ لأن معناه: أفلا اقتحم، أي: فهلَّا اقتحم، فحذف ألف الاستفهام[٣].

وقال الأخفش: «فَلَا صَدَّق» أي: لم يصدِّق[٤]، كقوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ [البلد: ١١] أي: لم يقتحم، ولم يشترط أن يُعْقِبه بشيء آخر، والعرب تقول: لا ذَهَبَ، أي: لم يذهب، فحرفُ النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل، ومنه قول زهير:

فَـلَا هُـوَ أَبْـدَاهَـا وَلَـمْ يَـتَـقَـدَّمِ[٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذَّب بالقرآن وتولَّى عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يتبختر افتخارًا بذلك. قاله مجاهد وغيره. مجاهد: المراد به أبو جهل[٦]. وقيل: «يَتَمَطَّى» مِن المَطَا وهو الظَّهْر، والمعنى: يَلْوي مَطَاه. وقيل: أصلُه يتمطَّط، وهو التمدُّد من التكسُّل والتثاقل[٧]، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحقّ، فأُبدل من الطاء ياءً كراهة التضعيف[٨]، والتمطي يدلُّ على قلَّة الاكتراث، وهو التمدُّد، كأنه يمدُّ ظهره ويلويه من التبختر.

---

(١) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧ أن القول الذي قبله أصوب.

(٢) أورد هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٨.

(٣) ينظر قول الكسائي في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٣.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢١.

(٥) ديوان زهير ص٢٢، وهذا عجز البيت، وصدره: وكان طوى كَشْحًا على مُسْتَكِنَّةٍ.

(٦) أخرج قولي مجاهد الطبري ٢٣/ ٥٢٤.

(٧) الكشاف ٤/ ١٩٣.

(٨) ينظر تفسير غريب القرآن ص٥٠١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٩.

والمَطِيطة: الماء الخاثر في أسفل الحوض[١]؛ لأنه يتمطى، أي: يتمدَّد، وفي الخبر: «إذا مشت أمَّتي المُطَيْطَاءَ، وخَدَمَتْهُم فارس والروم، كان بأسُهم بينهم»[٢]. والمُطَيْطاء: التبختُر ومدُّ اليدين في المشي.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾: تهديدٌ بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي: فهو وعيد أربعة لأربعة، كما رُوِيَ أنها نزلت في أبي جهلٍ الجاهلِ بربِّه فقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: لا صدَّق رسولَ الله، ولا وقف بين يديَّ فصلَّى، ولكنْ كذَّب رسولي، وتولَّى عن التصلية[٣] بين يديّ. فتَرْكُ التصديق خَصْلةٌ، والتكذيبُ خَصْلة، وتركُ الصلاة خَصْلة، والتولي عن الله تعالى خَصْلة، فجاء الوعيد أربعةً مقابِلةً لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ خَصْلةٌ خامسة، فإنَّا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولِّي، فأخبر عنها. وذلك بيِّنٌ في قول قتادة على ما نذكره.

وقيل: إنَّ رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم[٤]، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، ممَّا يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فهزَّه مرَّةً أو مرتين، ثم قال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» فقال له أبو جهل: أتهدِّدُني؟ فوالله إني لَأَعَزُّ أهل الوادي وأَكْرَمُه. ونزل على رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل[٥]. وهي كلمة وعيد. قال الشاعر:

---

(١) الصحاح (مطط).

(٢) صححه ابن حبان (٦٧١٦) من حديث خولة بنت قيس، وأخرجه الترمذي (٢٢٦١)، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٣٥ ، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٦٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: حديث غريب. وينظر ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٨، وفيض القدير ١/ ٤٤٥.

(٣) كذا. وفي القاموس: صلى صلاةً، لا تصلية.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ي): ذات ليلة.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٥، والنكت والعيون للماوردي ٦/ ١٥٩، وسلف نحوه ١٩/ ١٣٥ - ١٣٦ .

فَـأَوْلَـى ثـم أَوْلَـى ثـم أَوْلَـى وهَـلْ لِلـدَّرِّ يُحْلَبُ مـن مَـرَدِّ[١]

قال قتادة: أقبل أبو جهل بنُ هشام يتبختر، فأخذ النبيُّ ﷺ بيده فقال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى». فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئًا، إني لأعزُّ مَنْ بينَ جبليها. فلمَّا كان يوم بَدْر أشرف على المسلمين فقال: لا يُعْبَد الله بعد هذا اليوم أبدًا، فضرب الله عنقه، وقتله شرَّ قِتْلة[٢].

وقيل: معناه: الويل لك، ومنه قول الخنساء:

هَـمَـمْـتُ بـنـفـسـيَ كُـلَّ الـهُـمُـوم فَـأَوْلَـى لِـنَـفْـسـيَ أَوْلَـى لَـهَـا

سَـأَحْـمِـلُ نـفـسـي عـلـى آلـةٍ فـإمَّـا عـلـيـهـا وإمَّـا لَـهَـا[٣]

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضًا الذي يُحمل عليه الميت[٤]، وعلى هذا التأويل قيل: هو من المقلوب، كأنه قيل: أَوْيَل، ثم أُخِّر الحرف المعتل، والمعنى: الويل لك حيًّا، والويل لك ميتًا، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار، وهذا التكرير كما قال:

لَـكَ الْـوَيْـلَاتُ إِنَّـكَ مُـرْجِـلـي[٥]

أي: لك الويلُ، ثم الويلُ، ثم الويلُ، وضُعِّف هذا القول.

وقيل: معناه الذمُّ لك أَوْلى من تركه، إلا أنه كثير في الكلام فحذِف. وقيل: المعنى أنت أولى وأجدرُ بهذا العذاب[٦].

---

(١) البيت لعبد الله بن الزبير، وهو في الأغاني ١٤/ ٢٣٧، وسلف ١٩/ ٢٧٠ .

(٢) أخرجه عن الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٤-٣٣٥، الطبري ٢٣/ ٥٢٥ .

(٣) ديوان الخنساء ص١٢١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٥٩ .

(٥) قطعة من بيت لامرئ القيس، وتمامه:

ويـومَ دخـلـتُ الـخِـدْر خِـدْرَ عُـنـيـزةٍ فـقـالـت لـك الـويـلاتُ إنـك مُـرْجِـلـي

وهو في ديوانه ص١١، وسلف ٢/ ٢٢١ .

(٦) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٥ .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: قال الأصمعي: «أَوْلَى» في كلام العرب معناه: مُقَارِبة الهلاك[١]، كأنه يقول: قد وَلِيتَ الهلاك، قد دَانَيْتَ الهلاكَ، وأصلُه من الوَلْي، وهو القُرْب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[٢] [التوبة: ١٢٣]، أي: يَقرُبُون منكم، وأنشد الأصمعي:

وَأَوْلَى أن يكون له الوَلَاءُ[٣]

أي: قارب أن يكون له، وأنشد أيضًا:

أَوْلَى لِمَنْ هاجَتْ لَهُ أَنْ يَكْمَدَا[٤]

أي: قد دنا صاحبها [من][٥] الكمد. وكان أبو العباس ثعلبٌ يستحسن قول الأصمعيِّ ويقول: ليس أحد يفسِّر كتفسير الأصمعي.

النحاس: العرب تقول: أَوْلى لكَ: كِدتَ تَهلِك ثم أَفْلَتَّ، وكأنَّ تقديره: أولى لك وأولى بك الهلكة[٦].

المهدويُّ: قال: ولا تكون أَوْلى: أَفْعَل منك، وتكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: الوعيد أولى له من غيره؛ لأن أبا زيد قد حكى[٧]: أَوْلَاةُ الآن: إذا أَوْعَدوا. فدخولُ علامة التأنيث دليلٌ على أنه ليس كذلك. و«لَكَ» خبرٌ عن «أَوْلَى». ولم ينصرف «أَوْلَى»؛ لأنه صار علمًا للوعيد، فصار كرجل اسمه أحمد[٨].

(١) أورد قول الأصمعي الجوهري في الصحاح (ولي).

(٢) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٢٥ .

(٣) لم نقف عليه، وأورده الألوسي في روح المعاني ٢٩/ ١٤٩ .

(٤) قائله ذو الرُّمة، وهو في ديوانه ١/ ٢٩١ ، وهو صدر بيت، وعجزه: أَوْلى وإن كانت خلاءً بُيَّدا.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) بنحوه في معاني القرآن له ٦/ ٤٨٠ .

(٧) في النوادر في اللغة ص٢٦٠ .

(٨) ينظر الإملاء للعكبري بهامش الفتوحات الإلهية ٤/ ٤٣٥ .

وقيل: التكرير فيه على معنى: الذَّمُّ[١] لك على عملك السَّيِّئ الأوّل، ثم على الثاني، والثالث، والرابع، كما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يظنُّ ابن آدم ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: أن يُخَلَّى مُهمَلًا، فلا يُؤمَرُ ولا يُنهَى. قاله ابن زيد ومجاهد[٢]، ومنه: إبلٌ سُدًى: ترعى بلا راعٍ. وقيل: أيحسب أن يُترك في قبره كذلك أبدًا لا يُبعَث. وقال الشاعر:

فأُقْسِمُ باللَّهِ جهدَ اليَمِيـ ـنِ ما تَرَكَ اللهُ شيئًا سُدَى[٣]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي: من قطرةِ ماء تُمنَى في الرَّحِم، أي: تُراق فيه؛ ولذلك سُمِّيت «مِنًى» لإراقة الدماء. وقد تقدَّم[٤]. والنطفة: الماء القليل، يقال: نَطَف الماء: إذا قطر. أي: ألم يكُ ماءً قليلًا في صُلْب الرجل وترائب المرأة.

وقرأ حفص: «مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى» بالياء، وهي قراءة ابن محيصن ومجاهدٍ ويعقوبَ[٥] وعبَّاس عن أبي عمرو[٦]، واختاره أبو عبيد لأجل المنيّ. الباقون بالتاء لأجل النطفة، واختاره أبو حاتم.

---

(١) في (د) و(م): الزم.

(٢) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٥٢٦ .

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٠ ولم ينسبه.

(٤) ٢٠/ ٦٠ ، و٢٠٧ .

(٥) السبعة ص٦٦٢ ، والتيسير ص٢١٧ ، والنشر ٢/ ٣٩٤ . وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧.

(٦) كذا ذكر المصنف، وفي السبعة لابن مجاهد ص٦٦٢ عن عباس - وهو ابن الفضل الواقفي - عن أبي عمرو أنه قرأ بالتاء، وذكر عن أبي زيد عنه أنه قرأ بالتاء والياء، وذكر أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٦٥ القراءة بالياء لأبي عمرو من رواية عبد الوارث وشجاع عنه، والقراءة المشهورة عن أبي عمرو بالتاء، ووقع في (د) و(م): عياش، بدل: عباس، وهو خطأ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: دماً بعد النطفة، أي: قد نبَّه[١] تعالى بهذا كلِّه على خِسَّة قدره. ثم قال: ﴿فَخَلَقَ﴾ أي: فقدَّر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: فسوَّاه تسويةً، وعدَّله تعديلًا، بجعل الروح فيه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: من الإنسان. وقيل: من المنيّ. ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي: الرجل والمرأة. وقد احتجَّ بهذا مَن رأى إسقاط الخُنثى. وقد مضى في سورة الشورى[٢] أنَّ هذه الآية وقرينتَها إنما خرجتا مخرج الغالب[٣]. وقد مضى في أول سورة النساء أيضًا القولُ فيه، وذكرنا في آية المواريث حكْمَه[٤]، فلا معنى لإعادته.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ أي: أليس الذي قَدَرَ على خلق هذه النَّسَمة من قطرة من ماء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: على أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث بعد البِلَى. ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللَّهم، بَلَى»[٥].

وقال ابن عباس: مَن قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] إمامًا كان أو غيرَه، فليقل: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى. ومَن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] إلى آخرها، إمامًا كان أو غيرَه، فليقل: سبحانك اللَّهُمَّ، بَلَى. ذكره الثعلبيُّ من حديث أبي إسحاق السَّبِيعيِّ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٦].

ختمت السورة والحمدُ لله.

---

(١) في (ز): قدر، وفي (د) و(م) و(ي): رتبه. والمثبت من (ظ).

(٢) ١٨/ ٥٠٥ وما بعدها.

(٣) ٦/ ٧ ، ١٠٩ وما بعدها.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٨ عن قتادة مرسلاً.

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٠٠). وأخرج الشطر الأول منه أبو داود (٨٨٣) من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. قال أبو داود: خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً.

سورة الإنسان

مَكِّيَّةٌ في قول ابنِ عباس ومقاتل والكلبي[1]. وقال الجمهور: مدنيَّة[2]. وقيل: فيها مكيّ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الآية: ٢٣] إلى آخر السورة، وما تقدَّمه مدنيّ[3].

وهي إحدى وثلاثون آية

وذكر ابنُ وَهْب قال: وحدَّثنا ابن زيد قال: إنَّ رسول الله ﷺ ليقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ وقد أنزلت عليه، وعنده رجل أسود كان يسأل النبيَّ ﷺ، فقال له عمر بن الخطاب: لا تُثْقِل على النبيِّ ﷺ، قال: «دَعْه يا ابن الخطاب» قال: فنزلت عليه هذه السورةُ وهو عنده، فلمَّا قرأها عليه وبلغ صفة الجِنان، زَفَر زَفْرَةً فخرجت نَفْسُه. فقال رسول الله ﷺ: «أَخْرَج نَفْسَ صاحبكم ـ أو أخيكم ـ الشَّوْقُ إلى الجنة» وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ، وسيأتي[4].

وقال القُشَيريّ: إنَّ هذه السورةَ نزلت في عليٍّ بن أبي طالب ﷺ. والمقصود من السورة عامّ. وهكذا القولُ في كلِّ ما يقال: إنه نزل بسبب كذا وكذا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ «هَلْ» بمعنى:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦١ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٢٧ .

(٣) المصدران السابقان.

(٤) ص٤٨٦ من هذا الجزء.

قد؛ قاله الكسائيُّ والفرَّاء وأبو عبيدة[١]. وقد حُكي عن سيبويه: «هَلْ» بمعنى قد[٢]. قال الفراء[٣]: «هل» تكون جَحْدًا، وتكون خبرًا، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرِّره بأنك أعطيتَه. والجحد أن تقول: هل يَقْدر أحدٌ على مِثل هذا؟ وقيل: هي بمنزلة الاستفهام، والمعنى: أتى[٤].

والإنسان هنا آدم عليه السلام؛ قاله قتادة والثَّوريُّ وعِكرمة والسُّدِّي[٥]. وروي عن ابن عباس.

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أربعون سنةً مرَّت به قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقًى بين مكة والطائف. وعن ابن عباس ـ أيضاً ـ في رواية الضحاك: أنه خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حَمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صَلْصال أربعين سنة، فتَمَّ خلقُه بعد مئة وعشرين سنة. وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو من تراب أربعين سنة، فتمَّ خلقه بعد مئة وستين سنة. ثم نُفخ فيه الروح. وقيل: الحين المذكور هاهنا لا يُعْرف مقدارُه؛ عن ابن عباس أيضًا، حكاه الماورديّ[٦].

﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ قال الضحَّاك عن ابن عباس: لا في السماء ولا في الأرض[٧]. وقيل: أي: كان جسدًا مصوَّرًا ترابًا وطينًا، لا يُذكَر ولا يعرف، ولا يُدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نُفخ فيه الرُّوح، فصار مذكورًا؛ قاله الفرَّاء وقُطرب

---

(١) كلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٧٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢١٣.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦١ عن ابن عيسى.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٦١ دون ذكر الثوري، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٩ - ٥٣٠ عن قتادة وسفيان.

(٦) في النكت والعيون ٦/ ١٦٢.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٩٨ دون نسبة.

وثعلب. وقال يحيى بن سلَّام: لم يكن شيئًا مذكورًا في الخَلْق وإن كان عند الله شيئاً مذكورًا[١].

وقيل: ليس هذا الذِّكرُ بمعنى الإخبار، فإنَّ إخبار الربِّ عن الكائنات قديم، بل هذا الذِّكر بمعنى الخطر والشرف والقَدْر؛ تقول: فلان مذكور، أي: له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قَدْر عند الخليقة. ثم لمَّا عَرَّف اللهُ الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمَّله الأمانةَ التي عَجزَ عنها السماواتُ والأرض والجبال، ظهر فضله على الكلّ، فصار مذكورًا. قال القُشيريّ: وعلى الجملة؛ ما كان مذكورًا للخلق، وإن كان مذكورًا لله. وحكى محمد بن الجهم عن الفرَّاء[٢]: «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا» قال: كان شيئًا ولم يكن مذكورًا.

وقال قوم: النفي يرجع إلى الشيء، أي: قد مضى مُدَدٌ من الدهر وآدمُ لم يكن شيئًا يذكر في الخليقة؛ لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتيَ عليه حين. والمعنى: قد مضت عليه أزمنةٌ وما كان آدم شيئًا، ولا مخلوقًا، ولا مذكورًا لأحد من الخليقة. وهذا معنى قولِ قتادة ومقاتل؛ قال قتادة: إنما خُلق الإنسان حديثًا، ما يُعلم من خليقة الله جلَّ ثناؤه خليقةٌ كانت بعد الإنسان[٣].

وقال مقاتل: في الكلام تقديمٌ وتأخير، وتقديره: هل أتى حينٌ من الدهر لم يكن الإنسان شيئًا مذكورًا؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كلِّه، ولم يخلق بعده حيوانًا[٤].

وقد قيل: «الإنسان» في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ﴾ عُنيَ به الجنسُ من ذرِّيَّة آدم[٥]، وأنَّ الحين تسعة أشهر، مدَّة حمل الإنسانِ في بطن أمه «لم يكنْ شيئًا

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٢، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣ بنحوه.

(٢) الكلام في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٦٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٥، والكشاف ٤/ ١٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.

مذكورًا»؛ إذ كان علقةً ومضغة؛ لأنه في هذه الحالة جمادٌ لا خطر له.

وقال أبو بكر ﷺ لمّا قرأ هذه الآية: ليتها تمَّت فلا نُبتلى[١]. أي: ليت المدَّةَ التي أتت على آدم لم تكن شيئًا مَذْكُورًا تَمَّت على ذلك، فلا يلد ولا يُبْتلى أولادُه.

وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلًا يقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ فقال: ليتها تمَّت[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: ابن آدم، من غير خلاف[٣] ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من ماء يقطُر، وهو المَنِيّ، وكلُّ ماءٍ قليل في وعاء فهو نطفة[٤]؛ كقول عبد الله ابنِ رواحة يعاتب نفسه:

مـالـي أراكِ تَـكـرهـيـن الـجَـنَّـهْ ... هـل أنـتِ إلَّا نـطـفـةٌ فـي شَـنَّـهْ[٥]

وجمعها: نُطَف ونِطاف.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط. واحدها: مِشْج ومَشِيج، مثل: خِدْن وخَدِين[٦]؛ قال رؤبة:

يَـطْـرحْـنَ كـلَّ مُـعْـجَـلٍ نَـشَّـاجِ ... لـم يُـكْـسَ جِـلْـداً فـي دمٍ أَمـشـاجِ[٧]

ويقال: مَشَجْتُ هذا بهذا، أي خلطتُه، فهو مَمْشوج ومَشِيج؛ مثل: مَخْلوط وخَلِيط.

وقال المبرِّد: واحد الأمشاج: مَشِيج؛ يقال: مَشَجَ يَمْشِجُ: إذا خلط، وهو هنا

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩ ، وينظر الكشاف ٤/ ١٩٤ .

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٥ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٩ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٦. وقال الفيروز أبادي في القاموس (مشج): شيء مشيج، كقتيل، وسَبَب، وكَتِف. . . ج: أمشاج .

(٧) ديوان رؤبة ص٣٢، وقوله: نشَّاج؛ قال في القاموس (نشج): نَشَجَ الباكي يَنْشِجُ نشيجاً: غُصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

اختلاط النطفة بالدم؛ قال الشَّمَّاخ:

طوت أَحشاءَ مُرْتِجَةً لِوقتٍ على مَشِجٍ سُلالتُه مَهينِ[١]

وقال الفرَّاء[٢]: أمشاج: أخلاط ماءِ الرجل وماءِ المرأة، والدم والعَلَقة. ويقال للشيء من هذا إذا خُلط: مَشِيج، كقولك خَلِيط، ومَمْشوج، كقولك: مَخْلوط.

وروي عن ابن عباس ﷺ قال: الأمشاج: الحُمرة في البياض، والبياض في الحُمرة. وهذا قولٌ يختاره كثيرٌ من أهل اللغة؛ قال الهُذَليّ:

كأَنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ منه خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ[٣]

وعن ابن عباس أيضًا قال: يختلط ماءُ الرجل - وهو أبيض غليظ - بماء المرأة - وهو أصفر رقيق - فيُخلق منهما الولد، فما كان من عَصَب وعظم وقوَّة، فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر، فهو من ماء المرأة[٤]. وقد روي هذا مرفوعًا؛ ذكره البزَّار[٥].

وروي عن ابن مسعود: أمشاجها: عروق المضغة. وعنه: ماء الرجل وماء المرأة، وهما لونان. وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء

(١) الديوان ص٣٢٨، والكامل للمبرد ٢/ ١٠١٧، والخزانة ٤/ ٣٤٩. قال البغدادي: أي: هذه الأتان ضمت أحشاء مرتجة، أراد رحمها، أي: أغلقت رحمها على ماء الفحل. والمشج، بفتح الميم وكسر الشين: ماء الفحل مع الدم، وقيل: ماء الفحل والأتان جميعاً يختلطان. وسلالته، أي: ماؤه، وهو فاعل مشج، ويقال: السلالة الولد، وهو الرقيق. ومهين ضعيف، وهو صفة مشج.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

(٣) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٤، والكامل ٢/ ١٠١٦، وفيه: الشرخين، بدل: الفُوقين. الفُوْق: موضع الوتر من السهم. منه، أي: من السهم. خلافَ النصل: بعدَ النصل. سيط: خُلط.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٥) في مسنده (٢٣٧٥ كشف الأستار) بنحوه، وقال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وقد روي نحوه عن غيره من وجوه. اهـ. وأخرجه (٢٣٧٦)، (٢٣٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود. والحديثان عند أحمد (٢٥١٤)، (٤٤٣٨).

وصفراء. وقال ابن عباس: خلق من ألوان؛ خلق من تراب، ثم من ماء الفَرْج والرَّحِم، وهي نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظم، ثم لحم.

ونحوَه قال قتادة: هي أطوار الخلق: طورًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا مضغة، وطوراً عظام، ثم يكسو العظام لحمًا[١]؛ كما قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [١٢].

وقال ابن السِّكِّيت: الأمشاج: الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع، فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد؛ لأنه نعت للنطفة؛ كما يقال: بُرْمَةٌ أَعشَار، وثوبٌ أخلاقٌ[٢].

وروي عن أبي أيوب الأنصاريّ قال: جاء حبر من اليهود إلى النبيِّ ﷺ فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة. فقال: «ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا عَلَا ماءُ المرأة آنثَتْ، وإذا عَلَا ماءُ الرجل أَذْكَرَتْ» فقال الحبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله[٣]. وقد مضى هذا القولُ مستوفًى في سورة البقرة[٤].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره. وقيل: نقدِّر فيه الابتلاء، وهو الاختبار. وفيما يختبر به وجهان: أحدهما: نختبره بالخير والشر؛ قاله الكلبي. الثاني: نختبر شكره في السرَّاء وصبرَه في الضَّرَّاء؛ قاله الحسن.

وقيل: «نَبْتَلِيهِ»: نُكلِّفه. وفيه أيضًا وجهان: أحدهما: بالعمل بعد الخلق؛ قاله

---

(١) أخرج هذه الآثار الطبري ٢٣/ ٥٣٣ - ٥٣٥.

(٢) البُرْمَة: قِدْرٌ، من حجارة. وقِدْرٌ أعشار: مكسَّرة على عشر قطع. وثوبٌ أخلاق: إذا كانت الخُلُوقة (أي: البِلَى) فيه كلِّه. القاموس (برم، قدر، خلق).

(٣) لم نقف عليه عن أبي أيوب الأنصاري، وأخرج نحوه البخاري (٣٣٢٩) عن أنس، ومسلم (٣١٥) عن ثوبان. وسلف حديث ثوبان ٥/ ١٤.

(٤) استوفاه المؤلف في سورة الشورى ١٨/ ٥٠٢ وما بعدها.

مقاتل. الثاني: بالدِّين؛ ليكون مأمورًا بالطاعة ومنهيًّا عن المعاصي[١].

وروي عن ابن عباس: «نَبْتَلِيهِ»: نصرّفه خلقًا بعد خلق؛ لنبتليَه بالخير والشرّ[٢].

وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال: المعنى والله أعلم: «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» لنبتليَه، وهي مُقدَّمةٌ معناها التأخير[٣].

قلت[٤]: لأن الابتلاء لا يقع إلَّا بعد تمام الخِلْقة.

وقيل: «جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»: يعني: جعلنا له سمعًا يسمع به الهدى، وبصرًا يُبصر به الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنَّا له وعَرَّفناه طريقَ الهدى والضلال، والخيرِ والشرِّ ببعث الرسل، فآمن أو كفر؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]. وقال مجاهد: أي: بيَّنَّا له السبيلَ إلى الشَّقاء والسَّعادة. وقال الضحَّاك وأبو صالح والسُّدِّيّ: السبيل هنا خروجُه من الرَّحِم. وقيل: منافعه ومضارُّه التي يهتدي إليها بطبعه وكمالِ عقله[٥].

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: أيَّهما فعل فقد بيَّنَّا له. قال الكوفيون: «إنْ» ها هنا تكون جزاءً، و«ما» زائدة. أي: بيَّنَّا له الطريق إن شَكَر أو كَفَر. واختاره الفرَّاء[٦]، ولم يُجِزْه البصريُّون؛ إذ لا تدخل «إنْ» للجزاء على الأسماء، إلَّا أن يُضمَرَ بعدها فعل[٧].

وقيل: أي: هديناه الرُّشد، أي: بيَّنَّا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه؛ ثم إنْ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٩٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤. وقد ردّه النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٩٥ - ٩٦، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٥.

(٤) لفظة: قلت، ليست في (ز) و(ظ) و(ي).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٦٤، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٦.

خلقنا له الهدايةَ اهتدى وآمن، وإن خذلناه كَفَر. وهو كما تقول: قد نصحت لك، إن شئت فاقبل، وإن شئت فاترك، أي: فإن شئت، فتحذف الفاء. وكذا «إِمَّا شاكرًا»، والله أعلم.

ويقال: هديته السبيلَ وللسبيل وإلى السبيل[١]. وقد تقدَّم في «الفاتحة» وغيرها[٢].

وجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيًا للمبالغة في الشكر، وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يُؤدَّى، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقَلَّ شكره لكثرة النِّعم عليه، وكَثرة كفره[٣] وإن قَلَّ مع الإحسان إليه. حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ بيَّن حال الفريقين، وأنه تَعبَّد العقلاءَ وكَلَّفهم ومَكَّنهم مما أمرهم، فمن كَفَر فله العقاب، ومن وَحَّد وشكرَ فله الثواب. والسلاسل: القيود في جهنم، طول كلِّ سلسلةٍ سبعون ذراعًا، كما مضى في «الحاقة»[٤].

وقرأ نافع والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم وهشامٌ عن ابن عامر: «سَلَاسِلًا» منوَّنًا. الباقون بغير تنوين. ووقف قُنْبُل عن ابن كثير[٥] وحمزةُ بغير ألف. الباقون بالألف. فأما «قواريرَ» الأوَّل، فنوَّنه نافع وابن كثير والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم، ولم ينوِّن الباقون. ووقف يعقوب وحمزة بغير ألف. والباقون بالألف. وأما «قَوَارِيرَ» الثانية، فنوَّنه أيضًا نافع والكسائيُّ وأبو بكر، ولم ينوِّن الباقون. فمَن نوَّن قرأها بالألف، ومن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤ .

(٢) ١/ ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٢٤٧ فما بعد.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ١٦٤ (والكلام منه): وكثر كفره .

(٤) ص٢١٠ من هذا الجزء.

(٥) في (د) و(م): وابن كثير. وهو خطأ.

لم ينوِّن أسقط منها الألف[١]، واختار أبو عُبيد التنوينَ في الثلاثة، والوقفَ بالألف اتِّباعًا لخطِّ المصحف؛ قال: رأيت في مصحف عثمان «سَلَاسِلًا» بالألف، و«قَوَارِيرًا» الأوَّل بالألف، وكان الثاني مكتوبًا بالألف، فَحُكَّت، فرأيت أثرَها هناك بَيِّنًا.

فمن صَرَفَ فله أربع حُجج:

أحدها: أنَّ الجموع أشبهت الآحاد، فجمعت جمع الآحاد، فجعلت في حكم الآحاد، فصرفت.

الثانية: أنَّ الأخفش حكى عن العرب صَرْفَ جميع ما لا ينصرف، إلَّا: أَفْعَل منك، وكذا قال الكسائيُّ والفرَّاء: هو على لغة من يُجرِي الأسماءَ كلَّها، إلَّا قولهم: هو أظرف منك، فإنهم لا يُجْرُونه؛ وأنشد ابن الأنباريِّ[٢] في ذلك قولَ عمرو بنِ كُلْثوم:

كأنَّ سيوفنا فينا وفيهمْ ... مَخَاريقٌ بأيدي لاعبينا[٣]

وقال لَبِيد:

وجَزُورِ أَيْسارٍ دَعوتُ لِحَتْفِها ... بِمَغالِقٍ مُتشابهٍ أجسامُها[٤]

---

(١) الكلام بنحوه في الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٣٦٨، والمقنع للداني ص١٥، وينظر النشر ٢/ ٣٩٥.

(٢) في الوقف والابتداء ١/ ٣٦٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧، والحجة لأبي علي ٦/ ٣٤٩، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٣، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٥٢ ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤، وللزجاج ٥/ ٢٦٠. قوله: لا يُجرونه، أي: يمنعونه من الصرف، والإجراء يعني الصرف. ينظر تعليق الشيخ محمود شاكر رحمه الله على تفسير الطبري ٦/ ٣٤٧.

(٣) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص١٠٤. المخاريق: ما مُثِّل بالشيء وليس به، نحو ما يلعب به الصبيان، يشبهونه بالحديد وليس به.

(٤) شرح ديوان لبيد ص٣١٨. الأيسار: المضاربون بالقداح. لحتفها: لنحرها. المغالق: القِداح؛ لأنه يغلق بها الرهن. متشابه أجسامها: يشبه بعضها بعضاً؛ لأنها على نسق واحد.

وقال لبيد أيضاً:

فَضلًا وذو كرم يُعِينُ على النَّدَى سَمْحٌ كَسُوبُ رغائبٍ غَنَّامُها[1]

فصَرَفَ مَخاريق ومَغَالق ورَغائب، وسبيلُها ألَّا تُصرَف.

والحجَّة الثالثة: أن يقول: نوِّنت «قوارِير» الأوَّل؛ لأنه رأس آية، ورؤوس الآي جاءت بالنون، كقوله جلَّ وعزَّ: «مَذْكُورًا» «سَمِيعًا بَصِيرًا» فنوَّنَّا الأوَّل ليوافَقَ[2] بين رؤوس الآي، ونوَّنَّا الثاني على الجِوار للأوَّل.

والحجة الرابعة: اتِّباع المصاحف، وذلك أنهما جميعًا في مصاحف مكة والمدينةِ والكوفةِ بالألف.

وقد احتجَّ مَن لم يصرفهنَّ بأن قال: إنَّ كلَّ جمع بعد الألف منه ثلاثةُ أحرف أو حرفان أو حرف مشدَّد؛ لا يُصرَف في معرفة ولا نكرة؛ فالذي بعد الألف منه ثلاثة أحرف قولُك: قناديل، ودنانير، ومناديل، والذي بعد الألف منه حرفان قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ [الحج: ٤٠] لأنَّ بعد الألف حرفين، وكذلك قوله: ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] والذي بعد الألف منه حرف مُشَدَّد: شَوَابّ ودَوَابّ.

وقال خلف: سمعت يحيى بنَ آدم يحدِّث عن ابن إدريس قال: في المصاحف الأُوَل الحرفُ الأوَّل[3] والثاني بغير ألف؛ فهذا حُجَّةٌ لمذهب حمزة. وقال خلف: رأيت في مصحفٍ ينسب إلى قراءة ابنِ مسعود الأولَ بالألف، والثانيَ بغير ألف.

وأما أَفْعَل مِنْك، فلا يقول أحدٌ من العرب في شِعره ولا في غيره: هو أفعل منك، منوَّنًا؛ لأنَّ «مِن» تقوم مَقامَ الإضافة، فلا يُجمعُ بين تنوين وإضافةٍ في حرف؛

---

(١) شرح ديوان لبيد ص٣٢٠ . فضلاً: رغبة في الفضل. وذو كرم: أي: ومنا ذو كرم.

(٢) في (د): لتوقف، وفي (م): ليوقف، وفي (ي): ليوفق، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق لما في المطبوع من الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٣٦٩ ، والكلام منه.

(٣) بعدها في (د) و(م): بالألف، وهو خطأ.

لأنهما دليلان من دلائل الأسماء، ولا يجمع بين دليلين؛ قاله الفرَّاء وغيره[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَغْلَالًا﴾ جمع غُلّ، تُغَلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم. وعن جُبَير بن نُفَير، عن أبي الدرداء كان يقول: اِرفعوا هذه الأيديَ إلى الله جلَّ ثناؤه قبل أن تُغلَّ بالأغلال. قال الحسن: إنَّ الأغلال لم تُجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الربَّ سبحانه، ولكن إذا طغى [بهم اللهب، أرسبتهم في النار][٢]. ﴿وَسَعِيرًا﴾ تقدَّم القولُ فيه[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ الأبرار: أهل الصِّدق، واحدهم بَرٌّ، وهو مَن امتثل أمرَ الله تعالى. وقيل: البَرّ: الموحِّد، والأبرار: جمع بارّ، مثل: شاهد وأشهاد، وقيل: هو جمع بَرّ، مثل: نَهْر وأنهار؛ وفي الصحاح[٤]: وجمع البَرّ: الأبرار، وجمع البارّ: البَرَرة، وفلان يَبَرُّ خالقَه وَيَتَبرَّرُه، أي يُطِيعه، والأمُ بَرَّةٌ بولدها.

وروى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمَّاهم اللهُ جلَّ ثناؤه الأبرار؛ لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء، كما أنَّ لوالدك عليك حقًّا، كذلك لولدك عليك حقًّا»[٥].

---

(١) نقله المصنف عن الوقف والابتداء ١/ ٣٧٠ . والكلام بتمامه فيه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٤ ، وما بين حاصرتين منهما. ووقع في (ظ) و(م): ... ولكن إذلالاً.

(٣) ١٣/ ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) مادة (برر)، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٦٣٠ من طريق عبيد الله بن الوليد الوصَّافي وقال: لا يتابع عليه. وأخرجه من هذا الطريق البخاري في الأدب المفرد (٩٤)، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٦ (٤٦٨٠) موقوفاً. قال ابن كثير عند تفسير الآية (١٩٨) من سورة آل عمران: والموقوف أشبه، والله أعلم. وقال السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١٣ : والموقوف أصح.

وقال الحسن: البَرّ: الذي لا يؤذي الذَّر[1]. وقال قتادة: الأبرار: الذين يؤدُّون حقَّ الله ويوفون بالنَّذْر[2]. وفي الحديث: «الأبرار الذين لا يؤذون أحدًا»[3].

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه الشراب. قال ابن عباس: يريد الخمر. والكأس في اللغة: الإناء فيه الشراب، وإذا لم يكن فيه الشراب لم يُسمَّ كأسًا[4]. قال عمرو بن كُلْثوم:

صَبَنْتِ[5] الكأسَ عنَّا أُمَّ عَمرٍو ... وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا

وقال الأصمعيّ: يقال: صَبَنْتَ عنّا الهديةَ أو ما كان من معروف تَصْبِنُ صَبْنًا: بمعنى كَفَفْتَ؛ قاله الجوهري.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: شَوْبُها وخِلْطُها؛ قال حسَّان:

كأنَّ سَبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكون مِزاجُها عسلٌ وماءُ[6]

ومنه مِزاج البدن، وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء، والحرارة والبرودة.

﴿كَافُورًا﴾ قال ابن عباس: هو اسم عينِ ماءٍ في الجنة، يقال له: عين الكافور. أي: يمازجه ماءُ هذه العينِ التي تسمَّى كافورًا. وقال سعيد عن قتادة: تُمزَج لهم بالكافور وتُختَم بالمسك. وقاله مجاهد. وقال عِكرمة: مِزَاجها طعمها[7]. وقيل: إنما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٦ (٤٦٨١).

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٦٥ .

(٣) لم نقف عليه.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٨ .

(٥) في (ظ): صددت، وهو موافق لما في شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص٩١ ، وشرح التبريزي ص٢٥٦ . والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في شرح الزوزني ١١٩ ، والصحاح (صبن).

(٦) الديوان ص٨ ، والخزانة ٩/ ٢٢٤ . قال البغدادي: السبيئة: الخمر التي تُسبأ، أي: تشترى. وبيت رأس: موضع. وقيل: بيت: موضع الخمر، ورأس: اسم للخمَّار. وقيل: الرأس هنا بمعنى الرئيس، أي: من بيت رئيس. قال اللخمي: وهذا أحسن الأقوال.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٣٩ .

الكافور في ريحها لا في طعمها(١). وقيل: أراد كالكافور في بياضه وطيبِ رائحته وبَرْده؛ لأن الكافور لا يشرب؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف:٩٦] أي: كنارٍ. وقال ابن كَيْسان: طُيِّب بالمسك والكافور والزَّنجبيل(٢). وقال مقاتل: ليس بكافور الدنيا. ولكن سمَّى اللهُ ما عنده بما عندكم حتى تهتديَ لها القلوب(٣). وقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ «كان» زائدة، أي: مِن كأسٍ مِزاجُها كافورٌ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ قال الفرَّاء(٤): إنَّ الكافور اسمٌ لعين ماءٍ في الجنة؛ فـ«عَيْنًا» بدل من «كافور» على هذا. وقيل: بدل من «كأس» على الموضع. وقيل: هي حال من المضمَر في «مِزاجها». وقيل: نصب على المدح؛ كما يُذكَر الرَّجلُ فتقول: العاقلَ اللبيبَ، أي: ذكرتم العاقلَ اللبيبَ؛ فهو نصب بإضمار: أعني. وقيل: يشربون عينًا(٥). وقال الزجَّاج(٦): المعنى: مِن عين.

ويقال: كافور وقافور. والكافور أيضًا: وعاء طلع النخل، وكذلك الكُفُرَّى؛ قاله الأصمعيّ.

وأما قولُ الراعي:

تَكسو المفارِقَ واللَّبَّاتِ ذا أَرَجٍ مِن قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكافورِ دَرَّاجِ

فإنَّ الظَّبي الذي يكون منه المسك إنما يرعى سُنبل الطِّيب، فجعله كافورًا(٧).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ .

(٣) ذكر قوله مختصراً الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٠٠ ، وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٠ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٥ ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩ .

(٥) هذه الأقوال في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ - ٩٨ ، والكشاف ٤/ ١٩٦ .

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٨ .

(٧) الصحاح (كفر)، وبيت الراعي في ديوانه ص٣٢ . اللَّبَّات: جمع لَبَّة: وهو المنحر. القُصْب: المِعَى. الأرَج: الطيّب الرائحة. دَرَّاج: يذهب ويجيء. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٤١٧: أراد المسك، فجعله من قُصب ظبي المسك.

﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ قال الفرَّاء(١): يشرب بها ويشربها سواءٌ في المعنى، وكأنَّ «يشرب بها» يَرْوَى بها وينْقَع(٢)؛ وأنشد:

شَرِبْنَ بماء البحرِ ثم ترفَّعتْ   متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنَّ نَئيجُ(٣)

قال: ومثله: فلان يتكلَّم بكلام حسن، ويتكلَّم كلامًا حسنًا. وقيل: المعنى: يشربها، والباء زائدة(٤). وقيل: الباء بدل «مِن»، تقديره: يشرب منها؛ قاله القُتَبيّ(٥).

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ فيقال: إنَّ الرجل منهم ليَمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيبٌ يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ أي: يُشقِّقونها شَقًّا، كما يفجِّر الرجلُ النهرَ هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد.

وعن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد(٦): «يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا»: يقودونها حيث شاؤوا، وتتبعهم؛ حيثما مالوا مالت معهم.

وروى أبو مقاتل عن صالح بن سعيد، عن أبي سهل، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر اللهُ: «يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا»، والأخرى [الزنجبيل]، والأخريان نَضَّاختان من فوق العرش، إحداهما التي ذَكَرَ الله: «سَلْسَبِيلًا»، والأخرى التَّسْنيم». ذكره الترمذيُّ

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢١٥ .

(٢) في مختار الصحاح: نقع بالماء: رَوِيَ، وشَرِبَ حتى نقع، أي: شفى غليله.

(٣) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ٥٢ ، والخزانة ٣/ ١٩٣ (دار صادر). قال البغدادي: متى لجج، أي: من لجج، أو في لجج، أو وسط لجج. ونئيج: مرٌّ سريع.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ .

(٥) في تأويل مشكل القرآن ص٤٣٠ .

(٦) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٥٤٠ بنحوه.

الحكيم في «نوادر الأصول»[١]؛ وقال: فالتسنيم للمقرَّبين خاصَّةً شربًا لهم، والكافور للأبرار شرباً لهم؛ يُمزج للأبرار من التسنيم شرابُهم، وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مِزاج. هكذا ذكره في التنزيل، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شِرْب، فما كان للأبرار مزاج، فهو للمقرَّبين صِرف، وما كان للأبرار صِرف، فهو لسائر أهل الجنة مِزاج. والأبرار هم الصادقون، والمقرَّبون هم الصِّدِّيقون.

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي: لا يُخلِفون إذا نَذَروا. وقال مَعْمَر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحجِّ والعُمْرة وغيره من الواجبات[٢]. وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حقِّ الله جلَّ ثناؤه[٣]. وقال الفرَّاء[٤] والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي: كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة «كان» وتحذف أخرى.

والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلَّف على نفسه من شيء يفعله. وإن شئت قلت في حَدِّه: النذر: هو إيجاب المكلَّف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يَلْزمه.

وقال الكَلْبيّ: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» أي: يتمِّمون العهود[٥]. والمعنى واحد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] أي: أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسَهم بإحرامهم بالحجّ. وهذا يقوِّي قولَ قتادة، وأنَّ النذر يندرج فيه ما

(١) لم نقف عليه في المطبوع منه، وقد ذكره المصنف في التذكرة ص٥٠٧ ونسبه أيضاً للحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل التاسع والثمانين، ونقل كلامه الآتي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٠١ وعزاه لنوادر الأصول أيضاً، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤١ - ٥٤٢ ، وذكره البغوي ٤/ ٤٢٨ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٦ بنحوه.

التزمه المرءُ بإيمانه مِن امتثال أمر الله؛ قاله القُشيري.

وروى أشهب عن مالك أنه قال: «يوفُون بالنَّذْرِ»: هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال: قال مالك: «يوفُون بالنَّذْر» قال: النذر هو اليمين[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ﴾ أي: يحذرون ﴿يَوْمًا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: عاليًا داهيًا فاشيًا، وهو في اللغة: ممتَدًّا، والعرب تقول: استطار الصَّدع في القارورة والزُّجاجة واستطال: إذا امتدَّ[(٢)]؛ قال الأعشى:

وبانتْ وقد أَسأرتْ[(٣)] في الفؤا ... د صَدْعًا على نأيها مستطيرا

ويقال: استطار الحريق: إذا انتشر. واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء[(٤)].

وقال حسان:

وهانَ على سَرَاة بني لُؤَيٍّ ... حريقٌ بالبُوَيرة مستطيرُ[(٥)]

وكان قتادة يقول: استطار واللهِ شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السماواتِ والأرض[(٦)]. وقال مقاتل: كان شرُّه فاشيًا في السماوات فانشقَّت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفي الأرض نُسِفت الجبالُ وغارت المياه[(٧)].

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على قِلَّته وحبِّهم

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٥ .

(٢) الكلام في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦ بنحوه.

(٣) في (د) وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٣ : أثأرت، وفي الديوان ص١٤٣ : أورثت، والمثبت من (ظ) و(م) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وأَسْأَرَتْ، أي: أبْقَتْ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص٥٠٢ ، وينظر الصحاح (طير).

(٥) الديوان ص١١٠ . وسلف ٢٠/ ٣٤١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٢ .

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ .

إيَّاه وشهوتِهم له. وقال الداراني: على حبِّ الله[١]. وقال الفُضَيل بن عِياض: على حبِّ إطعام الطعام. وكان الربيع بن خُثَيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سُكَّرًا، فإنَّ الربيع يحبُّ السُّكَّر[٢].

﴿مِسْكِينًا﴾ أي: ذا مسكنة. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو الطوَّاف يسألك مالَك.

﴿وَيَتِيمًا﴾ أي: من يتامى المسلمين. وروى منصور عن الحسن: أنَّ يتيمًا كان يحضر طعامَ ابن عمر، فدعا ذات يوم بطعامه، وطلب اليتيمَ فلم يجده، وجاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه، فلم يجد الطعام، فدعا له بسَوِيق وعسل؛ فقال: دونَك هذا، فوالله ما غُبِنتَ؛ قال الحسن وابن عمر: والله ما غُبِن.

﴿وَأَسِيرًا﴾ أي: الذي يؤسر فيحبس. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: الأسير من أهل الشِّرك يكون في أيديهم. وقاله قتادة. وروى ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: الأسيرُ هو المحبوس[٣]. وكذا قال سعيد بن جُبير وعطاء: هو المسلم يُحبس بحقّ[٤]. وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابنِ عباس. قال قتادة: لقد أَمَرَ الله بالأسرى أن يُحسَنَ إليهم، وإنَّ أسراهم يومئذ لَأهلُ الشِّرك، وأخوك المسلم أحقُّ أن تطعمه[٥]. وقال عِكرمة: الأسير العبد[٦]. وقال أبو حمزة الثُّمَالي: الأسير المرأة، يدلُّ عليه قولُه عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهنَّ عَوَانٍ عندكم»[٧] أي: أسيرات.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٠١ - ٤٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١١٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٤ - ٥٤٥.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٦٦.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، والحديث أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص ﷺ. وقوله منه: «استوصوا بالنساء خيراً» أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وسلف ٣/ ٩٤.

وقال أبو سعيد الخُدري: قرأ رسول الله ﷺ: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه مِسْكِيناً وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» فقال: «المسكين: الفقير، واليتيم: الذي لا أب له، والأسير: المملوك والمسجون» ذكره الثعلبي.

وقيل: نَسَخَ إطعامَ المسكين آيةُ الصَّدقات؛ وإطعامَ الأسير السيفُ؛ قاله سعيد بن جُبير[١]. وقال غيره: بل هو ثابتُ الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوُّع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه، إلَّا أن يتخيَّرَ فيه الإمام.

الماورديُّ[٢]: ويحتمل أن يريد بالأسير الناقصَ العقل؛ لأنه في أَسْر خَبْله وجنونه، وأسرُ المشرك انتقام يقف على رأي الإمام؛ وهذا بِرٌّ وإحسان.

وعن عطاء قال: الأسير من أهل القِبلة وغيرهم[٣].

قلت: وكأنَّ هذا القولَ عامٌّ يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قُربةً إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضةُ فلا. والله أعلم. ومضى القولُ في المسكين واليتيم والأسير واشتقاقِ ذلك من اللغة في «البقرة» مستوفًى، والحمد لله[٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير: «إِنَّما نُطْعمكم» في الله جلَّ ثناؤه فزعًا من عذابه وطمعًا في ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: مكافأة ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: ولا أن تُثْنُوا علينا بذلك؛ قال ابن عباس: كذلك كانت نيَّاتهم في الدنيا حين أَطعموا. وعن سالم، عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلَّموا به، ولكن عَلِمه الله جلَّ ثناؤه منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب. وقاله سعيد بن جُبير[٥]، حكاه عنه القُشيريّ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٦ ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ .

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٦٧ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٥ .

(٤) ٢/ ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ .

(٥) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٥٤٦ .

وقيل: إنَّ هذه الآيةَ نزلت في مُطْعِم بن ورقاء الأنصاريِّ؛ نذرَ نذرًا فوفَّى به[١].

وقيل: نزلت فيمن تكفَّل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، وعليّ، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد[٢]، وأبو عبيدة ﷺ؛ ذكره الماورديّ.

وقال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار؛ أطعم في يوم واحد مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا[٣].

وقال أبو حمزة الثُّمَالي: بلغني أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أطعمني فإني واللهِ مجهود؛ فقال: «والذي نفسي بيده ما عندي ما أُطعمك، ولكن اطلب». فأتى رجلًا من الأنصار وهو يتعشَّى مع امرأته، فسأله، وأخبره بقول النبيِّ ﷺ؛ فقالت المرأة: أطعمه واسقِه. ثم أتى النبيَّ ﷺ يتيمٌ فقال: يا رسول الله، أطعمني فإني مجهود. فقال: «ما عندي ما أطعمك، ولكن اطلب» فاستطعم ذلك الأنصاريَّ، فقالت المرأة: اطعمه واسقِه، فأطعمه. ثم أتى النبيَّ ﷺ أسير فقال: يا رسول الله أطعمني فإني مجهود. فقال: «والله ما معي ما أطعمك، ولكن اطلب» فجاء الأنصاريَّ فطلب، فقالت المرأة: أطعمه واسقِه. فنزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ذكره الثعلبيّ. وقال أهل التفسير: نزلت في عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما وجاريةٍ لهما اسمُها فضة.

قلت: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومَن فعل فعلًا حسنًا؛ فهي عامَّة. وقد ذكر النقَّاش والثَّعلبيُّ والقشيريُّ وغير واحدٍ من المفسِّرين في قصة عليٍّ وفاطمة وجاريتهما حديثًا لا يصحُّ ولا يثبت، رواه ليث عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله

(١) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٨ لجابر.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٦٧ : وسعيد، وهي غير واضحة في (ي).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨، وأورده أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٣٢، وذكر أن الأنصاريَّ هو أبو الدحداح.

عزَّ وجلّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: مرض الحسن والحسين فعادهما رسولُ الله ﷺ، وعادهما عمومة العرب؛ فقالوا: يا أبا الحسن ـ ورواه جابر الجُعْفيُّ عن قَنْبَر مولى عليٍّ قال: مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: يا أبا الحسن. رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سُليم ـ لو نذرتَ عن ولدك نذرًا[١]، وكلُّ نذر ليس له وفاء فليس بشيء. فقال ﷺ: إنْ بَرأَ ولدي[٢]، صمت لله ثلاثةَ أيام شكرًا. وقالت جارية لهم نوبيَّة: إن بَرأَ سيِّداي، صمت لله ثلاثة أيام شكرًا. وقالت فاطمة مثلَ ذلك. وفي حديث الجُعْفي: فقال الحسن والحسين: علينا مثلُ ذلك. فأُلْبِس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليلٌ ولا كثير، فانطلق عليٌّ إلى شمعون بن حاريا[٣] الخيبريّ، وكان يهوديًّا، فاستقرض منه ثلاثة أَصْوُع[٤] من شعير، فجاء به، فوضعه ناحيةَ البيت، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوُضع الطعامُ بين يديه. وفي حديث الجُعْفيّ: فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحدٍ منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأوَّل، وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش؛ إذ أتاهم مسكين، فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهلَ بيت محمد. في حديث الجُعْفي: أنا مسكين من مساكين أمة محمدٍ ﷺ، وأنا والله جائع؛ أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليٌّ ﷺ، فأنشأ يقول:

فاطمَ[٥] ذاتَ الفضل[٦] واليقينْ ... يا بنتَ خير الناس أجمعينْ

---

(١) في (م): ولديك شيئاً، وفي نوادر الأصول ص٦٤: ولديك نذراً.

(٢) في (م): ولداي.

(٣) في (د): جبار، وفي (ظ): جابر، وفي (ز) و(ي): جار. والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: آصع.

(٥) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم، وفي (ظ): أفاطمة.

(٦) في النسخ الخطية: السداد.

أما تَرَينَ البائسَ المسكين قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا[١] جائعٌ حزين
كلُّ امرئٍ بكسبه رهين وفاعلُ الخيرات يستبين[٢]
موعدُنا جنةُ علِّيين حرَّمها اللهُ على الضَّنين
وللبخيل موقفٌ مهين تَهوي به النار إلى سجِّين
شرابه الحميم والغِسْلين من يفعلِ الخيرَ يقم سمين
ويدخلِ الجنة أيَّ حِين

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرُكَ عندي يا ابنَ عمٍّ طاعهْ ما بيَ من لؤم ولا وَضاعهْ
عَدَلتُ[٣] في الخبز له صناعه أُطعِمه ولا أُبالي السَّاعه
أرجو إذا أَشبعتُ ذا المجاعه أنْ أَلحقَ الأخيارَ والجماعه
وأدخلَ الجنةَ لي شفاعه

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماءَ القَرَاح، فلما أن كان في اليوم الثاني، قامت إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهلَ بيتِ محمد، يتيمٌ من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يومَ العَقَبة. أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليٌّ فأنشأ يقول:

فاطمَ بنتَ السَّيدِ الكريمْ بنتَ نبيٍّ ليس بالزَّنيمْ[٤]

---

(١) في (د) و(ي): إليها، وفي (ز) و(ظ): إلى الله.

(٢) في النسخ الخطية: وفاعل الخير سيستبين.

(٣) في (د) و(ز) و(ي): عديت، وفي (م): غديت.

(٤) الزنيم: المستلحقَ في قوم ليس منهم، والدَّعي، واللئيم المعروف بلؤمه أو شره. القاموس (زنم).

لـقـد أتـى الـلـهُ بـذي الـيـتـيـم مَـن يَـرحـم الـيـومَ يـكـن رحـيـم
ويـدخـل الـجـنـة أي سـلـيـم قـد حـرَّم الـجـنـةَ لـلَّـئـيـم[١]
ألَّا يـجـوزَ الـصـراطَ الـمـسـتـقـيـم يـزلُّ فـي الـنـار إلـى الـجـحـيـم
شـرابُـه الـصـديـدُ والـحـمـيـم

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أُطـعِـمـه الـيـوم ولا أبـالـي وأوثـر الـلـه عـلـى عـيـالـي
أَمـسَـوا جـيـاعًـا وهُـم أَشْـبـالـي أصـغـرهـم يُـقـتَـلُ فـي الـقـتـال
بِـكَـرْبَـلَا يُـقـتَـلُ بـاغـتـيـال يـا ويـل لِـلـقـاتـل مـعْ وبـال
تَـهـوي بـه الـنـارُ إلـى سَـفَـال وفـي يـديـه الـغُـلُّ والأغـلال
كُـبُـولـةٌ زادت عـلـى الأكـبـال

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماء القَرَاح[٢]؛ فلمَّا كانت في اليوم الثالث، قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ إذ أتاهم أسيرٌ، فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهلَ بيت محمد، تأسِروننا وتَشُدُّوننا ولا تُطْعِموننا! أطعموني فإنِّي أسيرُ محمد. فسمعه عليٌّ فأنشأ يقول:

فـاطـمُ[٣] يـا بـنـتَ الـنـبـيِّ أحـمـدْ بـنـت نـبـيٍّ سـيِّـدٍ مُـسـوَّدْ
سـمَّـاه[٤] الـلـه فـهـو مـحـمـد قـد زانـه الـلـه بـحُـسْـنٍ أغـيـد
هـذا أسِـيـرٌ لـلـنـبـي الـمـهـتـد مُـثـقَّـلٌ فـي غُـلِّـه مُـقـيَّـد

(١) في (م): قد حرم الخلد على اللئيم. وليس بشيء.
(٢) أي: الذي لا يشوبه شيء. الصحاح (قرح).
(٣) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم.
(٤) في (م): وسماه.

يشكو إلينا الجوعَ قد تمدَّد من يُطعمِ اليومَ يجِده في غد
عند العليّ الواحد الموحَّد ما يزرع الزارعُ سوف يَحصُد
أعطيه لا لا تجعليه أقعد

فأنشأت فاطمة رضي الله تعالى عنها تقول:

لم يَبْقَ ممَّا جاء غيرُ صاعْ قد ذهبت كفِّي مع الذِّراعْ
ابناي والله هُما جِياع يا ربِّ لا تتركهما ضِياع
أبوهما للخير ذو اصطناع[١] يَصطنع المعروفَ بابتداع
عَبْلُ[٢] الذِّراعين شديدُ الباع وما على رأسيَ مِن قِناع
إلَّا قناعًا نَسْجُه أنْساع[٣]

فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليَها لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماء القَراح، فلما أن كان في اليوم الرابع، وقد قضى اللهُ النذر، أخذ عليٌّ بيده اليمنى الحسنَ، وبيده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدَّة الجوع؛ فلمَّا أبصرهم رسولُ الله ﷺ قال: «يا أبا الحسن! ما أشدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة». فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لَصِقَ بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما أن رآها رسولُ الله ﷺ وعرف المجاعة في وجهها، بكى وقال: «واغوثاه يا الله، أهلُ بيت محمدٍ يموتون جوعًا». فهبط جبريل عليه السلام وقال: السلام عليك، ربُّك يقرئك السلام يا محمد، خذه هنيئًا في أهل بيتك. قال: «وما آخذ يا جبريل؟» فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى

(١) في (د) و(ز) و(ظ): هو صناع، والبيت ساقط من (ي).

(٢) أي: ضخمهما. الصحاح (عبل).

(٣) في (د): بساع، وفي (ظ): سباع، وفي (ز) و(ي): نساع، والمثبت من (م)، والأنساع: جمع نِسْع: سَيْر ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال. القاموس (نسع).

قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

قال الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله في «نوادر الأصول»[(١)]: فهذا حديثٌ مُزوَّق مُزيَّف، قد تَطرَّف فيه صاحبه حتى تَشبَّه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يَعَضُّ شفتيه تلهُّفًا ألَّا يكونَ بهذه الصفة، ولا يعلمُ أنَّ صاحب هذا الفعل مذموم؛ وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩]، وهو الفضل الذي يَفْضُل عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترة بأنَّ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غِنًى»[(٢)] «وابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[(٣)] وافترض الله على الأزواج نفقةَ أهاليهم وأولادِهم. وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع مَن يَقُوت»[(٤)]، أفيحسب عاقلٌ أنَّ عليًّا جهل هذا الأمرَ، حتى أجهد صبيانًا صغارًا من أبناء خمسٍ أو ستٍّ على جوع ثلاثة أيام ولياليهنّ، حتى تَضوَّروا من الجوع، وغارت العيون منهم؛ لخَلاء أجوافهم، حتى أبكى رسولَ الله ﷺ ما بهم من الجهد. هَبْ أنه آثَرَ على نفسه هذا السائلَ، فهل كان يجوز له أن يَحْمِلَ أهله على ذلك؟! وهَبْ أنَّ أهله سمحت بذلك لعليّ، فهل جاز له أن يحمل على أطفاله جوعَ ثلاثةِ أيامٍ بلياليهنّ؟! ما يروج مثلُ هذا إلَّا على حَمْقى جهّال؛ أبى الله لقلوب متنبهة أن تظنَّ بعليٍّ مثلَ هذا. وليت شعري! مَن حفظ هذه الأبياتَ كلَّ ليلة عن عليٍّ

(١) ص٦٥ .

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٧٧٤١)، والبخاري (١٤٢٦). وسلف ٣/ ٤٤٧ .

(٣) قال ابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ١٨٤ : لم أره هكذا، بل في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «... وابدأ بمن تعول» ولمسلم عن جابر في قصة المدبر في بعض الطرق: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك». اهـ.

وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٧١٥٥)، والبخاري (١٤٢٦)، ومسلم (١٠٤٢)، وسلف ٦/ ٤٠ .
وحديث جابر أخرجه أحمد (١٤٩٧٠)، ومسلم (٩٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (٦٤٩٥)، وأبو داود (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسلف ٥/ ٢٢٥.

وفاطمة، وإجابةَ كلٍّ واحدٍ منهما صاحبَه، حتى أدَّاه إلى هؤلاء الرُّواة؟! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السُّجونِ فيما أرى. بلغني أنَّ قوماً يُخلَّدون في السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديثَ في السَّمَر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديثِ مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رمَوا بها وزَيَّفوها، وما من شيء إلَّا وله آفةٌ ومكيدة، وآفة الدِّين وكَيْده أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ «عَبُوسًا» من صفة اليوم، أي: يومًا تَعْبِس فيه الوجوه مِن هوله وشدَّته، فالمعنى: نخاف يومًا ذا عُبوس. وقال ابن عباس: يَعْبِس الكافر يومئذ حتى يسيلَ منه عرَقٌ كالقَطِران. وعن ابن عباس: العَبُوس: الضَّيِّق، والقَمْطَرِير: الطويل[1]؛ قال الشاعر:

شديدًا عبوسًا قَمْطَريرًا[2]

وقيل: القَمطرير: الشديد؛ تقول العرب: يوم قَمْطرير وقُمَاطِر وعَصِيب بمعنًى؛ وأنشد الفرَّاء[3]:

بني عَمِّنا هل تَذْكُرون بلاءَنا ... عليكم إذا ما كان يومٌ قُمَاطِرُ

بضمِّ القاف. واقْمَطَرَّ: إذا اشتدّ.

وقال الأخفش: القَمْطرير: أشدُّ ما يكون من الأيام وأطولُه في البلاء[4]؛ قال الشاعر:

---

(١) أخرجهما الطبري ٢٣/٥٤٧، ٥٤٩.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/١٦٧ دون نسبة. وتمامه:

شديداً عبوساً قمطريراً تخاله ... تزول الضحى فيه قرون المناكب

(٣) في معاني القرآن ٣/٢١٦، وهو في تفسير الطبري ٢٣/٥٤٧، والصحاح (قمطر).

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٢٩، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٧٩.

فـفِـرُّوا إذا مـا الـحـربُ ثـار غـبـارهـا ولـجَّ بـهـا الـيـومُ الـعَـبُـوسُ الـقُـمـاطِـرُ(١)

وقال الكسائي: يقال: اقْمَطَرَّ اليومُ وازْمَهَرَّ اقمطرارًا وازمِهرارًا، وهو القَمْطرير والزَّمْهرير، ويوم مُقْمَطِرّ: إذا كان صعبًا شديدًا؛ قال الهذليّ:

بنو الـحـربِ أُرْضِـعـنـا لـهـم مُـقْـمَـطِـرَّةً ومَـن يُـلْـقَ مِـنَّـا ذلـك الـيـومَ يَـهـربُ(٢)

وقال مجاهد: إنَّ العُبوس بالشفتين، والقَمْطَرير بالجبهة والحاجبين؛ فجعلها من صفات الوجه المتغيِّر من شدائد ذلك اليوم؛ وأنشد ابن الأعرابيّ:

يَـغْـدو عـلـى الـصَّـيـد يـعـودُ مُـنـكـسِـرْ ويَـقْـمَـطِـرُّ سـاعـةً ويَـكْـفَـهِـرّْ(٣)

وقال أبو عبيد(٤): يقال: رجل قَمْطرير، أي: منقبض(٥) ما بين العينين.

وقال الزجّاج(٦): يقال: اقْمَطَرَّت الناقة: إذا رَفَعت ذَنَبها وجَمَعت قُطْرَيها، وزَمَّت بأنفها. فاشتقَّه من القُطْر، وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعِصة(٧):

واصـطـلـيـتُ الـحـروبَ فـي كـلِّ يـومٍ بـاسـلِ الـشَّـر قَـمْـطَـريـرِ الـصَّـبـاحِ

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: دفع عنهم ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي: بأسَه وشدَّته وعذابَه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أي: آتاهم وأعطاهم حين لَقُوه، أي: رأوه ﴿نَضْرَةً﴾ أي: حسناً ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: حُبوراً.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١ .

(٢) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ٢٥ ، وروايته: فمَن يُلقَ منا يُلقَ سِيْدٌ مدرَّبُ. قال شارحه: المُقْمَطِرَّة: الكالحة الشنيعة، يقول: أُرضعنا بها وقد تهيأت للشر. السِّيْد في كلام هذيل: الأسد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦٧ .

(٤) في (د) و(ظ) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ز) و(ي)، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ٩/ ٤٠٨ .

(٥) في (م): متقبض، وفي (ي): مقتبض، وفي تهذيب اللغة: مقبض.

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٩ ، ونقل كلامه الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٧ .

(٧) التنوخي. شاعر جاهلي قديم. له في أشعاره ألفاظ غريبة وحشية. وكان هو وأهل بيته نصارى. المؤتلف والمختلف للآمدي ص٢٩٩ . والبيت في الكشاف.

قال الحسن ومجاهد: «نَضْرَةً» في وجوههم «وَسُرُورًا» في قلوبهم.

وفي النضرة ثلاثةُ أوجه: أحدها: أنها البياض والنَّقاء؛ قاله الضحَّاك. الثاني: الحُسْن والبهاء؛ قاله ابن جبير. الثالث: أنها أثر النعمة؛ قاله ابن زيد[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على الفقر[(٢)]. وقال القُرَظيّ: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع[(٣)] ثلاثة أيام، وهي أيام النذْر. وقيل: بصبرهم على طاعة الله[(٤)]، وصبرِهم عن معصية الله ومحارمه[(٥)]. و«ما»: مصدرية، وهذا على أنَّ الآية نزلت في جميع الأبرار ومَن فعل فعلًا حسنًا.

وروى ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الصبر فقال: «الصبر أربعة: أوَّلها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم الله، والصبر على المصائب»[(٦)].

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: أدخلهم الجنةَ وألبسهم الحرير. أي: يسمَّى بحرير الدنيا[(٧)]. وكذلك الذي في الآخرة ما شاء الله عزَّ وجلَّ من الفضل. وقد تقدَّم[(٨)] أنَّ مَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما أُلبسه مَن أُلبسه في الجنة عوضًا عن

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٨ - ١٦٨ ، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٠ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٩ عن الضحاك.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٦٨ .

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠ عن قتادة.

(٦) لم نقف عليه، وقوله منه: «الصبر عند الصدمة الأولى» أحمد (١٢٤٥٨)، والبخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس ﷺ. وسلف ٢/ ٤٦٣ .

(٧) في (ظ): أي بدل حرير الدنيا.

(٨) ١٤/ ٣٤٧ .

حبسهم أنفسَهم في الدنيا عن الملابس التي حرَّم الله فيها.

قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة؛ ونصب «مُتَّكِئِينَ» على الحال من الهاء والميم في «جَزَاهُمْ»، والعامل فيها «جزى» ولا يعمل فيها «صَبَرُوا»؛ لأن الصبر إنما كان في الدنيا، والاتِّكاء في الآخرة[(١)]. وقال الفرَّاء[(٢)]: وإن شئت جعلت «مُتَّكِئِينَ» تابعًا، كأنه قال: جزاهم جنةً «مُتَّكئين فيها».

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر في الحِجَال[(٣)]، وقد تقدَّم[(٤)]. وجاءت عن العرب أسماءٌ تحتوي على صفات: أحدها الأريكة، لا تكون إلَّا في حَجَلة على سرير، ومنها السَّجْل، وهو الدَّلْو الممتلئ ماءً، فإذا صَفِرت لم تُسمَّ سَجْلًا، وكذلك الذَّنُوب لا تُسمَّى ذَنُوبًا حتى تُملأ، والكأس لا تسمى كأسًا حتى تُترَع من الخمر. وكذلك الطَّبَق الذي تُهدى عليه الهدية: مِهْدَى، فإذا كان فارغًا قيل: طَبَق أو خِوان؛ قال ذو الرُّمَّة:

خُدُوداً جَفَتْ في السَّير حتى كأنَّما ... يُباشِرْنَ بالمَعْزاء مَسَّ الأرائكِ[(٥)]

أي: الفرش على السرر.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ أي: لا يرون في الجنة شدَّةَ حرٍّ كحرِّ الشمس ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٠ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٩ . والحِجال جمع: حَجَلة، وهي بيت يزين بالثياب والأَسرَّة والستور. الصحاح (حجل).

(٤) ١٣/ ٢٦٨ .

(٥) في النسخ: خدودٌ جفت. . . ، والمثبت من ديوان ذي الرمة، وشرحه ٣/ ١٧٢٩ ، وقبله:

إذا وقَّعوا وهْناً كسَوْا حيث موَّتت ... من الجهد أنفاس الرياح الحواشك

قال شارحه: وهناً: بعد هُدُوٌّ من الليل. الحشك: أن تمر الرياح مختلفة مندفعة مجتهدة. جفت في السير، أي: لم تطمئن. وقوله: كأنما يباشرن، يعني الخدود. المَعْزاء: أرض غليظة ذات حصى. يقول: كأنهن إذا وقَّعن على المَعْزَاء وجدن بها مسَّ الأرائك من التعب. أي: ألقَوا أنفسهم بالموضع الذي ماتت الريح فيه، أي: سكنت من الجهد. أي: ألقوا أنفسهم فكانوا كسوة للمكان. وأراد: كسوا خدودهم، أي: صيروا المكان [الذي] ناموا فيه كسوة للخدود.

أي: ولا بردًا مُفْرِطًا؛ قال الأعشى:

مُنَعَّمةٍ طَفْلةٍ كالْمَهَا ... ةِ لم تَرَ شمسًا ولا زَمْهريرا[(١)]

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النارُ إلى ربِّها عزَّ وجلّ، قالت: يا ربّ! أكَلَ بعضي بعضًا، فجَعَلَ لها نَفَسَين: نَفَسًا في الشتاء، ونَفَسًا في الصّيف، فشدَّةُ ما تجدون من البرد مِن زمهريرها، وشدَّة ما تجدون من الحرِّ في الصيف من سَمُومها»[(٢)].

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ هواء الجنة سَجْسَج؛ لا حرٌّ ولا بردٌ»[(٣)] والسَّجْسَج: الظِّلُّ الممتدُّ كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

وقال مُرَّة الهمداني: الزمهرير: البرد القاطع. وقال مقاتل بن حيَّان: هو شيءٌ مثل رؤوس الإبر ينزل من السماء في غاية البرد. وقال ابن مسعود: هو لونٌ من العذاب[(٤)]، وهو البرد الشديد، حتى إنَّ أهل النار إذا أُلْقوا فيه سألوا الله أن يعذِّبهم بالنار ألفَ سنة أهونَ عليهم من عذاب الزمهرير يومًا واحدًا. قال أبو النَّجْم:

أو كنت ريحًا كنت زَمْهريرا[(٥)]

وقال ثعلب: الزَّمْهرير: القمر بلغة طيِّئ؛ قال شاعرهم:

وليلةٍ ظلامُها قد اعتَكَرْ ... قَطَعْتُها والزَّمْهريرُ ما زَهَرْ[(٦)]

---

(١) ديوانه ص١٤٥، وفيه: مبتَّلةِ الخَلْق، مثل المهاة...، وقبله:

فَبانَ بحسناءَ بَرَّاقةٍ ... على أنَّ في الطرف منها فتورا

طفلة: رَخْصة ناعمة. مبتلة الخلق: متناسقة الأعضاء بالغة الحسن. المهاة: بقرة الوحش.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (٤٣١٩) واللفظ له. وأخرجه أحمد (٧٧٢٢)، والبخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ. وسلف الحديث ١٧/ ٣٧٠.

(٣) لم نقف عليه مرفوعاً، وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٠ عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٢.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٦٩، والكشاف ٤/ ١٩٧، ووقع في (د)، والنكت والعيون: ما ظهر.

ويروى: ما ظهر، أي: لم يطلع القمر. فالمعنى: لا يرون فيها شمسًا كشمس الدنيا ولا قمرًا كقمر الدنيا، أي: إنهم في ضياء مستديم، لا ليل فيه ولا نهار؛ لأنَّ ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر. وقد مضى هذا المعنى مجوَّدًا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية: ٦٢].

وقال ابن عباس: بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نوراً ظنُّوه شمسًا، قد أشرقت بذلك النور الجنة، فيقولون: قال ربنا: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ فما هذا النور؟ فيقول لهم رضوان: ليست هذه شمس ولا قمر، ولكنَّ هذه فاطمة وعليٌّ ضحكا، فأشرقت الجِنَان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وأنشد:

أنا مولًى لفتًى أُنْزِلَ فيه هل أتى
ذاك عليٌّ المرتضَى وابنُ عمِّ المصطفَى[(١)]

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: ظِلُّ الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، فهي مُظِلَّة عليهم زيادةً في نعيمهم، وإن كان لا شمس ولا قمر ثَمَّ؛ كما أن أمشاطهم الذهبُ والفضة، وإن كان لا وسخ ولا شَعَث ثَمَّ. ويقال: إنَّ ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مئة عام، فإذا اشتهى وليُّ الله ثمرتَها تدانت منه حتى يتناولَها.

وانتصب «دانيةً» على الحال عطفًا على «مُتَّكئين» كما تقول: في الدار عبدُ الله متكئًا ومرسَلةً عليه الحِجَال. وقيل: انتصب نعتًا للجنة، أي: وجزاهم جنةً دانيةً، فهي صفةٌ لموصوف محذوف. وقيل: على موضع «لا يرَوْنَ فيها شمسًا ولا زَمْهريرًا» ويرون دانيةً. وقيل: على المدح، أي: دنت دانيةً. قاله الفراء[(٢)]. «ظِلَالُهَا» الظلال مرفوعة بدانية، ولو قُرئ برفع «دانية» على أن تكون الظلال مبتدأً و«دانية» الخبر

(١) خبر واضح البطلان.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٠، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٤ - ٧٨٥.

لجاز، وتكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في «وجزاهُمْ». وقد قرئ بذلك[١]. وفي قراءة عبد الله: «وَدَانِيًا عَلَيْهِمْ»[٢]؛ لتقدُّم الفعل. وفي حرف أُبيّ: «وَدَانٍ»[٣] رفع على الاستئناف.

﴿وَذُلِّلَتْ﴾ أي: سُخِّرت لهم ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ أي: تسخيرًا، فيتناولها القائمُ والقاعد والمضطجع، لا يَرُدُّ أيديَهم عنها بُعدٌ ولا شوك؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: إن قام أحد ارتفعت له، وإن جلس تدلَّت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها[٤]. وعنه أيضًا: أرض الجنة من وَرِق، وترابها الزعفران، وطيبها مِسْكٌ أذفر، وأصول شجرها ذهبٌ ووَرِق، وأفنانها اللؤلؤ والزَّبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كلِّه؛ فمَن أكل منها قائماً لم تؤذِه، ومَن أكل منها قاعدًا لم تؤذِه، ومَن أكل منها مضطجعًا لم تؤذِه[٥]. وقال ابن عباس: إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها، تدلَّت إليه حتى يتناولَ منها ما يريد[٦].

وتذليل القطوف: تسهيل التناول. والقطوف: الثمار، الواحد: قِطْف، بكسر القاف، سمِّي به لأنه يُقطَف، كما سمِّي الجَنَى لأنه يُجنى. «تَذْلِيلًا» تأكيد لما وُصف به من الذِّلّ؛ كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

الماورديُّ[٧]: ويحتمل أن يكون تذليلُ قطوفها أن تَبْرُزَ لهم من أكمامها، وتَخْلُصَ لهم مِن نواها.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٧، والقراءة شاذة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٦، وإعراب القرآن ٥/ ١٠١.

(٤) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٥٥٣ - ٥٥٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٩٥.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٣.

(٧) في النكت والعيون ٦/ ١٧٠.

قلت: وفي هذا بُعد؛ فقد روى ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة: جذوعها زُمُرُّد أخضر، وكَرَبُها ذهب أحمر، وَسَعفها كُسْوة لأهل الجنة، منها مُقطَّعاتهم وحُلَلهم، وثمرها أمثال القِلَال والدِّلاء، أشدُّ بياضًا من اللَّبَن، وأحلى من العسل، وألينُ من الزُّبْد، ليس فيه عَجَم[١].

قال أبو جعفر النحَّاس: ويقال: المذلَّل: الذي قد ذلَّله الماءُ، أي: أرواه. ويقال: المذلَّل: الذي يُفَيِّئه أدنى ريح؛ لنَعْمته، ويقال: المذلَّل: المُسَوَّى؛ لأنَّ أهل الحجاز يقولون: ذَلِّلْ نَخْلك، أي: سَوِّه، ويقال: المُذَلَّل: القريب المتناوَل؛ من قولهم: حائط ذَليلٌ، أي: قصير. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس:

وساقٍ كأُنبوب السَّقيِّ المُذَلَّلِ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يدور على هؤلاء الأبرارِ الخَدَمُ إذا أرادوا الشراب «بآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ». قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٤٣٨٤) من طريق ابن المبارك بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ٩٧/٢ ، وهناد في الزهد (٩٩)، وابن أبي حاتم ٣٣٢٨/١٠ (١٨٧٥٨)، والحاكم ٤٧٥/٢ - ٤٧٦ من طرق عن سفيان، به. وأخرجه المروزي في زيادات الزهد (١٤٨٨) عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس. قال محققه: زاد في (ك): عن ابن عباس. اهـ. وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٢٠٨٧٠) عن معمر، عن قتادة أو غيره، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما. الكَرَب، بالتحريك: أصل السَّعَف. وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع. العَجَم، بالتحريك: النوى. النهاية (كرب) (عجم).

(٢) شرح الديوان ص١٧ . وصدره: وكشحٍ لطيف كالجديل مخصَّرٍ. قال شارحه: الكشح: الخصر. الجديل: زمام يتخذ من سيور، وهو ليِّن. السقي: النخل المسقي.

في الجنة إلَّا الأسماء، أي: ما في الجنة أشرفُ وأعلى وأنقى. ثم لم تُنْفَ الأواني الذهبية، بل المعنى: يُسقون في أواني الفضة، وقد يسقون في أواني الذهب. وقد قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقيل: نَبَّه بذِكْر الفضَّة على الذهب؛ كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد؛ فنبَّه بذكر أحدهما على الثاني.

والأكواب: الكِيزان العِظَام التي لا آذان لها ولا عُرًى، الواحد منها كوب؛ وقال عَدِيّ:

مُتَّكِئاً تُقْرَعُ أبوابُهُ يَسعى عليه العبدُ بالكوبِ

وقد مضى في «الزخرف»[1].

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي: في صفاء القوارير وبياضِ الفِضَّة؛ فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضّة. وقيل: أرض الجنة من فضّة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس، وقال: ليس في الجنة شيءٌ إلَّا قد أُعطيتم في الدنيا شِبْهَه، إلَّا القواريرَ من فضة[2]. وقال: لو أخذتَ فضَّةً من فضّة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذُّبَاب، لم تَرَ مِن ورائها الماء، ولكن قوارير الجنة مثل الفضّة في صفاء القوارير[3].

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قراءة العامة بفتح القاف والدال؛ أي: قَدَّرها لهم السُّقاة الذين يطوفون بها عليهم. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أُتوا بها على قَدْر رِيِّهم بغير زيادة ولا نقصان. الكلبي[4]: وذلك ألذُّ وأشهى؛ والمعنى: قدَّرتها الملائكة التي

---

(١) ١٩/ ٨١ - ٨٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٣٠١.

(٣) بعدها في النسخ الخطية: المكاعب. والأثر ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٣١، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٣٨، والبيهقي في البعث والنشور (٣٤٨).

(٤) ذكر قوله وقول مجاهد الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٨.

تطوف عليهم. وعن ابن عباس أيضًا: قدَّروها على مِلء الكفِّ لا تزيد ولا تنقص، حتى لا تؤذيَهم بثقل أو بإفراطِ صِغَر. وقيل: إنَّ الشاربين قَدَّروا لها مقادير في أنفسهم، على ما اشتهوا وقدَّروا.

وقرأ عبيد بن عمير[١] والشَّعْبيُّ وابن سيرين: «قُدِّروها» بضم القاف وكسر الدال؛ أي: جعلت لهم على قدر إرادتهم. وذكر هذه القراءةَ المهدويُّ عن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما[٢]؛ وقال: ومَن قرأ: «قُدِّروها» فهو راجعٌ إلى معنى القراءة الأخرى، وكأنّ الأصل: قُدِّروا عليها، فحذف حرف الجر؛ والمعنى قُدِّرت عليهم؛ وأنشد سيبويه:

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهرَ آكُلُهُ والحَبُّ يأكله في القرية السُّوسُ[٣]

وذهب إلى أنَّ المعنى: على حَبِّ العراق.

وقيل: هذا التقدير هو أنَّ الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: لا يَفْضُلُ عن الرِّيِّ ولا ينقص منه، فقد أُلْهِمت الأقداحُ معرفةَ مقدار رِيِّ المشتهي حتى تغترف بذلك المقدار. ذكر هذا القولَ الترمذيُّ الحكيم في «نوادر الأصول»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ وهي الخمر في الإناء. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ «كَانَ» صِلَة؛ أي: مزاجها زنجبيل، أو كان في حكم الله زنجبيلًا. وكانت العرب تستلذُّ من الشراب ما يُمزج بالزنجبيل لِطيب رائحتِه؛ لأنه يَحْذُو اللسان، ويَهضِم المأكول[٥]،

(١) في إعراب القرآن للنحاس ١٠١/٥ - ١٠٢: عبد الله بن عبيد بن عمير، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٦.

(٢) وذكرها عنهما وعن الشعبي ابن خالويه في القراءات الشاذة.

(٣) قائله المتلمس، وهو في ديوانه ص٩٥، وسلف ٣١٩/٤.

(٤) ص٣٣٩.

(٥) النكت والعيون ١٧٠/٦، وقوله: يحذو، أي: يقرص.

فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهايةَ النعمة والطيب.

وقال المسيَّب بن عَلَس[1] يصف ثَغْرَ المرأة:

وكأن طَعْمَ الزنجبيل به إذْ ذُقْتَهُ وسُلَافَةَ الخمرِ[2]

ويروى: الكَرْم. وقال آخر:

كأنَّ جَنِيًّا مِن الزَّنْجَبِيـ ـل باتَ بِفِيها وأرْيًا مَشُورا[3]

ونحُوه قولُ الأعشى:

كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيـ ـلَ باتا بِفيها وأريًا مَشُورا[4]

وقال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. وكذا قال قتادة: الزَّنجبيل: اسم للعين التي يشرب بها المقرَّبون صِرفًا، وتُمزج لسائر أهل الجنة[5]. وقيل: هي عينٌ في الجنة يوجد فيها طعمُ الزنجبيل[6]. وقيل: إنَّ فيه معنى الشراب الممزوجِ بالزنجبيل. والمعنى: كأنَّ فيها زنجبيلًا.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من كأس. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: يُسقون عينًا[7]. ويجوز نصبه بإسقاط الخافض، أي: مِن عين، على ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الآية: ٦]. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة.

﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ السَّلْسبيل: الشراب اللذيذ، وهو فَعْلَلِيل من السَّلَاسة[8]؛ تقول

(١) هو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وخال الأعشى، يكنى أبا الفضة، واسمه زهير بن علس، وإنما لقب «المسيَّب» ببيت قاله. وهو جاهلي لم يدرك الإسلام. الشعر والشعراء ١/ ١٧٤ .

(٢) الشعر والشعراء، والنكت والعيون ٦/ ١٧١ ، والكشاف ٤/ ١٩٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ .

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣ ، وفيه: خالط فاها، بدل: بات بفيها. الأري: عسل النحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٨، وينظر ما قبله .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦١ ، وقول مجاهد في النكت والعيون ٦/ ١٧٠ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ .

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٥ .

(٨) في (د) و(م): السلالة، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٢ . والكشاف ٤/ ١٩٩ .

العرب: هذا شراب سَلِسٌ وسَلْسَال وسَلْسَلٌ وسَلْسَبِيل بمعنًى؛ أي: طَيِّبُ الطعم لذيذُه. وفي الصحاح[١]: وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسَلْسَلْتُه أنا: صببته فيه، وماء سَلْسَل وسَلْسَال: سهل الدخول في الحلق؛ لعذوبته وصفائه، والسُّلَاسل بالضمِّ مثلُه. وقال الزجَّاج[٢]: السَّلْسبيل في اللغة: اسمٌ لما كان في غاية السَّلَاسة؛ فكأنَّ العين سمِّيت بصفتها.

وعن مجاهد قال[٣]: سَلْسَبيلاً: حديدة الجَرْية، تسيل في حلوقهم انسلالًا. ونحوه عن ابن عباس: إنها الحديدة الجَرْي. ذكره الماورديّ[٤]؛ ومنه قول حسان بنِ ثابت ﷺ:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... بَرَدى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[٥]

وقال أبو العالية ومقاتل: إنما سمِّيت سَلْسَبيلًا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عَدْنٍ إلى أهل الجنة[٦]. وقال قتادة: سَلِسةٌ منقادٌ ماؤها حيث شاؤوا[٧]. ونحوه عن عِكرمة. وقال القَفَّال: أي: تلك عين شريفة فَسَلْ سَبِيلًا إليها. وروي هذا عن عليٍّ ﷺ[٨].

وقوله: ﴿تُسَمَّىٰ﴾ أي: إنها مذكورةٌ عند الملائكة وعند الأبرار وأهلِ الجنة بهذا

---

(١) مادة (سلل).

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٦١ .

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٥٦٢ .

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٧١ عن مجاهد.

(٥) ديوانه ص١٨٠ . البريص: موضع بدمشق كما في القاموس (برص). وفي التاج: يقال: البريص اسم للغوطة بأجمعها.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦١ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٩٨ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧١ . قال الزمخشري: وهذا غير مستقيم على ظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلًا، جعلت علماً للعين كما قيل: تأبط شراً... وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل علي ﷺ أبدع.

الاسم. وصرف «سلسبيل»؛ لأنه رأس آية؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠، ٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بيَّن مَن الذي يطوف عليهم بالآنية؛ أي: ويخدمهم ولدان مُخلَّدون، فإنهم أخفُّ في الخدمة. ثم قال: «مُخَلَّدُونَ» أي: باقون على ما هم عليه من الشَّباب والغَضاضة والحُسْن، لا يَهْرَمون ولا يتغيَّرون، ويكونون على سِنٍّ واحدة على مَرِّ الأزمنة. وقيل: مُخلَّدون لا يموتون. وقيل: مُسوَّرون مُقرَّطون، أي: مُحلَّون، والتخليد: التحلية. وقد تقدَّم هذا[١].

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا مفرَّقًا في عَرْصة المجلس، واللؤلؤ إذا نُثِر على بساط كان أحسنَ منه منظومًا[٢].

وعن المأمون أنه ليلة زُفَّت إليه بُوران بنت الحسن بنِ سهل، وهو على بساط منسوج من ذهب، وقد نَثَرت عليه نساءُ دار الخليفة اللؤلؤَ، فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: للهِ دَرُّ أبي نُواس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأنَّ صُغرى وكُبرى مِن فَوَاقِعِها[٣] حَصْباءُ درٍّ على أرضٍ مِن الذَّهبِ

وقيل: إنما شبَّههم بالمنثور؛ لأنهم سراعٌ في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبَّههنَّ باللؤلؤ المكنون المخزون؛ لأنهنَّ لا يُمتَهنَّ بالخدمة.

---

(١) ٢٠/١٨٦ - ١٨٧.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/٤٣٠.

(٣) في (ز) و(م): فقاقعها، وكذا في العقد الفريد ٦/٧٧، والخزانة ٨/٢٧٧. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الديوان ص٤٠، وثمار القلوب للثعالبي ص١٦٦، ودرة الغواص ص٥٩، ومجمع الأمثال ١/٣٤، والكشاف ٤/١٩٩، والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ «ثَمَّ»: ظرف مكان، أي: هناك في الجنة، والعامل في «ثَمَّ» معنى «رَأَيْتَ» أي: وإذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». وقال الفرَّاء[1]: في الكلام «ما» مضمرة؛ أي: وإذا رأيت ما ثَمّ؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم. وقال الزجَّاج[2]: «ما» موصولة بـ «ثم» على ما ذكره الفرَّاء، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصِّلة، ولكن «رَأَيْتَ» يتعدَّى في المعنى إلى «ثَمَّ»، والمعنى: إذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». ويعني بـ «ثَمَّ» الجنة، وقد ذكر الفرَّاء[3] هذا أيضًا.

والنعيم: سائر ما يُتنعَّم به. والمُلْك الكبير: استئذان الملائكة عليهم؛ قاله السُّدِّيُّ وغيره. قال الكلبيّ: هو أن يأتيَ الرسولُ من عند الله بكرامة من الكُسْوة والطعام والشراب والتحف إلى وليِّ الله وهو في منزله، فيستأذن عليه؛ فذلك المُلْك العظيم. وقاله[4] مقاتل بن سليمان.

وقيل[5]: المُلْك الكبير: هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبًا، حاجبًا دون حاجب؛ فبينما وليُّ الله فيما هو فيه من اللَّذَّة والسرور، إذ يستأذن عليه مَلَكٌ من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية وتحفةٍ من ربِّ العالمين، لم يرها ذلك الوليُّ في الجنة قطّ، فيقول للحاجب الخارج: استأذن على وليِّ الله، فإنَّ معي كتابًا وهديةً من ربِّ العالمين. فيقول هذا الحاجب للحاجب الذي يليه: هذا رسولٌ من ربِّ العالمين، معه كتاب وهديَّة يستأذن على وليِّ الله؛ فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذي يلي وليَّ الله، فيقول له: يا وليَّ الله! هذا رسولٌ من ربِّ العالمين يستأذن عليك،

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٦١، ومثله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٣، والكشاف ٤/ ١٩٩.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨.

(٤) في (ظ): وقال. وقول مقاتل والكلبي في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ بمعناه.

(٥) قوله: وقيل، من (م).

معه كتاب وتُحْفة من ربِّ العالمين، أفيؤذن له؟ فيقول: نعم! فأذنوا له. فيقول ذلك الحاجب الذي يليه: نَعَم فأذنوا له. فيقول الذي يليه للآخر كذلك، حتى يبلغ الحاجب الآخر، فيقول له: نَعَم أيها المَلَك؛ قد أذن لك، فيدخل، فيسلِّم عليه ويقول: السَّلامُ يُقرئك السَّلام، وهذه تحفة، وهذا كتاب من ربِّ العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليه: من الحيِّ الذي لا يموت، إلى الحيِّ الذي لا يموت[١]. فيفتحه فإذا فيه: سلام على عبدي ووليّي ورحمتي وبركاتي. يا وليّي، أمَا آن لك أن تشتاق إلى رؤية ربِّك؟ فيستخفُّه الشوق، فيركب البُرَاق، فيطير به البُرَاق شوقًا إلى زيارة علَّام الغيوب، فيعطيه ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال سفيان الثوريّ: بلغَنا أنَّ المُلْك الكبير تسليمُ الملائكة عليهم[٢]؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقيل: المُلْك الكبير: كون التِّيجان على رؤوسهم كما تكون على رأس مَلِك من الملوك[٣].

وقال الترمذيُّ الحكيم: يعني مُلْك التكوين، فإذا أرادوا شيئًا قالوا له: كن. وقال أبو بكر الورَّاق: مُلْك لا يتعقَّبه هُلْك. وفي الخبر عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ المُلك الكبير هو: أدناهم منزلة ينظر في مُلْكه مسيرة ألفي عام، يَرَى أقصاه كما يرى أدناه» قال: «وإنَّ أفضلهم منزلةً مَن ينظر في وجه ربِّه تعالى كلَّ يومٍ مرتين»[٤].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأ نافع وحمزة وابن محيصن:

(١) كذا في النسخ، ولعل المراد أنه خالدٌ فيها لا يموت.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٧ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٢ .

(٤) بعدها في (م): سبحان المنعم. والخبر لم نقف عليه، وأخرجه الترمذي (٣٣٣٠) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

«عَالِيْهِمِ» ساكنةَ الياء[١]، واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة ابن مسعود وابن وثَّاب وغيرهما: «عالِيَتُهُم»[٢] وبتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثيابٌ يعلوها أفضلُ منها.

الفرَّاء: وهو مرفوع بالابتداء، وخبرُه: «ثِيَابُ سُنْدُسٍ» واسم الفاعل يراد به الجمع. ويجوز في قول الأخفش أن يكون إفراده على أنه اسم فاعل متقدِّم، و«ثِيابُ» مرتفعة به وسَدَّت مسدَّ الخبر، والإضافة فيه في تقدير الانفصال؛ لأنه لم يمضِ[٣]، وابتدئ به لأنه اختصَّ بالإضافة.

وقرأ الباقون: «عَالِيَهُمْ» بالنصب. وقال الفرَّاء[٤]: هو كقولك: فَوْقَهم، والعرب تقول: قومُك داخلَ الدار، فينصبون «داخل» على الظرف، لأنه مَحلّ. وأنكر الزجَّاج هذا وقال[٥]: هو مما لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفًا لم يجز إسكان الياء، ولكنه نصب على الحال من شيئين: أحدهما: الهاء والميم في قوله: «يطُوفُ عَلَيْهِمْ» أي: على الأبرار «وِلْدانٌ» عالياً الأبرارَ ثيابُ سندس؛ أي: يطوف عليهم في هذه الحال، والثاني: أن يكون حالًا من الوِلدان، أي: «إذا رأَيتَهم حَسِبْتَهم لؤلؤًا منثورًا» في حال علوِّ الثيابِ أبدانَهم.

وقال أبو عليّ[٦]: العامل في الحال إمَّا «لقَّاهم نَضْرةً وسرورًا» وإمَّا «جزاهم بما صبروا» قال: ويجوز أن يكون ظرفًا فصُرِف.

المهدوي: ويجوز أن يكون اسم فاعل ظرفًا؛ كقولك: هو ناحيةً من الدار،

---

(١) السبعة ص٦٦٤، والتيسير ص٢١٨. وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٢) قراءة ابن مسعود في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤.

(٣) في (م): يخصّ، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في الحجة لأبي علي ٦/ ٣٥٦.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨ - ٢١٩.

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٢.

(٦) في الحجة ٦/ ٣٥٤.

وعلى أنَّ «عاليًا» لمَّا كان بمعنى «فوق» أُجْرِي مُجْراه فجعل ظرفًا.

وقرأ ابن محيصن وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «خُضْرٍ» بالجرِّ على نعت السُّنْدس، «وَإِسْتَبْرَقٌ» بالرفع نَسْقًا على الثياب، ومعناه: عاليهم[١] سندسٌ وإستبرقٌ.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب: «خُضْرٌ» رفعًا نعتًا للثياب «وَإِسْتَبْرَقٍ» بالخفض نعتًا للسُّنْدس، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم لجودة معناه؛ لأنَّ الخضر أحسنُ ما كانت نعتًا للثياب، فهي مرفوعة، وأحسن ما عطف الإستبرق على السُّنْدس عطفَ جنسٍ على جنس، والمعنى: عاليَهم ثيابٌ خُضْرٌ مِن سندسٍ وإستبرقٍ، أي: من هذين النوعين.

وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع، ويكون «خُضْرٌ» نعتًا للثياب؛ لأنهما جميعًا بلفظ الجمع «وإِسْتَبْرَقٌ» عطفًا على الثياب.

وقرأ الأعمش وابن وَثّاب وحمزة والكسائيُّ كلاهما بالخفض[٢]، ويكون قوله: «خُضْرٍ» نعتًا للسُّندس، والسُّندس اسم جنس، وأجاز الأخفش[٣] وصفَ اسم الجنس بالجمع على استقباح له؛ وتقول: أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدرهمُ البِيضُ؛ ولكنه مستبعَدٌ في الكلام. والمعنى على هذه القراءة: عالِيهم ثِيابُ سُندسٍ خضرٍ وثيابُ إستبرقٍ.

وكلُّهم صرف الاستبرق إلا ابنَ محيصن، فإنه فتحه ولم يصرفه، فقرأ: «وإستبرقَ» نصبًا في موضع الجرّ، على منع الصرف[٤]، لأنه أعجميّ، وهو غلط، لأنه نكرة يدخله حرفُ التعريف؛ تقول: الإستبرق؛ إلَّا أن يزعم ابن محيصن أنه قد

(١) في النسخ الخطية: عليهم، والمثبت من (م).

(٢) السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٠. وقراءة الأعمش في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وقراءة ابن وثاب في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩.

(٣) كلامه في الحجة للفارسي ٦/ ٣٥٧.

(٤) نسب هذه القراءة لابن محيصن الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٦٢، وذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٩ - والكلام منه - دون نسبة.

يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: «وَاسْتَبْرَقَ» بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق[١]، وليس بصحيح أيضًا؛ لأنه مُعرَّب مشهور تعريبه، وأنَّ أصله: اسْتَبْرَه[٢].

والسُّندس: ما رَقَّ من الديباج. والإستبرق: ما غَلُظ منه. وقد تقدَّم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓا﴾ عطف على «ويطوف»[٤] ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة فاطر: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الآية: ٣٣] وفي سورة الحج: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية: ٢٣]، فقيل: حُليُّ الرجل الفضة، وحُليُّ المرأة الذهب. وقيل: تارةً يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضَّة. وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضَّة وسواران من لؤلؤ، ليجتمع لهم محاسنُ الجنة؛ قاله سعيد ابن المسيّب. وقيل: أي: لكل قومٍ ما تميل إليه نفوسُهم.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال عليٌّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: إذا توجَّه أهلُ الجنة إلى الجنة، مرُّوا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النَّعيم، فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعَّث أشعارهم أبدًا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خَزنة الجنة، فيقولون لهم: «سَلَامٌ عليكم طِبتُم فادخلوها خالدين» [الزمر: ٧٣].

وقال النَّخعيُّ وأبو قِلابة: هو إذا شربوه بعد أكلهم طَهَّرهم، وصار ما أكلوه وما

---

(١) هي قراءة ابن محيصن كما في القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤.

(٢) في النسخ: استبرق، والمثبت من الكشاف ٤/ ١٩٩ والكلام منه، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٢. وفي القاموس (برق): استروه، وينظر التاج (برق).

(٣) ١٣/ ٢٦٦.

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٩.

شربوه رَشْحَ مِسْك، وضَمَرت بطونهم(١).

وقال مقاتل: هو من عينِ ماءٍ على باب الجنة، تنبع من ساق شجرة، مَن شرب منها نزع اللهُ ما كان في قلبه من غِلّ وغشٍّ وحسدٍ، وما كان في جوفه من أذًى وقَذَر(٢).

وهذا معنى ما روي عن عليّ، إلَّا أنه في قول مقاتل عينٌ واحدة، وعليه فيكون فَعولًا للمبالغة، ولا يكون فيه حُجَّةٌ للحنفيِّ أنه بمعنى الطاهر. وقد مضى بيانه في سورة الفرقان، والحمد لله(٣).

وقال طيّب(٤) الجمَّال: صَلَّيْتُ خَلْفَ سهل بنِ عبد الله العَتَمة، فقرأ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وجعل يُحرِّك شفتيه وفمه، كأنه يَمَصُّ شيئًا، فلما فرغ قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ فقال: واللهِ لو لم أجد لذَّته عند قراءته كلذَّته عند شربه ما قرأته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: يقال لهم: إنما هذا جزاءٌ لكم، أي: ثواب. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ أي: عملكم ﴿مَّشْكُورًا﴾ أي: من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته، وثناؤه عليه، وإثابتُه إياه.

وروى سعيد عن قتادة قال: غَفَرَ لهم الذَّنب، وشَكَرَ لهم الحَسَن(٥). وقال مجاهد: «مَشْكُورًا» أي: مقبولًا، والمعنى متقارب؛ فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم.

روي عن ابن عمر: أنَّ رجلًا حَبَشِيًّا قال: يا رسول الله! فُضِّلتم علينا بالصُّوَر

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٩ - ٥٧٠ عن إبراهيم التيمي وأبي قلابة بنحوه. ونسبه للنخعي وأبي قلابة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤ ، وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ .

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١ بنحوه.

(٣) ١٥/ ٤٢٢ فما بعد.

(٤) في النسخ الخطية: طبيب، ولم نقف عليه.

(٥) في (م): الحسنى. والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لما في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧١ .

والألوان والنبوَّة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به، وعملتُ بما عملت، أكائنٌ أنا معك في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه ليُرَى بياضُ الأسود في الجنة وضياؤه من مسيرة ألفِ عام» ثم قال النبيُّ ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، كان له بها عند الله عَهْد، ومَن قال: سبحان الله والحمد لله، كان له بها عند الله مئة ألفِ حسنةٍ وأربعةٌ وعشرون ألفَ حسنة»، فقال الرجل: كيف نَهلِك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال: «إنَّ الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضع على جبل لأثقله. فتجيء النعمة من نِعم الله، فتكاد أن تستنفد ذلك كلَّه، إلَّا أن يلطف اللهُ برحمته». قال: ثم نزلت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال الحبشيّ: يا رسول الله! وإنَّ عينيَّ لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم» فبكى الحبشيُّ حتى فاضت نَفْسُه. قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدْليه في حفرته[(١)] ويقول: «إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكُم مشكوراً» قلنا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «والذي نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم قال: أي عبدي! لأبيضنَّ وجهك، ولأُبوِّئَنَّك من الجنة حيث شئت، فنعم أجر العاملين».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ ما افتريتَه ولا جئتَ به مِن عندك، ولا من تلقاء نفسك كما يدَّعيه المشركون. ووجه اتصال هذه الآيةِ بما قبلُ أنه سبحانه لمَّا ذكر أصناف الوعد والوعيد، بيَّن أنَّ هذا الكتابَ يتضمن ما بالناس حاجةٌ إليه، فليس بسِحر ولا كَهانة، ولا شِعر، وأنه حقّ. وقال ابن عباس: أُنزل القرآن متفرِّقًا،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٠٤)، والكبير (١٣٥٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣١٩ دون الزيادة الآتية. بعده. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث عطاء، تفرد به عفيف عن أيوب بن عتبة اليمامي. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤٢٠ : فيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.

آية بعد آيةً، ولم ينزل جملةً واحدة[١]؛ فلذلك قال: «نَزَّلْنَا». وقد مضى القولُ في هذا مبيَّنًا، والحمد لله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربِّك. وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين؛ هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال[٣]. وقيل: أي: اصبر لما حكم به عليك من الطاعات، أو انتظر حكم الله إذ وَعَدَك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل فإنه كائنٌ لا محالة.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾ أي: ذا إثم ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع الكفار. فروى مَعْمَر عن قتادة قال: قال أبو جهل: إنْ رأيتُ محمدًا يُصلِّي لأطأنَّ على عنقه. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٤].

ويقال: نزلت في عتبة بنِ ربيعة والوليد بنِ المغيرة، وكانا أتيا رسولَ الله ﷺ يَعْرِضان عليه الأموالَ والتزويج، على أن يترك ذكر النبوَّة، ففيهما نزلت: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾. قال مقاتل: الذي عرض التزويج عُتبة بنُ ربيعة؛ قال: إنَّ بناتي من أجمل نساء قريش، فأنا أزوِّجك ابنتي بغير مهر وارجع عن هذا الأمر. وقال الوليد: إن كنتَ صنعت ما صنعتَ لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر. فنزلت[٥].

ثم قيل: «أو» في قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أَوْكَد من الواو؛ لأنَّ الواو إذا قلت: لا تطع زيدًا وعَمرًا، فأطاع أحدهما كان غيرَ عاص؛ لأنه أمرَه ألَّا يطيع الاثنين، فإذا قال: ﴿لَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فـ «أو» قد دلَّت على أنَّ كلَّ واحد

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ .

(٢) ١٥/ ٤٠٦ فما بعد.

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٠ : والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٧٢ .

(٥) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ ، وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٢ - ٤٣٣ .

منهما أهلٌ أن يُعصَى؛ كما أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابنَ سيرين، أو اتَّبع الحسن أو ابن سَيرين، فقد قلت: هذان أهلٌ أن يُتَّبعا، وكلٌّ واحد منهما أهلٌ لأن يُتَّبع؛ قاله الزجَّاج(١).

وقال الفرَّاء: «أو» هنا بمنزلة «لا»، كأنه قال: ولا كفورًا؛ قال الشاعر:

لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجِدْتُ ولا ... وَجْدُ عَجُولٍ أضَلَّها رُبَعُ

أو وَجْدُ شيخٍ أضلَّ ناقَتَه ... يومَ تَوافَى الحجيجُ فاندفعوا

أراد: ولا وجدُ شيخ(٢).

وقيل: الآثم: المنافق، والكفور: الكافر الذي يُظهر الكفر، أي: لا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا. وهو قريبٌ من قول الفرَّاء.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: صلِّ لربِّك أولَ النهار وآخرَه، ففي أوَّله صلاةُ الصبح، وفي آخره صلاةُ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني التطوُّع في الليل؛ قاله ابن حبيب.

وقال ابن عباس وسفيان: كلُّ تسبيح في القرآن فهو صلاة(٣). وقيل: هو الذِّكر المطلَق، سواءٌ كان في الصلاة أو في غيرها.

وقال ابن زيد وغيره: إنَّ قوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ منسوخٌ بالصلوات

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٣ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢١٩ - ٢٢٠ ، والبيتان في أمالي أبي علي ٢/ ١٢٣ منسوبين لمالك بن حريم، والبيت الثاني في الكامل ٢/ ٦٠٩ غير منسوب، وذكر محققه: أنه جاء في زيادات إحدى النسخ: لرجل من قضاعة يقال له: مالك بن عمرو. قوله: العجول: الثَّكلى، والواله من النساء والإبل؛ لعجلتها في حركاتها جزعاً. رُبَع: الفصيل يُنتج في الربيع، وهو أول النِّتاج. القاموس (عجل) (ربع).

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٧٢ - ١٧٣ ، وليس فيه: قاله ابن حبيب.

الخمس. وقيل: هو ندب. وقيل: هو مخصوصٌ بالنبيِّ ﷺ(١). وقد تقدَّم القولُ في مثله في سورة المزَّمِّل(٢). وقول ابن حبيب حسن.

وجمع الأصيل: الأصائل والأُصُل؛ كقولك: سَفَائن وسُفُن؛ قال:

ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ(٣)

وقال في الأصائل، وهو جمع الجمع:

لَعَمْري لَأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهلَه ... وأَقعدُ في أَفيائه بالأصائلِ(٤)

وقد مضى هذا في آخر «الأعراف» مستوفًى. ودخلت «مِن» على الظرف للتبعيض، كما دخلت على المفعول في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾(٥) [نوح: ٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: توبيخٌ وتقريع، والمراد أهل مكة. والعاجلة: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ أي: ويَدَعون ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ أي: بين أيديهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: عسيرًا شديدًا(٦)، كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: يتركون الإيمان بيوم القيامة.

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن ٥/ ١٠٨ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٧ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٣ . ورجح ابن العربي أنه للندب.

(٢) ص٣٢٠ من هذا الجزء.

(٣) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص١٠٧ ، وصدره: يوماً بأطيب منها نشر رائحة، وسلف ٩/ ٤٣٥ .

(٤) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ١٤١ ، وسلف ٩/ ٤٣٥ .

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٠ .

(٦) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١ ، وينظر الكشاف ٤/ ٢٠٠ - ٢٠١ .

وقيل: «وَرَاءَهُمْ» أي: خلفهم[١]، أي: ويذرون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون لها.

وقيل: نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحةِ نبوَّته. وحبُّهم العاجلة: أخذُهم الرُّشا على ما كتموه.

وقيل: أراد المنافقين؛ لاستبطانهم الكفرَ وطلب الدنيا. والآية تعمّ. واليوم الثقيل يوم القيامة. وإنما سمِّي ثقيلًا لشدائده وأهواله. وقيل: للقضاء فيه بين عباده[٢].

قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: من طين. ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ﴾ أي: خَلْقهم؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم[٣]. والأَسْر: الخَلْق؛ قال أبو عُبيد: يقال: فرس شديد الأَسْر، أي: الخَلْق. ويقال: أسره الله جلَّ ثناؤه: إذا شَدَّد خَلْقه؛ قال لبيد:

سـاهِـمُ الـوجـهِ شـديـدٌ أَسْـرهُ ... مُشْرِفُ الحارِكِ مَحبوكُ الكَتَدْ[٤]

وقال الأخطل:

مِـن كـلِّ مُـجـتَـنِـبٍ شـديـدٍ أَسْـرهُ ... سَلِسِ القِيادِ تَخالُه مُختالا[٥]

وقال أبو هريرة والحسن والربيع: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضَها إلى بعض بالعروق والعصب[٦].

وقال مجاهد في تفسير الأَسْر: هو الشَّرْج، أي: إذا خرج الغائط والبول

---

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٣٣ عن مجاهد.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٣ .

(٣) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٥٧٥ - ٥٧٦ عدا قول مقاتل، وهو في تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ .

(٤) شرح ديوانه ص١٨٧ برواية: مُغْبَط الحارك محبوك الكَفَل. الحارك: فروع الكتفين، وهو أيضًا الكاهل. الغبيط: قتب الهودج، فقوله: مغبط الحارك، أي: كأن ظهره غبيط. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع. الكتد: موصل العنق في الظهر.

(٥) ديوانه ص٤٦ .

(٦) قول أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٧٦ ، وقول الحسن في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١ ، وقول الربيع في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥ .

تقبَّضَ الموضعُ[١].

وقال ابن زيد: الأسر: القوّة[٢]. وقال ابن أحمر يصف فرسًا:

يَـمـشـي بِـأَوظِـفـةٍ شِـدادٍ أَسْـرُهـا   صُـمِّ[٣] السَّـنابكِ لا تقي بالـجَـدْجَدِ

واشتقاقه من الإسار، وهو القِدُّ الذي يشدُّ به الأقتاب؛ يقال: أَسَرْتُ القَتَبَ أَسْرًا، أي: شددتُه وربطتُه؛ ويقال: ما أحسن أَسْرَ قَتَبِه، أي: شدَّه ورَبْطَه[٤]؛ ومنه قولهم: خذه بِأَسْرِه: إذا أرادوا أن يقولوا: هو لك كلُّه؛ كأنهم أرادوا تَعْكِيمه[٥] وشدّه لم يُفتَح ولم يُنقَص منه شيء. ومنه الأسير، لأنه كان يُكَتَّف بالإسار. والكلام خرج مَخرجَ الامتنان عليهم بالنِّعَم حين قابلوها بالمعصية. أي: سَوَّيتُ خَلْقك وأحكمتُه بالقوى ثم أنت تكفر بي!

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ قال ابن عباس: يقول: لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوعَ للّه منهم. وعنه أيضاً: لغيَّرنا محاسنهم إلى أسمج الصُّورَ وأقبحها. كذلك روى الضحَّاك عنه. والأوَّل رواه عنه أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ

(١) الوسيط للواحدي ٤/٤٠٦، وتفسير البغوي ٤/٤٣١.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٧٦.

(٣) في النسخ الخطية: شم، وهو موافق لما في كتاب الحيوان للجاحظ ٣/٥٢٣، والمثبت من (م)، وهو موافق لما في النكت والعيون ٦/١٧٣. الأوظفة: جمع وظيف: وهو مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها. السنابك: جمع سُنْبُك: وهو طرف الحافر. الجدجد: الأرض الصلبة المستوية. القاموس (وظف) (سنبك) (جدد).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن ص٥٠٤.

(٥) عكم المتاع: شدّه. الصحاح (عكم).

﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طَريقًا موصلًا إلى طاعته وطلب مرضاته. وقيل: «سَبِيلًا» أي: وسيلة. وقيل: وِجْهةً وطريقًا إلى الجنة. والمعنى واحد.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: الطاعة والاستقامة واتخاذَ السبيل إلى الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فأخبر أنَّ الأمر إليه سبحانه ليس إليهم، وأنه لا تَنْفذ مشيئة أحدٍ ولا تتقدَّم. إلّا أن تتقدَّم مشيئته.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «وَمَا يَشَاؤونَ» بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه[١]. وقيل: إنَّ الآية الأولى منسوخةٌ بالثانية. والأشبه أنه ليس بنسخ، بل هو تبيين أنَّ ذلك لا يكون إلا بمشيئته.

قال الفرَّاء[٢]: «وَما تشاؤون إِلّا أَنْ يشاءَ الله» جوابٌ لقوله: «فمَن شاء اتَّخذ إِلى ربِّه سبيلًا» ثم أخبرهم أنَّ الأمر ليس إليهم فقال: «وَمَا تَشَاؤونَ» ذلك السبيلَ «إِلّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ» لكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأعمالكم ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه لكم. وقد مضى في غير موضع.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: يدخله الجنة راحمًا له ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: ويعذِّب الظالمين، فنصبه بإضمار: يعذِّب. قال الزجَّاج[٣]: نصب الظالمين لأن قبله منصوب، أي: يُدخل من يشاء في رحمته ويعذِّب الظالمين، أي: المشركين، ويكون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمَر؛ كما قال الشاعر:

أصبحتُ لَا أَحمِلُ السِّلاحَ ولا ... أَمْلِكُ رأسَ البعيرِ إِنْ نَفَرا
والذِّئبَ أَخشاهُ إِنْ مررتُ به ... وحدي وأَخشى الرِّياحَ والمَطَرا[٤]

---

(١) التيسير ص٢١٨، وينظر السبعة ص٦٦٥، وقرأ: يشاؤون، بالياء، أيضاً: ابن عامر الشامي.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٠.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٤.

(٤) البيتان للربيع بن ضبع الفزاري، وهما في الأمالي لأبي علي ٢/ ١٨٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٣٧، ومجمع الأمثال ٢/ ١٨٠.

أي: أخشى الذئب أخشاه.

قال الزجَّاج[١]: والاختيار النصب وإن جاز الرفع؛ تقول: أعطيت زيدًا وعَمرًا أعددت له بِرًّا، فيختار النصب، أي: وبَرَرْت عَمرًا أو أَبَرُّ عَمراً. وقوله: في «حم عسق»: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢] ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصبَ في المعنى؛ فلم يجز العطف على المنصوب قبله، فارتفع بالابتداء، وها هنا قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ يدل على: ويعذِّب، فجاز النصب.

وقرأ أبان بن عثمان: «وَالظَّالِمونَ» رفعًا بالابتداء[٣]، والخبر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مُؤلِمًا مُوجِعًا. وقد تقدَّم هذا في سورة البقرة وغيرِها[٤]، والحمدُ لله. ختمت السورة.

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٤ .

(٢) تمامها: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨].

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٦ ، والمحتسب ٢/ ٣٤٤ .

(٤) ١/ ٣٠١ .

سورة المرسلات

مكّيَّةٌ في قول الحسن وعِكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [الآية:٤٨] مدنيَّة(١).

وقال ابن مسعود: نزلت ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ على النبيِّ ﷺ ليلةَ الجنِّ ونحن معه نسير، حتى أوينا إلى غار بمنىً فنزلت، فبينا نحن نتلقَّاها منه، وإنَّ فاه لَرَطْبٌ بها إذ وَثَبَت حيَّةٌ، فوثبنا عليها لنقتلَها فذهبت، فقال النبيُّ ﷺ: «وُقيتم شرَّها كما وُقِيَتْ شرَّكم»(٢).

وعن كُريب مولى ابن عباس قال: قرأت سورة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، فسمعَتني أُمُّ الفضل امرأةُ العباسِ، فبكت وقالت: واللهِ يا بنيَّ لقد ذكَّرتَني(٣) بقراءتك هذه السُّورةَ، إنها لَآخِرُ ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ بها في صلاة المغرب(٤). والله أعلم.

وهي خمسون آية(٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ جمهور المفسرين على أن المرسلات الرِّياحُ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٥٧٤)، والبخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤).

(٣) في (ز) و(ظ) و(م) و(ي): أذْكَرْتَني . والمثبت من (د) ومصادر التخريج الآتية الذكر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٨٨٤)، والبخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٤ .

وروى مسروق عن عبد الله قال: هي الملائكة أُرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبرِ والوحي. وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح والكلبيِّ[١]. وقيل: هم الأنبياء أُرسلوا بلا إله إلا الله؛ قاله ابن عباس. وقال أبو صالح: إنهم الرسل تُرْسَل بما يُعْرَفون به من المعجزات[٢]. وعن ابن عباس وابن مسعود: إنها الرياح[٣]؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ومعنى «عُرْفاً»: يتبع بعضُها بعضاً كعُرْفِ الفَرَس؛ تقول العرب: الناس إلى فلان عُرْفٌ واحد: إذا توجهوا إليه فأكثروا[٤]. وهو نصب على الحال من «والْمُرْسَلَاتِ» أي: والرياح التي أرسلت متتابعةً. ويجوز أن تكون مصدراً، أي: تِباعاً. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حرف[٥] الجر، كأنه قال: والمرسلات بالعُرْف، والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل[٦]. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب، لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أُرسلت إليه. وقيل: إنها الزواجر والمواعظ. و«عُرْفاً» على هذا التأويل متتابعات كعرف الفرس؛ قاله ابن مسعود. وقيل: جاريات؛ قاله الحسن؛ يعني في القلوب. وقيل:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٢ عن ابن مسعود وأبي صالح، وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١١ عن أبي هريرة ﷺ، وذكره أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٤ عن مقاتل والكلبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤١٦ عن أبي صالح مختصراً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٠ .

(٤) كذا في (د) و(م) وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٨٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٦ ، ووقع في (ظ): سار الناس إلى فلان عُرفاً واحداً، وهو بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٤ .

(٥) في (ظ): حذف.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩١ ، وإملاء ما من به الرحمن ٤/ ٤٤١-٤٤٢ ، والرازي ٣٠/ ٢٦٤ .

معروفات في العقول[١].

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: الرياح بغير اختلاف، قاله المهدويُّ. وعن ابن مسعود: هي الرياح العواصف[٢] تأتي بالعصف، وهو ورق الزرع وحُطَامُه، كما قال تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ [الإسراء: ٦٩]. وقيل: العاصفات الملائكةُ الموكَّلون بالرياح يَعصِفون بها. وقيل: الملائكة تعصف بروح الكافر[٣]، يقال: عصف بالشيء أي: أباده وأهلكه، وناقة عَصُوف أي: تعصف براكبها، فتمضي كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم أي: ذهبت بهم[٤]. وقيل: يحتمل أنها الآيات المُهْلِكة؛ كالزلازل والخسوف[٥].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الملائكة الموكَّلون بالسُّحُب يَنْشُرونها. وقال ابن مسعود ومجاهد: هي الرياحُ يرسلها اللهُ تعالى نشراً بين يدي رحمته[٦]، أي: تنشر السحاب للغيث. وروي ذلك عن أبي صالح. وعنه أيضاً: الأمطار، لأنها تنشر النبات[٧]، فالنشر بمعنى الإحياء، يقال: نشر اللهُ الميِّت وأنشره، أي: أحياه[٨]. وروى عنه السديُّ: أنها الملائكة تنشر كتبَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٩]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم. الضحاك: إنها الصحف تُنْشَر على الله بأعمال العباد. وقال الربيع: إنه البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح[١٠]. قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٥-١٧٦ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٥ ، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ بنحوه .

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٦-٥٨٧ بنحوه.

(٨) الكلام بنحوه في الصحاح (نشر).

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٧.

(١٠) النكت والعيون ٦/ ١٧٦ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٥ .

«وَالنَّاشِرَاتِ» بالواو، لأنه استئناف قسم آخر.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: الملائكة تنزل بالفَرْق بين الحقِّ والباطل، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح(١). وروى الضحاك عن ابن عباس قال: ما تفرِّق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدِّده(٢). وعن سعيد عن قتادة قال: «الْفَارِقاتِ فَرْقاً»: الفرقان، فَرَّق الله فيه بين الحقِّ والباطل والحرام والحلال. وقاله الحسن وابن كيسان(٣).

وقيل: يعني الرسل(٤) فَرَقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه، أي: بَيَّنوا ذلك. وقيل: السحابات الماطرة تشبيهاً بالناقة الفارق، وهي الحامل التي تخرج وتَنِدُّ في الأرض حين تضع، ونوق فَوارِقُ وفُرَّق. [وربما] شَبَّهوا السحابةَ التي تنفرد من السَّحاب بهذه الناقة(٥)، قال ذو الرمَّة:

أَوْ مُـزْنَـةٌ فـارِقٌ يَـجْـلـو غَـوارِبَـهَـا … تَبَـوُّجُ الْـبَـرْقِ والـظَّـلْـمَـاءُ عُـلْـجُـومُ(٦)

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة بإجماع، أي: تلقي كتب الله عزَّ وجلَّ إلى الأنبياء عليهم السلام، قاله المهدوي(٧). وقيل: هو جبريل. وسمي باسم الجمع؛ لأنه كان

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٧-٥٨٨ عن ابن عباس وأبي صالح.

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٤٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٢، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٨٨ عن سعيد عن قتادة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧.

(٥) الصحاح (فرق) وما بين حاصرتين منه. وجاءت في النسخ الخطية: فشبهوا.

(٦) البيت في شرح ديوان ذي الرُّمة ١/ ٣٩٣-٣٩٤. قوله مزنة فارق، أي: سحابة منفردة. ويجلو غواربَها، أي: يكشف أعاليها. وتبوّج البرق، أي: تكشُّفه وتفتُّحه. وعلجوم: شديد السَّواد.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ بنحوه، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦ دون نسبة.

ينزل بها[١]. وقيل: المراد الرسل يُلقون إلى أممهم ما أنَزل الله عليهم، قاله قُطْرب[٢]. وقرأ ابن عباس: «فَالملقَّيات» بالتشديد مع فتح القاف[٣]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل:٦].

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: أي: تلقي الوحي إعذاراً من الله، أو إنذاراً إلى خلقه من عذابه، قاله الفراء[٤]. وروي عن أبي صالح قال: يعني الرسل يُعذِرون ويُنذِرون. وروى سعيد عن قتادة: «عُذْراً» قال: عذراً لله جلَّ ثناؤه إلى خلقه، ونُذْراً للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به. وروى الضحاك عن ابن عباس: «عُذْراً» أي: ما يلقيه الله، جلَّ ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة، «أَوْنُذْراً»: يُنذر أعداءه.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص: «أَوْنُذْراً» بإسكان الذال، وجميع السبعة على إسكان ذال«عُذْراً» سوى ما رواه الجُعْفيُّ والأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه ضم الذال[٥]. وروي ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما. وقرأ إبراهيم التَّيمي وقتادة: «عُذْراً وَنُذْراً» بالواو العاطفة، ولم يجعلا بينهما ألفاً[٦].

وهما منصوبان على المفعول له، أي: للإعذار أو للإنذار. وقيل: على المفعول به؛ قيل: على البدل من «ذِكْراً» أي: فالملقيات عذراً أو نذراً[٧].

وقال أبو علي[٨]: يجوز أن يكون العذُر والنذُر بالتثقيل على جمع عاذر وناذر،

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٥ بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ ، وزاد المسير ٨/ ٤٤٦ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧ ، والمحتسب ٢/ ٣٤٥ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٢ ، ونقله ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٦ بنحوه.

(٥) السبعة ص٦٦٦ ، والتيسيرص٢١٨ ، والقراءة المشهورة عن عاصم من رواية شبعة كقراءة الجماعة: نُذراً. وينظر جامع البيان في القراءات السبع ٢/ ٤٧٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥ .

(٧) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٧ .

(٨) في الحجة ٦/ ٣٦٣ .

كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] فيكون نصباً على الحال من الإلقاء، أي: يُلقون الذكر في حال العذر والإنذار. أو يكون مفعولاً لـ «ذكراً» أي: «فَالْمُلْقِيات» أي: تُذَكِّر «عُذْراً أَوْنُذْراً».

وقال المبرِّد: هما بالتثقيل جمع الواحد: عَذير ونَذير.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا جواب ما تقَّدم من القسم، أي: ما توعدون من أمر القيامة لوَاقع بكم ونازلٌ عليكم، ثم بيَّن وقت وقوعه فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: ذهب ضوؤها ومُحي نورُها كطمسِ الكتاب[(١)]؛ يقال: طَمَس الشيء: إذا دَرَسَ وطُمِس، فهو مطموس[(٢)]، والريحُ تطمُس الآثارَ، فتكون الريح طامسةً، والأثر طامساً بمعنى مطموس.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي: فُتِحت وشُقَّت[(٣)]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[النبأ: ١٩]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: فُرِجت للطيِّ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي: ذُهب بها كلِّها بسرعة؛ يقال: نَسَفْتُ الشيءَ وأنسفته: إذا أخذتَه كلَّه بسرعة[(٤)]. وكان ابن عباس والكلبيُّ يقول: سُوِّيَت بالأرض[(٥)]، والعرب تقول: فَرَسٌ نَسُوف: إذا كان يؤخِّر الحزام بمرفقيه[(٦)]؛ قال بِشْر:

نَسُوفٌ للحِزَام بمرفقيها[(٧)]

ونَسَفَت الناقةُ الكلأ: إذا رعته. وقال المبرِّد: نُسِفت: قُلعَت من موضعها؛ يقول

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ .

(٢) ينظر الصحاح (طمس).

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٧٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٦ ، ونقله عن ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٧ عن الكلبي.

(٦) الكلام بنحوه في الصحاح (نسف).

(٧) قائله هو بشر بن أبي خازم، والبيت في ديوانه ص١١١ ، وعجزه: يَسدُّ خَوَاءَ طَبْيَيْها الغبارُ.

الرجل للرجل يقتلع رجليه من الأرض: أَنْسَفت رجلاه. وقيل: النَّسْف: تفريقُ الأجزاء حتى تذروها الرياح. ومنه نسف الطعام؛ لأنه يُحرَّك حتى يُذهِب الريحُ بعضَ ما فيه من التِّبْن[١].

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: جمعت لوقتها ليوم القيامة، والوقت: الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخَّر إليه؛ فالمعنى: جعل لها وقت وأجَل للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم[٢]؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة:١٠٩]. وقيل: هذا في الدنيا أي: جُمعت الرسل لميقاتها الذي ضُرب لها في إنزال العذاب بمن كذَّبهم بأن الكفَّار مُمْهَلون، وإنما تزول الشكوك يوم القيامة. والأوّل أحسن؛ لأن التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة، كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء، ولا يليق به التأقيت قبل يوم القيامة.

قال أبو علي[٣]: أي جعل يوم الدين والفصل لها وقتاً. وقيل: أُقِّتت: وُعِدت وأُجِّلت. وقيل: «أُقِّتَتْ» أي: أرسلت لأوقات معلومةٍ على ما علمه اللهُ وأراد.

والهمزة في «أُقِّتَتْ» بدلٌ من الواو؛ قاله الفراء والزجاج[٤]. قال الفراء: وكلُّ واو ضُمَّت وكانت ضمتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة[٥]؛ تقول: صلَّى القوم أُحْداناً، تريد: وُحْداناً، ويقولون: هذه وُجُوه حسان [وأُجُوه][٦]. وهذا لأن ضمة الواو ثقيلة. ولم يجز البدل في قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] لأن الضمة غير لازمة[٧].

---

(١) في (د) النتن.

(٢) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٣) في الحجة ٦/ ٣٦٤-٣٦٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وللزجاج ٥/ ٢٦٦ ، ونقله عنهما ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٧ .

(٥) من قوله: وكل واو ضمت إلى هنا هو من قول الزجاج.

(٦) ما بين حاصرتين ليس في النسخ، وهي زيادة يقتضيها الكلام، وينظر الكامل للمبرد ١/ ٨١ .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٦٩ .

وقرأ أبو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد: «وُقِّتَتْ» بالواو وتشديد القاف على الأصل [١]. وقال أبو عمرو: وإنما يقرأ «أُقِّتَتْ» مَن قال في وُجُوه أُجُوه. وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج: «وُقِتَت» بالواو وتخفيف القاف [٢]. وهو فُعِلَت من الوقت، ومنه: ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. وعن الحسن أيضاً: «وُوقِتَتْ» بواوين، وهو فُوعِلت [٣] من الوقت أيضاً، مثل: عُوهِدت. ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفاً لجاز. وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلّام: «أُقِتَتْ» بالهمزة والتخفيف [٤]؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالألف.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: أُخِّرت، وهذا تعظيم لذلك اليوم، فهو استفهام على التعظيم [٥]. أي: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أُجِّلَت. وروى سعيد عن قتادة قال: يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار [٦]. وفي الحديث: «إذا حُشِرَ الناسُ يوم القيامة قاموا أربعين عاماً على رؤوسهم الشمسُ، شاخصةً أبصارهم إلى السماء ينتظرون الفصل» [٧].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أتبع التعظيم تعظيماً؛ أي: وما علمُك بيوم الفصل [٨]؟

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عذاب وخزي لمن كَذَّب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل، فهو وعيد. وكرَّره في هذه السورة عند كلِّ آية لمن كذب؛ لأنه قسمه بينهم

(١) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨، وقراءة الحسن في المحتسب ٢/ ٣٤٥.

(٢) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٩٧ وهي من العشرة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٨، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٥، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٥) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٤٤٧.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٩٣.

(٧) سلف بنحوه ص١٧٨ من هذا الجزء عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٤٨: وسنده حسن.

(٨) في (د) و(م): وما أعلمك مايوم الفصل. والمثبت من باقي النسخ الخطية، وهو الموافق لما في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٠، والكلام منه.

على قدر تكذيبهم، فإن لكل مَكذِّب بشيء عذاباً سوى تكذيبه بشيء آخر، ورُبَّ شيء كَذَّب به هو أعظم جُرْماً من تكذيبه بغيره، لأنه أقبح في تكذيبه، وأعظم في الردِّ على الله، فإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك، وعلى قدر وفاقه، وهو قوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ [النبأ:٢٦]. وروي عن النعمان بن بشير أنه قال: وَيْلٌ: وادٍ في جهنم فيه ألوان العذاب[١]. وقاله ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: إذا خَبَتْ جهنمُ أُخذ من جمره فألقي عليها، فيأكل بعضُها بعضاً. وروي أيضاً عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «عُرِضت عليَّ جهنم، فلم أرَ فيها وادياً أعظم من الويْل»[٢].

وروي أنه مَجْمَعُ ما يَسيل من قيحِ أهل النار وصديدِهم[٣]، وإنما يَسيل الشيء فيما سفل من الأرض وانفطَر، وقد علم العباد في الدنيا أن شرَّ المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الأدناس والأقذارِ والغُسالات من الجيف وماءِ الحمامات، فذكر أن ذلك الوادي مستنقعُ صديدِ أهل الكفر والشرك، ليعلم ذوو العقولِ أنه لاشيء أقذر منه قذارةً، ولاأنتن منه نَتْنا، ولا أشد منه مرارةً، ولاأشدّ سواداً منه، ثم وصفه رسولُ الله ﷺ بما تضمن من العذاب، وأنه أعظم وادٍ في جهنم، فذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضين من لدن آدم إلى محمدٍ ﷺ[٤]. ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: نُلحق الآخِرين بالأولين.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤١٨ وسلف الكلام فيه ٢/٢٢١.

(٢) لم نقف عليه

(٣) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن مسعود كما في الدر المنثور ٦/٣٠٣، وذكره الطبري ٢٣/٥٩٣.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/٥٩٤.

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: مثل ما فعلناه بمن تقدَّم نفعل بمشركي قريش، إما بالسيف وإما بالهلاك[(١)].

وقرأ العامة: «ثُمَّ نُتۡبِعُهُم» بالرفع على الاستئناف[(٢)]، وقرأ الأعرج: «نُتْبِعْهُمْ» بالجزم[(٣)] عطفاً على «نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ» كما تقول: ألم تزرني ثم أكرمك. والمراد أنه أهلك قوماً بعد قومٍ على اختلاف أوقات المرسَلين. ثم استأنف بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يريد من يهلك فيما بعد. ويجوز أن يكون الإسكان تخفيفاً من «نُتۡبِعُهُم» لتوالي الحركات[(٤)]. وروي عنه الإسكان للتخفيف. وفي قراءة ابن مسعود: «ثُمَّ سَنُتْبِعُهُمُ»[(٥)] والكاف من «كَذَلِكَ» في موضع نصب، أي: مثل ذلك الهلاك نفعله بكلِّ مشرك[(٦)]. ثم قيل: معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً. وقيل: هو إخبار بعذابهم في الآخرة[(٧)].

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ أي: ضعيف حقير، وهو النطفة، وقد تقدَّم[(٨)]. وهذه الآية أصلٌ لمن قال: إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. وقد مضى القول فيه[(٩)].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٧٨ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٣ .

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٧ ، والمحتسب٢/ ٣٤٦ .

(٤) المحتسب ٢/ ٣٤٦ بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٣ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢٧١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٥ ، وجاء في معاني الفراء ٣/ ٢٢٣، وزاد المسير ٨/ ٤٤٧ : وسنتبعهم.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٧ بنحوه.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٧٨ .

(٨) ١٧/ ١٥ .

(٩) ١٩/ ٤١٣ ، وينظر ١٤/ ٣١٣ .

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: في مكان حَريزٍ وهو الرَّحم[١]. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ قال مجاهد: إلى أن نصوِّره. وقيل: إلى وقت الولادة[٢]. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ وقرأ نافع والكسائيُّ: «فَقَدَّرْنَا» بالتشديد، وخفَّف الباقون[٣]، وهما لغتان بمعنىً. قاله الكسائيُّ والفراء[٤] والقُتَبيُّ. قال القُتَبي[٥]: قَدَرْنا بمعنى قدَّرنا مشدَّدة: كما تقول: قَدَرْت كذا وقدَّرته، ومنه قول النبيِّ ﷺ في الهلال: «إذا غُمَّ عليكم فاقْدُرُوا له»[٦] أي: قدِّروا له المسيرَ والمنازل.

وقال محمد بن الجهم عن الفراء: «فَقَدَّرْنَا» قال: وذُكر تشديدها عن عليٍّ ﷺ وتخفيفها، قال: ولا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً؛ لأن العرب تقول: قَدَر عليه الموت وقَدَّر، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] قرئ بالتخفيف والتشديد، وقَدَر عليه رِزقه وقَدَّر. قال: واحتج الذين خفَّفوا فقالوا؛ لوكانت كذلك لكانت: فنعم المقدِّرون. قال الفراء: وتجمع العرب بين اللغتين، قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[٧] [الطارق: ١٧] قال الأعشى[٨]:

وأنْكَرَتني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

ورُوي عن عكرمة: «فَقَدَرْنا» مخففة من القدرة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائيِّ لقوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ ومن شدَّد فهو من التقدير، أي: فقدَّرنا الشقيَّ

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٥، و النكت والعيون ٦/ ١٧٨ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٣.

(٣) السبعة ص٦٦٦، والتيسير ص٢١٨.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٢٢٣.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص٥٠٦.

(٦) أخرجه الإمام أحمد(٤٤٨٨)، والبخاري (١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسلف ٣/ ١٥٥.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٨-٤٤٩ بنحوه.

(٨) في ديوانه ص١٥١، وسلف ١١/ ١٦٢-١٦٣

والسعيد، فنعم المقدِّرون. رواه ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ[١]. وقيل: المعنى قدَّرنا قصيراً أو طويلاً. ونحوه عن ابن عباس: قدرنا ملَكنا. المهدوي: وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف.

قلت: هو صحيح، فإن عكرمة هو الذي قرأ: «فَقَدَرْنا» مخفَّفاً قال: معناه: فملكْنا فنعم المالكون[٢]، فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين، أي: قدَّرنا وقتَ الولادة وأحوالَ النطفةِ في التنقيل من حالة إلى حالة حتى صارت بشراً سويًّا، أو الشقيَّ والسعيد، أو الطويل والقصير[٣]، كلُّه على قراءة التشديد. وقيل: هما بمعنىً كما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: ضامَّة؛ تضمُّ الأحياءَ على ظهرها[٤] والأمواتَ في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراةِ الميت ودفنه، ودفن شعَرِه وسائر مايزيله عنه[٥]. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «قُصُّوا أظافيركم[٦] وادفنوا قُلاَماتِكم». وقد مضى في«البقرة» بيانُه[٧]. يقال: كَفَتُّ الشيء أَكْفِته: إذا

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤١٨-٤١٩ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٩٦ عن الضحاك.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/٤٠٨ عن الكلبي بنحوه.

(٤) في(د) و(م) و(ي): ظهورها. والمثبت من (ز) (ظ)، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩ ، والكلام فيه بنحوه.

(٥) بنحوه في أحكام القرآن للكيا ٤/٤٢٨ ، ولابن العربي ٤/١٨٨٨ .

(٦) في (ظ)و(م) أظافركم. والمثبت من (د) ونوادر الأصول ص٤٥ .

(٧) ذكره الحكيم الترمذي في نوادره ص٤٥ ، من حديث عبدالله بن بسر المازني ﷺ مرفوعاً والخبر ضعيف جداً، وسلف ٢/٣٥٨ - ٣٥٩، وينظر فتح الباري١٠/ ٣٣٨ .

جمعتَه وضممتَه، والكَفْت: الضمُّ والجمع[1]، وأنشد سيبويه.

كِرامٌ حينَ تَنْكَفِتُ الأفَاعي إلى أحْجَارهنَّ من الصَّقِيعِ[2]

وقال أبو عبيدة[3]: «كِفَاتاً»: أوعية. ويقال للنِّحْي[4]: كِفْت وكَفِيت؛ لأنه يحوي اللبن ويضمه قال:

فأنت اليومَ فوقَ الأرضِ حَيًّا وأنت غداً تَضُمُّك[5] في كِفَاتِ

وخرج الشَّعبيُّ في جنازة، فنظر إلى الجَبَّان فقال: هذه كِفات الأموات، ثم نظر إلى البيوت فقال: هذه كِفات الأحياء[6].

و[الثانية]: روي عن ربيعة في النَّبَّاش قال: تقطَع يده، فقيل له: لِم قلت ذلك؟ قال: إن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ فالأرض حِرْزٌ[7]. وقد مضى هذا في سورة المائدة[8]. وكانوا يسمُّون بَقِيع الغَرْقد كَفْتَةً؛ لأنه مقبرة تضم الموتى[9]، فالأرض تضم الأحياءَ إلى منازلهم والأموات في قبورهم. وأيضاً استقرار الناس على وجه الأرض، ثم اضطجاعهم عليها، انضمامٌ منهم إليها. وقيل: هي كِفاتٌ للأحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض؛ إذ لا ضَمَّ

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٠٨ بنحوه.

(٢) الكتاب ٣/ ٥٧٧، والبيت لابن مقبل، وهو في ديوانه ص١٦٥ وروايته: مَقَارٍ، بدل: كرام. ومعناه كما قال شارحه: إن هؤلاء الناس يَقْرُون الضيوف في زمن الشدة حين يعزُّ الطعام.

(٣) في (د) و(ز) و(م): أبو عبيد، والمثبت من (ظ) و(ي)، والكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩٥.

(٤) النِّحْيُ: جَرَّة فخار يُجعل فيها لبنٌ ليُمخض. القاموس (نحى).

(٥) في النسخ الخطية: تُضَمَّنُ، والمثبت من (م) والنكت والعيون ٦/ ١٧٩، ونسبه الماوردي فيه للصمصامة بن الطِّرِمَّاح.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٩٧ بنحوه.

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٧٤ عنه، و الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٠٤ عن بعض أصحاب الشافعي.

(٨) ٧/ ٤٥٦.

(٩) تفسير غريب القرآن ص٥٠٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٩.

في كون الناس عليها، والضَّمّ يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه[(١)]. وقال الأخفش وأبو عبيدة ومجاهد في أحد قوليه: الأحياء والأموات ترجع إلى الأرض، أي: الأرض منقسمة إلى حيٍّ، وهو الذي ينبت، وإلى ميتٍ، وهو الذي لاينبت[(٢)]. وقال الفراء[(٣)]: انتصب «أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتاً» بوقوعِ الكِفات عليه، أي: ألم نجعل الأرضَ كِفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ. فإذا نوّنت نصبت، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥].

وقيل: نصب على الحال من الأرض[(٤)]، أي: منها كذا ومنها كذا. وقال الأخفش: «كِفَاتاً» جمع كافتة، والأرض يراد بها الجمع، فنعتت بالجمع.

وقال الخليل: التكفيت: تقليب الشيء ظهراً لبطن أو بطناً لظهر. ويقال: انكفت القومُ إلى منازلهم، أي: انقلبوا[(٥)]. فمعنى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها، وينقلبون إليها، ويدفنون فيها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ يعني الجبال، والرواسي الثوابت، والشامخات الطوال، ومنه يقال: شمخ بأنفه: إذا رَفَعَه كِبْراً[(٦)].

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي: وجعلنا لكم سُقْياً. والفُرَات: الماء العذب يُشرب ويُسقى منه الزرع. أي: خلقنا الجبال وأنزلنا الماء الفرات. وهذه الأمور أعجبُ من البعث[(٧)]. وفي بعض الحديث قال أبو هريرة: في الأرض من الجنة الفُرَاتُ

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٤.

(٢) الكلام بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٨١، وتفسير مجاهد ٢/ ٧١٦، ونقله عنهما ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٩، وعن مجاهد نقله الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٩، وعن الأخفش نقله أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٦.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٤، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٨، والكشاف ٤/ ٢٠٤

(٥) العين ٥/ ٣٤١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٩ بنحوه، وينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ١٥٩.

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٣٤ من قول مقاتل.

والدِّجلة[١] ونهرُ الأردن. وفي صحيح مسلم[٢]: سَيحان وَجَيْحان والنيل والفُرات كلٌّ من أنهار الجنة.

قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقال للكفار: سيروا «إِلَى مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» من العذاب، يعني النار، فقد شاهدتموها عِياناً. ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي: دخان ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يعني الدخان الذي يَرتفع ثم يتشعب إلى ثلاث شُعب. وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعَّبَ[٣]. ثم وصَف الظلَّ فقال: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: ليس كالظلِّ الذي يقي حَرَّ الشمس ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: لا يدفع من لهب جهنم شيئاً[٤].

واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت، من أحمر وأصفر وأخضر.

وقيل: إن الشُّعَب الثلاث هي الضريع والزَّقُّوم والغِسْلين، قاله الضحاك. وقيل: اللهب ثم الشَّرر ثم الدخان، لأنها ثلاثة أحوال، هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدَّت[٥].

وقيل: عُنُق يخرج من النار، فيتشعب ثلاث شعب [نورٌ ودخان ولهب]. فأما النورفيقف على رؤوس المؤمنين، وأما الدخان فيقف على رؤوس المنافقين، وأما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكافرين[٦].

---

(١) في النسخ الخطية: العجوة. والمثبت من (م)، ولم نقف عليه.

(٢) برقم(٢٨٣٩)، وسلف ١٦/ ٢٩ .

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨ بنحوه.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٩ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ ، وما بين حاصرتين منه.

وقيل: هو السُّرَادق، وهو لسان من النار يحيط بهم، ثم يتشعب منه ثلاث شعب، فتظللهم حتى يُفْرَغ من حسابهم إلى النار[١]. وقيل: هو الظلُّ من يَحْموم، كما قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٢-٤٤] على ماتقدَّم[٢]. وفي الحديث: إن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولالهم أكنان، فتلفحُهم الشمس[٣] وتأخذ بأنفاسهم، ومُدَّ ذلك اليوم، ثم ينجِّي الله برحمته من يشاء إلى ظلٍّ من ظلِّه، فهنالك يقولون: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]. ويقال للمكذبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله وعقابه ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾. فيكون أولياء الله جلَّ ثناؤه في ظلِّ عرشه، أو حيث شاء من الظلِّ، إلى أن يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكلِّ فريق إلى مستقرِّه من الجنة والنار.

ثم وصف النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ الشرر: واحده شررة. والشَّرار: واحدته شرارة، وهو ما تطاير من النار في كل جهة، وأصله من شَرَرْتُ الثوبَ: إذا بسطتَه للشمس ليجفَّ[٤]. والقصر: البناء العالي. وقراءة العامة: «كَالْقَصرِ» بإسكان الصاد، أي: الحصون والمدائن في العِظَم، وهو واحد القصور، قاله ابن عباس وابن مسعود[٥]. وهو في معنى الجمع على طريق الجنس[٦]. وقيل: القَصْر جمع قَصْرةٍ ساكنة الصاد، مثل جَمْرَة وجَمْر، وتَمْرة وتَمْر. والقصرة: الواحدة من جَزْل الحطب الغليظ[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٤ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٥ بنحوه، وتقدم ٢٠/ ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) في النسخ: ولا لهم أكفان فتلحقهم الشمس، وهو خطأ، وينظر تأويل مشكل القرآن ص٢٤٥ لابن قتيبة، والكلام له. ونقله عنه أبو الليث السمرقندي ٣/ ٤٣٦ بنحوه.

(٤) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٦ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦٠١ ، والبيهقي في الشعب (٥٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٨٠ ، والبغوي ٤/ ٤٣٤ عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٧ بنحوه.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٠٥ ، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٦١ من قول الحسن. وجَزْل الحطب: ما عَظُمَ منه وييس.

وفي البخاريِّ[(١)] عن ابن عباس أيضاً: ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ قال: كنَّا نَرفع الخشَبَ بقَصَرٍ ثلاثةَ أذرعٍ أو أقلَّ، فنرفعه للشتاء، فنسميه القَصَر.

وقال سعيد بن جُبير والضحاك: هي أصول الشجر والنخل العظام[(٢)] إذا وقع وقُطِع. وقيل: أعناقه.

وقرأ ابن عباس ومجاهد وحُميد والسُّلَميُّ: «كَالقَصَرِ» بفتح الصاد[(٣)]، أراد أعناق النخل. والقَصَرة العنق، جمعها: قَصَر وقَصَرات[(٤)]. وقال قتادة: أعناق الإبل[(٥)]. وقرأ سعيد بن جُبير بكسر القاف وفتح الصاد[(٦)]، وهي أيضاً جمع قَصْرة مثل بَدْرَة وبِدَر، وقَصْعة وقِصَع، وحَلْقَة وحِلَق، لِحلقِ الحديد. وقال: أبو حاتم: ولعله لغة، كما قالوا حاجَة وحِوَج[(٧)].

وقيل: القَصْر: الجبل، فشبَّه الشررَ بالقَصْر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجِمالات الصُّفْر، وهي الإبل السود، والعرب تسمي السُّود من الإبل صُفْراً[(٨)]، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلي منه وتلك رِكَابي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُها كالزَّبِيبِ[(٩)]

أي: هنَّ سود. وإنما سُمِّيت السُّود من الإبل صُفراً لأنه يشوب سوادَها شيءٌ من

(١) برقم (٤٩٣٢).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ .

(٣) المحتسب ٢/ ٣٤٦ ، والقراءات الشاذة ص١٧٦ عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٨٠ .

(٦) المحتسب ٢/ ٣٤٦ ، والقراءات الشاذة ص١٦٧ .

(٧) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٤٦ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٦-٤٣٧ ، وفي الصحاح (صفر)، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠ .

(٩) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٣٨٥ ، وسلف ٢/ ١٨٥ ، وجاءت روايته في (ي): تلك خيلي وتلك هي ركابي .

صُفرة، كما قيل لِبيض الظِّباء: الأُدْم، لأن بياضها تعلوه كُدْرةٌ، والشررُ إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبهُ شيء بالإبل السود، لما يشوبُها من صُفْرة[١]. وفي شعر عِمران بن حِطّان الخارجيِّ:

دَعَتْهُمْ بِأعلى صَوْتِها وَرَمَتْهُمُ ... بِمثلِ الجِمالِ الصُّفرِ نَزَّاعةُ الشَّوَى[٢]

وضعَّف الترمِذِيُّ[٣] هذا القول فقال: وهذا القول محال في اللغة، أن يكون شيء يشوبه شيء قليل، فينسب كله إلى ذلك الشائب، فالعجب لمن قد قال هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ فلا نعلم شيئاً من هذا في اللغة. ووجهه عندنا أن النار خُلِقت من النور، فهي نار مضيئة، فلما خلق الله جهنمَ ـ وهي موضع النار ـ حشا ذلك الموضع بتلك النار، وبعث إليها سلطانه وغضبه، فاسودَّت من سلطانه وازدادت حِدَّةً، وصارت أشدَّ سواداً من النار ومن كلِّ شيء سواداً، فإذا كان يوم القيامة وجيء بجهنم في الموقف رمت بشررها على أهل الموقف، غضباً لغضب الله، والشررُ هو أسود؛ لأنه من نار سوداء، فإذا رمته[٤] النار بشررها فإنها ترمى الأعداء به، فهنَّ سود من سواد النار، لايصل ذلك إلى الموحِّدين؛ لأنهم في سرداق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف، وهو الغمام الذي يأتي فيه الربُّ تبارك وتعالى، ولكن يعاينون ذلك الرميَ، فإذا عاينوه نزع اللهُ ذلك السلطان والغضبَ عنه في رأي العين منهم حتى يروها صفراء؛ ليعلم الموحِّدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه.

وكان ابن عباس يقول: الجِمالات الصُّفر: حِبال السفن يُجمع بعضُها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال. ذكره البخاريُّ[٥]، وكان يقرؤها: «جُمَالَاتٌ» بضم

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٣٥ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٤ ، وذكره السمين في الدر ١٠/ ٦٤٢ .

(٣) في (د): اليزيدي.

(٤) في (م) رمت.

(٥) برقم (٤٩٣٣) .

الجيم[(١)]، وكذلك قرأ مجاهد وحُميد[(٢)]: «جُمَالاَت» بضم الجيم، وهي الحِبال الغِلاظ، وهي قُلُوس السفينة، أي: حبالها، وواحد القُلُوس: قَلْس[(٣)]. وعن ابن عباس أيضاً على أنها قطع النحاس[(٤)]. والمعروف في الحبل الغليظ: جُمَّل؛ بتشديد الميم كما تقدم في «الأعراف»[(٥)].

و«جُمَالاَت» بضم الجيم: جمع جِمالة بكسر الجيم مُوَحَّداً، كأنه جمع جَمَل، نحو حَجَر وحجارة، وذَكَر وذِكَارة[(٦)]. وقرأ يعقوب وابن أبي إسحاق وعيسى والجَحْدَريُّ: «جُمَالة» بضم الجيم موحداً وهي الشيء العظيم المجموع بعضُه إلى بعض[(٧)]. وقرأ حفص وحمزة والكسائي: «جِمَالة» وبقية السبعة: «جِمَالَات»[(٨)]

قال الفراء[(٩)]: يجوز أن تكون الجِمالات جمع جِمال كما يقال: رجل ورِجال ورِجالات.

وقيل: شبهها بِالجِمالات لسرعة سيرها. وقيل: لمتابعة بعضها بعضاً[(١٠)].

والقَصْر: واحدُ القصور. وقصْر الظلام: اختلاطُه. ويقال: أتيته قصراً، أي: عَشيّاً، فهو مشترك، قال:

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٤٧ .

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥١ عن حُميد قراءة «جُمالة» بالإفراد.

(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦٠٨ ، والبيهقي في البعث (٥٧١).

(٥) ٩/ ٢٢٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨ .

(٧) كذا نقل المصنف من قراءة يعقوب عن البغوي في تفسيره ٤/ ٤٣٥ ، والذي ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥١ ،وابن الجزري في النشر ٢/ ٣٩٧ من رواية رويس عنه: جُمالات، على الجمع وضم الجيم.

(٨) السبعة ص٦٦٦ ، والتيسير ص٢١٨ .

(٩) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٥ .

(١٠) النكت والعيون ٦/ ١٨٠ .

كَـأَنَّـهُـمُ قَـصْـراً مَـصـابِـيـحُ راهِـبٍ بِـمَـوْزَنَ رَوَّى بـالـسَّـلِـيـطِ ذُبـالَـهـا[١]

مسألة: في هذه الآية دليل على جواز ادِّخار الحطب والفحم وإن لم يكن من القوت، فإنه من مصالح المرء ومغاني مفاقِرِهِ. وذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت حاجته، ليكون أرخص، وحالة وجوده أمكن، كما كان النبيُّ ﷺ يدَّخر القوت[٢] في وقت عموم وجوده من كسبه وماله، وكلُّ شيء محمول عليه[٣]. وقد بين ابن عباس هذا بقوله: كنا نعمَد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثَة أذرع وفوق ذلك ودونه وندَّخره للشتاء، وكنا نسميه القَصَر[٤]. وهذا أصحُّ ما قيل في ذلك. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها[٥]، ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل[٦]. وعن عِكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ و﴿فلا تَسْمَع إلا هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨] وقد قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] فقال له: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فإن لكل مقدار من هذه الأيام لوناً من هذه الألوان.

---

(١) البيت لكثيِّر عزة، وهو في ديوانه ص٢٢٦، والصحاح (قصر)، وقوله: بموْزَن، هو بلد بالجزيرة ثم ديار مضر، فتحه عياض بن غنم صلحاً كما ذكر ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٢٢١-٢٢٢. والسَّليط: الزيت. والذُّبال: الفتيل. القاموس المحيط (سلط ـ ذبل).

(٢) ينظر ما سلف ١٠/ ١٥٩-١٦٠.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٠.

(٤) سلف ص٥١٠ من هذا الجزء.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٧ بنحوه.

وقيل: لاينطقون بحجة نافعة، ومَن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نَطَق. قال الحسن: لاينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون[١].

وقيل: إن هذا وقت جوابهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] وقد تقدَّم[٢].

وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤيةُ الهيبة وحياءُ الذنوب. وقال الجُنيد: أيُّ عذر لِمن أعرض عن مُنعِمِه، وجحده وكفر أياديه ونِعمه[٣]؟

و«يوم» بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر، أي: تقول الملائكة: «هذا يوم لاينطِقون». ويجوز أن يكون قوله: «انطلِقوا» من قول الملائكة، ثم يقول اللهُ لأوليائه: هذا يوم لاينطِق الكُفَّار. ومعنى اليوم: الساعة والوقت. وروى يحيى بن سليمان[٤] عن أبي بكر عن عاصم: «هذا يومَ لاينطِقون» بالنصب، ورُوِيتْ عن ابن هُرْمز وغيره[٥]، فجاز أن يكون مبنياً لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع. وهذا مذهب الكوفيين. وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم. وهذا مذهب البصريين؛ لأنه إنما بني عندهم إذا أضيف إلى مبنيٍّ، والفعل هاهنا معرب[٦].

وقال الفراء[٧] في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾: الفاء نَسَقٌ، أي عطف على «يُؤْذَن»، وأجيز ذلك؛ لأن أواخر الكلام بالنون. ولو قال: فيعتذروا لم يوافق

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٧٩ بنحوه.

(٢) ١٥/ ٩٢ وما بعد.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٥.

(٤) في(م): سلطان. والمثبت من باقي النسخ الخطية وهو الموافق لما في جامع البيان في القراءات السبع ٢/ ٤٧٢.

(٥) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٢١، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٧ عن الأعرج والأعمش.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٩٣.

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ٢٢٧.

الآيات. وقد قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] بالنصب، وكلُّه صواب؛ ومثله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] بالنصب والرفع.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: ويقال لهم: هذا يوم الفصل الذي يُفْصل(١) فيه بين الخلائق؛ فيتبين المُحِقُّ من المُبطل(٢). ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ قال ابن عباس: جمع الذين كذّبوا محمداً والذين كذَّبوا النبيين من قبله، رواه عنه الضحاك. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ أي: حيلةٌ في الخلاص من الهلاك(٣) ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: فاحتالوا لأنفسكم وقاوُوني، ولن تجدوا ذلك. وقيل: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ» أي: قدرتم على حربِ«فَكِيدُوني» أي: حاربوني. كذا روى الضحاك عن ابن عباس. قال: يريد: كنتم في الدنيا تحاربون محمداً ﷺ وتحاربونني، فاليوم حاربوني.

وقيل: أي: إنكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدَّفع عن أنفسكم(٤). وقيل: إنه من قول النبيِّ ﷺ، فيكون كقول هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾أخبر بما يصير إليه المتقون غداً،

---

(١) جاءت العبارة في (د) هذا يوم الذي يفصل، وفي (ز) و(م) و(ي) هذا اليوم الذي يفصل. والمثبت من (ظ).

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٦١١، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٨.

(٣) في (ز) و(ظ): العذاب.

(٤) الكلام بنحوه في مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ١٦٣.

والمراد بالظِّلال: ظِلال الأشجار وظِلال القصور[(١)] مكان الظِّلِّ في الشُّعَب الثلاث. وفي سورة يس: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦].

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يتمنَّون[(٢)]. وقراءة العامة: «ظِلاَلٍ». وقرأ الأعرج والزهريُّ وطلحة: «ظُلَلٍ»[(٣)] جمع ظُلَّة يعني في الجنة. ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أي: يقال لهم غداً هذا بدل ما يقال للمشركين: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فكيدون». فـ «كُلُوا وَاشْرَبُوا» في موضع الحال من ضمير «الْمُتَّقِين» في الظرف الذي هو «في ظِلاَلٍ» أي: هم مستقرُّون «في ظِلالٍ» مقولاً لهم ذلك[(٤)].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نُثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بمحمدٍ ﷺ وأعمالهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ هذا مردودٌ إلى ما تقدم قبلَ المتقين، وهو وعيد وتهديد[(٥)]، وهو حال من «المُكَذِّبِيْنَ» أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: «كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً»[(٦)].

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: كافرون. وقيل: مكتسبون فعلاً يضرُّكم في الآخرة، من الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المشركين:

---

(١) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ٤١٠ .

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٧ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ ،عن الأعرج والأعمش. ووقع في (ظ): ظل.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٥ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ بنحوه.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٠٥ .

«ارْكَعُوا» أي: صلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يُصَلُّون؛ قاله مجاهد[١].

وقال مقاتل: نزلت في ثقيف، امتنَعوا من الصلاة، فنزَل ذلك فيهم[٢]. قال مقاتل: قال لهم النبيُّ ﷺ: «أسلِموا»، وأمرَهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني فإنها مَسبَّةٌ علينا، فقال النبيُّ ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»[٣].

يُذْكَر أن مالكاً رحمه الله دخَل المسجد بعد صلاة العصر ـ وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر ـ فجلس ولم يركع، فقال له صبيٌّ: يا شيخ، قم فاركع. فقام وركع ولم يحاجِّه بما يراه مذهباً، فقيل له في ذلك، فقال: خشيتُ أن أكون من الذين «إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ».

وقال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا في الآخرة حين يُدْعون إلى السجود فلا يستطيعون[٤]. قتادة: هذا في الدنيا[٥]. ابن العربيّ[٦]: هذه الآية حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركناً في الصلاة، وقد انعقد الإجماعُ عليه، وظنَّ قومٌ أنَّ هذا إنما يكون في القيامة، وليست بدار تكليف، فيتوجه فيها أمرٌ يكون عليه ويلٌ وعقاب، وإنما يُدعون إلى السجود كَشْفاً لحالِ الناس في الدنيا، فمن كان يَسجد لله تمكَّن[٧] من السجود، ومن كان يسجد رياءً لغيره صار ظهرُه طَبَقاً واحداً.

وقيل: أي: إذا قيل لهم اخضعوا للحقِّ لا يخضعون، فهو عامٌّ في الصلاة

(١) في تفسيره ٢/٧١٨ ، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٥٢ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٨١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢١ بنحوه، وزاد المسير ٨/ ٤٥٢ وقوله منه: «لا خير في دين ليس فيه ركوع». وقع في حديث عثمان بن أبي العاص في خبر وفد ثقيف بسياق آخر أخرجه الإمام أحمد (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٦ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٦١٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٦١٣ بنحوه.

(٦) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٠ .

(٧) في (ظ): فمن كان يسجد له في الدنيا يمكن ....

وغيرها، وإنما ذَكر الصلاةَ؛ لأنها أصلُ الشرائع بعد التوحيد. وقيل: الأمر بالصلاة أمرٌ بالإيمان؛ لأنها لا تصح من غير إيمان(١).

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنْ لم يصدِّقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالةُ على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فبأيِّ شيء يصدِّقون؟!(٢)

وكرَّرَ «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» لمعنى تكرير التخويف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار؛ لأنه أراد بكلِّ قول منه غيرَ الذي أراده بالآخر؛ كأنه ذكر شيئاً فقال: ويل لمن يكذِّب بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل لمن يكذِّبُ بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل لمن يكذِّب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها(٣).

ختمت السورة ولله الحمد.

تم الجزء الحادي والعشرون من تفسير القرطبي
ويليه الجزء الثاني والعشرون ويبدأ بتفسير سورة النبأ

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٨٤ .

(٢) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٦١٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٩ .

(٣) زاد المسير ٨/ ٤٤٨ بنحوه.

فهرس الجزء الحادي والعشرين

- تفسير سورة التغابن ٥
- تفسير سورة الطلاق ٢٦
- تفسير سورة التحريم ٦٧
- تفسير سورة الملك ١٠٨
- تفسير سورة القلم ١٣٥
- تفسير سورة الحاقة ١٨٨
- تفسير سورة المعارج ٢١٩
- تفسير سورة نوح ٢٤٩
- تفسير سورة الجن ٢٧٢
- تفسير سورة المزمل ٣١٣
- تفسير سورة المدثر ٣٥٤
- تفسير سورة القيامة ٤٠٤
- تفسير سورة الإنسان ٤٤٣
- تفسير سورة المرسلات ٤٩٤
- الفهرس ٥١٩